المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربيّة
تخصص لغويات

التوليد اللغوي عند القاضي التنوخي

في كتابه (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة)

دراسة وصفيّة في المستويات والمظاهر

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللُّغويِّات

إعداد الطّالب
عبد الله بن أحمد محمّد القليصي
الرقم الجامعي (٤٣١٧٠١٤٢)

إشراف الأستاذ الدكتور
عبد الحميد محمد سلمان الأقطش
الأستاذ بقسم الدِّراسات العليا العربيَّة

العام الجامعي ١٤٣٤هـ، ١٤٣٥هـ

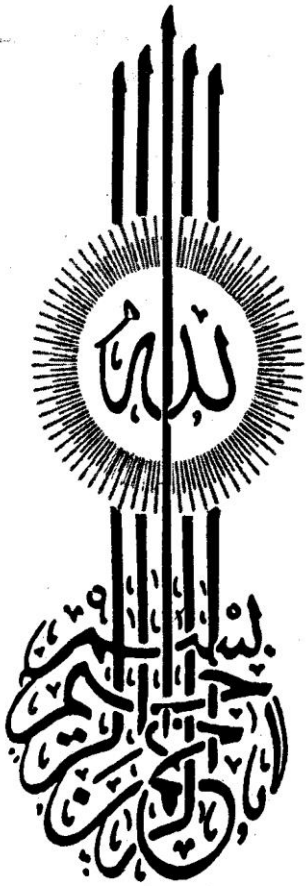
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـــة شكـــــر

والدي ووالدتي وأبنائي وإخوتي:

لكم مني خالص المحبة، وعظيم الامتنان.

مكة المكرمة وطيبة الطيبة:

وإليهما تهفو أرواح المؤمنين أنسا واشتياقا .

جامعة أم القرى:

الحضن الأكاديمي، وبستان العلم والمعرفة.

أساتذتي الأفاضل:

من شملتني رعايتهم، وجميل توجيههم وعنايتهم. وأخص بالذكر منهم: مشرفي في الماجستير، أ.د: عليّان الحازمي، ورائدنا في منهجيّات البحوث اللغوية، أ.د: سليمان العايد حفظهم الله ورعاهم.

وإلى أصدقاء لي رائعين، وعلى رأسهم صديق الدراسات العليا منذ بداياتها:

الشيخ أبي تمام، حسن غَرَم العمري حفظه الله ورعاه.

وإلى مشرف الرسالة:

الأستاذ الدكتور: عبد الحميد محمد سلمان الأقطش .

على جزيل ما بذله من توجيه واهتمام، ومحبة وعطاء، له منا خالص الدعاء، فقد كان لي كالأب المشفق على أبنائه، وكان كالنّبراس الذي أضاء لي دياجير الصعوبات، ومهّد دربا من الدرس عسيرا، وقدّم نهجا من البحث العلمي الرصين، وكان معي خطوة بخطوة يتعهد هذه الدراسة حتّى ظهرت ثمرتها، واستوت على سوقها.

الملخّص

ملخّص بالعربيّة:

التوليد اللغوي عند القاضي التنوخي في كتابه (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) (دراسة وصفيّة في المستويات والمظاهر)

تتناول هذه الدراسة الموسومة بالعنوان أعلاه التوليد اللغوي في عربية القرن الرابع الهجري عند القاضي التنوخي في كتابه (نشوار المحاضرة، وأخبار المذاكرة)، وذلك في بابين:

الأول: الدراسة النّظريّة: وتكشف عن التطور في مسألة التوليد اللغوي في العربية قديمًا، وصولا إلى عصر المؤلف، في مستويات الاستعمال (فصيح، ومولّد، وعامي، ومقترض)، وفي مظاهر التوليد اللغوية الصّوتية والصّرفية والنّحويّة والدلاليّة.

والثّاني: الدراسة الوصفية التّحليليّة: في مدوّنة محدودة، وهي (نشوار المحاضرة، وأخبار المذاكرة) للقاضي التنوخي، من حيث: مجالات التوليد اللغوي و مستوياته اللغوية والاستعمالية، ومظاهره، والصياغة الكتابية للألفاظ المقترضة (المعرّبة والدّخيلة).

وخلُصت الدراسة إلى تأكيد:

- أهمية مسألة التوليد اللغوي في تنمية الثروة اللفظيّة المعجميّة، وأبانت عن التّنوع في المستوى الاستعمالي للعربية ما بين فصيح، ومولّد، وعامّي، ومقترض، مع مشروعية التمثيل والإقرار لكلٍ من هذه المستويات في المستوى الكتابي، والمستوى التّخاطبي التّواصلي، وخلُصت الدراسة إلى أنّ هناك توليدا في العربية غير مرغوب فيه؛ وهو كلُ استعمال لغوي خرج عن أنماط قواعد العربية المعتبرة ونظامها، واستفحاله في العربية يؤدي مع الوقت إلى استحالة العربية إلى لغة أخرى.

- أظهرت الدراسة ملامح العربية الوسيطة في القرن الرابع الهجري من خلال مدونة التنوخي من ناحية الأصوات والبنية الصرفية، والنحو والتراكيب والدلالة، وتعدد مستوياتها اللغوية بين فصيح وعامي ومولّد ومقترض، وبعض الخصائص اللغويّة الأخرى، وأثبتت أنّ العربية الوسيطة لا تختلف كثيرا في مستواها الشفاهي عن تراكيب وأساليب بعض اللهجات العربية الحديثة، ولا سيما اللهجة المتداولة في البيئة العراقية الحديثة.

- أظهرت الدراسة الاتجاهات العامة في التمثيل الكتابي للألفاظ المقترضة، وأبانت عن تعدّد طرق صياغة الألفاظ المقترضة التي دخلت العربية في مدونة التنوخي.

- أثبتت الدراسة أهمية الاقتباس من تراثنا العربي الغني بألفاظه وأساليبه الحافل بصيغه المتنوعة، المتميز بفصاحة كلماته، وبلاغة أساليبه في رفد معاجمنا اللغوية، وأكّدت على تسامح العربية وانفتاحها الذي يظهر بدخول الألفاظ المقترضة.

ويحقّ لنا أن نصف العربية بأنّها لغة ولاّدة، تسمح لها وسائلها المرنة بالتّوسع والزيادة، وهي لغة محافظة وتجديد، تجمع بين صفتي الثبات و المرونة، وهذا يؤكد مدى قدرة العربية على استيعاب ألفاظ الحضارة والحياة، ومصطلحات العلوم والفنون المختلفة، وأنها لغة علمية عالمية.

ملخّص بالإنجليزيّة:

ABSTRACT

Linguistic Generation in Al-Qadi At-Tanukhi's Book: (nišwār al- muḥāḍarah wa >aẖbār al-muḏākarah): A Descriptive Study of Levels and Aspects

This study tackles the linguistic generation of the Arabic Language of the Fourth Century H. in Al-Qadi At-Tanukhi's book: (nišwār al- muḥāḍarah wa >aẖbār al-muḏākarah) from two perspectives:

First: Theoretical Perspective: the development of linguistic generation in early Arabic up to the age of the author with respect to the usage levels (of "formal, generative, colloquial and loan words"), and generative linguistic, phonological, morphological, syntactic and semantic aspects.

Second: Analytical Descriptive perspective: exclusive focus on The Best of All in relation to linguistic generation and its linguistic, usage and loan word transcription aspects (i.e. formal Arabization and calques).

The study has come up with the following conclusions:

1. **The significance of linguistic generation in enriching and developing the Arabic Lexicon, and the variation of the usage levels of formal, generative, colloquial and loan words, alongside their legitimacy and eligibility at the levels of writing and communication. The study has concluded that in Arabic there is undesirable generation which can be defined as "any linguistic usage that may deviate from standard grammar and language system". Its overuse would jeopardize rendering Arabic into another language.**
2. **The distinctive features of Middle Arabic Language in the Fourth Century H. on the basis of At-Tanukhi's book, on the one hand, and phonological, morphological, syntactic and semantic structures, the multivalence of the usage levels of formal, generative, colloquial and loan words and some other linguistic characteristics. These have proved that, at verbal level, Middle Arabic is not dissimilar to the structures and styles of some modern Arabic dialects, especially the current Iraqi modern dialect.**
3. **The general trends in the transcript representation of loan words, and the multifarious forms of these words in At-Tanukhi's book.**
4. **The importance of leaning heavily on our Arabic linguistic heritage which is rich in lexicon, styles of various forms, formality and rhetoric, on the one hand, and the tolerance and openness of Arabic Language reflected by its borrowing from other languages, on the other.**

Indeed, we can describe Arabic as a productively generative Language whose flexibility allows for its expansion and development. It is simultaneously a conservative and renovating language that combines stability and flexibility, which confirms the potentiality of Arabic to embrace scientific, technical, artistic and all other types of modern terms.

محتوى الدراسة:

الموضوعات	الصفحة
كلمة شكر	أ
الملخّص	(ب - ث)
محتوى الدراسة	(ث - خ)
مخطط الدراسة	(د - ف)
التمهيـــــد	١
١- مفهوم (التوليد اللغوي) ومبادؤه	٢
التوليد اللغوي (التعريف)	٣
تعريف المولّد من الألفاظ عند القدماء	٤
التوليد اللغوي في الدراسات العربية الحديثة	٧
مبادئ التوليد اللغوي وأساسياته	١٦
٢- التعريف بمدونة (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة)	٢٠
- تعريف بالمؤلف (القاضي التّنوخي)	٢٠
- تعريف بالكتاب	٢٢
الباب الأول: (الدراسة النّظرية)	٢٦
التوليد اللغوي في العربيّة	٢٧
الفصل الأول: التوليد اللغوي في العربية إلى عصر المؤلف	٢٧
التوليد اللغوي في العربية وعلاقته بالتغير الاجتماعي	٣١
الازدواج اللغوي ونشوء العربية الوسيطة المولّدة	٣٣
ظاهرة اللحن في القرن الرابع الهجري وكتب التصويب اللغوي	٣٥
سمات وملامح العربية المولّدة	٣٨
الفصل الثاني: مستويات الاستعمال في العربية	٤٢
١- المستوى الفصيح	٤٤
٢- المستوى المولّد	٤٥
٣- المستوى العامي	٤٧
٤- المقترض اللغوي	٥١
الفصل الثالث: التوليد في المستويات اللغوية	٥٥
١- التوليد الصّوتي	٥٨
القوانين الصوتية وأثرها في التوليد اللغوي	٦٠
عامل السهولة والتيسير النّطقي	٦٥

عامل الشيوع ٦٥
عامل تطور أعضاء النّطق ٦٦
٢- التّوليد الصّرفي ٦٨
٣- التوليد في التراكيب النحوية والأساليب ٧٢
٤- التوليد الدلالي ٧٥
الباب الثّاني (الدراسة التحليلية الوصفية) ٨٠
الفصل الأول: ٨١
مجالات التوليد اللغوي في مدونة التنوخي ٨٢
أولا: مجالات التوليد اللغوي في ألفاظ الحياة العامّة ٨٣
١- **ألفاظ الحياة السياسية** ٨٣
- الدواوين ووظائف الحُكم وإدارة الدولة ٨٤
- الوظائف العسكرية وأصناف الجنود ٨٩
- ألفاظ الجريمة ٩١
- أدوات التعذيب وأصناف العقوبات ٩٢
- مذاهب وأديان: (مصطلحات العقائد والمذاهب والأديان الأخرى) ٩٣
٢- ألفاظ الحياة الاقتصادية ٩٦
- المعاملات المالية والتجارية ٩٦
- ألفاظ المهن والصّناعة ١٠١
- الأوزان والمكاييل ١٠٦
٣- ألفاظ الحياة الاجتماعية ١٠٧
- طبقات المجتمع وأجناس الناس ١٠٧
- اللباس والحلي والزينة ١١٢
- ألفاظ الأثاث وأمتعة المنازل ١٢٠
- الأواني والأدوات ١٢٢
- أصناف المأكولات والمشروبات ١٢٧
- وسائل النقل البحرية ١٣٢
- ألفاظ البناء وأدواته وأجزائه والأماكن المخصوصة في الدور ١٣٤
- أسماء المناطق والنواحي والبيئات الطبيعية ١٣٩
- الأعياد والمناسبات ١٤٠
- آلات اللهو والألعاب والمجون ١٤١

ثانيا: مصطلحات الطب والعلوم والفنون ١٤٣
- مصطلحات الطب والأدوية والأمراض ١٤٣
- الأدوية النباتية وغيرها ١٤٦
- أعضاء الإنسان وأسماء الحيوان ١٤٨
- مصطلحات المواد والمعادن والأحجار الكريمة ١٤٩
- مصطلحات علمية وفكرية (مصطلحات العلوم والفنون) ١٥٠
الفصل الثاني: ١٥٣
التوليد في مستويات الاستعمال في مدوّنة التنوخي ١٥٤
١- المستوى الفصيح ١٥٥
٢- المستوى المولّد ١٦١
التوليد الشكلي ١٦١
التوليد الدلالي ١٦٣
تراكيب مولّدة ١٦٦
٣- المستوى العامي ١٦٩
خصائص عامية بغداد في القرن الرابع ١٧٠
مظاهر التحريف واللحن في عامية بغداد في القرن الرابع ١٧٣
الاختصار في لغة العامّة ١٧٧
مظاهر لهجيّة من العامية البغدادية في القرن الرابع الهجري ١٨٣
٤- المستوى المقترض ١٨٨
أولا: الألفاظ المقترضة من الساميات ١٩٢
ثانيا: الألفاظ المقترضة من اللغة الفارسية ١٩٢
ثالثًا: الألفاظ المقترضة من اليونانية واللغات الأخرى ١٩٦
أسماء الأعلام المقترضة ١٩٦
الفصل الثالث: ٢٠٠
مظاهـــر التوليـد اللغوي في المدونة ٢٠١
أولا: مظاهر التوليد الصّوتي ٢٠١
١- الإبدال الصوتي ٢٠١
٢- عيوب النطق ٢٠٥
٣- حذف واختصار بعض الصوامت أو الصوائت ٢٠٦
٤- ظواهر صوتية أخرى ٢٠٧

الموضوعات	الصفحة

ثانيا: مظاهر التوليد الصّرفي ٢١٠
١- التوليد بالمباني الصرفية ٢١٠
٢- التراكيب والنّحوت ٢٢٠
٣- القلب المكاني ٢٢٢
٤- الألفاظ المرتجلة ٢٢٣
٥- التوليد بالإتباع ٢٢٦
٦- التوليد باللواحق الزائدة في التصغير والنسب ٢٢٧
المصادر الصناعية ٢٢٩
٧- التوليد في صيغ الجمع ٢٣٠
٣- مظاهر التوليد في التراكيب النحوية والأساليب ٢٣٨
مظاهر التحريف في تراكيب العربية الوسيطة ٢٣٩
ملامح تركيبية في العربية الوسيطة ٢٤٠
متلازمات تركيبية مولّدة ٢٤٦
ظواهر فعلية ٢٥٠
٤- مظاهر التوليد الدلالي ٢٥٦
نماذج من التمثيلات الدلالية ٢٥٧
تراكيب إضافية اشتهرت في البيئة البغدادية ٢٦٢
كلمات تطورت دلالاتها حديثا ٢٦٣
العناية باختيار الألفاظ ٢٦٦
التحريف في معاني الألفاظ ٢٦٨
الفصل الرابع: ٢٧١
الصياغة الكتابية (التمثيل الكتابي) للألفاظ المقترضة في المدونة ٢٧٢
آلية التعريب عند العرب ٢٧٣
الصياغة الكتابية للألفاظ المقترضة في نشوار المحاضرة ٢٧٧
الاتجاهات العامة في الصياغة الكتابية للألفاظ المقترضة ٢٧٧
إبدال الأحرف الصّوامت (إلى ما يشبهه في العربية) ٢٧٨
أحوال أخرى للكلمة المقترَضة ٢٩٠
الخاتمة ونتائج الدراسة ٢٩٠
مصادر البحث ومراجعه ٢٩٤- ٣٠٧

مخطّط الدراسة:

مُقدّمة:

الحمد الله الذي بنعمته ورحمته تتم الصالحات، المعين على أداء الواجبات، وإتمام المهمات، وأصلي على الخاتم للرسالات، المبعوث بمحاسن الأخلاق، المجبول على عظيم الصفات ... وبعد:

فإنّ لغةَ الأمّة عنوان ثقافتها، وسمة حضارتها، وأساس هويتها ونهوضها، وسر بقائها، ولا ريب في أن تُعنى الأمم كافة بلغاتها، وتعمل على تقدمها وتشرع في ترقيتها ونموها ... وهي قبل: كائن حي نام، خاضع لقانون الارتقاء، تتجدد ألفاظها، وتراكيبها على الدوام. ومن هنا كانت قضايا التطور والتوليد اللغوي والمستويات اللغوية والاقتراض وغيرها حقائق لغوية لا غنى لأي لغة إنسانية عنها، والتكلّم عنها في هذه الدراسةيظهره المخطّط الموالي بأدناه.

1- أهميّة الدّراسة:

للتوليد اللغوي أهميته في نهضة أيّة لغةٍ، يترسم أبناؤها الطريق في نماء ثقافتهم وازدهارها، ورقي لغتهم وتجددها؛ لتواكب مستجدات العصر، ولتبقى حيّة نابضة تعبّر بحيوية عن مظاهر الحياة، ومواقف البشر، وأفكارهم، وحاجاتهم المختلفة، وهو يُعد من أهم عوامل النّماء في اللغة، وأحد مظاهر الاستثمار اللغوي الموجود في لغات العالم كلها؛ حيث تسعى كل لغة للتعبير عن المستجدات ومتابعة المتغيرات، وهو مقياسٌ لمدى التطور الذي تحظى به اللغات في مسيرة حياتها، فالتوليد اللغوي ضرورة لغويّة لبقاء أيّة لغة حيّة نامية، إذ إنّ إقصاء اللغة عن التّعبير عن المستجدّات يؤدّي إلى اندثارها وتقلّصها، ومن ثمّ إلى موتها.

ودراسة (المولّدات) في اللغات بعامّة تحتاج إلى تقييس وتقويم علمي؛ كشفًا عن القوانين النّاظمة لحركتها، وعن فاعليتها في الحياة الاجتماعية، ولا يستطيع منصف إنكار أهمية التوليد اللغوي في واقع العربية، من حيثُ إمدادُها بالألفاظ الدالة على أنماط الحياة المتطورة، ومن حيث توليد دلالات جديدة، معبّرة عن أدق تفاصيل الفكر الإنساني، إذ يُعد التوليد اللغوي مقياسًا ومظهرا مهمًا على مدى التطور اللغوي الذي أصاب العربية، وهو يعكس طبيعة المتكلمين الذين أنتجوها وثقافتهم وفكرهم وبيئتهم الاجتماعية، ثم إنّه يؤدي إلى تحديد حركات المولّدات اللغوية في علاقتها بالتاريخ والاجتماع البشري.

وفي اللغة العربيّة مرونة ذاتيّة وقدرة عالية على توليد الألفاظ والأساليب، بما يواكب متطلبات العصر ويوائم التطور التقني والتقدم الحضاري، قد ثبت لها ذلك في الماضي، وهو يثبت لها في الحاضر.

وعليه فالحديث عن التوليد اللغويّ ضرورة ملحّة تقتضيها عربية اليوم، من حيث هي لغة حيوية قادرة على أن تُثبت لنفسها موقعاً بين اللغات الوافدة المتقدّمة علمياً، والآخذة بمدّ سيطرتها.

٢- ميدان الدراسة التحليلية الوصفية:

ميدان الدراسة هو: التُّراث العربي، والحِقبة هي: القرن الرابع الهجري، والمدوّنة هي: نشوار المحاضرة، وأخبار المذاكرة، للقاضي التنوخي، بوصفه أديبًا ممثّلا لعربية الاستعمال في عصر متقدم من تاريخ هذه اللغة، وعلاقتها بما جاورها من اللغات والثقافات، وشاهدًا على عربية عصره؛ فهو يجتهد في تقديمها مقاربة للواقع دون تكلف في الخطاب، ويستنطق المتكلمين لها في نصوصه، ويتتبعها في واقع حياتهم ومعاشهم وأسواقهم ومنتدياتهم (خاصتهم وعامتهم) وكل فئاتهم من فقهاء وقضاة وأدباء وشعراء ومهنيين وتجار وأغنياء وفقراء وحكام ووزراء، كما يذكر ذلك في مقدمة كتابه.

وكذلك فإنّ لغة التنوخي تُعدّ شكلا من أشكال العربية الوسيطة، في مرحلةٍ مهمة من مراحلها التي امتزجت فيها بغيرها من الثقافات واللغات الأخرى، فحافظت على كينونتها، ولم تُلغِ جانب التأثر والتأثير في ألفاظها وأساليبها ودلالاتها، إضافة إلى أنها تحتوي على رصيد مهم من ألفاظ اللغة العامة ومصطلحات العلوم والفنون في عصره.

فالنّصوص والعبارات في هذه المدونة تبرز مظاهر تطورٍ في العربية ومستوياتها المختلفة في القرن الرابع الهجري، ذلك العصر الذي يعد من أزهى عصور العربية فصاحةً من جهة، وتوليدا لغويًا من جهة أخرى، فهو عصر النّثر الفني، وعصر الازدهار المعرفي، والأكثر عطاءً في جوانب شتّى من العلوم والفكر والحضارة الإنسانية.

والتّنوخي في عمله هذا يقدّم لنا وصفًا يمكن أن نستخلص من خلاله مظاهر التطور (الشكلي والدلالي) في العربية، وتصوير الواقع اللغوي، والكشف عن مستويات العربية المختلفة.

٣- اختيار الموضوع:

من الأسباب الداعية إلى اختيار مدوّنة التنوخي (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) لتكون محورًا للدراسة:

- أنّ دراسة أدب التنوخي من خلال مدونته الشهيرة (نشوار المحاضرة ..) وما تحتويها من مادة لغوية غزيرة تعكس ملامح التطور والتوليد اللغوي، وتفيد في كشف الواقع اللغوي في عصره، ومن ثمّ استنباط القوانين المتحكمة في مسير هذا التطور.
- تمثّل مدوّنة التّنوخي أنموذجًا رائعًا لدراسة العربية في ذلك العصر، فقد مثّلت هذه المدونة التاريخية حلقة وسيطة بالغة الأهمية لعربيتين: العربية المعيارية الفصيحة، والعربية المعاصرة.
- تكتنز المدوّنة بكمٍّ وافر من القيم المعرفية المتنوّعة، فهي من نوادر كتب الأخبار والأسمار العربية في سياقها ومراميها، قضى التنوخي في تأليفها عشرين عاماً، وأخرجها في أحد عشر مجلداً، واشترط على نفسه فيها ألا يضمنها شيئاً نقله من كتاب، وعرّفه بأنه "كتاب يشتمل على ما تناثر من أفواه الرجال، وما دار بينهم في المجالس "، وما تميّز به صاحب المدونة عن غيره من كتّاب عصره من سعة ثقافته، وما تمتع به من قدرة نثرية بديعة في نقل الأحداث التاريخية وأخبار المسامرات بلغة فصيحة معبرة مليئة بنواحي التطور والجمال والحيوية.
- تحتوي المدونة على رصيد مهم من ألفاظ اللغة العامة ومصطلحات العلوم والفنون في عصره، فالتّنوخي لم يكن بمنأى عن هذا الواقع اللغوي الذي باتت تأتلفه أربعة مستويات هي: الفصيح ، والمولّد ، والعاميّ ، والأعجميّ، إضافة إلى ما اقترضه العرب من اللغات الأعجميّة، خاصّة الفارسيّة لتسمية الأدوات والأطعمة والمفاهيم والأشياء التي لم يعرفها العرب من قبل.

وعليه فهذا الرصيد المعرفي عند التّنوخي من شأنه أنْ يقدّم شواهد تمكننا من أن نرصد تقاطع اللغة مع التاريخ، ومن ثمّ نستطيع أن نقيم استنتاجات حول حياة اللغة نفسها، وحول واقع العربية الفصحى في علاقتها ببقية المستويات الأخرى، ممّا يُيسّر وصفها تاريخيًا، وتحليل عوامل تطورها، وتقديم نماذج لتحليل قواعد التوليد في العربية، سواء منها الشكلية أو الدلالية. فدراسة المفردات والتراكيب الجديدة يسهم في إمداد المعجم التاريخي بمادته.

٤- أهداف الدراسة:

يمكن إبراز أهم أهداف الدراسة بالنّحو الآتي:

- **دراسة ملامح التجديد والتطور اللغوي:** في العربية في مرحلة مهمة من مراحل تاريخها، ودراسة التطورات الطارئة على العربية من ناحية المفردات والتراكيب وأسلوب التعبير العام، ومحاولة فهم حركة التطور اللغوي في العربية الوسيطة، ومعرفة آليات نموها وعواملها، وقواعد تولدها، والكشف عن مظاهر التوليد اللغوي الشكلية والدلالية في أدب التنوخي.
- **توضيح آلية التوليد اللغوي في العربية**، ووسائلها المختلفة في التوليد اللغوي.
- **دراسة سمات العربية في عصر التنوخي** من حيث مستوياتها اللغوية (أصواتها ومفرداتها وأساليبها وتراكيبها ودلالاتها)، ومن حيث مستوياتها الاستعمالية (من فصيح ومولد وعامي ودخيل).
- **الكشف من زاوية لغوية معجمية عن المظهر الحيوي لعربية الاستعمال** في عصر التنوخي، ومظاهر تنوعها وأسباب هذا التنوع ومستوياته.
- **الدراسة تكشف خصائص العربية في مرونتها وطريقة توليدها للألفاظ والأساليب:** فمن أهم أهداف هذه الدراسة معرفة سر العربية في مرونتها، فمرونة العربية ومسايرتها لألفاظ العصر تعتبر خاصيّة مهمة من خصائص العربية، ولا تعني بأي حال من الأحوال الخروج عن ثوابتها ومنطلقاتها وقوانينها في التوليد ومعاييرها في القواعد والصيغ.

- **إبراز أهمية النشاط التوليدي في نماء العربية** في مستوى الدال والمدلول معا، مما يعود ببالغ الأثر على نماء الثروة اللفظية للعربية، والاتساع فيها، واستيعاب ما لا حدود له من الأشياء، والوفاء بالمصطلحات العلمية المعاصرة.
- **استجلاء خصائص التوليد اللغوي في عربية (القرن الرابع الهجري)**: والوقوف على مدى ما بلغته من ازدهار، ويظهر ذلك جليا في مرونتها وقدرتها على الوفاء بمطالب العصر والقدرة على التعبير عن أدق المشاعر الإنسانية، فضلا عن طواعيتها المستمرة للتجديد والتوليد.
- **التأكيد على وظيفية اللغة العربيّة** في التخاطب بلغة الحياة اليومية المباشرة فضلا عن التخاطب باللغة الأدبية العالية، وأهمية ذلك في التقريب بين المستويات الاستعمالية في اللغة، وتأثيرها وتأثرها بهذا الامتزاج اللغوي.
- **إثبات أنّ قضايا التطور والتوليد اللغوي والمستويات اللغوية والاقتراض** وغيرها حقائق لغوية لا غنى لأي لغة إنسانية عنها.
- **محاولة إقامة رؤية علمية، وبناء تصور منهجي** لقضية التوليد اللغوي.
- **تأكيد الحاجة إلى معجم تاريخي للغة العربية** والوقوف على حركة التطور اللغوي والدلالي في العربيّة.
- **تأكيد أهمية الاقتباس من التراث**: والإفادة منه في مجال توليد المصطلحات، وإثبات أهمية الاتجاه إلى دراسة المدونات الوسيطة باعتبارها حلقة الوصل بين العربية القديمة (الفصيحة) والعربية المعاصرة.

٥- الدراسات السابقة:

قامت دراسات عديدة حول هذا الموضوع المهم (التوليد اللغوي) في العربية، إلا أنّ أغلبها اختار جانبًا من جوانبها، أو كانت محور دراسته تدور على مدونات معاصرة طبّق عليها مستويات ومظاهر التوليد اللغوي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- **التوليد اللغوي في الصحافة العربية الحديثة** (الحبيب النّصراوي): اتجهت دراسته إلى لغة الصحافة المعاصرة، وحاول فيها تطبيق هذه الظاهرة على الصحافة العربية المعاصرة، والنّظر في مدى اتصال العربية الحديثة بالعربية القديمة، واختار ثلاث مدونات هي: (الصباح التونسية، الأهرام المصرية، الرأي العام الكويتية).

- **التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم** (محمد غاليم): وركّز الاهتمام فيها بالجانب الدلالي للتوليد اللغوي، وآليات التوليد الدلالي في العربية من خلال البلاغة والمعجم، مبرزا (مفهوم الإبداعية) الذي يعتبر خصيصة جوهرية للقدرة اللغوية، وبالتالي أغفلت دراسته المظهر الآخر من مظاهر التوليد وهو (التوليد الشكلي أو الصّرفي)، ولم تركّز على مدوّنة معيّنة، فجاءت دراسته – في أغلبها – دراسة نظرية لأحد مظهري التوليد المتعلق بالدلالة.
- **التوليد الدلالي (دراسة للمادة اللغوية في كتاب شجر الدّر لأبي الطّيب اللغوي)** ،(حسام البهنساوي): قام بدراسة النظريات الدلالية الحديثة، مطبّقًا نظرية (الحقول الدلالية) على كتاب (شجر الدر) في ضوء معطيات المناهج الدلالية الحديثة، قاصرا دراسته على هذا الجانب دون غيره.
- **المولّد، دراسة في نمو وتطور اللغة العربية في العصر الحديث** (حلمي خليل): قام بدراسة عوامل وأسباب النمو اللغوي في العالم العربي الحديث، متبِعًا ذلك بالجهود الفردية في التوليد الحديث، والجهود الجماعية المنظمة متمثلة بالمجامع العلمية، والتوليد اللغوي المعاصر في الصحافة والأدب.
- **المولّد، دراسة في بناء الألفاظ** (جان بريفو) ترجمة: خالد جهينة: تحدث فيه المؤلف عن فلسفة التوليد اللغوي وإشكالياته الحديثة، وطرق التوليد للألفاظ الحديثة، فاهتمّ بالجانب التنظيري المتعلق بهذه الظاهرة، وأساسياته في اللغات الحية المتطورة.
- **أثر التوليد اللغوي في بناء العربية الفصحى المعاصرة** للباحثة ميساء عبد القادر: وقد ركزت في دراستها على الاهتمام بتأثير هذه الظاهرة على توليد الألفاظ العربية في العصر الحديث، ورصد الواقع المعاصر لفصحى الصحافة.

٦- منهج الدراسة:

تنتهج هذه الدراسة طريقتين في معالجة الموضوع:

١- المعالجة النّظرية للظاهرة: وتتجه إلى توصيف علمي يتأسس على الاستقراء المتعمق لمفاهيم ومبادئ التوليد اللغوي، وتتطلب دراستنا – أحيانًا – اعتماد المنهج التاريخي لوصف مراحل تطور العربية.

٢- المعالجة التطبيقية للظاهرة، وتعتمد على مدونة (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة): وهذه المعالجة تقوم على التحليل والرصد والاستنباط المفصّل لمظاهر التوليد ومستوياته اللغوية والاستعمالية.

والدراسة – في مجملها – تتّجه اتجاهًا وصفيًّا يهدف إلى توصيف المستويات اللغوية والاستعمالية باعتبارها مكوّنات أصيلة في واقع العربيّة منذ مراحلها المتقدمة، تطبيقا على مدونة كُتبت في القرن الرابع الهجري للقاضي التنوخي، وتهدف إلى الإقرار بالواقع اللغوي الذي يصف مظاهر التطور اللغوي لا باعتباره خارجًا عن المعيارية، أو خارجا عن حدود الفصاحة، بل باعتباره واقعا لغويا لا مفرّ منه.

وترمي إلى الإفادة من تجارب السابقين، والاقتباس من تراث الماضين، مع عدم إغفال وسائل اللاحقين في التوليد اللغوي، ومناهج اللغويين المحدثين في دراسة اللغة وتحليلها تحليلا علميا متقصيا يعي طبيعة اللغة الواقعية للمتكلمين، وأهمية نمو واتساع اللغة بمراعاة المستويات اللغوية المختلفة.

وتظهر منهجية الدراسة في:

أ – لغة التوصيف العلمي وأداته:

إنّ دراسة مدونة من مدونات التراث العربي المهمة، ورصد المستويات اللغوية في الاستعمال، ومظاهر التوليد فيها، واستقراء الكلمات المقترضة (المعرّبة والدخيلة)، كل ذلك يستلزم لغة وأدوات علميّة بالغة الدقة، تساعد على حصرها، ومعرفة العوامل الاجتماعية التي أدّت إلى نقلها، أو تطورها ونموها، ومدى تأثّرها وتأثيرها على الفصحى، وهو أكثر فائدة للعربية ولأجيالنا اللاحقة من محاولة مصادرتها أو إخضاعها لقواعد محددة قد لا تتفق معها تماما، لئلا تنقطع جسور المعرفة والعلم والثقافة بين الماضي والحاضر.

ولا بدّ من التأكيد أيضا على أنّ من مهام الباحث اللغوي إدراك طبيعة التطور والتغير الذي يحدث للغة، دون أن ينظر إليه من زاوية الخطأ والصّواب، فعمل الباحث اللغوي ملاحقة التطور لا مصادرته، وملاحظته لا تجميده [(١)].

(١) ينظر: عيد، محمد عيد، المظاهر الطارئة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٣٧.

وعليه، فإن الدراسة الوصفية تتطلب النظر إلى مظاهر التغيّر والانحراف التي أصابت العربية من زاوية التطور والتغير المستمر الذي يصيب اللغات بدون حكم على قيمة هذا التغير، أو وصفه بالصّواب أو الخطأ، فهذا من عمل النحاة المعياريين الذين قد يحكمون على الألفاظ والتراكيب اللغوية باللحن والرفض أو الصواب والقبول.

وهذا يتطلب العناية بلغة التوصيف العلمي، وتوخّي الدّقة والحذر عند إطلاق الأحكام اللغوية، فلا نصف الإضافة في مفردات اللغة أو التغير الدلالي للكلمات بالفساد والانحطاط، كما في كتب اللحن، بل نرى ذلك تطورًا طبيعيا ونموا خلاّقا، وما نُظر إليه من زاوية الخطأ أو اللحن في اللفظ أو العبارة أو الدلالة يمكن النظر إليه من زاوية أخرى بأنه ناتج عن التّطور اللغوي، وهو قانون طبيعي يصيب جميع اللغات، ولا منأى لأي لغة عنه، فقد يحدث التغيير في الأصوات أو الألفاظ أو الدلالات أو التراكيب، وقد تدخل كلمات جديدة في صُلب اللغة، فتستساغ من قبل المجتمع أو تُرفض فتختفي أو تموت، وهكذا الحال في ألفاظ اللغة، فمنها ما يبقى ويستمر، ومنها ما يفنى ويندثر.

ولا يعني تناولنا لمستويات متعددة في الاستعمال اللغوي، وأنواع التوليد اللغوي الأخرى – في (لغة التنوخي) تحديدا – أننا سنتبنى موقفا مغايرا أو شاذا في الخروج عن قوانين العربية في النماء والاتساع، بل نسعى من خلال ذلك إلى توصيف آلية النماء وخاصية المرونة في العربية وقدرتها على الوفاء بلغة العصر، ودحضًا لمزاعم من زعم (عُقم العربية) وعدم قدرتها على مسايرة لغة العلم والمعرفة والحضارة.

ووسيلتنا المثلى: الوصف والتحليل والتتبع المنهجي الدقيق لمسيرة العربية في استيعابها ونموها وقدرتها على الوفاء، ومرونتها العجيبة في هذا الاستيعاب، وهذا الدمج، دون أن تتأثر في قواعدها وتراكيبها ومستوى فصاحتها وأصواتها.

ب– توصيف المجالات وشرح الكلمات:

آثرنا في توصيف المجالات، أن تكون الشروح والملحوظات، ومناحي التأصيل من منطوق نصوص المدونة ذاتها، فإن لم تسعفنا استوفينا الحاجة من شروح المحققين وذوي النباهة من أهل العلم وبحوثهم، أو من المعاجم ذات الشأن.

واعتمدنا في تفسير وشرح الكلمات على جملة من المعايير، أبرزها: تفسير الكلمة على ضوء سياقها اللغوي داخل النّص، فمدلول الكلمة يتحدد من خلال السياق الذي توضع فيه، فالسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة من بين المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضوريّة، مع مراعاة الدلالة المعجمية المأخوذة من المعاجم اللغوية، وموازنتها مع سياقها اللغوي، وذكر الشواهد السياقية التي وردت هذه الألفاظ فيها، أو إحالتها إلى مصدرها في المدونة اختصارا، ورغبة في عدم الإطالة.

٧- صعوبات الدراسة:

تكمن صعوبة مثل هذه الدراسات في أنها تقوم على استخلاص ملامح التوليد اللغوي ومظاهره من نصوص العربية الوسيطة، التي تقع بين مرحلتين من مراحل العربية، وهما: العربية الفصحى المعيارية، والعربية الحديثة، وفي هذا من العناء والمشقة ما فيه، كونه يرصد تلك الانحرافات، أو المظاهر الطارئة، أو ملامح التجدد والتغيير الذي أصاب العربية في أصواتها وبنيتها وتراكيبها ودلالاتها.

فالفصل بين الألفاظ والتراكيب الفصيحة والمولّدة يستلزم دراسة علمية فاحصة تعتمد على ما جمعه اللغويون من لغة العرب، وما دوّنه القدامى في مؤلفات وكتب اللحن، وما أشاروا إليه في معاجمهم اللغوية، وتعتمد على دراسات الألسنيين المحدثين من العرب والمستشرقين في معاجمهم الحديثة، وما أضافوه إلى متن اللغة من ألفاظ مولّدة ومقترضة، وما تحتاجه الدراسة من مقارنة واعية ومستمرة ودقيقة بين العربية الوسيطة واللهجات العربية الحديثة، وهذا العمل ليس باليسير الهيّن.

وتعترض الباحثين في مجال التوليد اللغوي والمولدات صعوبات عديدة، وتكمن هذه الصعوبات في جوانب عديدة، تتمثل في الآتي:

- تأصيل الكلمات المولّدة: وهو طريق وعرٌ محفوف بالكثير من الصعوبات، فمن الصعب العثور على مبتدع الكلمة الأول، ومن المستحيل رصد كل الكلمات الجديدة الداخلة في اللغة، وزمن دخولها، فاستقصاء ألفاظ التوليد مع تعدد مصادرها وتنوعها صعب المسلك، فليس للمولدات حدود، ولا يمكن أن يحيط بها العد، ومن العسير كذلك تحديد مكان منشئها، وكيفية انتقالها، وتلك الظروف التي أوجدتها، أو العوامل التي ساعدت في استقرارها وانتشارها، واستمرارها في الحياة.

– الغموض في تحديد المولد، وصعوبة ضبطه، وتحديد ميدانه، فقد اختلطت كلمات كثيرة بلغة العرب وصارت جزءا لا يتجزأ من كيانها، وبعض هذه الألفاظ رصدتها المعاجم اللغوية، وسمّتها (الألفاظ المعرّبة) ، وبعضها الآخر رفضته المعاجم العربية، وإن عرّبه الناطقون بالعربية، كونه تعدى زمن الاحتجاج اللغوي، وعدّته مولّدا .

– التصور القاصر والنظرة الجزئية للموضوع: وتفتقر تلك الرؤية إلى العلمية والشمول، وتحتاج إلى وضع مبادئ عامّة، وشاملة، ومنهجية علمية، وتوحيد رؤى النّظر، وما زالت هذه الرؤية غير واضحة في أذهان الكثيرين من اللغويين، والمثقفين، والسياسيين المؤثرين، وما زالت بحاجة إلى جهود فردية وجماعية تقوم بها مؤسسات بحثية، وأن تتعدى مرحلة الاجتهادات إلى موضع العمل والتنفيذ، وأن تحظى تلك الرؤى العلمية بمحل تقدير ودعم، وأن ترقى إلى حد الاتفاق والإجماع على جدواها وإمكانية تحقيقها.

– صعوبة تتعلق بحاضر العربية: " فالعربية في أيامنا في أمس الحاجة إلى التوليد، فالجديد في العلوم والفنون والآداب يجري في العالم خارج حدود الوطن العربي الذي يستورد السلع والمفاهيم والمصطلحات في آنٍ واحد "[1]، وما تزال العربية بحاجة إلى الدرس الدقيق الفاحص، والبحث العلمي المتّسع، من أجل تحقيق أهدافها المنشودة.

ومن مشكلات البحث الأخرى، ذلك السؤال الجوهري الذي يطرح نفسه بقوة هنا: هل لمتكلم العربية الحقّ في أن يُضيف إلى اللغة ما ليس فيها قياسًا على ما فيها ؟

ومن خلال الإجابة المتأنية على هذا التساؤل يتّضح مناط الاختلاف بين المعياريين والمحدثين في مسألة التجديد اللغوي، فالإشكال في مدى أحقيّة المتكلّم العربي قديمًا وحديثًا في أن يضيف إلى اللغة ما ليس فيها قياسًا على ما فيها، إضافة إلى إشكالية جمع اللغة في واقع لغوي متعدّد المستويات.

وهذا الجدل المحتدم حول أحقيّة المتكلّم العربي قديمًا وحديثًا في أن يُضيف إلى اللغة ما ليس فيها قياسًا على ما فيها .. ولّد تساؤلات عدة، منها:

من يضع اللغة ؟ ومن يمتلك الأداة التوليدية فيها؟ وهل تُجمع اللغة في واقع لغوي متعدد المستويات ؟

---

(١) مقدمة المترجم، جان بريفو، جان فرانسوا سابيرول، المولّد، دراسة في بناء الألفاظ، المنظمة العربية للترجمة، ت: خالد جهيمة، بيروت، ط١، ٢٠١٠ص١٥.

٨- خطّة الدّراسة:

تنتظم خطة بحث هذه الدراسة في مقدمة وفصل تمهيدي، وبابين، الباب الأول: يتعلق بالدراسة النظرية، متبوع بثلاثة فصول، والباب الثاني: يتعلّق بالدراسة الوصفية التحليلية، متبوع بأربعة فصول، ثم الخاتمة، وبيان محتواها فيما يلي:

مخطّط الدراسة أو المقدّمة:

وفيها استعراض يشمل فكرة الموضوع، وأهميته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في دراسته، والصعوبات التي تعترضتها.

التمهيد: ويشتمل على:

١- مفهوم (التوليد اللغوي) ومبادئ التوليد اللغوي وأساسياته:

فالدراسة ستحاول وضع مفهوم علمي شامل لطبيعة التوليد اللغوي، فقد أدى اضطراب وغموض مفهوم (التوليد في اللغة) إلى الخلط بينه وبين الألفاظ المولدة. ومن ثمّ كانت بعض المواقف إزاء قضية مهمة كقضية (التوليد اللغوي) تقوم على مجرّد التخمين والافتراض، وليس على الاستقراء المعمّق والاستنتاج ...

وتوضيح المقصود بالتوليد اللغوي (بمعناه الشامل)، فالتوليد اللغوي له مدلول عام يشمل التوليد المتعمد في المجال المصطلحي، (أي: في لغة العلوم)، والتوليد في لغة الكتابة بمظاهره المختلفة، والتوليد في المستويات اللغوية، سواء كان في المستوى المعجمي (المفردات)، أو المستوى الصرفي (الصيغ)، أو في التراكيب، أو كان توليدا دلاليا، ويدخل في دائرة التوليد المعجمي: الألفاظ المولدة والاقتراض اللغوي اللذان يعدّان مظهرين ورافدين أساسيين من روافد تنمية ألفاظ اللغة.

٢- التعريف بمدونة (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة):

- تعريف بالمؤلف (القاضي التّنوخي).
- تعريف بالكتاب .

البـــاب الأول: (الدراسة النّظرية)

ويتناول مراحل التوليد اللّغوي في العربيّة قديمًا وإلى عصر المؤلف، إضافة إلى مستويات الاستعمال في العربية، والتوليد في المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية على النحو التالي:

الفصل الأول: التوليد اللغوي في العربية قديمًا إلى عصر المؤلف.

الفصل الثاني: مستويات الاستعمال في العربية:

- المستوى الفصيح. - المستوى المولّد.
- المستوى العامي. - المقترض اللغوي.

الفصل الثالث: التوليد في المستويات اللغوية:

- التوليد الصّوتي. - التّوليد الصّرفي.
- التوليد في التراكيب النحوية والأساليب. - التوليد الدلالي.

البـاب الثّـــــاني: (الدراسة التحليلية الوصفيّة):

ويتناول دراسة مجالات التوليد اللغوي، ومستوياته ومظاهره في مدونة القاضي التنوخي (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة)، وقد احتوت هذه الدراسة التطبيقية على أربعة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: مجالات التوليد اللغوي في مدونة التنوخي.

ويحوي على المولّدات اللغوية في مختلف مجالات الحياة، وقسّم إلى ألفاظ الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتعبيرات المولّدة المرتبطة بها، إضافة إلى مصطلحات العلوم والفنون المختلفة.

الفصل الثاني: التوليد في مستويات الاستعمال في مدونة التنوخي:

- المستوى الفصيح. — المستوى المولّد . — المستوى العامي. — المستوى المقترض.

الفصل الثالث: مظاهـــر التوليـــد في المدونة:

- التوليد الصّوتي. - التوليد الصّرفي. - التوليد في التراكيب النحوية والأساليب.
- التوليد الدلالي.

الفـصـــل الرابع: الصياغة الكتابية للألفاظ المقترضة في المدوّنة.

الخـــاتمـــة:

وتتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وما يمكن أن توصي به الدراسة، أو تفتحه من أطر للبحث العلمي.

٩- أهم مصادر الدراسة ومراجعها:

تعتمد الدراسة في الأساس على دراسة التوليد اللغوي في مدونة التنوخي (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) بأجزائه الثمانية، وللقاضي التنوخي كتاب آخر لا يقل عنه أهميّة، وهو كتاب (الفرج بعد الشدة)، وهما من تحقيق: عبّود الشالجي، إصدار: مؤسسة الرسالة.

وهناك دراسات أخرى تطرّقت لموضوع (المولّد) في العربية، أو مظاهر التطور اللغوي في العربية، أو طرق تنمية الألفاظ يمكن الإفادة منها في إثراء الجانب النظري من الدراسة، أو إثراء بعض عناصر الجانب التحليلي من الدراسة.

نجد ذلك في كتب علم الدلالة، أو في عناوين تتحدث عن (التطور الدلالي)، وكذلك كتب اللحن والأغلاط (لحن العوام) التي رصدت الانحرافات في جوانب المفردات أو التراكيب أو الدلالات، فقد استعانت الدراسة ببعض مصنّفات اللحن اللغوي، ومنها: إصلاح المنطق لابن السكيت، أدب الكاتب لابن قتيبة، تقويم اللسان لابن الجوزي، درة الغوّاص للحريري، سهم الألحاظ لابن الحنبلي ...

وتعتمد الدراسة في تأصيل الألفاظ ونسبتها إلى مجموعة من المعاجم اللغوية القديمة والحديثة، وعلى مصنّفات التأصيل في القديم والحديث، ومنها: المعرّب للجواليقي، شفاء الغليل للخفاجي، المغرب للمطرزي، تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، الألفاظ الفارسية المعربة، أدي شير الكلداني، تفسير الألفاظ الدخيلة، طوبيا العنيسي.

وفي تطور العربية وخصائصها استعنت بكتب فقه اللغة العربية القديمة والحديثة، وبعض مؤلفات الجاحظ، والرازي، وابن فارس، إضافة إلى مؤلفات بعض المستشرقين، ومنها: العربية، يوهان فك، ترجمة: رمضان عبد التواب، دراسات في العربية، لمجموعة من المستشرقين، على رأسهم: فولفد يتريش فيشر ..

وأنوّه بذكر بعض المجلات والدوريات التي أفدت من دراساتها في مجال التأصيل والتوليد اللغوي، ومنها:مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة بأعدادها المختلفة، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، إضافة إلى البحوث العلمية المحكمة والمنشورة لبعض أساتذتي.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لحسن القول، وصدق النية، والإخلاص في العمل، وخدمة لغة القرآن الكريم.

التمهيـــــــد

١- مفهوم (التوليد اللغوي) ومبادؤه.

- التوليد اللغوي (التعريف).

- مبادئ التوليد اللغوي وأساسياته.

٢- التعريف بمدونة (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة)

- تعريف بالمؤلف (القاضي التّنوخي).

- تعريف بالكتاب .

١- مفهوم (التوليد اللغوي) ومبادؤه.

اللغة مقوّم أساسي من مقومات الأمّة، وعنوان هُويتها، وركيزة مهمة في تكوينها، وهي مظهر علوها ومؤشر هبوطها، ومن ثمّ تحتاج أيّ أمّة تسعى في سبيل النهضة إلى ترسّم نموها، وتفقد تطورها، ودرس التوليد فيها، وسبل المحافظة على ثوابتها ونظام قواعدها.

واللغات الحيّة دائمة التجدد والنمو والتّطور، تتأثر وتؤثر بما حولها من اللغات، وهي لا تمتنع من التداخل والاقتراض من بعضها، ويستلزم ذلك من أبناء أي لغة ما، الحرص على متابعة مراحل نموها، وقواعد تطورها، ودراستها دراسة علمية متأنية لقياس مدى انتشارها، وموقعها التي تحتله بين اللغات، ووسائل تنميتها، ومعرفة مظاهر التوليد فيها، والعوامل التي تتحكم في سائر الظواهر المرتبطة بها.

واللغة العربية ليست بدعًا من تلك اللغات، ولا نحتاج للتدليل على مكانتها وأهميتها عند العرب والمسلمين، فهي ترجمان كتابها السماوي، ومقوّم أساسي لوحدة الأمة، وهي السبيل إلى تكوين هُويتها الثّقافية، ومن ثمّ وجب على أبنائها أن يُعنوا بها عناية خاصّة، وأن يفردوها بالدرس العلمي، وأن يسبروا أغوارها ويستخرجوا أسرارها، ويحيطوا بطرق تنميتها وانتشارها.

ومن أبرز خصائص لغتنا العربية أنّها لغة ثبات ومرونة في ذات الوقت، يتضح ثباتها في ثبات أصولها، واستقرار نظامها وقواعدها، وتتضح مرونتها في آلية اشتقاقها، وقدرتها التوليدية، وازدياد مفرداتها بوسائلها الغنية النابعة من داخل اللغة، " فلم تحجم العربية في عصورها الخالية عن توليد الألفاظ والمعاني، وعن استحداثها من جذور عربيّة تارة، وعن تعريبها أو ترجمتها من لغة أعجميّة تارة أخرى، كلما دعت الحاجة إلى ذلك، حتى كانت معاجم المتأخرين من العلماء تعجّ بالألفاظ والمعاني المولّدة والمحدثة والمعرّبة والدخيلة " [(١)].

وإذا كان التوليد في اللغة مظهرًا يدل على الحيوية والمرونة والقدرة على تلبية حاجات المجتمع، فهو يُعدّ ظاهرةً طارئةً في رأي نفرٍ من علماء اللغة القدامى والمحدثين؛ فالألفاظ المولّدة ذات طابعٍ خاص، وهذه الظاهرة ذات مظاهر فيما يتعلق ببنية الكلمات من حيث الاشتقاق والتّعريب، واستخدام الصيغ الصرفية الخاصّة [(٢)].

---

(١) الخطيب، عدنان، (ألفاظ ومعانٍ ليست من الفصحى، ولكن من الفصيح) مجلة اللغة العربية بالقاهرة، ٧٥/٧٠.

(٢) ينظر: عيد، محمد عيد، المظاهر الطارئة، ص٨١.

ويحتاج الدارسون للعربيّة إلى معرفة طبيعة التوليد اللغوي، وآلياته، وقوانينه التي يسير عليها، فليس من السهولة الإحاطة بهذه الظاهرة من جميع زواياها، ومن أكثر الأمور صعوبة تحديد التوليد اللغوي؛ لاختلاف علماء اللغة القدماء والمحدثين في النّظر إليه، واضطراب مفهومه وطبيعته في أذهانهم، فضلا عن تباين مواقفهم منه، ومن هذا المنطلق رأينا أن نفرد هذه الصّفحات في تجلية مصطلح (التوليد اللغوي) وتوضيح مبادئه وأساسياته.

التوليد اللغوي (التعريف).

تتمحور كلمة (التوليد) في كتب اللغة حول المعاني الآتية:

- **المعنى الحسّي**: الوضع والنّتاج والحصول، ومنه الولادة، يقال: ولد ولادة، وولّد توليدًا، جاء في العين: "والوِلادة: وَضْع الوالدةِ وَلَدَها " [(١)]. وفي الصّحاح: " ويقال: وَلَّدَ الرجلُ غنمه تَوْليداً، كما يقال نَتَجَ إبلهُ نَتْجاً " [(٢)]. وفي مقاييس اللغة: " الواو واللام والدال: أصلٌ صحيح، وهو دليل النَّجْل والنسْل، ثمَّ يقاس عليه غيرُه. وتَولَّدَ الشّيءُ عن الشّيء: حَصَل عنه " [(٣)]. وفي أساس البلاغة: " وولّدت الغنم: نتجتها " [(٤)].
- **تعميم اللفظ**: ثمّ اتسع اللفظ ليطلق على: المحدث من كلّ شيء [(٥)]، ثمّ على الأشخاص من غير العرب الذين ولدوا في أرض العرب.. [(٦)]، جاء في أساس البلاغة: " وغلام مولّد وجارية مولّدة: ولدت عند العرب، ونشأت مع أولادهم وتأدبت بآدابهم [(٧)] .وفي الصّحاح: " ورجلٌ موَلَّدٌ، إذا كان عربيًّا غيرَ محضٍ " [(٨)].

---

(١) الفراهيدي، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د . إبراهيم السَّامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٢٦/٢.

(٢) الجوهري، تاج اللُّغة وصِحاح العربيَّة، ت: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرَّابعة، يناير ١٩٩٠م.للجوهري، ٢٩٤/٢.

(٣) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، تحقيق وضبط: عبد السَّلام محمَّد هارون، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، الطَّبعة الثَّانية، ١٣٨٩هـ١٩٦٩م، ١١٠/٦.

(٤) الزمخشري، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطَّبعة الأولى١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م. ٢٧/٢.

(٥) ينظر: مجمع اللغة العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ١٠٥٦/٢.

(٦) وبهذا المعنى اللغوي، استخدم التنوخي لفظ (المولّد) في نشوار المحاضرة، ففي ١٨٩/٣: " وكان من الجند المولّدين "، وفي موضع آخر: ١٩٣/٦" قدم بجاريتين من مولدات اليمامة ".

(٧) للزمخشري، ٢٧/٢.

(٨) للجوهري، ٢/ ٢٩٤.

- **المعنى المجازي**: وأطلقَ على الكلام الذي لا أصل له في لغتهم، يقال: كلامٌ مُوَلَّد: مُسْتَحدَث لم يكن من كلام العرب[١]، وفي أساس البلاغة: " وكلامٌ مُوَلَّد: مُسْتَحدَث لم يكن من كلام العرب "[٢].

واتّسعت المعاجم لتطلق المعنى الأخير للتمييز بين الألفاظ العربية الفصيحة، والألفاظ المولّدة، فاستخدمت كلمة (مولّدة) وقالوا: (عربيّة مولّدة)، وحكموا على بعض الألفاظ بأنها: ليست من كلام العرب، أو لا أصل لها في كلام العرب، أو لم تنطق به العرب، لم يرد به سماع. لا أصل له في العربية. واختراع محض لا أصل له....جاء في ديوان الأدب: هذه عربية وهذه مولَّدة، .. وكان الأصمعي يقول: النّحْريرُ ليس من كلام العرب وهي كلمة مولّدة[٣].

تعريف المولّد من الألفاظ عند القدماء:

وقف القدماء من علماء العربية عند المولّد باعتباره مقابلا للفصيح من الكلام وخارجًا عنه، وعمدوا إلى التفريق بين عربيتين: العربيّة الفصحى، والعربية المولّدة[٤].

وعدوّا المولّد ما جاء بعد عصور الاحتجاج، أو ما نطق به العرب الذين لا يُحتج بكلامهم، وفي المزهر: " هو ما أحدثه المولّدون الذين لا يُحتج بكلامهم "[٥].

ويُذكر أنّ أول استعمال لكلمة (مولّد) للمُحدَث من الكلام، على لسان أبي عمرو بن العلاء – أحد اللغويين القدامى في القرن الثاني الهجري – حين قال عن شعر جرير والفرزدق: " لقد أحسنَ هذا المولّد حتى هممتُ أن آمر صبياننا بروايته "[٦].

---

(١) ينظر: الفراهيدي، العين، ١٢٦/٢.

(٢) للزمخشري، ٢٧/٢.

(٣) ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ت: فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ٢٤٣/١.

(٤) جاء في ديوان الأدب، للفارابي، ت: أحمد مختار عمر، مراجعة: أنيس، إبراهيم، دار الشعب، القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ٢٧٢/٣: " ويقال: هذه عربية مولدة ..".

(٥) للسيوطي، ٢٤٢/١.

(٦) ابن رشيق، العُمْدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده، ت: محمد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ،١٩٨١م ،٢٦/١.

وتعددت تعريفات علماء العربية للمولّد، ويمكن حصر تلك التعريفات على النّحو الآتي:

- المحدَث من الكلام، أو كل ما أحدثه المولَدون بعد عصر الاحتجاج [(١)].
- كل لفظ عربي غيّرته العامّة [(٢)].

وفي تهذيب اللغة: " وسمّي المولّد من الكلام مولّدا إذا استحدثوه ولم يكن من كلامهم فيما مضى .." [(٣)].

ولا يُعد المولد – عندهم – إلا ما ظهر بعد عصور الفصاحة (أي: بعد القرن الثاني الهجري في المدن، والقرن الرابع الهجري في البوادي).

ويلاحظ أنّ تعريفاتهم جميعا للمولد تلتقي حول الكلام المحدث الذي جاء بعد عصر الاحتجاج، ويضم كل تغيير حدث على الألفاظ أو التراكيب العربية من المولّدين أو العامة، أو الألفاظ المحدثة التي لم تستعملها العرب [(٤)].

التوليد في اللسانيات الحديثة:

يأخذ التوليد اللغوي مكانته الخاصّة في دروس الألسنيين، فهو من الموضوعات المهمة الجديرة بالبحث، والدراسة العلمية لوضع تصور أو منهجية نظرية تطبيقية لتوضيح فلسفة التوليد اللغوي وآلياته المختلفة، والعوامل التي ترافق عملية التوليد اللغوي، فتعمل على انتشار الألفاظ وبقائها، أو الحد منها، وفنائها، وبهذا يكون التّوليد مبحث لساني مهم، موضوعه الأساسي: قواعد تولّد الدوالّ والمدلولات الجديدة في المعجم، " وقد خصّ اللسانيون المحدَثون بالدرس جوانبه الصّوتية والصرفية المركّبية ضمن بحثهم في المعجميّة العامة النّظريّة، كما خصّوا قواعد التّوليد المصطلحي بالدّرس ضمن بحثهم في المعجميّة المختصّة النّظريّة " [(٥)].

---

(١) السيوطي، المزهر، ٢٤٢/١.

(٢) المحبّي، قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، ت: عثمان الصّيني، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ص٤٥ – ٥٦.

(٣) الأزهري، ت: محمد عوض مُرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ١٢٦/١٤.

(٤) ينظر: عيد، محمد عيد، المظاهر الطّارئة على العربية الفصحى، ص٨٧.

(٥) ابن مراد، مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص٥٠.

ويكثر الحديث في الدراسات اللسانية الحديثة عن ارتباط اللغة بالمجتمع، ويبرز الاهتمام بالعلاقة بين اللغة والمجتمع، وعندهم أنّ دراسة لغة من اللغات لا تنفصل عن دراسة المجتمع الذي هي فيه [(١)].

ومن البدهيات في علم اللغة الحديث أنّ اللغة كائنٌ حيٌّ، فهي تخضع لما يخضع له الكائن في نشأته ونموه وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع، وتستمد كيانها منه، وتتطور بتطور المجتمع، وتنحط بانحطاطه.

ومن هنا " فإنّ على اللغة أن تسمح بخلق كلمات جديدة لكي تستطيع أن تقوم بدورها باعتبارها نشاطًا اجتماعيًا يستجيب إلى حالات التّواصل، وأن تتوفّر على آليات توليد خاصّة، تمكّنها من خلق وحدات معجميّة جديدة، يفرضها تقدّم المعارف والتحولات التقنية " [(٢)].

وتؤكد الدراسات اللغوية الحديثة على أنّ المولّدات في اللغة مظهرٌ مهم من مظاهر تطورها، " والباحث في اللغة — من وجهة النّظر الحديثة — يعتد بالتّطور باعتباره مظهرا اجتماعيا يحدث للغة كما يحدث لغيرها، وينظر إليه بهذا الاعتبار، فيلاحظه ويصفه، ويصل من ذلك إلى معرفة ما جدّ من عناصر التّطور في مرحلة من مراحل اللغة عن مرحلة أخرى. فعملهم الحقيقي هو الوصف والاستقراء. وليس من وظيفتهم ربط اللغة المثالية بزمن خاص " [(٣)].

وعندهم أنّ ما سُمي بالفصحى هو توقُّفٌ عند مرحلة زمنية معيّنة، وهذا يوافق وجهة النّظر الوصفية التي تُعنى بواقع اللغة على ما هي عليه، لا على ما ينبغي أن تكون عليه [(٤)]، ومن هنا فإنهم لا يرون التفريق بين الاستعمالات اللغوية المختلفة، فلا حدود بين هذه المستويات اللغوية جميعها.

---

(١) ينظر: مقدمة المترجم، بريفو، المولّد ، دراسة في بناء الألفاظ، ص٩.

(٢) ج. فندريس،اللُّغة، تعريب: عبد الحميد الدَّواخلي، ومحمد القصَّاص، مكتبة الأنجلو المصريَّة، مطبعة لجنة البيان العربي، ص٢٣.

(٣) عيد، محمد عيد، المظاهر الطارئة على الفصحى، ص٩٩.

(٤) يرى برجشتراسر أنّ السؤال عن الجائز في اللغة وضده، وعلى المنع عن كثير من العبارات، هو عمل المعلم لا العالم، فالعالم يفحص عمّا يكون في الحقيقة لا عما كان ينبغي أن يكون .. ينظر: التّطور اللغوي للغة العربيّة، أخرجه وصححه: د. رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ص٢٠٤.

والتوليد اللغوي في اللسانيات الحديثة يعني قدرة المتكلّم باللغة – أيًّا كانت وظيفته – على توليد عدد كبير من الاستعمالات المستحدثة من خلال استعمالات موجودة من قبل؛ ليعكس في المقابل تلك الطّاقات التوليدية الكامنة في اللغة، ومن ثمّ اهتمّت الألسنية الحديثة بمتكلّم اللغة من حيث هو قادرٌ على إنتاج عدد لا متناهٍ من الجُمل[(١)]، والنّقطة التي يثيرها تشومسكي – تحديدًا – هي أنّ جُمل اللغة متجددة بصورة دائمة، وعددها لامتناهٍ، ومفهوم (الكفاية اللغوية) عنده تعني: المقدرة على إنتاج عددٍ لا متناهٍ من الجُمل بواسطة عدد محدود من القواعد، ومن المفردات اللغوية[(٢)].

التوليد اللغوي في الدراسات العربية الحديثة:

زاد الاهتمام في العصر الحديث بالتوليد اللغوي، وتكثير ألفاظ اللغة بوضع المصطلحات العلمية، ويؤكد الواقع اللغوي حاجة الناطقين بالعربية إلى توليد ألفاظ جديدة لسدّ الفراغات المعجمية، ولتلبية احتياجات الحضارة الجديدة بجميع مظاهرها.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف، ولأهداف أخرى تصب في خدمة اللغة العربية وتراثها الواسع أنشئت مجامع لغوية عربية، وكان الاهتمام بوضع تصور نظري، ورؤية متكاملة لطبيعة التوليد اللغوي، وفلسفته، وآلية التوليد اللغوي في العربية.

وكان لمجمع اللغة العربية محاولة رائدة، تمثّلت في وضع منهجية لمسألة التوليد، باعتبار صلتها بالنقل من اللغات الأعجمية إلى العربية، وباعتبارها مسألة عامّة من مسائل الإبداعيّة المعجميّة، ولكن هذه المنهجية تفتقر إلى وجود " مبادئ عامّة وقواعد نظريّة وتطبيقيّة، إضافة إلى جزئيتها، وافتقارها إلى الاستيفاء والشّمول، وهذا يعني أنّ نظرية تولّد الكلمة في العربيّة ما زالت لم توضع بعد، وأنّ مبدأ أخذ الخلف عن السّلف هو الغالب "[(٣)].

---

(١) زكريا، ميشال، الألسنيّة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربيّة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م. ص١٢.

(٢) زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ١٧ – ٢٠.

(٣) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٦٥.

رأي مجمع اللغة العربية بالقاهرة:

عرّف مجمع اللغة العربية المولّد من الألفاظ، بأنّه ما استُعمل في اللغة العربية بعد عصور الاحتجاج من كلمات عربية الأصل جارية على أقيسة كلام العرب، أو مخرّجة عليها، أشربت دلالات خاصة بطريق المجاز، أو الاشتقاق، أو التوسع، أو نحو ذلك، أو هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب، ويتكون من نوعين، النّوع الأول: هو الذي يستنبطونه باعتماد طرق الكلام العربي، ومنها: المجاز، والاشتقاق، وما شابههما، ويشمل المصطلحات العلمية والتقنيّة، وهو عربي يُعتد به ....

أما النوع الثاني: فهو الذي لم يعتمدوا فيه طرق الكلام العربي، سواءٌ باستعمال لفظ أعجمي، لم يُعرّب، أو لفظ قد تغيّر صوتيا، أو دلاليا لا يمكن تصويبه، أو لفظًا مرتجلا ، وهو غير سائغ، ولا جائز في فصيح الكلام، وقسم ثالث هو ما عُرّب من الألفاظ الأعجمية، وكان أوّل قرار للمجمع أن أباح تعريب الألفاظ الأعجمية، أو الأجنبية عند الضرورة مطلقًا، سواء كان اللفظ على أوزان العرب، أو لم يكن على أوزانهم [(١)].

ويؤكد بعض الباحثين على أنّ " أهم اجتهاد حديث يمكن أن يُتخذ نموذجا لتصور المحدثين لقضيّة التوليد المصطلحي هو اجتهاد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فقد كان لهذا المجمع أثره الحاسم في العمل المصطلحي العربي تنظيرا وتطبيقا " [(٢)].

وقد توسّع المعجم الوسيط الذي أخرجه مجمع اللغة العربية بالقاهرة في المصطلحات العلميّة الشائعة، ودعا إلى الأخذ بما استقرّ من ألفاظ الحياة العامّة، وخطا في سبيل التّجديد اللغوي خطوات فسيحة، ففتح باب الوضع للمحدثين [(٣)]، شأنهم في ذلك شأن القدامى سواء بسواء،

---

(١) ينظر:شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، موضوع (التعريب)، و(التوليد)، ص١٢٩ – ١٣١، مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما، إخراج: محمد شوقي أمين، إبراهيم الترزي، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص١٢- ١٣.

(٢) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٥٥.

(٣) من أهم من كتب في أحقية المحدثين في الوضع عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أحمد حسن الزيات)، في بحث بعنوان (الوضع اللغوي، وهل للمحدثين الحق فيه)، ودعا فيه إلى توصيات من ضمنها، فتح باب الوضع على مصراعيه، ورد الاعتبار إلى المولد، ليرتفع إلى الكلمات القديمة، ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٨، ١٩٥٥م، ص١١٠.

وبذلك حرّر السّماع من قيود الزمان والمكان، وعممّ القياس فيما لم يُقس من قبل، وأقرّ كثيرًا من الألفاظ المولّدة والمعربة الحديثة، وشدّد في هجر الحوشي والغريب[١].

ويفرّق المعجم الوسيط بين عدة مصطلحات معجمية هي: المعرّب، المولد، الدخيل، المحدث. جاء في مقدمة الطبعة الأولى:

المعرّب: اللفظ الأجنبي الذي غيّره العرب بالنّقص، أو الزيادة، أو القلب.

المولّد: هو اللفظ الذي استعمله النّاس قديمًا بعد عصر الرواية.

الدّخيل: اللفظ الأجنبي الذي دخل العربيّة دون تغيير، كالأكسجين، والتلفون.

المحدَث من الألفاظ: اللفظ الذي استعمله المحدثون في العصر الحديث، وشاع في لغة الحياة العامّة[٢].

وفي المعجم الوسيط: المولّد هو: " المحدَث من كل شيء، ومنه المولّدون من الشعراء، سمّوا بذلك؛ لحدوثهم، ومن الرجال: العربي غير المحض، ومن ولد عند العرب، ونشأ مع أولادهم وتأدب بآدابهم "[٣]. وفيه أيضًا: أمّا المولّد من الكلام فيراد به معنيان هما:

١- كل لفظ كان عربي الأصل ثمّ تغيّر في الاستعمال.

٢- اللفظ العربي الذي يستعمله النّاس بعد عصر الرواية.

ومن الملاحظ أنّ التعريف الأول الذي ورد في المعجم الوسيط يتضمّن معنى التّغيير، فيدخل فيه اللفظ العربي الذي غُيّر على ألسنة العامّة: بالزيادة، أو النّقص، أو التحريف في الصّيغة، أو تحريك، أو تسكين، أو ترك همز، أو التغيير بنقل الدلالة، ونحو ذلك[٤].

أمّا التعريف الآخر فيدخل فيه الألفاظ الجديدة التي تكلم بها المولّدون بعد عصر الاحتجاج.

---

(١) ينظر: مقدمة المعجم الوسيط، ط٤، ص٢٣.

(٢) مقدمة المعجم الوسيط، ط٤، ص٣١.

(٣) المعجم الوسيط، ١٠٣٦/٢.

(٤) جاء في المزهر للسيوطي ٣٠٤/١: " وفي أمالي ثعلب : سُئل عن التغيير : فقال هو كلُّ شيء مولد، وهذا ضابط حسن يقتضي أن كلَّ لفظ كان عربيّ الأصل ثم غيّرته العامة بهَمْز أو تَرْكه أو تسكينٍ أو تحريك أو نحو ذلك مولد، وهذا يجتمع منه شيء كثير".

ومجمل القول: فقد كان لمجمع اللغة العربية دورٌ بارز في عملية التوليد اللغوي، وقد قبل بعض وسائل التوليد اللغوي عند الضرورة، كالتوليد الدلالي، والتوليد عن طريق الاقتراض، بما يوافق أقيسة كلام العرب، وقبل من الوسائل: النّحت، والمصادر الصناعية، ورفض بعض الوسائل الأخرى، كالارتجال، والتوليد الصّوتي، أمّا المعوّل عليه في المرتبة الأولى من قواعد التوليد، فما جرى على أقيسة كلام العرب جريانا طبيعيا، وقد ذكر منها المجاز والاشتقاق و نحوهما [(١)].

رأي الباحثين المحدثين:

عرّف المغربي (عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة) المولّد من الألفاظ، بأنّه: " ما لم يعرفه أهل اللغة، ولم ينطقوا به من الكلام، وإنما استعمله المولّدون، وجروا عليه في منثورهم ومنظومهم " [(٢)].

ونلاحظ أنّ المغربي يكاد يتّفق مع التعريف الآخر الذي ورد في المعجم الوسيط، وما قاله القدامى في تعريف المولّد.

ويرى بعض الباحثين اللغويين أنّ " التوليد عملية لغوية مستمرة، وهي تتمخض عن مجموعتين من الألفاظ، إحداهما قديمة نسبيًا، قام به أسلافنا، فهي (مولّدة)، والأخرى معاصرة، فهي (محدثة)، أي إنّ استخدام مصطلح (توليد)، إنّما يأتي من الجانب الإبداعي المستمر في اللغة، ولكنّ استخدام مصطلح (مولّد)، يجيء من مدخل تاريخي صرف؛ لارتباطه بالقِدم، وعصر الرواية..." [(٣)].

ويحاول وضع إطارٍ زمنيٍ لتحديد الألفاظ المولّدة يبدأ بعد عصر الرواية وينتهي عند بداية عصر محمد علي باشا في مصر سنة ١٨٠٥م، أي: تسعة قرون منذ القرن الرابع الهجري إلى العقد الثاني من القرن الثّالث عشر الهجري، أما ما نشأ بعد هذا التاريخ إلى العصر الحديث فتسمّى الألفاظ المحدثة [(٤)].

---

(١) ينظر: مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما، إخراج: محمد شوقي أمين، إبراهيم الترزي، ص١٢- ١٣.

(٢) الاشتقاق والتعريب، مطبعة لجنة التأليف والتَّرجمة، القاهرة، الطَّبعة الثَّانية ١٣٦٦هـ١٩٤٧م، ص٦٢.

(٣) شاهين، عبد الصبور، العربية لغة العلوم، دار الإصلاح ، الدمام، ط١، ١٩٨٣م، ص٣٥٠.

(٤) ينظر: شاهين، عبد الصبور، العربية لغة العلوم، ص٣٥١.

وبهذا يتّضح أنّ مصطلح التوليد اللغوي يمكن أن يشمل المظاهر الطارئة على العربية، ومنها المولّدات والألفاظ المحدَثة، فاللفظ المولّد هو الذي استعمله النّاس قديمًا بعد عصر الرواية، والألفاظ المحدثة وهي" الألفاظ التي استعملها المحدَثون في العصر الحديث، وشاعت في لغة الحياة العامّة .." [(١)].

وأنّ التّوليد إذا أطلق أريد به المعنى العام الذي يشمل أنواع عديدة من الألفاظ الحادثة في العربيّة، وبالأخص المولّدات والمستحدثات والمعرّبات بعد عصر الاحتجاج اللغوي.

ويفهم من هذه التعريفات جميعها: أنّ المولّد هو التّغيير عامّة سواءٌ في ذلك ما يشمل الألفاظ المحدثة مما لم يستعمله العربي أصلا، أو الألفاظ والتراكيب التي استعملها العربي ثمّ غيّرت باستعمال المولّدين والعوام [(٢)].

ويقودنا هذا إلى سؤال يتعلّق بالتّعريب بعد عصر الاحتجاج، هل يعدّ توليدا ؟ ويمكن تحوير هذا السؤال على النّحو الآتي: ما الفرق بين التعريب والتوليد؟

الفرق بين (التّعريب) و (التّوليد):

خصّ القُدماء الألفاظ المعرّبة بأنّها الألفاظ الأعجمية التي تكلّمت بها العرب في عصور الرواية والاحتجاج، أمّا التّعريب الحادث بعد عصر الاحتجاج فيسمّى (توليدا)، وتسمى الألفاظ الأعجمية التي استعملت بعد عصر الاحتجاج (ألفاظًا مولّدة) [(٣)]، ويشتركان في الألفاظ الأعجميّة التي غيّرها العرب، ويفترقان في التحديد الزّمني، فمفهوم التعريب يتّجه أساسًا إلى الألفاظ الأعجميّة التي غيّرها العرب في عصور الرواية.

ومن الدّارسين من عمّم مصطلح التعريب ليشمل كل ما دخل في لغة العرب قديمًا وحديثا، ومن ثمّ قيل في تعريفه: نقلُ لفظٍ من لغة أعجميّة إلى اللغة العربيّة بتغيير أو بدون تغيير [(٤)]، ويدخل في هذا التعريف الألفاظ الدّخيلة، والمولّدة التي عُرّبت بعد عصر الاحتجاج.

---

(١) ينظر: شاهين، عبد الصبور، العربية لغة العلوم، ص٣٥٠.

(٢) ينظر: عيد، محمد عيد، المظاهر الطّارئة على العربيّة، ص٨٧.

(٣) ينظر: الخفاجي، شفاء الغليل، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، المطبعة المنيرية بالأزهر، مصر، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ،١٩٥٢م يقول: " ما عرّبه المتأخرون يعد مولدا، وكثيرا ما يقع مثله في كتب الحكمة والطب " ص٣.

(٤) عبد العزيز، محمد حسن، التعريب في القديم والحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، مقدمة الكتاب، ص٥.

ومن هنا يتّضح أنّ التعريب يختص باقتراض واستعمال الألفاظ الأعجمية، فإذا أطلق مصطلح التعريب في الدرس اللغوي شمل هذا المفهوم الواسع، وهو نقلُ الألفاظ الأعجمية إلى لغة العرب، وإذا اقترن هذا المصطلح في الدرس اللغوي بالألفاظ الدخيلة والمولّدة، احتيج إلى نوعٍ من التّفصيل والتفريق بين هذه المصطلحات وتحديدها بدقة، وحينئذ يتميّز التعريب بمعنى خاص، وهو ما عرّبته العرب من الألفاظ الأعجمية في عصر الرواية والاحتجاج.

ويرى بعض علماء العربية المعجميين التفريق بين مصطلحي (المولّد) و(المعرّب) من الألفاظ، فالمولّد ما نشأ بعد عصور الاحتجاج، سواءٌ كان عربيًا أم أعجميًا. والمعرّب كل ما استعمل في اللغة العربية من ألفاظ أجنبية سواءٌ ألحقت بأبنية العرب أم لم تلحق[(١)].

ويمكن أن نصل من خلال تعريفات المولّد في القديم والحديث إلى أنّ التوليد اللغوي لا يختص بالألفاظ الأعجمية فحسب، بل يحوي مستويات لغوية ومفاهيم عديدة، ويدخل فيه: الألفاظ العربية، والألفاظ الأعجميّة....

فالألفاظ العربية التي غيّرها العامّة والمولّدون تسمّى ألفاظًا مولّدة، والألفاظ المستحدَثة عن طريق الاشتقاق أو الوضع من لغة العرب، والتي لم يتحدّث بها العرب تسمّى ألفاظًا مولّدة، والألفاظ الأعجمية التي دخلت في كلام العرب بعد عصر الاحتجاج تسمّى ألفاظًا مولّدة، والألفاظ التي استعملها العرب ولكنها نُقلت إلى دلالات جديدة تسمى ألفاظًا مولّدة، ويطلق على مجموع هذه الألفاظ (المولّدات).

وبهذا يشمل التوليد عدة مفاهيم، لا تنحصر باستحداث ألفاظ وصيغ جديدة، بل تشمل نقل دلالة اللفظ القديم إلى دلالة جديدة، وتشمل الألفاظ المقترضة (المعرّبة والدخيلة).

ويمكن أن نميّز بين نوعين من أنواع التوليد هما:

التوليد اللفظي: ويكون باستحداث ألفاظ وصيغ جديدة.

التوليد الدلالي: ويكون بنقل دلالة لفظة قديمة إلى دلالة جديدة.

---

(١) عرض الأستاذ محمد شوقي أمين في جلسة عمل لمجمع اللغة العربية، دورة (٤٢)، بحثا بعنوان (المفاهيم الاصطلاحية لكلمات المعرّب والدخيل والمولّد والمحدَث رأى فيه أنّ علماء اللغة لم يُفرقوا بين المعرّب والدخيل، وعدّوا المولّد ما نشأ بعد عصور الاحتجاج، سواء أكان عربيًا أم أعجميا .." ينظر: مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما، إخراج: محمد شوقي أمين، إبراهيم الترزي، ص١٢– ١٣،وعبد العزيز، محمد حسن، التعريب في القديم والحديث، ص٢٤٦.

وعلى هذا فالتوليد في الألفاظ، يكون بوضع واستحداث ألفاظ جديدة لم تستعملها العرب، ويكون – أيضا – بتوليد معنى جديد لصيغة عربيّة قديمة.

ولكلا النوعين وسائله وطرقه في العربيّة، فيتم التوليد اللفظي أو الشكلي غالبًا بظهور دوالّ جديدة في اللغة، بواسطة قواعد الاشتقاق الصّرفي – غالبا – للتعبير عن مدلولات جديدة، وربما ظهرت دوالّ جديدة عن طريق الوضع والارتجال، أو تعريب الألفاظ الأعجميّة، أو دخولها إلى العربيّة كما هي.

أمّا التوليد الدلالي فيتمثّل في إعطاء مدلولات جديدة لدوال مستعملة –أصلا – في اللغة، فيتم فيه تغيير المدلولات القديمة للدوالّ عن طريق المجاز والاستعارة والكناية غالبا [(١)].

وكما يكون التوليد في الألفاظ يكون في الأساليب، وتتعدد مستوياته نتيجة تعدد مفاهيمه، وشموله، واختلاف اللغويين في تحديده. والتوليد في الأساليب ينشأ – عادة – نتيجة حركة الترجمة، وهذه الأساليب تكون غريبة في اللغة التي دخلت فيها.

" وفي العربية الحديثة وجدت أساليب كثيرة لم تكن إلا وليدة الترجمة، هذه الأساليب غريبة عن العربيّة، فهي بنت ظروف وأحوال اجتماعيّة لم توجد في هذا الشرق العربي " [(٢)]. وهذه الأساليب – وإن كانت دخيلة المعاني في العربية – إلا أنّها ألفاظ عربيّة محضة، رُكّبت تركيبًا خالصًا [(٣)].

وبعض المجمعيين أطلق على هذا النّوع من التوليد مصطلح (تعريب الأساليب) وعرّفه بأنّه: " إدخال العرب في أساليبها أسلوبًا أعجميًا " [(٤)]، ويؤكّد أنّ هذه الأساليب على الرغم من ترجمتها عن اللغات الأعجمية، إلا أنّها صُبغت بتراكيب عربية خالصة، يقول: " فالباب مفتوح للأساليب الأعجميّة، تدخله بسلام، إذ ليس في هذه الأساليب كلمة أعجميّة، ولا تركيب أعجمي، وإنّما هي كلمات عربيّة محضة رُكّبت تركيبًا خالصًا، لكنّها تفيد معنى لم يَسبق لأهل اللسان أن أفادوه بتلك الكلمات " [(٥)].

---

(١) استعمل النّصراوي هذه المصطلحات للتفريق بين النّوعين، وقد نقلنا كلامه مختصرًا، ينظر: الجاحظ معجميًا، بحث في المستويات اللغويّة، مركز النّشر الجامعي، ٢٠٠٨م، ص١٠٩.

(٢) السامرائي، إبراهيم، فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٨٧م، ص٢٨٣.

(٣) ينظر: المغربي، عبد القادر، مجلّة المجمع اللغوي المصري، (تعريب الأساليب)، ج١، ص٣٣٢.

(٤) المغربي، عبد القادر، مجلة المجمع اللغوي المصري، (تعريب الأساليب)، ج١، ص٣٣٢.

(٥) المغربي، عبد القادر، مجلة المجمع اللغوي المصري، (تعريب الأساليب)، ج١، ص٣٣٢.

ومن هنا نرى أنّ التوليد لا يختص بالألفاظ فقط، بل هو يشمل الأساليب الجديدة الطارئة على العربية نتيجة الترجمة أو النّقل، وخُصّ – في أكثر التعريفات القديمة والحديثة – بما أحدثه المولّدون بعد أن دوّنت اللغة وضبطت ألفاظها، بعد عصور الاحتجاج اللغوي.

بين الاشتقاق والتوليد اللغوي:

الاشتقاق وسيلة من وسائل العربية في النّماء اللغوي، وتوليد الألفاظ، وهو وسيلة العربية المثلى والمعتبرة في زيادة الرصيد اللغوي، وهو عبارة عن" أخذ كلمةٍ من كلمة أو أكثر مع تناسبٍ بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى جميعًا "[(١)].

فهو وسيلة من وسائل التوليد اللغوي استعملها العرب لإنشاء صيغ من أخرى ليدلوا بها على زيادة في المعنى يكتسبه اللفظ من تلك الصّيغة المشتقّة.

وبهذا يتّضح أنّ الاشتقاق يختصّ بالألفاظ، بينما يشمل التوليد وسائل أخرى غير الاشتقاق، ويشمل الألفاظ والأساليب، فالتوليد اللغوي أعم وأشمل من الاشتقاق؛ " فهو يُطلق على عمليّة استخراج اللفظ الجديد، أو عمليّة استعمال اللفظ القديم في المعنى الجديد، سواء أكان اللفظ عربي الأصل، أو كان معرّبًا، وعلى ذلك يمكننا اعتبار التوليد بمثابة الإبداع الذي ينشئ تأليفًا جديدًا في اللفظ أو في المعنى "[(٢)].

والتوليد اللغوي يشمل طرقًا عديدة، بعضها قديم الاستعمال في العربية، كالاشتقاق والمجاز، وقد يتجاوز هذه الطرق إلى غيرها من وسائل جديدة للتوليد اللغوي، وفي ذلك يقول عبد الصّبور شاهين: " فنحن لا نعتبره بابًا من أبواب الإثراء اللغوي، بل نعتبره صيغة تضم أشتات الوسائل المستخدمة في تكثير الألفاظ تبعًا للحاجة إليها، ومن الممكن أن نُرجع ثمرة استخدام ما سبق من وسائل التّنمية اللغويّة إلى عملية التوليد هذه .."[(٣)].

---

(١) أمين، عبد الله، الاشتقاق، الطّبعة الأولى، ١٩٥٦م، ص١.

(٢) شاهين، عبد الصبور، العربيّة لغة العلوم، ص٣٤٥.

(٣) العربية لغة العلوم، ص٣٤٥.

التوليد المقصود والتوليد العفوي:

هناك نوعان من التوليد اللغوي بحسب القصد إليه، أو العفوية في نشوئه:

التوليد الاصطناعي المقصود: وهو التوليد الذي يُقصد إلى وضعه، إما بواسطة جماعة لغوية، أو مؤسسة أو مجمع، وقد يحدثه الأفراد المتخصصون، ويكون في المصطلحات العلمية، والمعاجم المختصّة، وهذا النوع يغلب في مستوى اللغة المكتوبة.

التوليد العفوي: وهو التوليد الحادث دون قصد إلى وضعه، ثم انتشر في المجتمع، أو استساغته الجماعة اللغوية، وجمهور الناس، وكان نصيبه الشيوع، ويدخل في التوليد العفوي كل التغيرات التي تصيب اللغة دون قصد، و التي يمكن وصفها بالتلقائية، ويكثر في ألفاظ اللغة العامة، ويغلب في مستوى اللغة المنطوقة[1].

وننفذ من هذا كله إلى أنّ للتوليد اللغوي مفهومًا واسعًا يشمل كل مظاهر الاتّساع والتغيير والاستحداث في اللغة، وأنّه يشمل تلك المظاهر الطارئة على العربية، فهو: إحداث ألفاظ وأساليب لم يعرفها العرب الخُلّص، ويشمل ما تعرض للتغيير والتبديل من الكلام العربي على ألسنة العامّة (العامي)، ويشمل التغيير في الأبنية وهيئة التركيب، ويشمل تعريب المولدين للألفاظ والتراكيب (الألفاظ المعرّبة بعد عصر الاحتجاج).

وله وسائله وآلياته المتنوعة، كالتوليد بالاشتقاق: (طيّار، حرّاقة، هرّاس)، والتعريب بعد عصور الاحتجاج: (سفاتج، رستاق، بذرقة)، ويدخل فيه التوليد الدلالي بانتقال دلالة كلمة من معنى قديم إلى معنى جديد: (التنزّه، الجريدة، برذعة)، ويشمل: تعريب الأساليب، والترجمة، والارتجال، والنّحت، والاقتراض بنوعيه (المعرّب، والدخيل)، ويشمل التغيير الحاصل في الأصوات والأبنية والتراكيب، وبهذا يتّسع ليشمل المستويات اللغوية في الاستعمال، من فصيح ومولد وعامي ومقترض، ومظاهر هذه المستويات المتمثلة في: التوليد الصوتي، والصّرفي، والتوليد في التراكيب والأساليب، والتوليد الدلالي.

وهو عملية مستمرّة تسعى إلى سدّ احتياج أبناء اللغة، وهذه العملية المستمرة لا يمكن أن تنفصم عن المجتمع، فاللغة وليدة المجتمع الذي تعيش فيه.

وللتوليد اللغوي أساسياته ومبادؤه وضوابطه التي تضمن للغة الاستمرار والبقاء والاطّراد دون أن تفقد مكوّناتها أو نظامها، وإلا استحالت اللغات، وبقيت أثرًا بعد عين. وهذه المبادئ والأساسيات عامة في كل اللغات، لا تختص بلغة دون أخرى.

---

(١) ينظر: ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١، ١٩٩٧م، ص١٣٥.

مبادئ التوليد اللغوي وأساسياته

هناك مبادئ وأساسيات مهمّة ذكرها علماء اللغة واللسانيات الحديثة تتعلّق بعملية التوليد اللغوي وآلياته وأنواعه وفلسفته، وهذه المبادئ تحدد الإطار النّظري الاختياري العام الذي لا يخرج عنه العالم المصطلحي، وخاصة في عمله التطبيقي. وهذه المبادئ تكون أركانا أو عناصر أساسية في منهجية عامّة ذات أسس نظرية وتطبيقية في التوليد اللغوي بشكل عام، والتوليد المصطلحي خصوصا [(١)].. ونذكر منها:

١- **نظام اللغة:** كل نظام لغوي مصمّم لإنتاج المولّد، وقد أُلهم الإنسان القدرة على إنشاء واستحداث الألفاظ والتعبير عن أفكاره وشعوره وحاجاته، والتوليد اللغوي يتيح للغة الزيادة في مفرداتها، وصيغها، وهذه الزيادة تنبع من داخل اللغة، فما " يضاف إلى المعجم لا يضاف إليه من خارجه – إلا إذا كان اقتراضا –بل يضاف إليه من الداخل، بحسب القواعد التي تسمح بها اللغة في التّوليد، وبحسب ما يتيحه نظام اللغة العامّ للأفراد اللغوية من الخصائص " [(٢)].

٢- **حدود التوليد:** ينبغي التمييز – في أي لغة – بين نظامين: نظام اللغة الأساسي: ويتمثّل في قواعد وتراكيب اللغة ونظام جملها وأدواتها الأساسية، (وهذا لا يمكن تغييره أو التلاعب فيه، وإلا استحالت اللغة، وعادة يتسم بالثّبات، وتطوره يتم ببطء على مدى طويل)، ونظام مفرداتها: وهي (المساحة المرنة في أية لغة)، حيث يتم تبادل المفردات، واقتراضها، ودخولها بطريقة واعية، وقد يتم دخولها بطرق أخرى غير إرادية عند الحاجة إليها.

٣- **التوليد يكون في التراكيب كما يكون في المفردات:** لكن التوليد في المفردات أسرع وأكثر حدوثا، وهو عنصر مرونة في اللغات، أما التوليد الصوتي والصرفي والتوليد في التراكيب النحوية فيكون بطيئا، وهذه عناصر ثبات في اللغة.

---

(١) ينظر: ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٦٦.

(٢) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٢٤.

٤- **أنواع التوليد اللغوي:** يكون بتوليد ألفاظ وصيغ جديدة لم تُستعمل من قبل، وهذا يُعرف بالتوليد الشكلي، أو يكون بإضافة معنى جديد إلى كلمة قديمة، وهذا يُعرف بالتوليد الدلالي، أو بدخول أساليب أو تراكيب جديدة إلى اللغة. يقول برجشتراسر: " فإذا عثر النّاطقون على شيء جديد، لم يكونوا يعرفونه من قبل، من الأشياء المادية، وكذلك من المعاني، اضطروا إلى تسميته، فإمّا أن يستعينوا على ذلك بكلمة موجودة قديمة، معناها قريب من المطلوب، أو أن يخترعوا كلمة جديدة، أو أن يستعيروا كلمة أجنبيّة .." [(١)].

٥- **طبيعة التوليد وفلسفته:** التوليد قد يكون عملية فردية أو عملية جماعيّة، منظّمة أو غير منظّمة، ارتجالية أو وضعيّة. وقد يكون عمليّة واعية مقصودة لذاتها، كما يمكن أن يكون تسلية ومزاحًا، أو مجرّد صدفة، أو نتيجة خطأ لغوي، أو زلة لسان .. [(٢)].

٦- **التوليد اللغوي والتطور:** هناك علاقة وطيدة بين التوليد اللغوي والتطور، فالتوليد اللغوي المظهر الأبرز للتطور اللغوي، بل يقاس التطور اللغوي بالمولدات في اللغة ومظاهرها ومجالاتها [(٣)].

٧- **مراحل التوليد:** التوليد "يبدأ أولا بالابتداع والتّجديد، يحدث ذلك من فرد أو أفراد (ارتجال)، فإذا صادف التّغيير قبولا بين من يستعملون اللغة، انتقل إلى مرحلة أخرى هي مرحلة انتشار هذا التّغيير، حينئذ ينفذ إلى نظام اللغة، ويُصبح عنصرًا من عناصرها بقوة الاستعمال .. " [(٤)]، وتوليد المفردات مرحلة سابقة على توليد الجُمل؛ " وذلك لأنّ الجمل تُولد باعتماد المفردات التي يشتمل عليها معجم الجماعة اللغويّة، فلولا وجود تلك المفردات التي ولّدتها الجماعة اللغوية في مرحلة ما لما استطاعت تلك الجماعة توليد الجمل " [(٥)].

---

(١) التّطور النّحوي، ص٢٠٧.

(٢) ينظر: بريفو، المولّد، دراسة في بناء الألفاظ، مقدمة المترجم، ص١٤.

(٣) يقول بريفو في كتابه (المولد)، ص٥٢ " يعكس التوليد تطور اللغة، بالقدر الذي يعكس فيه تطور المجتمع، وبما أنّ اللغة شيء يؤرّخ؛ فإنّ المولّدات تعتبر الأكثر بروزًا من بين عناصرها القابلة للعد ..".

(٤) أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللُّغة، ترجمه وقدَّم له وعلَّق عليه: د. كمال بشر، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، الطَّبعة الثَّانية عشرة، ص٥٦.

(٥) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٣٤.

٨- **وسائل التوليد اللغوي:** " إذا كان التّوليد يعتبر آلية من الآليات اللازمة لبقاء أي لغة على قيد الحياة، فإنّ بناء المولد وإدراكه يختلفان من لغة إلى أخرى "[١]، وكل لغة لها وسائلها الخاصّة في توليد واستحداث الألفاظ أو المعاني الجديدة، " فإنّ كل ما يولد في اللغة من مفردات إنما يولد بحسب ما تسمح به قواعدها، وتتيحه قوانين استعمالها من الوسائل "[٢]، وأبرز هذه الوسائل في العربية الاشتقاق والنّحت والمجاز .

٩- **الاقتراض اللغوي من اللغات:** فالتّأثر والتأثير أمر طبيعي تتميّز به اللغات الحيّة، فتأخذ ألفاظًا ومفاهيم وأفكارًا، وتُنتج ألفاظًا ومفاهيم وأفكارًا، وتشترك وتتبادل مع غيرها ألفاظ الحضارة والعلم والمعرفة، " وقبول هذه المقترضات يعتمد على السّياق التاريخي، وعلى الخصائص الصّوتيّة للغات المقترِضة " [٣].

١٠- **وضع الألفاظ وتوليدها:** كل شخص يمتلك القدرة اللغويّة التي تُكتسب بالتّعلم غير الواعي للغة، والملَكة التي تمكّنه من معرفة شفافية عملها، وآليات توليدها، يستطيع أن يُحدث كلمات جديدة بفضل آليات الإبداع المعجمي الموجودة في النّظام اللغوي الذي أُشربه[٤].

١١- **التوليد ومبدأ الاقتصاد اللغوي:** تميل اللغة في تطورها نحو السهولة والتيسير[٥]، وتيسير النّطق، والاختصار في الجهد مرهون بالاستعمال، وعادة ما يتم الاقتصاد اللغوي، أو اختصار الوحدات الكلامية برغبة المستعملين، " وكلّ اللغات تسمح باستخدام وسائل توليديّة تقوم على اختصار الوحدات اللغويّة الطّويلة حرصًا منها على مبدأ الاقتصاد اللغوي " [٦].

---

(١) بريفو، المولّد، ص٥٢.

(٢) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٣٥.

(٣) ينظر: بريفو، المولد، دراسة في بناء الألفاظ،ص٣١.

(٤) ينظر: بريفو، المولد، دراسة في بناء الألفاظ، ص٣٣.

(٥) ينظر: د. رمضان عبد التواب، (التطور اللغوي وقانون السهولة والتّيسير) مجلة اللغة العربية بالقاهرة، ٣٦/ ١٩٦.

(٦) ينظر: بريفو، المولّد، دراسة في بناء الألفاظ، ص٣١.

١٢- **توليد المسميات**: تتفاوت الأمم في وضع وإنشاء المسمّيات، " واختيار تسميةٍ (ما) ليس محددًا مسبقًا، فالتّسمية تظلُّ حرّةً؛ لأنّها تتعلّق بوجهة النّظر المتبنّاة، وبوضع الشّخص المولِّد، وكذلك بالمستوى اللغوي المراد، وهي أمور تتم وفق آليات تجيزها اللغة " [(١)]، وغالبًا يتم ذلك عن طريق اختيار صفة من صفات الشّيء الّذي يراد تسميته (الصفة الغالبة)، أو بعض أجزائه، أو فيما يتعلّق بوظيفة الشيء أو عمله، أو اشتقاق لفظ يدل عليه من اللفظ الذي يدل على صفته أو جزئه وناحيته، أو وظيفته[(٢)].

١٣- **الحاجة إلى التوليد اللغوي**: يُلجأ إلى التوليد اللغوي عادة عند الحاجة إليه لسد نقص في المصطلحات أو الاستعمالات اللغوية، أو عند دخول ألفاظ مقترضة نتجت عن ظهور التقنيات الحديثة، أو بروز مصطلح علمي أو فكري دخيل، ويُعتمد على التّوليد اللغوي في حال انتشار وشيوع المفردة المولّدة أو الأسلوب المولّد.

ومن مجموع هذه المبادئ والأساسيات في العملية التوليدية، نخلص إلى أنّ التوليد اللغوي من الوسائل المهمة لبقاء أيّ لغة على قيد الحياة، وأنّ للتوليد اللغوي طبيعته وفلسفته وآلياته، وهذه الآليات في بناء المولد تتفاوت وتختلف من لغة إلى أخرى.

وأنّ التوليد اللغوي ظاهرة معقّدة لا يمكن السيطرة عليها، وأنّ المولدات اللفظية والدلالية والأسلوبية لا يمكن حصرها، فهناك المئات من الكلمات المولدة التي تدخل في حيّز الاستعمال في لغة الإعلام والصّحافة والكتب بشكل دوري يصعب تدوينها أو السيطرة عليها أو إخضاعها أو التحكم في مسارها.

---

(١) بريفو،المولد، دراسة في بناء الألفاظ، ص٣٢.

(٢) ينظر: محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ،١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، ص٣٠٢.

٢- التّعريف بمدونة (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) للقاضي التّنوخي.

في العربية نشأت مولّدات كثيرة، كان نصيب القرن الرابع الهجري منه نصيبا وافرا، لا ريب، فهو عصرٌ تميّز عن غيره من العصور، حيث بلغ الامتزاج بين الشّعوب مبلغه، ووصل الازدواج اللغوي في البيئة العربيّة حدًا لا يستهان به، ودخل إلى العربيّة ألفاظٌ كثيرة تعبّر عن مستوى الحضارة، وتعكس واقع الحياة في تلك الفترة، وبلغت حركة التوليد اللغوي مداها في إنشاء كلمات وتعبيرات وأساليب تكشف عن تاريخ العربية، ومدى ما أصابها من تطور.

وبين أيدينا وثيقة تاريخية ومدوّنة نستطيع من خلالها التمثيل على اللغة التي تعبّر عن واقع العصر في القرن الرابع الهجري، وطُرفًا من تاريخه، يمكن من خلالها تتبّع التطور الطارئ على العربية في ألفاظها وتراكيبها، ومستوياتها اللغوية المختلفة، وأنواع التوليد فيها، ومجالاته المتنوعة، في العلوم والإدارة والفنون ومختلف ألوان الحياة.

١- مؤلف الكتاب:

هو القاضي أبو علي، المحسّن بن علي بن محمد بن أبي الفهم التّنوخي البصري الأديب[(١)]، والده: أبو القاسم، علي بن محمد التّنوخي، ينتهي نسبه إلى قضاعة، ولد القاضي أبو علي التّنوخي بالبصرة سنة ٣٢٧هـ[(٢)]، وعُرف بصاحب النّشوار؛ نظرًا لأهمية كتابه، وروائع فوائده، وجودة فرائده.

استقرّ القاضي التنوخي ببغداد، وولي القضاء بها سنة ٣٤٩هـ وهو في مقتبل عمره، ولزم الوزير أبا محمد المهلّبي[(٣)]، وروى في نشواره جُملا من أخباره، وأخبار معاصريه، ونوادر الأحاديث التي دارت في تلك المجالس.

---

(١) ينظر: الذهبي، سير أعلام النُّبلاء، ت: شعيب الأرناؤوط وزملائه، مؤسسة الرِّسالة، الطبعة الثَّالثة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ١٦/ ٥٢٤.

(٢) ينظر: الذهبي، سير أعلام النّبلا، ٥٢٤/١٦.

(٣) ينظر: التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ت: عبّود الشّالجي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م مقدمة المحقق عن مؤلف الكتاب، ٢٠/١، و ٧/٥.

شهد بدايات أفول الدولة العبّاسية، وكتب عن أسباب انهيارها، كما شهد بداية عصور الدول والإمارات التي ورثت الدولة العبّاسية، وكان أبرزها (الدولة البويهيّة)، حيث لزم القاضي التنوخي عضد الدولة البويهي الديلمي، وكان من مقربيه وندمائه[١].

وعاصر القاضي انهيار دولة بني حمدان بالشّام، واستيلاء البويهيين على أجزاء كثيرة منها، وانفرادهم بالملك، كما أرّخ للعلاقات القائمة – آنذاك – بين الدولة البويهية والخلافة العبّاسية التي أصبحت مجرّد اسم، وأثرا بعد عين، وشهد احتفال عقد زواج الخليفة الطائع، على ابنة الملك عضد الدولة، وقام خطيبًا في ذلك الاحتفال سنة ٣٦٩هـ[٢].

ولا ريب بعد ذلك أن يُعد ما كتبه القاضي التّنوخي في العديد من مصنّفاته، وأبرزها (النّشوار)، من الوثائق والمدونات المهمّة المؤرّخة لواقع ذلك العصر وتاريخه وأحداثه، وما دار في أروقة الحكم، ومجالس القضاة من مشاهد وأخبار.

وأمدّته تجاربه ودرايته بالأمور، بأحاديث غاية في التعقل والحكمة، وكأنّه أراد أن يمدّ الأجيال بعده بتلك الخبرات التي يرى فيها أنّه لم يُسبق إليها بمثلها، وأن يرسم لهم نهجًا في التّعامل مع مختلف الظروف بحكمة ورويّة.

اشتهر أبو علي المحّسن التنوخي بالذكاء والفطنة وكرم النّفس، وكان حنَفي المذهب، معتزلي الفكر، يدافع عن المعتزلة، ويصفهم بأهل الحق[٣]. وكان أديبًا شاعرًا إخباريًا نديمًا[٤]، قال عنه الثّعالبي في يتيمة الدّهر: " أبو علي المحسّن ابن القاضي التنوخي، هلال ذلك القمر، وغصن هاتيك الشّجر، والشاهد العدل لمجد أبيه وفضله، والفرع المثيل لأصله، والنائب عنه في حياته، والقائم مقامه بعد وفاته "[٥].

صنّف القاضي التنوخي العديد من الكتب، اعتمد عليها المترجمون وأصحاب الأخبار بعده، أشهرها: (نشوار المحاضرة) الذي بدأ فيه عام ٣٦٠هـ وألفه في عشرين عامًا، ويقع في أحد عشر مجلّدًا[٦].

---

(١) ينظر: نشوار المحاضرة، ج٤، قصة ١٢٩.

(٢) ينظر: نشوار المحاضرة، ج٤ قصة ١٣٠.

(٣) ينظر: نشوار المحاضرة، ج٢ قصة ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩ ، ١٧٨، ١٧٩.

(٤) ينظر: الذهبي، سير أعلام النّبلاء، ٥٢٥/١٦.

(٥) الثعالبي، يتيمة الدَّهر، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ٢٧٩/١.

(٦) ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ت: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ٢٢٨٠/٥.

ومن كتبه أيضًا: (الفرج بعد الشّدة)، ألّفه بعد كتاب النّشوار، وضمّنه بعضًا مما ورد فيه. يقول فيه الثّعالبي: " وله كتاب الفرج بعد الشدة، وناهيك بحسنه، وإمتاع فنّه، وما جرى من الفأل بيُمنه، لا جرم أنه أسير من الأمثال، وأسرى من الخيال .."[١].

وله أيضًا كتاب : (المستجاد من فعلات الأجواد)[٢]، طُبع بدمشق، بتحقيق: الأستاذ محمد كرد علي، وللقاضي التنوخي مجموعة أقوال في الحكمة سمّاها:(عنوان الحكمة والبيان)[٣].

وفاته: توفي القاضي التنوخي في السّنة ٣٨٤هـ، عن عمر يناهز ٥٧ عامًا[٤]، كانت حياة حافلة بالعلم والقضاء والحكمة والفطنة والمعرفة بأحوال الدول والأزمنة وتقلّباتها، وحُقّ لنا أن نعد ما دوّنه القاضي التنوخي في نشواره وثيقة تاريخيّة وثروة لغوية جديرة بالاهتمام والدّرس والتأمل، وأن نستخلص منها الدروس والعبر، وأن نفيد منها حكايةً عن ذلك العصر وطبيعته وملامحه وواقعه.

٢- كتاب (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة)[٥] :

في كتاب (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة)، للقاضي التنوخي، مادة ثرية خصبة، لعرض ملامح كثيرة من المجتمع العربي في القرن الرابع الهجري، فهو يصوّر ذلك المجتمع بدقّة، ويعرض ما فيه من تناقضات انعكس واقعها على كافة جوانب الحياة، ومنها اللغة ومولداتها، والتي تكشف طبيعة هذه التّغيرات في المجتمع العربي ومظاهرها، إذ تَظهر ميزة النّشوار اللغوية في أنّه يحوي مستويات لغوية متعددة، وفيه مادة خصبة ومتنوعة من المولدات اللغوية، والأساليب التي حاول المؤلف أن يجاري فيها لغة عصره وبيئته الواقعية.

بدأ القاضي كتابة هذا الكتاب سنة ٣٦٠هـ، وفرغ منه بعد عشرين عامًا[٦]، وهذا إن دلّ فإنما يدل على مدى عنايته بهذا الكتاب، ولا شكّ في أنّه كان يتعهده دائمًا بالإضافة والتّغيير، والتنقيح والتّهذيب، واختار من قصصه ليصنّف منها كتابه (الفرج بعد الشّدة).

---

(١) يتيمة الدهر،١/٢٨٠.

(٢) ينظر: ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ت:إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ١٥٩/٤.

(٣) ذكر ذلك المستشرق الإنجليزي (مرجليوث) في مقدمة الترجمة الإنجليزيّة للجزء الأول من النّشوار، وأنّها موجودة في مكتبة بودليان، ينظر: نشوار المحاضرة، مقدمة الجزء الأول.

(٤) الذهبي، سير أعلام النّبلاء، ٥٢٥/١٦.

(٥) ويسمى أيضًا بجامع التواريخ، ذكره الزركلي في الأعلام، دار الملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م ٢٨٨/٥، ٢٩٩/٨.

(٦) ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٢٩٤/٢.

خرج هذا الكتاب في ثمانية مجلّدات، وقام بتحقيقه عبّود الشّالجي[١]، المحامي العراقي، ووصفه بأنّه من الكتب النّادرة المثال، في عالم الكتاب العربي[٢].

اتّخذ محقق الكتاب منهجًا جريئًا وغريبًا في تحقيق هذا الكتاب لم يسبق إليه –كما يقول[٣] – جمع فيه ما عثر عليه من أجزاء، أما المفقود من تلك الأجزاء فقد عمد إلى جمعها من مصادر شتّى، ومن أجزاء الكتب التي روت عن صاحب النّشوار، صرّحت بذلك أو لم تصرّح.

والحق أنّ محقق الكتاب قد بذل جهدًا مضنيًا، وعملا شاقًا في سبيل إخراج هذا الكتاب بصورة رائعة، وهوامش قيّمة جمعت بين الخبرة ودقة الملاحظة وسعة الاطلاع، وزيّنها بفوائد جليلة.

والنّاظر إلى كتاب النّشوار يدهش لكثرة ما أورده القاضي التنوخي من قصص وتاريخ، وما سطّره فيه من روائع الأقوال، وبدائع الأخبار، ويحق لنا أن نعده ثروة تاريخية وأدبيّة، فهو يتميز عن غيره من الكتب فيما نقله فيه من أحداث وقصص وأخبار، رآها المؤلف رأي العين، أو سمع بها من ثقات مما لم يسطّر في كتاب، ولم يُسبق إلى مثله، فهو –كما يقول – "كتاب يشمل على ما تناثر من أفواه الرّجال، وما دار بينهم في المجالس "[٤]، إضافة إلى ما اشترطه فيه صاحب النّشوار ألاّ يضمّنه شيئًا نقله من كتاب[٥].

معنى النّشوار: اختار القاضي التّنوخي هذا الاسم لكتابه؛ " لأنّ النّشوار ما يظهر من كلام حسن، يقال: إنّ لفلانٍ نشوارًا حسنًا، أي: كلامًا حسنًا "[٦]. وفي موضع من المدونة، نجد التنوخي يستخدم هذه اللفظة في ترجمة أحد الإخباريين (١/١٧٠): " حدثني أبو محمد الحسن بن محمد البومني البصري، وكان علاّمةً لهم حسنَ النّشوار، راويةً للأخبار، ثقة ".

---

(١) نشر المستشرق الإنجليزي د. س. مرجليوث ثلاثة أجزاء من النّشوار، وترجمه إلى اللغة الإنجليزية، وطبعه في لندن في سنة ١٩٢٢م بعنوان: (أحاديث قاضٍ عراقي)، وفي مقدمة المحقق عبود الشالجي تفصيل ما قام به من أعمال وجهود في سبيل إخراج هذا الكتاب، ونشره، ينظر: نشوار المحاضرة، مقدمة الجزء الأول.

(٢) ينظر: مقدمة المحقق، نشوار المحاضرة، ١/٥.

(٣) ينظر مقدمة الكتاب، الجزء الأول من النّشوار.

(٤) مقدمة المؤلف في بداية النّشوار، ص٩.

(٥) مقدمة المؤلف في بداية النّشوار، ص٩.

(٦) مقدمة المؤلف في بداية النّشوار، ص٨.

والنّشوار لفظ غريب في كلام العرب، وربّما كانت هذه اللفظة معرّبة [1]، إلاّ أنّ السّبب – في رأيي – وراء اختيار القاضي التنوخي هذا المسمّى دون غيره؛ إرادة الغرابة، وليناسب غرابة المسمّى ما ورد فيه من غريب الأخبار ونوادر القصص، ولجذب الانتباه لكتابه، جريًا على عادة المؤلفين في اختيار اللفظ الغريب، قصدًا منهم إلى التمييز وإجالة الأذهان إليه، لتصبح هذه الكلمة عَلمًا تختص بكتاب القاضي التنوخي يُعرف بها، فيقال: (صاحب النّشوار).

وهو جنسٌ جديد من التأليف، جاء على غير مثال، ولم يؤخذ من كتاب سبقه، " ولم تخلّد بطون الصّحف بشيء من جنسه وشكله "[2]، وإنّ كثيرًا مما ورد في الكتاب، " لا نظير له، ولا شكل، وهو وحده جنس وأصل "، يحوي أخبار الدول في عصره، وغيرها من أحاديث النّاس وتجارب الحكماء؛ " ليستفيد منه العاقل اللبيب، والفطن الأريب، ويجد فيه ما يحثّه على العلم بالمعاش والمعاد، والمعرفة بعواقب الصّلاح والفساد، وما تُفضي إليه أواخر الأمور، وتُساس به كافّة الجمهور "[3].

أهم موضوعات الكتاب: في كتاب النّشوار أخبار متفرقة في التّاريخ والتّراجم، وأحاديث المجالس، إلاّ أنّ أهم ما ورد فيه هو حديثه عن القضاة وتراجمهم، وأخبارهم، ولعلّ ما يبرّر ذلك أنّ المؤلف من جملتهم، وهو اختصاصٌ جعله يطّلع على خباياهم، وينفد إلى أسرارهم، ويكشف عن أحوالهم، ويذكر مناقبهم ومثالبهم.

فاحتوى كتاب القاضي التنوخي على كل ما كان يعتمل داخل مجتمعه من مظاهر الحياة وتناقضاتها، في عصرٍ حافل بالتنوع الفكري والعلمي والبشري، فانعكس ذلك على لغته في كتابه، فكانت صورًا من العلاقات اللغوية المتشابكة، شملت كافة المستويات اللغوية، من فصيح ومولّد وعامي وأعجمي.

---

(١) جاء في تهذيب اللغة، الأزهري،٢٧٨/١١: " قال الخليل: سألت أبا الدُّقَيْشِ عنه، فقلت نِشوار أو مشوار؟ فقال: نِشوار، وزعم أنه فارسي "، وفي تاج العروس (٣٠٣٥/١): " قال الصّاغانيّ : هو مُعَرَّبُ نِشْخوار بزيادة الخاء ".

(٢) مقدمة المؤلف، في بداية النّشوار، ص٨.

(٣) مقدمة المؤلف في بداية النّشوار، ص٩.

وقد استطاع القاضي التنوخي أن ينقل لنا في نشواره خفايا المجتمع والعصر الذي عاش فيه، وما تُكنّه الضمائر، وما تحويه النّفوس، إلى لغة الكتابة، وحيّز الوجود، واستطاع أن يُحيل لغة المشاعر والأحاسيس إلى لغة حيّة ناطقة، ونجح في أن ينقل غرائب الأخبار، وعجائب الأحاديث، وأن يستبطن الأمور، ويستخرج غوامض التّاريخ، ويكشف عن الممتع من العلوم والآداب، في لغة قريبة من الواقع.

ويحق لنا بعد أن متعنا بقراءة النّشوار أن تأخذنا النّشوة، وتتملكنا الغِبطة، فكأنّه وليد يومه، وكأنه حديث عهد،﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ آل عمران:١٤٠، يصف واقعًا عايشه فتأخذ مؤلفه العَبرة، وتتكنّفه الحسرة، فقد عاين نشوء دول وانهيار أخرى، وحاول جاهدًا أن يتتبع متأملا أسباب الظّهور والبزوغ، وعوامل الانهيار والأفول.

ومن ثمّ جاز لنا أن ننعته بكتاب خبرة، تجري فيه الأحاديث على عواهنها، وتدور فيه الأخبار دون قصدٍ منه في ترتيب أبوابه، أو تنظيمها، فلا تُستثقل أو تُمل، فهي وليدة واقع عصره " إذ ليست الفائدة فيها التّنويع، ولا المغزى التأليف، بل لعلّ كثيرًا ممّا فيها لا نظير له ولا شكل، وهو وحده جنسٌ وأصل، واختلاطها أطيب في الآذان وأدخل، وأخف على القلوب والأذهان وأوصل "[1].

ولعل ما ذكرته عن كتاب النّشوار حثٌ للدارسين على درسه واستخراج غوامضه، وتتبع أخباره بالتحليل والتنقيح، فهو يكشف عن واقع العربيّة ومظاهر تطورها، وأنواع التّوليد فيها ومجالاته، وفي هذا ما يؤكد على أنّ في تراثنا العربي ثروة لغوية لا يستهان بها، وهي تستطيع أن تمدنا بألفاظ الحضارة، ومصطلحات العلم والمعرفة في شتى مجالات الحياة.

(١) ينظر: مقدمة المؤلف، ص١٣.

الباب الأول: (الدراسة النّظرية)
التوليد اللغوي في العربيّة

الفصل الأول:

التوليد اللغوي في العربية إلى عصر المؤلف.

الفصل الثّاني:

مستويات الاستعمال في العربية.

الفصل الثّالث:

التوليد في المستويات اللغوية.

الفصل الأول: التوليد اللغوي في العربية إلى عصر المؤلف:

ظهر الإسلام، وقد استوت العربية على سوقها؛ فكانت مكتملة الأصول، ناضجة الألفاظ والتراكيب، وكان النمو الاجتماعي والثقافي والسياسي الذي صاحب ظهور الإسلام كفيلا في إحداث تغيير فيها. ويُعد ظهور الإسلام أكثر العوامل أهميّة في تطور العربيّة ورقيّها، يقول يوهان فك: "لم يحدثْ حدثٌ في تاريخ اللغة العربية أبعد أثرًا في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام، ... ونشأت رابطة وثيقة بين اللغة والدين الجديد، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه الأمة " [(١)].

وليست العربية بدعًا من اللغات الأخرى، فقد خضعت هي نفسها لعوامل التّطور، والتغير في مستوياتها المختلفة، وفي سائر مراحلها، وجاء القرآن ليسهم في استقرار العربية، وإماتة مظاهر الفوضى فيها، وإبعاد حوشي الكلِم عنها، وجعلها تخضع لقوانين وضوابط بيانية رفيعة، استخلصها علماء العربية فيما بعد، وجعلوها معيارًا لا يصح تجاوزه في عرفهم، ولا الزيادة على لغة القرآن، وإلى هذا أشار ابن النّديم بقوله: " وإنّ الزّيادة في اللغة امتنع العرب منها بعد بعث النبي ﷺ لأجل القرآن .." [(٢)].

وليس التّطور في العربية خاصًا بالمرحلة الإسلامية فحسب، بل رافق جميع المراحل قبل الإسلام وبعده، وحدث أن مرّت العربية بعد ظهور الإسلام، بمراحل مختلفة من التّطور، تمثّل بدخول ألفاظ جديدة عرّبها العرب فأصبحت جزءًا من لغتهم، "كما أحدث في اللغة ألفاظًا، وأمات ألفاظًا، وأقصى معانيَ ألفاظٍ أخرى، وهذّب اللسان العربي بما علّمه من أدب القول والحديث، كما أنّ هناك ألفاظًا استحسنها الإسلام، وأحلّها محلّ ألفاظٍ أخرى، وكذلك أثّر الإسلام في ألفاظ العربية، وكناياتها، وأساليبها، وتراكيبها " [(٣)].

---

(١) (العربية) دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ت: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، مصر، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ص١٣.

(٢) الفهرست، ت: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م ١/١٤.

(٣) العايد، سليمان، (العلائق الإيجابية بين الفصحى والعاميّة)، مجلة بياذر، نادي أبها، ٢٠٠١م.

وحدث أن انتقلت بعض الألفاظ من دلالاتها السابقة إلى دلالات جديدة، فظهرت دلالات جديدة لألفاظ قديمة عُرفت هذه الألفاظ فيما بعد بالألفاظ الإسلاميّة، وهو مصطلحٌ استخدم لوصف التطور الحاصل في العربية بعد مجيء الإسلام، وللتمييز بين عربية الجاهلية وعربية الإسلام.

والدلائل على هذا التطور معروضة في مصنّفات علماء السّلف، ولعلّ أكثر من اهتمّ برصدها، والتمثيل عليها من قدماء اللغويين هم: الجاحظ، وابن فارس، والرازي، وتاليًا نورد نقولات عن هؤلاء العلماء:

الجاحظ (٢٥٥هـ):

يشير الجاحظ إلى هذا التطور الطارئ في الألفاظ بعد مجيء الإسلام، ويصف مظاهره، فقد ورد في كتاب الحيوان: " كلماتٌ إسلامية محدَثة، وأسماءٌ حَدثتْ ولم تكن، وإنَّما أُشتقَّت لهم من أسماءٍ متقدِّمة، على التشبيه " [(١)].

وفي هذه العبارة الموجزة يشير الجاحظ إلى نوعي التوليد الحادث، وهما: التوليد الشكلي بإنشاء ألفاظ جديدة، والتوليد الدلالي بتغيير دلالات الألفاظ القديمة إلى دلالات جديدة، مثل قولهم: " لمن أدرَكَ الجاهليَّة والإسلام مُخَضرم، ويدلُّ على أنَّ هذا الاسم أُحدِث في الإسلام، أنَّهم في الجاهليَّة لم يكونوا يعلمون أنَّ ناساً يُسلمون وقد أدركوا الجاهليَّة، ولا كانوا يعلمون أنَّ الإسلام يكون " [(٢)].

ويمثّل الجاحظ على ألفاظ أُحدثتْ بالاشتقاق، وانتقلت دلالاتها يقول: " ومن المحدَثِ المشتقِّ اسم (مُنافق) لمن رَاءَى بالإسلام، واستسرّ بالكُفر، أُخذ ذلك من النَّافِقاء والقاصِعاء والدامَّاء[(٣)]، ومثل المُشرك والكافر، ومثل التيمُّم، قال اللّه تعالى: ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ت: عبد السَّلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثَّانية، ١٣٨٤هـ١٩٦٥م،١/٣٣٢ .

(٢) الحيوان، ١/٣٣٢.

(٣) من جحور اليربوع، ولجحره مدخلان، يسمَّى المدخل الأول (القاصعاء) فإذا حفره سُمِّي تراب ذلك الحفر(الدَّماء) ، والمدخل الثَّاني يُسمَّى (النَّافقاء) .. يُنظر: تهذيب اللُّغة للأزهري، (نفق) ٩/١٩٢.

سورة المائدة، آية (٦)، أي: تحرَّوْا ذلك وتوخَّوْه، وقال: ﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ ﴾ سورة المائدة، آية(٦)، فكثُر هذا في الكلام حتَّى صار التيمُّم هو المسح نفسُه، وكذلك عادتهم وصنيعهم في الشيءِ إذا طالتْ صُحبتهم وملابستهم له...." [١].

وكذلك قامت حركة توليدية لغويّة تولّى أمرها العلماء وأصحاب المنطق والكلام، ويشير الجاحظ إلى فضل علماء الكلام والنّظارين في توليد العديد من الألفاظ والمصطلحات، يقول: " وهم تَخَيَّروا تلك الألفاظَ لتلك المعاني، وهم اشتقُّوا لها مِن كلام العرب تلكَ الأسماءَ، وهم اصطلحوا على تسميةِ ما لم يكن له في لغة العرب اسمٌ، فصاروا في ذلك سلفاً لكلّ خلف، وقُدوةً لكلّ تابع، ولذلك قالوا: العَرَض والجوهر، وأيْس وليس، وفرَقوا بين البُطلان والتّلاشي، وذكروا الهُنديّة والهُوِيّة والماهيّة وأشباهَ ذلك .." [٢].

ودفع الإسلام النّاس إلى البحث والاطّلاع، وحثّهم على العلم، فأقبل النّاس ينَهلون من منهله، وتفتحت عقولهم، واتّسعت مداركهم، وأخذ العلماء يفسّرون كلام الله ويبحثون في الشّريعة وأحكامها، ودارت حول القرآن الكريم حركةٌ علمية وفكرية وحضارية، فنشأت علوم ومعارف لم تعرفها العرب من قبل، كلها دارت حول كتاب الله، فوجدت علوم الكتاب والتفسير ومعرفة الحلال والحرام، واستنبطت أحكام الشريعة، وأقبل العلماء يجمعون لغة القرآن من البوادي كي يفسروا ما استغلق من ألفاظ القرآن، فنشأت علوم اللغة والشعر والبلاغة، ثمّ نظر العلماء فيما سوى ذلك من العلوم، وبهذا اتسعت الحركة العلمية والفكرية عند العرب، واستتبع ذلك اتساع اللسان العربي، واحتيج إلى إنشاء المسميات ومصطلحات العلوم.

وعن هذه الحركة العلمية وُضعت مصطلحات العربية، وسائر العلوم، وفي شأنها يقول الجاحظ: " وكما وضع الخليل بنُ أحمدَ لأوزان القصيد وقِصار الأرجاز، ألقاباً لم تكن العربُ تتعارف تلك الأعاريضَ بتلك الألقابِ، وتلك الأوزانَ بتلك الأسماء، كما ذكرَ الطَّويلَ، والبسيطَ، والمديد، والوافر، والكامل، وأشباه ذلك، وكما ذكرَ الأوتادَ والأسباب، والخَرْم

---

(١) الحيوان، ٣٣٢/١.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ت: عبدالسَّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السَّابعة، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، ١٣٩/١.

والزِّحاف... وكما سمّى النحويون فذكروا الحال والظّروف وما أشبه ذلك، ... وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم .." [1].

ومن المقرر عند علماء اللغة أنّ التوليد ينشأ عند الحاجة إليه؛ للتعبير عن المعاني أو المقاصد الكلاميّة، وأنّ الألفاظ متناهية، أمّا المعاني فلا حصر لها، وهي غير متناهية، وقد أشار الجاحظ إلى هذه المعنى، يقول: " وإنما جازت هذه الألفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الأسماءُ عن اتساعِ المعاني ..." [2].

ابن فارس (٣٩٥هـ):

يصف ابن فارس طبيعة التّطور الذي طرأ على العربية، يقول: " فلما جاءَ الله جلّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوالٌ، ونُسِخَت دِيانات، وأبطلت أمورٌ، ونُقِلت من اللغة ألفاظ من مواضعَ إِلَى مواضع أخَر بزيادات زيدت، وشرائع شُرعت، وشرائط شُرطت. فَعفَّى الآخرُ الأوّلَ، فكان مما جاء فِي الإسلام – ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق. وأنَّ العرب إنَّما عَرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق. ثُمَّ زادت الشريعة شرائطَ وأوصافاً بِهَا سُمِيَ المؤمن بالإطلاق مؤمناً. وكذلك الإسلام والمسلم، إنّما عَرَفت منه إسلامَ الشيء ثُمَّ جاء فِي الشَّرع من أوصافه مَا جاء. وكذلك كَانَتْ لا تعرف من الكُفر إلاَّ الغِطاء والسِّتْر. فأما المنافق فاسمٌ جاء بِهِ الإسلام لقوم أَبْطنوا غير مَا أظهروه، وَكَانَ الأصل من نافقاء اليَرْبوع. وَلَمْ يعرفوا فِي الفِسْق إلاَّ قولهم: (فَسَقَتِ الرُّطبة) إذَا خرجت من قِشرها، وجاء الشرع بأن الفِسق الإفحاش فِي الخروج عن طاعة الله جلّ ثناؤه..." [3].

وهكذا يمضي ابن فارس في (الصاحبي) متحدثًا عن (الأسباب الإسلاميّة)؛ ليوضّح ما طرأ على الألفاظ العربية من تطور دلالي، من انتقال ألفاظ من معانيها الدلالية القديمة إلى معانيَ جديدة، وما تحويه هذه الألفاظ من دلالات لغويّة، وأخرى اصطلاحية استخدمت في الشريعة والفقه، وعلوم العربيّة، كالصّلاة والسجود والزكاة والحج والصيام، والنّحو والعَروض والشعر [4].

---

(١) البيان والتّبيين، ١/١٤٠.

(٢) البيان والتبيين، ١/١٤٠.

(٣) الصّاحبي، ابن فارس، مؤسسة بدران للطِّباعة والنَّشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م ،١٣٨٢هـ، ١/١٤ –١٥.

(٤) ينظر: الصاحبي، باب الأسباب الإسلامية، ١/١٥.

أبو حاتم الرازي ٣٢٢هـ (صاحب كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية):

أشار الرازي إلى هذه الحركة التوليدية والاتساع اللغوي في كتابه الزّينة، يقول: " والَّذي نريد تفسيره من معاني الأسماء، فمنها ما هي قديمة في كلام العرب، اشتقاقاتها معروفة، ومنها أسامٍ دلَّ عليها النَّبي صلى الله عليه وسلّم في هذه الشَّريعة لم تكن تُعرف قبل ذلك، وهي مشتقَّة من ألفاظ العرب؛ وأسامٍ جاءت في القرآن لم تكن العرب تعرِفُها ولا غيرهم من الأمم، مثل تسنيم و سلسبيل وغسلين وسجِّين والرَّقيم واستبرق وسجِّيل وغير ذلك"[(١)] .

ويمثّل على الأسماء الَّتي اشتقّت من كلام العرب، وانتقلت دلالاتها الحِسيَّة إلى دلالات معنويَّة مجرَّدة، يقول: " إنَّ الأسماء الَّتي هي مشتقَّة من ألفاظ العرب، ولم تُعرف قبل ذلك، مثل: المسْلم والمؤمن والمنافق والكافر، لم تكن العرب تعرفها؛ لأنَّ الإيمان والنِّفاق والكفر ظهر على عهد النَّبي صلى الله عليه وسلّم "[(٢)] .

التوليد اللغوي في العربية وعلاقته بالتغير الاجتماعي:

يلخّص علي عبد الواحد وافي التّطور الحادث للعربية بعد ظهور الإسلام، وأثر المجتمع وما جدّ فيه من وسائل العلم والحضارة في هذا التطور عبر مراحلها المختلفة، يقول: " فكلّما اتّسعت حضارة الأمّة، وكثُرت حاجاتها، ومرافق حياتها، ورقيَ تفكيرها، وتهذّبت اتّجاهاتها النّفسيّة، نهضت لُغتها، وسمت أساليبها، وتعدّدت فيها فنون القول، ودقّت معاني مفرداتها القديمة، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة، واللغة العربية أصدق شاهد على ما نقول، فقد كان لانتقال العرب من همجية الجاهليّة إلى حضارة الإسلام، ومن النّطاق العربي الضّيق الذي امتازت به حضارتهم في عصر بني أميّة إلى الأفق العالمي الواسع الذي تحوّلوا إليه في عصر بني العبّاس، كان لهذين الانتقالين أجلّ أثر في نهضة لغتهم، ورُقي أساليبها، واتّساعها لمختلف فنون الأدب، وشتّى مسائل العلوم " [(٣)] .

---

(١) الزينة في الألفاظ الإسلامية العربيّة، ت: حسين بن فيض الله الهمداني، مطبعة الرِّسالة، القاهرة،١٩٥٦م،ص٨٣.

(٢) الزّينة في الألفاظ الإسلامية العربيّة، ص٨٧.

(٣) مقالة: وافي، علي عبد الواحد (أثر الشئون الاجتماعية في خصائص اللغة وتطورها)، مجلة اللغة العربية بالقاهرة، ٩١/٦٢.

وفي هجرة العرب على أثر الفتوحات الإسلامية انتقلت العربية إلى " تلك البيئات المتعددة في صورتين: إحداهما موحّدة منسجمة، وتلك هي لغة الآثار الأدبية والقرآن الكريم، تلك اللغة النموذجيّة التي نمت وازدهرت قبل الإسلام في بيئة مكة والحجاز، والأخرى تشتمل على تلك الصّفات الكلاميّة التي امتازت بها لهجات القبائل المتباينة إبان الفتوح الإسلامية " [(١)].

ويصف جرجي زيدان مظاهر التغيير التي حدثت في العربية، وأنها لم تقتصر على المفردات، بل شملت التعابير وأساليب الكلام، يقول: " ولم تقتصر تلك النهضة العلمية عند العرب على تنويع الألفاظ وتبديلها، ولكنها أحدثت تنويعا في التعبير، يسهل علينا تصوّره؛ لكثرته في نهضتنا هذه، فالتغيير الذي أصاب اللغة العربية بنقل كتب العلم والفلسفة، قسمان: أحدهما في المفردات، والآخر في التراكيب، والتغيير اللفظي إما بتنوع الألفاظ العربية، أو باقتباس ألفاظ أعجمية ..." [(٢)].

ومن هنا ندرك أنّ انتشار العربية مع الفتوحات الإسلامية، وما رافق ذلك من الامتزاج العرقي، والتداخل الثقافي والحضاري، والاحتكاك اللغوي كلّ ذلك انعكس على اللغة العربية، وولّد آثارا عميقة فيها من ناحيتين: إيجابية وسلبية، أمّا النّاحية الإيجابية فقد تمثّل في توسيع مدلولات عدد كبير من الألفاظ المستقرة في عرف الجماعة، مع أنّ هذا التوسيع قُيّد في نطاق الشّريعة وأمورها، وأمّا النّاحية الأخرى، فقد أثّر ذلك الامتزاج سلبًا على اللغة العربية، وذلك بالخروج على النّمط التقليدي، فنشأت عربية مولّدة، وانبثقت عنها لهجات عاميّة، وحدث ازدواج لغوي، وأدى ذلك إلى الخروج على ضوابط العربية الصّوتية، وانحراف في الأبنية والتراكيب وتغيير في مدلولات اللغة، وتمثّل هذا الخروج في مظهرين رئيسيين هما: كثرة المولّد من جهة، وتفشي اللحن على الألسنة من جهة أخرى، حتّى خيف على لغة الدين المقدّس من الانحدار والانحلال، فانبرى عدد من أئمة اللغة، وعلماء العربية على جمعها، ومحاولة تقعيدها حفاظًا عليها، وتنقية لها من الشّوائب [(٣)].

---

(١) أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م ص٢٤.

(٢) اللغة العربية كائن حي، مدينة نصر، القاهرة، ص٤٧.

(٣) ينظر: ميساء عبد القادر، أثر التوليد اللغوي على العربية الفصحى المعاصرة، (رسالة دكتوراه) إشراف: رضوان القضماني، جامعة تشرين، سوريا، ص١١٧.

الازدواج اللغوي، ونشوء العربية الوسيطة المولّدة:

عرف المجتمع العبّاسي انقلابا فكريا وثقافيا وحضاريا بعوامل التّطور الحضاري والرقي العلمي والتنوع الثقافي الذي ميّز هذه المرحلة من تاريخ العربيّة، وأنشئت دار الحكمة، فاتّسعت حركة الترجمة، وشارك فيها مئات من النّقلة المترجمين[(١)]، وشهد هذا العصر وما بعده أعظم نشاط في مجال الترجمة من العلوم المختلفة، وصاحبَ ذلك نشاطًا توليديًا، توسعت على إثره ألفاظ العربيّة، وظهرت مصطلحات ومفاهيم جديدة، وتطورت دلالات عديدة بانتقالها للتعبير عن معاني جديدة، وتولّد ما لا يكاد يُحصى من المفردات، وتوقّف عدد كبير من الألفاظ لانتفاء الحاجة إليها.

وأدّى انقسام الدولة العبّاسية إلى إمارات صغيرة، تغلّب على أكثرها الفرس والدّيلم والتّرك إلى نتائج خطيرة في تاريخ العربيّة، فقد حاولت تلك الأمم المسيطرة استعادة قوميتها، وبعث لغتها .

ومع امتزاج الأمم والشّعوب اختلطت الألسنة، وتولّدت العاميّة، وانتشر التغيير واللحن في مستوى المقول، وكان ذلك سببًا في تعاظم التداخل اللغوي، مما أثر في اللسان العربي، كما يشير ابن خلدون إلى ذلك بقوله: " فلأنّ البعد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجمة "[(٢)].

ولا نصل إلى عصر المتنبي في القرن الرابع الهجري حتّى نجد هذه العجمة قد انتشرت في الألسنة، وقد صوّر لنا المتنبي في إحدى قصائده[(٣)] شيئا من الواقع اللغوي، وحال العربية وقد استحالت على ألسنة العجم، يقول: (من الوافر)

مغاني الشّعب طيبًا في المغَاني ... بمنزلةِ الربيعِ من الزّمانِ
ولكنّ الفتى العربيَ فيها ... غريبُ الوجه واليد واللّسانِ
مَلاعبُ جِنّةٍ لو سارَ فيها ... سليمانُ لسارَ بتُرجمانِ

(١) بدأت حركة الترجمة عند العرب في أواسط العهد الأموي، في عهد عبد الملك بن مروان، وأنّ يهوديًا متطببًا بالبصرة تولى أيام الدولة المروانية تفسير ونقل كتاب أهرن بن أعين إلى العربية، وأنّ خالد بن يزيد الأموي أمر بنقل كتب في الكيمياء إلى العربية ...ينظر: شاهين، عبد الصبور، العربية لغة العلوم، ص٦٥- ٦٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ت: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، ص١٠٧٩.

(٣) قصيدة وصف شعب بوّان الذي غدت مغانيه مغاني للزمان، نهاية الأرب للنويري، ت: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ٢٢٦/٣، والعكبري، شرح ديوان المتنبي، ت: مصطفى السقّا وزملائه، دار المعرفة، بيروت، ٢٨٨/١.

لكنّ العربيّة لم تتراجعْ عن السّاحة نهائيًا [(١)]، " بل الأرجح أنّه قد ظلّت العربية، لغة العلم في المحيط الديني وغير الديني، بلا منازع إلى حدٍ بعيد " [(٢)]، بل أخذت تتسع لألفاظ كثيرة، وانتقلت للتعبير عن مظاهر الحياة الجديدة، وواكبت التطور الاجتماعي والحضاري، فعبّرت عن شئون الحكم والعلم والدين والاجتماع والأدب والفكر، وكان من نتائج ذلك أن هُجرت ألفاظ، وشاعت أساليب جديدة على الذوق العربي، بسبب انتشار العُجمة والعامية، وظهور مذاهب وفِرق كلامية، وفئات اجتماعية، حتّى طغى المستوى العامي على لغة التخاطب بين العامة والخاصة، ودخلت بعض ألفاظها لغة الكتابة.

ويمكن أن نتحدث هنا عن مستويين من أداء العربية، فعلى المستوى المكتوب، لم يتأثر كثيرا هذا المستوى، وقد حدّ تدوين المؤلفات بالعربية النموذجية من تطور العربية وتغيرها، بل وجعلها لسانًا مشتركًا تتبادله البيئات العربية بالدراسة والاطلاع؛ فالآثار الأدبية كلها دونت بالمستوى الفصيح، وكانت مثالا يحتذي به كل ناشد للمعرفة والعلم، فضلا عن العلماء ومؤلفي الكتب، وطبقة الكتّاب التي كانت تسعى لاحتذاء المثل الأعلى في الكتابة والمراسلات [(٣)].

ويؤكد بعض الباحثين على أنّ المستوى الكتابي قد ظل ثابتًا لحقب عديدة من الزمن، " وأن جُلّ حَمَلة العلم في الحضارة الإسلامية قد كانوا من العجم لا العرب، وكثيرٌ من هؤلاء قد فاقوا العرب في تأليفاتهم، وفي أساليبهم العربية؛ فصاحةً في الألفاظ، وبلاغةً في المعاني. ولم يُعهَد أن أحدًا من المتعرِّبين المسلمين قد ألّف بغير العربية في أربعة القرون الأولى من حضارة الإسلام. وكان عيبًا من أحدهم أن يُؤلِّف بالفارسية أو سواها. وكذا لم يُعهَد لاحقًا فيهم ضعفٌ في العربية الفصحى حينما أخذوا يزاوجون الكتابة بلسانين (عربي وعجمي). وذلك في حقبة الولاة والسلاطين الفُرس أو التُرك (غزنويين، وسامانيين، وبويهيين، وسلاجقة)؛ فهؤلاء على الرغم من كونهم، قد بعثوا حياة في لغاتهم القومية، وشجّعوا على الكتابة بها، إلاّ أنهم لم يساووا بها العربية الفصحى " [(٤)].

---

(١) ينظر: العايد، سليمان، الحوار اللغوي بين العربية والفارسية كما تصوره مؤلفات القرن الرابع الهجري العربية، الندوة العالمية، ١٩٩٩م، ص٥.

(٢) فولفديتريش فيشر (ارلانجن)، دراسات في العربية، ترجمة: سعيد بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٤.

(٣) ينظر: أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ص٢٤.

(٤) الأقطش، عبد الحميد، (تعليم العربية لغير الناطقين بها)، ص٢.

أمّا على المستوى المقول فأخذ الناس يتحدثون بلهجات متباينة أطلق عليها فيما بعد (العاميّات) أو اللغات الدارجة، انتشر فيها مظاهر اللحن والانحراف عن المستوى الفصيح، سواء كان ذلك الانحراف في نطق الأصوات، أو تحريف أصاب الأبنية والصيغ، والتراكيب العربية، أو كان دلاليا.

ظاهرة اللحن في القرن الرابع الهجري وكتب التصويب اللغوي:

انتشر اللحن عند العامّة والخاصة في القرن الرابع الهجري حتّى أصبح السمة البارزة في ذلك الوقت، فلم يسلم منه العلماء أنفسهم، بله أصحاب الطبع في البادية.

ويُقصد باللحن تلك الانحرافات عن المستوى الفصيح، على ألسنة العامة في الأصوات أو البنية أو التراكيب النحوية أو الدلالة، أو هو تحوّلات صوتية وصرفية ونحوية ودلالية بعدت عن مألوف فصاحة العرب وفقا للمعايير التي ارتضوها، وبمعنى أكثر تفصيلا: " خروج الكلام الفصيح عن مجرى الصّحة في بنية الكلام أو تركيبه أو إعرابه بفعل الاستعمال الذي يشيع أولا بين العامة من النّاس، ويتسرّب بعد ذلك إلى لغة الخاصّة، وغالبا ما يُضاف اللحن إلى (العوام) أو (العامّة) تنبيهًا على الأصل الذي جاء منه الخطأ في الاستعمال .."[(١)].

ويتحدث د. محمد عيد عمّا أصاب العربية من تطوّر في عصورها المختلفة في مستوى المقول، وما أصاب الألسنة من لحن عمّ جميع فئات النّاس وطبقاتهم، " وأنّ العلماء أنفسهم كانوا يلحنون في حياتهم العادية، ولم يروا ذلك عيبًا يغض من شأنهم .. وأنّ العامّة كانوا أشدّ من ذلك لحنًا .."[(٢)]، ويضيف قائلا: " وقد استمرتْ موجة اللّحن قويّةً مندفعة، واطّرد نموها بتأخّر الزّمن، فالقرن الثالث أقلّ حظًّا في الفصاحة من القرن الثاني، وفي الجانب المقابل عظم اللحن أكثر من ذي قبل، وفي القرن الرابع – الذي انتهى في آخره الاستشهاد – طغى اللحن على الخاصّة والعامّة، وعلى أصحاب الطّبع في البادية، وأصحاب الصّنعة في الحضر ..."[(٣)].

---

(١) عيد، محمد عيد، المظاهر الطارئة، ص١٢.

(٢) عيد، محمد عيد، المظاهر الطارئة على الفصحى، ص٢٩.

(٣) المظاهر الطّارئة على الفصحى، ص٣٠.

ويرى أنّ اللّحن أصبحَ السّمة الغالبة على المجتمع في القرن الرابع، ولم يستطع العلماء مقاومته، يقول: " وأصبحَ اللحنُ في القرن الرابع وما بعده هو القاعدة بين الناس في حياتهم العامّة، وتسرب إلى التأليف العلمي نفسه ... ونظر علماء اللغة إليه من زاوية الخطأ فقاوموه بعنف، ومع ذلك لم ينتصروا في معركتهم معه، بل إنّ العكس هو الصحيح، إذ انتصرَ اللحنُ بغلَبة الاستعمال، وقهر المجتمع اللغوي المتطوّر باستمرار.." [(١)].

وظهرت كتب اللحن لترصد مظاهر اللحن في العربيّة، " ولم يكن هدف أولئك الذين ألّفوا في لحن العامّة [(٢)] أن يسجّلوا لنا شيئًا من مظاهر تطوّر اللغة، بل كان همّهم الأكبر هو إعادة هؤلاء الخارجين على الفصحى إلى حظيرة اللغة القديمة، وأن يجمعوا طائفة من الألفاظ التي يخطئ فيها النّاس في زمانهم، ويبرهنوا على خطئها، بالرجوع إلى ما جمعه اللغويون من أفواه العرب "[(٣)].

وربما كان كتاب (ما تلحن فيه العوام) للكسائي (١٨٩ هـ) أول كتاب أفرد في هذا اللون بالتأليف، ثم تتابعت المؤلفات بعد ذلك تحكي الأخطاء في الألفاظ والصّيغ والدلالات (في ضبط الألفاظ أو حروفها أو معانيها)، ومن تلك الكتب القديمة المهمة[(٤)]، كتاب (إصلاح المنطق) لابن السّكيت (٢٤٤هـ)، وكتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة (٢٧٦هـ).

وتظهر فائدة مثل هذه الكتب في أنّها تطلعنا على بعض مظاهر التّطور اللغوي الحادث في العربيّة في تلك العصور، وما دار في ألسنة الناس من انحرافات عن الفصحى في الألفاظ، ولها

---

(١) المظاهر الطارئة على الفصحى، ص٣١.

(٢) لا يقصد بالعامّة هنا الدّهماء وعوام الناس، إنّما يقصد بهم طائفة الكتاب والمثقفين في عصورهم ممّن تسرّبت إلى كتاباتهم مظاهر اللحن والانحراف عن الفصحى، ومن هذا القبيل كتاب (درة الغواص في أوهام الخواص) للحريري، ينظر: رمضان عبد التّواب، كتاب (لحن العامّة والتّطور اللغوي)، ط١، القاهرة، ١٩٦٧م. ص٦٤.

(٣) عبد التواب، رمضان، لحن العامة والتّطور اللغوي، ص٦٤.

(٤) ينظر: عبد التواب، رمضان، لحن العامة والتطور اللغوي، حيث أفرد د. رمضان عبد التواب كتابه في ذكر اللحن ومصادره من المؤلفات العربية، ص١٠٠ وما بعدها، وتحدث عن مصادر لحن العوام، د. حسين نصار، المعجم العربي، دار مصر للطّباعة، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ١/١١٣.

أهميتها في " تصويرها الشّعب العربي وحياته في جميع الأقاليم تصويرًا دقيقًا محكمًا لا تعطيناه معاجم اللغة الفصيحة " [(١)].

ومما نلحظه في هذه الكتب أنّها عرضت لملامح التّغير أو ما يسميه طائفة من علماء اللغة المحدثين تطورًا، من ناحية الأصوات والصّيغ والدلالة، لكنها لم تمس جانبًا مهمًا يحدث فيه التغير عادة ببطء وعلى حقب طويلة، وهو جانب نظام الجملة، أو التّراكيب النّحويّة.

وعلى هذا يختلف منهج أولئك العلماء القدامى الذين تناولوا اللحن في العربيّة عن منهج علماء اللغة المحدثين في طريقة النّظر إلى هذا الموضوع، فالقدامى يُخَطِئون ويذكرون الصواب اللغوي على منهج المعياريين، أمّا علماء اللغة الوصفيون فإنهم يصفون لغة الاستعمال، ويحاولون تعليل مظاهر اللحن وأسبابه، ويعدون اللحن تطورًا يصيب اللغة، ولا يحكمون عليه بالصّواب أو الخطأ .. يقول ماريوباي: " وكثيرًا ما أُخذ على الآراء النّحويّة القديمة أنّها كانت معياريّة أكثر منها وصفيّة، بمعنى أنّ النّحاة الأقدمين تناولوا التّركيب اللغوي كما ينبغي أن يكون لا كما هو كائن بالفعل " [(٢)].

ويحاول بعض الدارسين العرب تعليل ذلك التغيير الذي أصاب ألسنة العامّة، وذلك اللحن الذي انتشر فيهم، فقد استقرّ عند علماء السلف فهمٌ يعزو إلى العجم فساد لغة العرب، ولولا مخالطتهم العجم لما تسرّب اللحن إلى ألسنتهم، يقول رادًا تلك الدعوى: " وهذا فهم صوري وغريب، بل هو أقرب إلى منزع وطني قومي منه إلى لغوي علمي؛ فاللحن اللغوي ظاهرة اجتماعية سلوكية مرتبطة بالتداولية كتابيةً كانت أو شفاهيةً، ومثل تلك التداولية هي التي تسمح بالتحوُّلات والتغيُّرات الكلامية، واللحن أيضًا ظاهرة مرتبطة بالتداخُل اللغوي، وانتقال المتكلِّم من نَسَق لغوي، قد ارتاضه في مرحلة من عمره، حتى تمكَّن منه، إلى نَسَق جديد لم يعتدْهُ، وعليه أن يعتاده، ومن ثَمَّ تحدث عملية التهجين وولادة اللحن " [(٣)].

ويرى أنّ مظاهر اللحن المختلفة اقتصرت على المستوى المقول، أي: لغة الكلام اليومية، ويحصره في العناصر اللغوية غير المشتركة بين اللغتين، وأبرزها في مسائل التعريف والتنكير،

---

(١) نصار،حسين، المعجم العربي، ١/١١٥.

(٢) أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطّبعة الثّامنة ،١٤١٩هـ ،١٩٩٨م، ص٢٢٧.

(٣) الأقطش، عبد الحميد، (تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها)، محاضرة، مالايا، ماليزيا، ٢٠١٣م، ص٦.

والتذكير والتأنيث، والإضافة، والإعراب، "وجميع هذه العناصر لا تظهرها عربية المتعرِّبين في التراث الكتابي، على أنها؛ أي اللحون، يقينًا كانت ملحوظة في التعامُلات اليومية للمتعرِّبين؛ أي في العربية العامية والشفاهية اليومية لا العربية الكتابية الرسمية " [(١)].

سِمات وملامح العربية المولّدة:

أمّا ما يتعلّق بالعربية المولّدة، فبدأت في الظهور مع انتشار اللحن على الألسنة، ويرى يوهان فك أنّ التّطور في العربيّة المولّدة بدأ حينما انتقلت العربيّة، بعد وفاة الرسول (عليه الصلاة والسّلام) مباشرة، عن طريق الغزوات الكبرى، في العهد الإسلامي الأوّل، إلى خارج حدودها القديمة، في مواطن لغويّة أجنبيّة [(٢)].

ويحاول يوهان فك أن يؤرخ لمرحلة جديدة من مراحل العربية، وصفها بمرحلة اضمحلال العربية، وابتداء عهد جديد للعربية المولّدة، تبدأ من انحلال الدولة العبّاسية إلى دويلات متعددة (٣٢٤هـ – ٩٣٦م) [(٣)]، يقول: " كان قوّاد الأتراك الأُجراء لا يمتّون في الأعم الأغلب بصلة إلى الثقافة أصلا، كما أسهموا في خفض المستوى اللغوي في دوائر القصور، وببلوغهم مناصب السلطان يبدأ في تاريخ العربية عصر الانحلال .. وبالانحلال السياسي والاقتصادي، انحطّ مستوى الثقافة العامّة، وكانت نتيجة ذلك أن خسرت العربية في هذه المرحلة الزمنية من مساحة أرضها، على حين انتشرت الأساليب اللغوية المولّدة، متغلغلة في أرقى الأوساط " [(٤)].

وهذه العربية المولّدة اتخذت لها طابعًا خاصّا تختلف فيه عن الفصحى، " فظهرت لغة تخلّصت من الإعراب، وخالفت العربية الفصحى في كثير من المفردات، وفي طريقة تأليف العبارات، وبعض الخصائص اللغويّة الأخرى، وسميت تلك اللغة العامية لجريانها على ألسنة العامة من الناس .." [(٥)].

---

(١) الأقطش، عبد الحميد، (تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها) ص٧.

(٢) ينظر: العربية، ترجمة: رمضان عبد التّواب، ص١٧.

(٣) ينظر: العربية، ترجمة: رمضان عبد التّواب، ص١٧٤.

(٤) ينظر: العربية، ترجمة: رمضان عبد التّواب، ١٣٧ –١٣٨.

(٥) حسين نصّار، المعجم العربي، ٩٦/١.

وندرك لأول وهلة من الكلام السّابق أنّ سمة العربيّة المولّدة الرئيسة التّخلص من الإعراب، وأصبح الإعراب هو الذي يُفرق بين الأسلوب الفصيح والأسلوب العامي المولّد أو اللغة الدارجة، يقول يوهان فك: " ولما كانت علامات الإعراب هذه قد تلاشت منذ أجيال عديدة في العالم العربي كله، سواء على لسان عامّة الشّعب، في القرى والمدن، أم في شتّى أساليب الكلام الجاري على ألسنة الطّبقات المثقّفة، بل في لهجات البدو أنفسهم، فقد صار الإعراب هو الفارق الذي يميّز عند المثقفين العرب بين العربيّة الفصحى وجميع القوالب والأساليب المولّدة، حتّى اللهجات الدارجة، واللغات العاميّة "[(١)].

ويرى يوهان فك أنّ هناك سماتٍ أخرى لهذه العربية المولدة النّاشئة، وأنّ "جوهر القالب اللغوي وحقيقته، هو الذي يميّز الطّابع الصّحيح للعربيّة الفصحى، ومن هنا يصحّ أن نقول: إنّ التّحرر من الإعراب قرينة أكيدة على العربيّة المولّدة، لا العكس، فليست العربيّة المولّدة منحصرة في التّحرر من الإعراب "[(٢)].

ويؤرخ بعض الباحثين لهذه المرحلة المهمة من تاريخ العربية، ويطلق عليها: (العربية الوسطى)[(٣)]؛ لأنّها تقع بين مرحلتين، هما: مرحلة الفصحى المعيارية، ومرحلة العربية الحديثة في العصر الراهن، والعربية الوسطى تمتد من ظهور المولد والمولدين في اللغة في أثناء عصور الاحتجاج، وبعده، عندما اتسع الفرق بين العربية المكتوبة والعربية المنطوقة، وازدادت ظاهرة الازدواج اللغوي، وتعددت فيه المستويات اللغوية، ويمكن استنتاج ملامحها من كتابات المؤلفين في القرن الرابع الهجري وما بعده، كما يمكننا استخلاص سماتها من مصنّفات اللحن، والأنماط المرفوضة التي تحدث عنها النحاة واللغويون.

وتواجه الباحثين صعوبات كبيرة في محاولة الفصل بين نموذج العربية الفصحى والعربية المولّدة في لغة الكتابة؛ فالغالب في اللغة المكتوبة هو المستوى الفصيح، ومع ذلك فلا نعدم عناصر عديدة تظهر فيها ملامح العربية المولّدة متعددة المستويات في هذه اللغة المكتوبة، وإن كانت محدودة.

---

(١) العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، ص١٤.

(٢) العربية، ترجمة، رمضان عبد التواب، ص١٤.

(٣) ينظر: يوشع بلاو، دراسات في العربية، ص٢٤٥.

ويتناول رينهارت دوزي في مقدّمة (تكملة المعاجم العربية) تاريخ العربية الفصحى، والتغيّرات التي أصابتها، يقول: " إن اللغة العربية الفصحى، لغة الشعر القديم ولغة القرآن والحديث، لم تعشْ إلا نحوا من مائتي سنة. ففي نهاية القرن الأول الهجري، وقبل أن يكون للعرب أدب جديد، أصاب اللغة كثير من التغيير الذي أخذ يزداد شيئا فشيئا. وقد كان هذا نتيجة الفتوحات السريعة، فتوحات تشبه المعجزات فتحها المسلمون أتباع الرسول. فلم تبق العربية لغة العرب وحدهم، وإنما أصبحت لغة البلدان المفتوحة، وقد كان لمخالطة الشعوب المغلوبة التي بدأت تتكلم اللغة العربية وتلحن في كلامها، أثر في العرب أنفسهم ...

ويحاول رصد أهم ملامح المرحلة الجديدة للعربية، يقول: " فقد أهملوا إعراب الكلام، واستعملوا الكلمات بمعان محرّفة عن معانيها، واستعاروا من الشعوب المغلوبة، من أهل الشام، ومن الفرس، ومن الأقباط، والبربر، والأسبان والأتراك كثيرا من الألفاظ والعبارات .." [(١)].

ولم يلبث اللغويون – بعد ما رأوا ما حدث للعربية من تغيير وانحراف عمّ البادية والحضر في القرن الرابع الهجري – أن يعدوا هذا العصر حدا زمانيا فاصلا للاحتجاج اللغوي في البادية؛ فامتزاج الأمم والشعوب بالعرب أسهم في ظهور لغة عملية تواصلية؛ " لتيسير التّفاهم بين العرب وغير العرب من أفراد المجتمع الإسلامي، وقد تأثر العرب أنفسهم بهذا المستوى من المقول، حتّى انتشر بين الأعراب والبدو، فانتفت عنهم – في نظر اللغويين – صفة الفصاحة، أواخر القرن الرابع الهجري" [(٢)].

وفي هذا القرن وما بعده استحدثت في العربية ألفاظ جديدة لتستوعب مظاهر الحياة المختلفة، ومجالاتها المتعددة من مصطلحات العلوم والفنون، ومسميات الأدوات والأواني وأصناف الأطعمة والمشارب، وأنواع الملابس والحُلي، ونظم الإدارة وأمور السياسة والحكم ..

" وقد عرفت العربية – طيلة المراحل المعلومة من تاريخ استعمالها – ما عرفته اللغات الحيّة الأخرى من بِلى مفردات وتولد أخرى، وبِلى مدلولات وتولد غيرها، والدوال والمدلولات

---

(١) دوزي، تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، نقل وتعليق: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م، ١٣/١.

(٢) العربية، ترجمة، رمضان عبد التواب، ص١٨ – ٢٠.

الجديدة قد وُلّدت فيها – في الغالب – لسدّ الخانات الفارغة في التّعبير عن المفاهيم والأشياء الجديدة التي عرفها متكلّمو العربيّة في مختلف عصورهم وأمصارهم "[1].

ويمكن حصر الخصائص الجديدة التي حدثت بعد ظهور الإسلام في البيئة العربية بالآتي:

- الاتساع اللغوي: وذلك بتطويع اللغة لتتسع لدلالات جديدة ظهرت بظهور الفكر الجديد.
- الانتقال من الألفاظ المادية الحسية المحدودة إلى الأفكار المجردة المعنوية والروحية.
- نشوء مفاهيم جديدة تعبر عن دقائق الشريعة والفقه وتأويل الوحي، وتفاصيل العلوم والفنون واللغة، ومصطلحاتها، وقضايا علم الكلام والفلسفة والتّصوف.
- إنشاء ثقافة علمية عربية لم يكن للعرب سابق عهد بها، وما تطلب ذلك من نشوء مفاهيم ومصطلحات وعلوم جديدة، وما تبع ذلك من حركة ترجمة وتأليف علمي عربي مبتكر، كل ذلك هيأ للعربية أن تصبح لغة العلم الأولى، وتصبح لغة عالمية في العصور الوسطى.
- استعمال المولّد للتعبير عن أدق خصائص العلوم، واتساع نشاط الترجمة التي أصبحت الوسيلة المعتمدة في الاستحداث العلمي العربي.
- الاقتراض المباشر من لغة الشعوب المجاورة إلى جانب ما رافق ذلك من دخول مفردات لغات الشعوب الأعجمية الداخلة في الإسلام.
- الانتقال إلى حياة المدنية والحضارة أسهم في انتقال اللغة وتطوير أساليبها واستحداث وتوليد ألفاظ جديدة لاستيعاب الحياة المدنية والتعبير عن حاجات الحياة الجديدة .

كل تلك المظاهر والخصائص انعكست على اللغة فسقط بعض ألفاظها الوحشية، وتولّدت أخرى أو تغيّرت مجالاتها، بفضل مقدرة العربية على تغيير معاني ألفاظها بقواعد المجاز والاشتقاق خاصّة .. ومن هنا نلحظ أنّ التوليد في العربية لم يكن ضربًا من النّمو الذّاتي التلقائي فحسب، بل كان أيضًا شكلا فنيًا قائمًا على توسيع متعمّد لبنية العربيّة قصد استيعاب نشاط اجتماعي ثقافي وإنتاج فكري علمي وأدبي[2].

---

(١) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٦.

(٢) ابن مراد، دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص٢٩٥، ومسائل في المعجم، ص١٠١.

الفصل الثّاني: مستويات الاستعمال في العربيّة:

١- المستوى الفصيح.
٢- المستوى المولّد.
٣- المستوى العامي.
٤- المقترض اللغوي.

مـدخـــــل:

في واقع العربية مستويات متعددة من الاستعمال اللغوي، تتفاوت ما بين فصيح، وعامي، ومولد، وأعجمي مقترض، وهي موجودة في العربية منذ القديم، وهذه المستويات لا تختصّ بالعربية وحدها، بل هي عامة في كل اللغات الحيّة، " فإنّ جميع اللغات تنطلق من الفصيح باعتباره الأصل، لتتسع إلى ما يحدثه المتكلمون: إما بقواعد التوليد الطّبيعية، فهو مولّد، وإمّا بتحريفه صوتيًّا أو صرفيا أو تركيبيّا أو دلاليا فهو عاميّ، وإمّا باقتراضه من لغات أخرى فهو مقترض "[1].

والمستوى المستعمل من اللغة، ورصيدها من الألفاظ لا ينتمي جميعه إلى المستوى الفصيح، بل يشاركه عدة مستويات هي: المولّد، والعاميّ، والأعجمي المقترض، وتتداخل هذه المستويات اللغوية في مستوى المقول، أو في لغة الكلام، ويغلب المستوى الفصيح على لغة الكتابة والتدوين، ويتطلب التمييز بينها الدرس الفاحص والتدقيق والتأمل، وهذا يجعل أمر تمييز هذه العاميات في الكلام أو في اللغة المكتوبة عسيرا؛ فهي عبارة عن حِزم متدرجة من المستويات اللغوية المتداخلة، " وتداخل اللهجات بين طبقات المجتمع هو تداخل تدريجي، فإذا حلّلنا حزمة من الاستعمال اللغوي داخل مجتمع ما فإننا نجد أنّ لهجات طبقات المجتمع الواحد تتدرّج في تداخل .. مكوّنة حزمة من لهجات متعددة في الاستعمال اللغوي كتعدد ألوان الطّيف ينتقل في تدرج من نقطة إلى أخرى بأنظمة لغويّة مميّزة سواء من حيث الصّيغ، أو خصائص النّطق، أو القواعد أو المعجم، يحدها من جهة عامية حوشية، ومن جهة أخرى مستوى لغوي

(١) النصراوي، الحبيب، الجاحظ معجميًا، ص٤.

أعلى داخل هذه الحزمة، وقد يقترب في عمومه من العربية الميسّرة أو الفصحى [(١)] ؛ لذا كانت عملية التمييز بين المستويات اللغوية عسيرة؛ لأنّها محوجة إلى ثقافة معجميّة معمّقة لا تحصل إلا للمعجمي ذي الاختصاص [(٢)].

ونجد في كتب القدماء وجود مثل هذه المستويات المتعددة في الاستعمال، فقد ذكر علماء اللغة – على سبيل المثال – اللغات الفصيحة، واللغات المذمومة [(٣)]، وفي المستوى الفصيح نفسه تحدثوا عن الفصيح، والأفصح، والأقل فصاحة، والرديء، والمذموم، والشّاذ، والحوشي، والغريب، والمولد، والنادر.. [(٤)].

وهذا يؤكد وجود مستويات متعدّدة في الاستعمال اللغوي عند العرب، وإن حرص علماء العربية على إبراز المستوى المثالي الفصيح من اللغة، وذكروا تلك المستويات باعتبارها انحرافًا عن الفصحى من قبيل اللحن أو الخطأ في الكلام.

ومن أهمية المستوى الفصيح أو المعياري في أي لغة أنّه أساس مهم لتثبيت دعائم فكرها، وربط حاضرها بماضيها، وإثبات هويتها، أمّا المستويات الأخرى فهي واقع في هذه اللغات لغرض التواصل، ومعايشة حاجات التّطور ووسائل الحياة ومسايرة المجتمع، وأثر لتمازج الشعوب والأمم.

وقبل الخوض في المستويات اللغوية في الاستعمال، ينبغي التركيز على أنّ للاستعمال اعتباره في مناهج الدراسات اللغوية الحديثة، كما ينبغي التمييز بين ما يفرضه النّظام، وما يجري به الاستعمال؛ ولذا يرى بعض الباحثين اللغويين ضرورة أخذ الواقعية اللغوية بعين الاعتبار، ويفرّقون بين الاستعمال والقاعدة، فالاستعمال حرٌ متطور، والقاعدة جامدة، ويرون أنّ على القاعدة أن تجاري الاستعمال، وليس العكس [(٥)]. ويأتي تصنيف هذه المستويات الاستعمالية في اللغة بحسب درجة فصاحتها على النحو التالي:

---

(١) البدراوي زهران، (ازدواجية اللغة) مجلة المجمع، ٨٩/٦٥ .

(٢) ينظر: ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٩٤.

(٣) ينظر: ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللغة، حيث تحدث عن أفصح اللغات، واللغات المذمومة، ص١٣ وما بعدها.

(٤) ينظر: السيوطي، المزهر، ١٨٥/١ وما بعدها، حيث تحدث عن معرفة الفصيح من العرب، ورتب الفصيح، ومعرفة الضعيف والمنكر والمتروك من اللغات، والرديء والمذموم، والمطّرد والشّاذ، والحوشي والغريب، وشواذ اللغة ونوادرها.

(٥) ينظر: فوزي الشايب، قراءات وأصوات، ط١، ٢٠١٢، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص١٤٠.

١- المستوى الفصيح:

يتمثّل هذا المستوى الفصيح عند علماء العربية بما نطقت به العرب في عصور الاحتجاج، وله – عندهم – شروطه الزمانية والمكانيّة[١]، وتمتد إلى أواخر القرن الثاني الهجري في الحضر، والرابع الهجري في البادية حين بدأ التغير يطرأ على لغة البدو[٢]، وهذه اللغة الفصحى يمثّلها نصّ القرآن الكريم، والحديث الشّريف، وأشعار الجاهلية والإسلام، وما أخذ من اللغة من أفواه العرب في بيئات مكانية حدّدها علماء العربية[٣].

ويتميّز هذا المستوى اللغوي في العربيّة بعدة خصائص، منها:

- التّصرّف الإعرابي: ونعني به وجود الإعراب، إذ يعد سمة الفصحى الرئيسية، وهو أهم الفروق بين العربية الفصيحة والعربية المولّدة.
- أنه لغة مشتركة[٤] عليا يصطنعها – عادة – الكُتّاب والشعراء والخطباء في التعبير عن أفكارهم.
- أنه الغالب في المستوى الكتابي، أو لغة الكتابة و التدوين .

---

(١) ينظر: السيوطي، في الاقتراح، ت: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة، مصر، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م، الفرع الثامن: " وأجمعوا على أنّه لا يحتج بكلام المولّدين والمحدثين، في اللغة والعربيّة.. " وتعليق محمد سليمان ياقوت في الهامش، وتقسيم الشعراء إلى أربع طبقات، جاهلية، وإسلامية، وأموية، وعبّاسية، والطبقة الرابعة، وهم (المولّدون) وبدأت ببشار بن برد وأبي نواس ... قال: والرابعة الصحيح أنه لا يُستشهد بكلامها مطلقا.. ص١٤٤- ١٤٦،

(٢) ينظر: سعيد الأفغاني، في أصول النَّحو، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، (من يحتج به)، ص٩٩ وما بعدها.

(٣) ينظر: السيوطي، الاقتراح، فصل القبائل التي نقلت عنها اللغة العربية، ص١٠٠- ١٠٢، وفيه عن أبي نصر الفارابي: " والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب، هم: قيس وتميم وأسد، فإنّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب، وفي الإعراب، والتّصريف، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطّائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ....". وفي الصاحبي لابن فارس، ص٢٣ في باب (القول في أفصح العرب): " أجمع علماؤنا بكلام العرب ..... أنّ قريشًا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة .....". ومن الواضح اختلاف معايير علماء اللغة فيمن تؤخذ عنه اللغة، وأفصح العرب .... يقول أبو عمرو بن العلاء: " أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم " ينظر: الصاحبي، لابن فارس باب (القول في اللغة التي بها نزل القرآن) ص١٥، وينظر: البرهان، للزركشي، ت: محمدأبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٥٧م، ٢٨٣/١.

(٤) يقول ج. فندريس في كتابه (اللغة) ص٣٤١: " إنّ خاصية اللغة المشتركة الأساسيّة، أنّها لغة وسطى تقوم بين لغات أولئك الذين يتكلمونها جميعًا ".

- أنّه أداة الثقافة والكتابة والتدوين والمعاملات الرسمية، ولغة التخاطب الرسمي، والتعليم.
- المعيارية اللغويّة: فالفصحى لغة مثاليّة، منضبطة القواعد، تعلو فوق مستوى العامّة[(١)]،"ونجدها موحّدة، منسجمة، لا تكاد تتضمّن شيئًا عن تلك الروايات المنسوبة إلى لهجات العرب "[(٢)]، تحتفظ بثبات أصولها، وقواعد نحوها وصرفها، وطريقة نطقها، فلا يلحقها أي تغيير في الأصوات أو الأبنية أو في الدلالة.
- أنّه مستوى مكتسب، يؤخذ بالتعلّم والدّربة والمراس، وكثرة المحفوظ، حتّى تنطبع له صورة في الذّهن.

وهذا المستوى الفصيح أو المعياري في أي لغة عنصر مهم في ثباتها، وإبراز خصائصها، وعامل مهم في الصلة بين تراث الأمة وحاضرها، وللفصحى ميراثها العريض في ضروب العلم والأدب والتّشريع، وأصالتها المكينة في مناحي التفكير والتعبير والإفهام [(٣)].

٢- المستوى المولّد:

يشمل المولّد كل مستعمل لغوي طارئ، غير مألوف من قبل، أو غير متداول، ظهر على أساس قياس؛ ليكوّن إضافة جديدة في اللغة، على مستوى مفردات اللغة أو التراكيب، سواء كان توليدا شكليا، أم دلاليا، ويدخل في المستوى المولّد من اللغة ما نطق به المولدون بعد عصر الاحتجاج، أو الألفاظ الأعجمية التي دخلت العربية بعد عصر الاحتجاج.

وهذا المستوى يظهر فيما " أحدث في العربية من ألفاظ عامّة أو مصطلحات بعد عصر الاحتجاج اللغوي إلى اليوم "[(٤)]، ولكلٍ من هذين الصنفين نوعٌ من التوليد خاص به، " فإنّ

---

(١) يوهان فك، العربية، مقدمة الكتاب، ص٧ يقول شبيتالر: " وهذه اللغة الفصحى تُعد لغة فنّية خالصة، وتعلو بما لها من طبيعة مميّزة على كلّ اللهجات، .... لكنها لم تخلُ من تأثير اللهجات عليها باستمرار ".

(٢) رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطّبعة الثّالثة ،١٤١٥هـ ١٩٩٤م، ص٧٧. ويقول ص٨٠: " وكانت اللهجة القرشيّة من أقوى اللهجات أثرًا في تكوين اللغة العربية الفصحى،..... وهو يرى أنّ اللغة المشتركة الفصحى مكونة من عدة لهجات، ولا يمكن أن تنتمي إلى بيئة خاصّة. فلا يصح لنا مثلا أن نقول: إنّ اللغة المشتركة هي لغة قريش، أو تميم، أو غيرها من قبائل العرب، بل هي مزيج من كل هذا، بل هي لغة موحدة اعتمدت في نشأتها على بعض الصّفات الطّيبة، في اللهجات العربية المختلفة، سواء في ذلك لهجة قريش أو غيرها ..وأنّ لهجة قريش أسهمت في تكوين العربية الفصحى بعناصر كثيرة.. ص٨١ وما بعدها.

(٣) ينظر: تيمور، محمود، مشكلات اللغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ص١٦٥.

(٤) ينظر: ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص٩٢.

التوليد الذي يوافق ألفاظ اللغة العامّة هو (التوليد العفوي)، وهو عفوي؛ لأنّه غير مقصود لذاته؛ والنّوع الذي يوافق المصطلحات هو (التّوليد الاصطناعي)، وهو توليد مقصود، قد يحدثه الأفراد، لكنه كثيرًا ما يكون من عمل المجموعات والمؤسسات، وهذا النّوع يغلب في مستوى اللغة المكتوبة، بخلاف الأول الذي يكثر في مستوى اللغة الشّفوي " [(١)].

ويكون التوليد اللغوي إمّا بإعطاء الدوال مداليل جديدة تنتقل بها من دلالة قديمة إلى دلالة جديدة (مثل ما حدث للقطار وللسيّارة في العربية) ويعرف بالتوليد الدلالي، وإمّا بتوليد دوالّ جديدة للتعبير عن مفاهيم جديدة لا تستطيع الدوال القديمة الاقتران بها، ويعرف بالتوليد الشكلي [(٢)].

وهذا المستوى المولّد في العربية نشأ بسبب عاملين رئيسيين هما:

- التداخل اللغوي وامتزاج الشعوب.
- الحاجة إلى التعبير عن وسائل الحضارة الجديدة.

ومن الملاحظ أنّ هذا المستوى لم يدوّن في المعاجم العربيّة، ولم يحظ بعناية علماء العربيّة بسبب خروجه عن المستوى الفصاحي – في نظرهم – على الرغم من أنّ غالبية ألفاظه عربيّة مشتقّة من كلام العرب، أو مستحدثة بطرق التّوليد الطّبيعيّة [(٣)].

وإذا كانت العربية ثابتة الأصول، فإنّها مرنة في ألفاظها، فقد استطاعت استيعاب ألفاظ الحضارة، وامتزاج الأجناس، والمذاهب، والثّقافات، والمعارف، وطوّعت للتوليد والاستحداث، فلانت وانقادت، وظهرت – بذلك – فيها، بداية من القرن الثّاني الهجري، آلاف من الألفاظ والاصطلاحات المستحدثة للتعبير عن المفاهيم الجديدة.

وللتوليد مجالاته المتعددة، فلم يقتصر الاستحداث المعجمي في الحقيقة على مجالات المفاهيم العلميّة التي عُرفت في علوم العجم التي نُقلت إلى العربيّة، بل شمل أيضًا (العلوم الإسلاميّة) التي وضعها العربُ أنفسهم، مثل علوم القرآن والحديث، والفقه، والكلام واللغة.

---

(١) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٣٥.

(٢) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٣٥.

(٣) ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص٩٢.

" على أنّ هذا الصنف من المستحدثات اللغويّة التي ارتبطت بما استحدث العرب من علوم – قبل نهاية القرن الثالث الهجري خاصّة – قد عُدّ فصيحًا، أمّا المستحدثات التي ارتبطت بعلوم العجم، وعبّرت عنها، فلم يعترف لها بالفصاحة، فهي عربيّة لكنّها في منزلة وسط بين الفصيح والعامي، وتلك هي صفة المولّد العربي من الألفاظ والمصطلحات " [(١)].

٣- المستوى العامّي:

المستوى العامّي هو المنسوب إلى العامّة، ويتمثل في الانحراف الطارئ على الكلام العربي من ناحية الأصوات أو البنية أو التراكيب أو الدلالة.

وهذا المستوى يهتم بما حرّفه العامّة عن العربي الفصيح، أو المولّد سواءٌ في الأصوات أو الأبنية أو في الدلالة، حتّى تنوسي أصله، وهو الغالب في مستوى المقول، أو الشفاهي [(٢)]، حيث يميل العامّة إلى اللغة التواصلية الدارجة المتحرّرة من القواعد الضابطة، المتسمة بالتيسير والسهولة في توصيل الفكرة، وفي ذلك يقول الجاحظ: " وقد يستخفُّ النَّاسُ ألفاظاً ويستعملونها وغيرُها أحقُّ بذلك منها، .. والجاري على أفواه العامةِ غيرُ ذلك، لا يتفقّدون من الألفاظ ما هو أحقُّ بالذكر وأولى بالاستعمال .." [(٣)].

والحقيقة أنّ إطلاق صفة العامية على هذا المستوى من اللغة يشمل اللغات الخاصّة واللهجات الإقليمية أو اللغات المحكية أيضا، فكل المجموعات الخاصّة والمهن لها عامياتها [(٤)]، ومن الثابت تأثير المستويات الثقافية والمهنية على طبيعة اللغة وطريقة التخاطب بها.

---

(١) ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص٩٢.

(٢) وعلى الرغم من ذلك نجد وروده أحيانا في المستوى الكتابي للتمثيل أو حكاية اللغة الواقعية أو للتندر، أو حكاية للحن والانحراف في الكلام، كما في أمثلة الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) عن مظاهر نطق العامية، وانحرافهم عن الفصحى، ٩٨/١، ٣٢٠، ٥٨٠، وما ذكره الأصفهاني في كتابه (الأغاني)، ت: سمير جابر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، في ترجمة، أبي عطاء السندي وإبراهيم الموصلي .. ينظر: ١٧١/٥، ١٥/ ٣٧١، ١٧/ ٣٣١.

(٣) البيان والتبيين، ٦/١.

(٤) النصراوي، الحبيب، الجاحظ معجميا، ص٣٩.

وجمهور ألفاظ هذا المستوى فصيح محرّف، وقد عدّ علماء العربية القدماء هذا النوع من الكلام العامي لحنا وخروجًا عن قياس اللغة ونظامها، وضربا من أوهام العامة وأغلاطهم، " ومن الثابت علميًا أنّ العاميّات تقوم في لحمتها وسداها على العربية الصّحيحة، وهي متفرّعة عنها، غير أنّ تطورا ما أصابها في الجانب الصّوتي، وجانب المتن، فالمساحة المشتركة بين الفصحى والعاميات المنبثقة عنها مساحة ضخمة " [(١)].

ومن أبرز خصائص العامية:

- التحرر من القواعد والضوابط المعيارية: فالعامية تخلو من القواعد الضابطة، فلا ضابط لها ولا نظام، وليس لها أصول مستقرة؛ لأنها دائمة التغير.
- التّطور المستمر: فهي تتطور بلا توقف، تنمو من تلقاء نفسها، حسب الظروف والأماكن.
- عدم التّصرف الإعرابي، فإنّ العامية لا تُعرب إلاّ في النّدرة.
- الترخص في لغة الكلام الواقعية: فهي لغة تواصلية تقوم على أسس من التبسيط والتيسير والقياس واختصار مجهود الكلام، وهي أكثر طلاقة؛ لأنّها ترجمان الحياة الدّارجة.
- يغلب على المستوى العامي التعميم وتغليب التبسيط المجازيّ، مقابل ما تتميّز به العربيّة الفصيحة من تخصيص الدّلالات حسب خصائص الاستعمال ووجوهه .
- التنوع الشديد: فهي لا تكاد تعرف حدودا، فالعامية لهجات متعددة، وكثير من خصائص العامية محكي في لهجات العرب، ولا تخلو العامية من كلمات دخيلة أو مرتجلة.
- أنّها عفوية: فالعامية تشتق ألفاظها من طبيعتها، دون اللجوء إلى عوامل مصنوعة، وهذا المستوى " من العربي ما ليس بفصيح، وليس بمولّد قد وضعه العلماء، بل هو ممّا يستعمله العامّة من العرب في لهجاتهم استعمالا ساذجا عفويا .." [(٢)].

---

(١) البدراوي زهران، (ازدواجية اللغة)، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٦٥/ ٨٩.

(٢) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص١٣٥.

- العامية عريقة في نسب العربية: ولكل قاعدة عاميّة سند من لهجة عربية، فهي عريقة في نسب العروبة، وهي من صنع مجتمع عربي اللسان صميم.
- تؤخذ بالاكتساب سليقة من معايشة أهل اللغة بلا برمجة قَبْلية أو بعدية، فهي لغة الأم.

ويؤكد بعض الباحثين في الألسنيات الحديثة أنّ (العاميّات العربية الحديثة) – بما فيها من الخصائص والمظاهر الصّوتية والصّرفية والدلالية والتركيبية – هي امتداد طبيعي للعربية الفصحى القديمة[(١)].

ويدخل في هذا المستوى أيضا اللهجات التي تعتبر شكلا محليا للكلام يستعمل في محيط واسع[(٢)]، وأدى سيطرته على مستوى المقول إلى نشوء عاميات لها خصائصها اللهجية على امتداد الوطن العربي، عرفت باللهجات العربية الحديثة، وقد تكونت هذه اللهجات من بقايا لهجات عربية قديمة، ومن لغات عاميّة دارجة قديمة[(٣)].

وفي ذلك يقول محمود تيمور: "العامية لهجات تتباين وتتفاوت، وتكون في الأمة الواحدة بين صُقع وصُقع، وهي في جملتها مقصورة على أداء الحاجات اليومية في مجالها العام، لم تمارس غيرها من مطالب الحياة العلمية والأدبية والاجتماعية في رقيّها وتقدمها مع الزمن، ولم تُدرس لها قواعد تحفظ عليها السلامة، وتصونها من الفوضى، ولا وُضعت لها ضوابط تحكمها وتردها إلى نطاق من الصّواب، ولا يرجع في كتابتها إلى نظام محرّر، ومعالم مجلوة، والعامية قرينة الأمية، هذه العامية أقدم من الفصحى عهدا، وأعرق منها إلى العروبة نسبا "[(٤)].

ويمكن أن تصنّف العامية بما يتعلّق بواقع ألفاظها وأساليبها إلى حالات ثلاث، فهي: إمّا صحيحة، وإما محرّفة، وإمّا لحق معناها شيء من التّصرّف، يقول محمود تيمور: " الكلمة

---

(١) ينظر: ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٦.

(٢) ينظر: ماريوباي، أسس علم اللغة، ص٦٩.

(٣) يقول يوهان فك في عوامل تكون هذه اللهجات المحلية في المدن الإسلامية، ص٢٤: " على حين بقي السّواد الأعظم عند أسلوب لغوي دارج، ظهرت فيه بواسطة ترك التّصرف الإعرابي قبل كل شيء سمات العربية المولّدة، ومن هذه اللغة الدارجة في القرن الأول – التي أخذت كما يبدو بعض الخصائص المحلية في المدن المختلفة – نشأت اللهجات المتأخرة في المدن الإسلاميّة ...". ويقول شبيتالر مقدمة العربية ليوهان فك، ص٧: " لا شي في اللهجات الحديثة – على الأقل في ميداني الأصوات والبنية – إلا وله أصل مباشر وغير مباشر، في العصر الإسلامي المبكّر .... ".

(٤) مشكلات اللغة العربية، ص١٨٥، وما بعدها..

العامية التي لا نستعملها في لغة الكتابة بين حالات ثلاث: فإما كانت صحيحة في اللغة كما يستعملها الناس، ولكنها قابعة في المعجمات، قلّما مسّها قلم إلا ذلك القلم الذي يستأمن عليها مستودعات اللغة، وإمّا طرأ عليها ألوان من التّحريف والإبدال يسيرة أو غير يسيرة، فانتقص منها حرف، أو زيد عليها حرف، أو أحلّت فيها حروف مكان حروف، وإما كان وجه الخلاف بينها وبين الفصحى ضربا من التخصيص أو التعميم، وشكلا من الإطلاق أو التقييد، وشيئا من النقل أو التوسع وسائر علاقات المجاز، إلى غير ذلك من تصرف مأنوس في التطور الطّبيعي للكلمات في مختلف اللغات " [(١)]، ومع ذلك فهي " لا تخلو من كلمات أجنبية دخيلة، ولعلها لا تخلو كذلك من كلمات زائفة مرتجلة، ولكن معظم كلماتها عربي لحما ودما، فالحروف عربية، والصيغة عربية، وطريق الاشتقاق عربي، والمنحى من الانتقال من المعنى الأصيل إلى المعنى الدارج منحى عربي " [(٢)].

فالعامية لم تخرج – مع تحريفها وعدم ضبط قواعدها – عن كونها لغة عربيّة، والتحريف كان معروفًا باختلاف لغات العرب، فالتحريف يمكن أن يقع في الكلمة المفردة (في معناها، أو في لفظها، أو في صيغتها، أو في أصل وجودها) أو في تركيب الكلام، وربما كان في العاميّة ألفاظ دخيلة أو مولدة لم يعرفها الأوّلون، بل عُرفت في عصر العبّاسيين ومن بعدهم [(٣)].

وعن العامية التي اتُّخذت أساسا للتفاهم والتواصل بما تتميّز به من خصائص يقول يوهان فك: " وقد استعانت لغة التفاهم المذكورة بأبسط وسائل التّعبير اللغوي، فبسّطت المحصول الصّوتي، وصوغ القوالب اللغويّة، ونظام تركيب الجملة، ومحيط المفردات، وتنازلت عن التّصرف الإعرابي، واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها، كما ضحّت بالفرق بين الأجناس النّحوية، واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة عن مواقع الكلمات في الجملة، للتعبير عن علاقات التركيب .." [(٤)].

---

(١) مشكلات اللغة العربية، ص٢٠٧.

(٢) تيمور، محمود، مشكلات اللغة العربية، ص٢٠٨.

(٣) ينظر: النص، محمد إحسان، نظرات في كتاب: (رد العامي إلى الفصيح) أحمد رضا العاملي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٩٠/ ٤٧.

(٤) العربية، ص٢٠.

ومن هنا ندرك أنّ العامية لغة تواصلية، تقتصر في العادة على الضروري، وتنفر من التقعيد والتعقيد والجزالة، وتنأى عن مظاهر الترف اللفظي.

٤- المقترض اللغوي:

الاقتراض المعجمي جزء من الاقتراض اللغوي، وهو أخذ دوالّ من لغة مصدر، وإدخالها في لغة مورد، إمّا مصحوبة بمداليلها الأصليّة، وهذا يقع في الوحدات المعجمية المخصّصة خاصّة؛ لأنّ الاقتراض فيها كثيرًا ما يكون ضروريًا، وإمّا أن تكون الدوال المقترضة غير مصحوبة بالمداليل الأصليّة المقترنة بها، بل تُعطى في اللغة المورد المقترِضة دلالات جديدة [(١)].

أو هو أن تأخذ لغة مورِد وحدات معجمية من لغة مصدر، وبعبارة أخرى: نقل لوحدات معجميّة من لغة ما إلى لغة أخرى أجنبيّة عنها..[(٢)]، ومن هذا المقترض ما يكون ضروريًا، وتلجأ إليه الجماعة المستعملة للغة المقترضة لسد الخانات الفارغة في لغتها بالأصناف السّابقة من التوليد، ومنه ما يكون بذخيًا أو نوعًا من أنواع التّرف، وهذا النوع من الاقتراض يحدثه الأفراد في الغالب إحداثا عفويا، نتيجة مواقف الإعجاب بأنماط ثقافية وحضارية أجنبية[(٣)].

وعُرفت تلك الألفاظ المقترضة عند القدماء من علماء العربيّة باسم (المعرّب)، وعُرفت العملية التي يتم من خلالها نقل تلك الألفاظ إلى العربية باسم (التّعريب) ، وفي المفهوم الحديث ظهر مصطلح (الاقتراض اللغوي) عند المحدَثين مرادفًا للتعريب عند القدماء، ليشمل دراسة المقترضات اللغوية، إضافة إلى التأثر والتأثير بين اللغات، وغير ذلك من الظواهر المتّصلة بالاقتراض ووسائله.

ويخصّص الباحثون اليوم مصطلح (معرّب) لما خضع من الدخيل لمقاييس العربية وأوزانها؛ فألحق بأبنيتها، ومصطلح (دخيل) لما ظلّ منه محافظًا على مظاهر عجمته، مستعصيًا على مقاييس العربية وأوزانها [(٤)].

---

(١) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم العربي، ص١٦١.

(٢) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٩.

(٣) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٥٠.

(٤) ينظر: النصراوي، الحبيب، الجاحظ معجميا، ص٣٨. ويرى إبراهيم بن مراد في (مقدمة لنظرية المعجم) ، ص١٦٢: أنّ الدخيل يكثر في لغة العلوم؛ لأنّ ما يعني المصطلحي هو المفهوم الذي يدل عليه المصطلح، وأمّا المعرّب فهو الغالب في ألفاظ اللغة العامّة؛ لأنّ اقتراضه كثيرًا ما يكون عفويًا، ويعتمد على مبدأ (المجهود الأدنى) الذي يقود مستعمل اللغة إلى تغيير ما يبذُل في استعماله جهدًا .

ويفرّق بعض الباحثين بين المعرّب والدخيل، " فما ألحقته العرب بأبنية كلامها بعد أن غيّرته هو المعرّب، وما غُير ولم يلحق بأبنية العرب، أو تركوه دون تغيير – هما المسمّيان دخيلا، فإنّ ما غيّر ولم يُلحق قد بقي محافظا على بعض من مظاهر عجمته، وما لم يُغيّر البتّة قد بقي محافظا على جُل مظاهر العجمة فيه، ويكثر هذا الدخيل في المعاجم المختصة، ومصطلحات الطب والصيدلة والعلوم التي نقلها العرب عن غيرهم " [1].

ولا يمكن لأي لغة حيّة أن تستغني عن الاقتراض، واستمداد بعض مفرداتها من لغات أخرى مجاورة أو بعيدة؛ " ذلك لأنّ احتكاك اللغات ضرورة تاريخيّة " [2].

وفي تاريخ العربية، يبدو أثر اللغات الأعجمية فيها واضحا منذ عهد قديم، وبرزت مظاهره في العصور الأولى ممتدة في العربية الجاهلية، واستمرت عبر مراحل العربية المختلفة، فلم تخلُ مرحلة من مراحل تاريخ العربية من التقارض اللغوي، وأخذ في التوسع والازدياد مع ازدياد حركة الترجمة والإنشاء العلمي. فقد استعارت العربية بعضًا من ألفاظ الحضارة والعلم والمعرفة عن الفارسية واليونانية وأمم أخرى.

وقد رافق دخول تلك المقترضات إلى العربية، قضايا مهمّة مثل: إشكالية التّعريب والترجمة، والصياغة الكتابية لتلك المقترضات، وتعريب المصطلحات والمفاهيم والأساليب، والوسائل المعتمدة في عملية التّعريب وإدخال الكلمات المقترضة إلى العربية، ونتجت عن حركة الاقتراض اللغوي عدة ظواهر في العربيّة منها: ظاهرة التّعريب، وحركة الترجمة، وظاهرة التأثر والتأثير، والتوليد اللغوي.

وقد وقف علماء العربية قديمًا موقفًا متشددا إزاء تلك المقترضات، فاعترفوا بالمعرّبات التي نقلها العرب في عصور الاحتجاج، ولم يأبهوا بما سواها من كلمات ومصطلحات دخلت العربية بعد عصور الاحتجاج.

---

(١) ينظر: ابن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، ص٩٩.

(٢) ج. فندريس، اللغة، ص٣٤٧.

وفي الارتشاف لأبي حيّان: " الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام: قسمٌ غيَّرَتْه العربُ وألحَقْته بكلامها، فحُكْمُ أبْنيَته في اعتبار الأصلي والزائد والوَزْن حُكْمُ أبنية الأسماء العربيةِ الوَضْع، نحو درهم وبَهْرَج. وقسمٌ غَيَّرته ولم تُلْحِقْه بأبنيةِ كلامِها، فلا يُعْتَبَر فيه ما يُعْتَبَر في القسم الذي قبلَه، نحو آجر وسِفْسِير. وقسمٌ تركوه غيرَ مغيَّر، فما لم يُلحِقوه بأبنية كلامهم لم يُعَدّ منها، وما ألحقوه بها عُدّ منها، مثال الأول: خُرَاسان، لا يثبت به فُعالان، ومثال الثاني: خُرَّم ألحق بسُلّم، وكُرْكُم ألحق بقُمقُم " [(١)].

والاقتراض في اللغة ليس مقصورًا على مفردات المعجم، بل هو ظاهرة لغويّة عامّة تشمل أنظمة الأصوات والصّرف والنّحو أيضًا، إلاّ أنّ أهم ناحية يظهر فيها تأثير المقترضات هي مفردات اللغة، " وهذه المفردات التي تقتبسها لغة ما، عن غيرها من اللغات، يتّصل معظمها بأمور قد اختصّ بها أهل هذه اللغات، أو برّزوا فيها، أو امتازوا بإنتاجها، أو كثرة استخدامها .. ومعظم ما انتقل إلى العربيّة من المفردات الفارسية واليونانيّة، يتّصل بنواحٍ ماديّة أو فكريّة، امتاز بها الفرس واليونان، وأخذها عنهم العرب " [(٢)].

" والعامل الرئيسي في دخول هذه المفردات يرجع إلى ما أتيح للشعوب النّاطقة بالعربية من قبل الإسلام ومن بعده من فرص للاحتكاك المادي والثّقافي والسياسي بالشّعوب الأخرى، وما نجم عن هذا الاحتكاك، وعن التّطور الطّبيعي للحضارة العربيّة من ظهور مستحدثات لم يكن للعرب، ولا للغتهم عهدٌ بها من قبل في ميادين الاقتصاد والصّناعة والزراعة والتّجارة والعلوم والفلسفة والآداب والدين ومختلف مناحي السياسة والاجتماع" [(٣)].

" ومن المقرر أنّ الكلمات المقتبسة تخضع للأساليب الصّوتيّة في اللغة التي اقتبستها، فتتشكّل في الصّورة التي تتفق مع هذه الأساليب، وينالها من جراء ذلك بعض التّحريف في أصواتها وأوزانها وطريقة نطقها، وتبعد في جميع هذه النّواحي، أو في بعضها عن صورتها الأولى، وهذا ما حدث للكلمات التي اقتبستها العربيّة في مختلف عصورها عن اللغات الأخرى " [(٤)].

---

(١) ارتشاف الضّرب، ت: رجب عثمان، مراجعة: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ١/١٤٦.

(٢) وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، نهضة مصر، ط٩، ٢٠٠٤م، ص٢٣١.

(٣) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، نهضة مصر ، ط٣، إبريل ٢٠٠٤م، ص١٥٣.

(٤) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ص١٥٦.

" وكثير من الكلمات الدخيلة الأجنبية قد تغير مدلوله في العربية عمّا كان عليه في لغته الأولى، فبعضها قد خصّص معناه العام، وقصر في العربية على بعض ما كان عليه، مثل (الجون) فإنّ معناه في الفارسية اللون على العموم، ولكنه قصر في العربية على الأبيض والأسود، وبعضها عمّم مدلوله الخاص، فأطلق على أكثر مما كان يدل عليه، وبعضها استعمل في غير ما وضع له لعلاقة ما بين المعنيين، وبعضها انحطّ إلى درجة وضيعة في الاستعمال فأصبح من فحش الكلام وهجره، مع أنّه ما كان يستعمل في لغته الأصلية على هذا الوجه، وبعضها سما إلى منزلة راقية فأصبح من نبيل القول ومصطفاه " [(١)].

وللاقتراض اللغوي في العربية غايات عديدة أهمها:

١- ملء الخانات الفارغة في المعجم العلمي العربي المختصّ، فما دام المبحث دخيلا، وما دامت المصطلحات المستعملة فيه أعجمية؛ فإنّ الاقتراض هو الوسيلة المجدية — في مرحلة أولى على الأقل — لسدّ الثّغرات المصطلحيّة الموجودة في العربيّة في المبحث المعني، ولذلك فقد كان الاقتراض في القرنين الثّالث والرابع خاصّة أهم وسيلة للتوليد المصطلحي.

٢- دعم المصطلح العربي أو إعماده، ليكتسب الدقة والخصوصية، فكانت المصطلحات اليونانية مراجع للمصطلحات العربية، وكان دور المصطلح اليوناني إذا استعمل في كتاب ما مع مقابله العربي أن يقوي المصطلح العربي، ويمكّن له ويكسبه المرجعيّة، فكان الاقتراض من أجل ذلك ضروريا وليس من باب البذَخ.

٣- تعميم الثقافة أو العلم، وهذه الغاية على قدر كبير من الأهمية [(٢)].

والاقتراض يكون غالبا من الأسماء، فإنّ الأفعال والصفات وأسماء المعاني التي تشتق من الأفعال يمكن توليدها بيسر داخل اللغة الواحدة بالاعتماد على وسائلها الخاصّة في التوليد، وخاصّة على الاشتقاق، أمّا الاقتراض فيلجأ إليه غالبا لسد حاجات معجميّة فارغة في اللغة المورد، وما دام الاقتراض يكثر في الأسماء، ويقل في الأفعال والصفات، فإنّ الأصل الجِذعي الغالب هو الاسم، وأهم المشتقات من الأسماء الأعجميّة في العربيّة هي الأفعال والصّفات .. [(٣)]. ومثاله: اشتقاق فعل من اسم: (جوْرب: جوربَ، تجورب)، واشتقاق صفة من فعل مشتق من اسم: (دينار ، دنّر، مدنّر... ديباج، دبّج، مدبّج..)، واشتقاق فعل من اسم مشتق من اسم، وهو قليل: (فيلسوف، فلسفة، تفلسف) .

---

(١) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ص١٥٧.

(٢) ينظر: ابن مراد، مسائل في المعجم، ص١٩٩.

(٣) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٥٢.

الفصل الثالث: التوليد في المستويات اللغوية

١- التوليد الصّوتي.

٢- التّوليد الصّرفي.

٣- التوليد في التراكيب النحوية والأساليب.

٤- التوليد الدلالي.

تمهيد في المستويات اللغوية:

البحث في مستويات التوليد اللغوية له أهميته في الكشف عن التّطور الذي يعرض للغة، فإنّ " تغيرات الأصوات والأبنية والتركيبات، من أهم موضوعات البحث عن التّطوّر النّحوي، والفحص عن قوانينه، من أجل أغراض علم اللغة " [(١)].

ولكل لغة نظام أساسي أو أنظمة لا يمكن تجاوزها، وإلا صارت اللغة إلى محال، واستحالت مع الأيام إلى لغة أخرى، فهناك مناطق مغلقة في أي لغة لا يمكن إغفالها، وهناك مساحات أخرى يمكن أن تتداخل فيها اللغات مع بعضها كتبادل المفردات.

وكل نظام في اللغة له خصائصه التي تميزه عن غيره، فبعض مكونات أنظمة اللغة من طبيعته التّطور والتغير، ومن ثمّ يُكسب اللغة صفة المرونة والتأثر، وبعضها الآخر ثابت، أو يكون التغير فيه بطيئا، وهذا النّوع من الأنظمة عامل استقرارٍ وثبات في اللغة، وهو الذي يكسبها خصائصها ونظامها، ويميزها عن غيرها.

فنظام المفردات في أي لغة: أقل أنظمة اللغة خضوعًا للقيود، وهو الذي يُكسب اللغة والمعجم فيها خاصية التّطور، فليس من صفة الدّوال والمدلولات الاستقرار؛ لأنّها قد تُنقل من (مواضعها المعجميّة) فتحوّل دوال عن مدلولاتها الأصليّة، أو تحوّل مدلولات عن دوالّها الأصلية، وتسند إلى غيرها [(٢)].

---

(١) برجستراسر، التطور النّحوي، ص٢٠٨.

(٢) ينظر: ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٠.

والنّظام الصّوتي في أيّ لغة: هو أشد الأنظمة محافظة، ولكل لغة نظامها الصّوتي، وهو عامل تمييز مهم بين اللغات يساعد على عملية التعرف اللغوي، وتمييز اللغات الرئيسية في صيغها المنطوقة [١].

والنظام الصّرفي: وهو أقل من نظام الأصوات محافظة، ومعلوم أنّ نظام الزيادة في اللغات السامية مقيّد بقوانين خاصّة، وأبرزها قانون الاشتقاق، وعماده أن يجري وفق عملية تحويل داخلي؛ لأنه نوع من التركيب [٢].

أمّا النّظم اللغوية الأخرى من نحوية ودلالية وأسلوبية، فتلك النّظم – بحكم قيامها على عناصر لغويّة أساسيّة تربطها شبكات من العلاقات داخل نظام اللغة — تتّصف بالاستقرار أو بالتّحوّل البطيء [٣].

وكذلك يمكن أن تتصف الأحكام اللغوية بالمرونة من جهة، وبالثبات من جهة أخرى، فالمرونة تتجه دائما لوصف الجانب المعجمي أو مستوى المفردات، والثبات يكون في الأصوات والتراكيب النّحوية، " فإنّ أخصّ مكوّنات اللغة بالتّحوّل الذي يلازم بنية اللغة ذاتها هو المكوّن المعجمي، وهو يختلف في ذلك عن بقيّة مكوّناتها، أي عن أصواتها وصرفها ونحوها: فإنّ من أهم ما تتّصف به هذه المكوّنات الاستقرار النّسبي أو التّحوّل البطيء " [٤].

ومن المقرر عند علماء اللغة أنّ التّحول في المعجم ينشأ داخل بنيته التي هي جزء من بنية اللغة، لذلك فإنّ المفردات التي تسقط من الاستعمال، إنّما تسقط من المعجم، والمفردات التي تولد إنّما تولد فيه وتضاف إليه، لكن ما يسقط منها لا ينقص من بنية المعجم، ومن نظامه شيئًا، وما يولد منها لا يخرج عن بنية المعجم وعن نظامه؛ لأنّه يولد داخلها، وحسب ما يسمحان به من قواعد التّوليد وقوانينه [٥].

---

(١) ينظر: ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص٢٨، وماريو باي، أسس علم اللغة، ص٢٠٤.

(٢) ينظر: ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص٢٨.

(٣) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٣٩.

(٤) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١١٨.

(٥) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١١٩.

فاللغة الحيّة هي لغة متفاعلة مع الحياة، تعطي وتأخذ، وتحيا فيها ألفاظ جديدة، وتموت أخرى، ويطرأ عليها قانون التّطور في مستوياتها المختلفة، " فالجملة، والكلمة، والمقطع، والصّوت، يمكن أن تدخل على هذه الأنواع، أي نوعٍ من أنواع التطور، هذا بالإضافة إلى دلالة الكلمات والجمل على المعاني، إذ تتطوّر هي الأخرى تبعًا لقوانين مختلفة "[(١)].

ولم تفلت اللغة العربية منذ أن اتّسع انتشارها، وتشعّبت لهجاتها، من قانون التّغير الذي يطرأ على اللغات، ويظهر ذلك في المستويات اللغوية، وهي: الأصوات، والقواعد، والدلالة، والمفردات.

ويؤكد بعض الباحثين على أنّ العربية في مستوييها الفصيح والمكتوب، والعامي المنطوق، قد عرفت – في مختلف مراحل استعمالها، وفي الأمصار المعرّبة التي استعملت فيها لغة طبيعيّة — مظاهر من التطور عديدة في أصواتها وصرفها ودلالاتها وتراكيبها [(٢)].

وهذا التّطور الحادث في العربية يمتاز بأنه تطور يتم من الداخل، بصورة طبيعية، ولم يخرج عن النموذج اللغوي العربي القديم، ولم يمس العربية في جوهرها أو نظامها[(٣)]، فقد تميزت العربية بعنصر الثبات في طريقة نطقها وصيغها ونظامها وتراكيبها، وكانت مرنةً بما أوتيت من قدرة للتعبير عن مستجدات الحياة، وخاصية التوليد في ألفاظها.

وتختلف هذه المستويات اللغوية من حيث مدة عملية التّطور، إذ سرعان ما تتطور اللغة من ناحية الألفاظ، إذ تتقبل في معجمها كثيرًا من الألفاظ المقترضة، لكن عملية التطور نفسها تسير ببطء في مستويات اللغة الأخرى، فتتطور أصوات اللغة، وطريقة نطق الألفاظ وتختلف من جيل لآخر، وربما استطاعت اللغة أن تولّد صيغًا جديدة، أو تتغير دلالات ألفاظ قديمة في اللغة إلى دلالات جديدة بشكلٍ متسارع تبعًا للحاجة ومستحدثات العلوم وتطور الحضارة، إلا أنّ التّطور في نظام اللغة وجملها يسير ببطْء شديد، وربما ثبت لأجيال متلاحقة دون تغيير يذكر في نظام اللغة وجُملها ، وهو عنصرٌ مهم في ثبات اللغات، وإلا استحالت هذه اللغات إلى لغات أخرى إذا أصاب نظامها تغيير جوهري.

---

(١) ينظر: عبد التواب، رمضان، لحن العامّة والتطور اللغوي، ص٣٤.

(٢) ينظر: ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٦.

(٣) ينظر: ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٦.

وقد عرفت العربية مستويات لغوية عديدة للتوليد، وهي:

١- التوليد الصّوتي:

التوليد الصوتي: هو إحداث وحدات معجميّة جديدة نتيجة ما يطرأ على المفردات من تغيير صوتي[١]. فيكون في العربية بإحداث وحدات معجمية جديدة ذات تأليفات صوتية مستقلة، نتيجة الظّواهر التّعاملية بين أصوات اللغة، مثل: الإبدال، والقلب المكاني، والتّماثل، والتّباين "[٢].

خصائصه:

- توليد شكلي صوري.

- العفوية: أكثر ما يكون هذا التغيير عفويا، وأكثر حدوثه في ألفاظ اللغة العامّة، وخاصّة في مستوى اللغة الشّفوي[٣].

- وهذه الألفاظ تابعة دلاليا للأصول التي تفرعت عنها، فهي كالبدائل لها، عديمة السمات الدلالية المستقلّة، ذات خاصّية إطنابية حشوية في المعجم، إلا ما كان منها إقحامًا لصامت في تأليف الوحدة المعجمية الصّوتي، يكون في صدرها أو في وسطها أو في آخرها، ويرافقه إعطاء الصّيغة المولّدة دلالة جديدة. تكون عادة ذات صلة بدلالة الصّيغة الأصليّة[٤].

مظاهره في العربية: التغييرات الصوتية الطارئة على العربية في العصور القديمة السابقة لمرحلة تدوين اللغة، ويعمل التوليد الصوتي على إحداث وحدات معجمية جديدة قابلة لأن تكون من مفردات اللغة .

وكذلك التغيرات الصوتية في المستوى الشفاهي العامي الذي ينتج عن اللغة التواصلية إثر امتزاج الشعوب، واختلاف بيئاتهم، وتغيّر عاداتهم النطقية، وتداخل المستويات اللغوية، ويرى

---

(١) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٣٦.

(٢) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٧.

(٣) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٠.

(٤) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٧.

بعض الباحثين " أنّ تطور اللغات في جانبها الصّوتي أسرع وأكثر تنوعًا من تطورها في جوانب الصّيغ والنّحو والمفردات والأساليب؛ والسّبب واضح في هذا ، وهو أنّ الجانب المنطوق في اللغة يمارس حريّة أكثر من الجانب المكتوب، بالإضافة على أنّ اللغة تصادف في تركيباتها وتجمعاتها الصّوتيّة، ظروفًا سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب؛ ولهذا ينفصل الصّوت عن صورته، ويتطور دونه " [(١)] .

وينشأ التوليد الصّوتي عادة من عدة عوامل منها: الاحتكاك والتداخل اللغوي بين الشعوب، والعادات الصّوتية المتأصلة (التي ورثوها عن أجدادهم)، الفروق الاجتماعية والثقافية والمهنية، التضاريس الجغرافية والبيئية، واختلاف أعضاء النّطق باختلاف الشعوب، وتنوّع الخواص الطّبيعيّة المزوّد بها كل شعب، والتي تنتقل بطريق الوراثة من السّلف إلى الخلف، التّطور الطّبيعي المطّرد لأعضاء النّطق، فمن المقرر أنّ أعضاء النّطق في الإنسان في تطور طبيعي مطّرد في بنيتها واستعدادها ومنهج أدائها لوظائفها [(٢)] .

كل هذه العوامل وغيرها تؤدي إلى تغيّرات صوتية تنال ألفاظ اللغة، فتنحرف هذه الأصوات عن الصّورة التي كانت عليها إلى صورة أخرى أكثر ملاءمة مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النّطق.

وقد يكون التوليد الصّوتي بانتقال أصوات جديدة إلى بعض اللهجات العاميّة من اللغات الأجنبية التي احتكت بها، ومن أمثلته: صوت بين الشين والجيم المعطشة الذي يُنطق به في عاميّة العراق، فمن المحتمل أن يكون هذا الصّوت قد انتقل إليها من التركية، أو من اللهجات العربية القديمة [(٣)] .

---

(١) عمر، أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م، ١٤١٨هـ، ص٣٦٩.

(٢) ينظر: وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ص٢٩٨ وما بعدها، وفقه اللغة، ص١٠٥، ١٠٦.

(٣) ينظر: وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ص١١٣.

القوانين الصوتية وأثرها في التوليد اللغوي:

يرى بعض العلماء الباحثين في أصوات العربية أنّ مجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل، هو السر فيما قد يصيب بعض الأصوات من تأثر، فالأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصّفات أو المخارج، ويمكن أن يوصف هذا التأثر (بالانسجام الصّوتي بين أصوات اللغة)، وهذه الظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامّة؛ غير أنّ اللغات تختلف في نسبة التأثر وفي نوعه [(١)].

واللغة العربية في تطورها إلى لهجات الكلام الحديثة، مالت ميلا كبيرا إلى هذا التأثر، إذ نلحظ في اللهجات الحديثة ظواهر مختلفة لتأثر أصوات الكلام بعضها ببعض في أثناء النّطق، وقد أصاب بعض حروف العربية تطور صوتي، مثل: الضاد، والقاف، والطاء، حتّى صارت إلى النّطق الحديث الشّائع [(٢)].

ويقرر بعض الباحثين في الألسنيات الحديثة القوانين الصّوتية العامة التي تسهم في عملية التوليد اللغوي، ومن أهمها:

١- **الإبدال** (Mutation): وهو نزوع أحد الصّوتين المتقاربين، أو المتماثلين في المخرج أو في الصّفة إلى أن يعوّض أحدهما الآخر في المفردة الواحدة، فتتولّد عن ذلك التعويض وحدة معجميّة جديدة ذات تأليف صوتي مستقل، وهو كثير الحدوث في العربية الفصحى، حتّى عدّه بعض المحدَثين قانونًا عامًا قد أثّر في العربية مع القلب – منذ مراحل تطورها الأولى [(٣)].

ومن أمثلته في الفصحى: إبدال الثاء –و هو صوت أسناني – فاء، وهو صوت شفوي أسناني، في قولهم: (فوم) عوض (ثوم) (فعلب) عوض (ثعلب)، وإبدال الحاء –

(١) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، ص١٧٩.

(٢) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص١٨١.

(٣) ينظر: أحمد فارس الشدياق، سر الليال في القلب والإبدال، حيث اعتمد عليه في نظريته عن تناسل ألفاظ العربية وتوالدها.

وهو صوت من أدنى الحلق – هاء، من أقصى الحلق، في قولهم: (مده) عوضا عن (مدح)، وقولهم: (همار) عوضا عن (حمار)، وإبدال الدال – وهو أسناني – تاء، وهو أسناني أيضا، ومثاله قولهم: (متّ) في السير عوضا عن (مدّ) [(١)].

٢- **القلب المكاني** (Metathese): القلب المكاني عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي [(٢)]، أو هو نزوع الصّوتين في المفردة الواحدة إلى تبادل مكانيهما، فيتقدم أحدهما ويتأخر الآخر [(٣)]، وهذه الظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير، مثل: جذب – جبذ ، صاعقة – صاقعة، سحاب مكفهر – مكرهف، اضمحلّ – امضحلّ ، لزج – لجز، الأوباش – الأوشاب...

٣- **التماثل** (Assimilation) وهو: التعديلات التكيفيّة للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى، أو هو: تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة، إمّا تماثلا جزئيا أو كليا. ومن أمثلته: (ازدجر، اتّعد، انبعث)، (الحمدُ لُله) [(٤)].

أو هو نزوع الأصوات المتجاورة في المفردة الواحدة إلى تأثر بعضها ببعض عند النّطق بها تأثرًا يحدث عن تقارب في الصّفة أو في المخرج، وقد عالجه القدماء في باب الإدغام وسمّوه (التقريب)، وهو نوعان:

أ – تماثل تقدمي: يكون بتأثر الصّوت الثّاني بالأول، ومن أمثلته في العربية: ازتان – ازدان اضتجع – اضطجع اصتبر – اصطبر .

ب – تماثل رجعي: يكون بتأثر الصّوت الأول بالثّاني، ومن أمثلته في العربية: سلخ – صلخ، سور – صور، سرة – صرة، سراط – صراط [(٥)].

---

(١) ينظر: ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٣٧.

(٢) ينظر: ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٣٧.

(٣) ينظر: عبد التواب، رمضان، لحن العامّة والتّطور اللغوي، ص٤٨.

(٤) عمر، أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص٣٧٨.

(٥) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٣٧.

والغرض من مثل هذا التأثر هو التّقريب بين الصّوتين المتجاورين ما أمكن، تيسيرًا لعملية النّطق، واقتصادًا في الجهد العضلي [١].

" والمماثلة بشتى صورها تصدر عن قانون صوتي عام هو قانون الجهد الأقل، أو قانون الاقتصاد في الجهد، الذي يهدف إلى تحقيق حد أعلى من الأثر (وهو هنا الكلام) بحد أدنى من الجهد والطاقة " [٢].

٤- **التّباين** (Dissimilation) : وهو عند بعض الباحثين (المخالفة): وهي أنّ الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة، فيقلب أحدهما إلى صوتٍ آخر لتتم المخالفة بين الصّوتين المتماثلين [٣] ، أو هو نزوع الصّوتين المتماثلين في المفردة الواحدة إلى التخالف، ويكون الصّوتان اللذان يحدث فيهما التّباين متتابعين بالتّضعيف، ويبدل أحدهما صوتًا صائتا طويلا، أو بأحد الأصوات المائعة، وهي (اللام والميم والنون والراء) التي يدرجها الخليل بن أحمد تحت أصوات الذلاقة [٤].

ومن أمثلته: (تقصّيت في تقصصت)، (تظنّيت في تظننت)، (تسرّيت في تسررت) .. (اترجّ – اترنج)، (قبّرة – قنبرة)، (إجاص – إنجاص).

وفي أهمية هذين العاملين في تطور أصوات اللغة، يقول أحمد مختار عمر: " المماثلة والمخالفة يمثلان عاملين يتجاذبان اللغة، ولكلٍ منهما فاعليته وتأثيره، ولكل منهما هدفه وغايته، ومن صراعهما يحدث التّوازن بين مطلب سهولة النّطق، ومطلب سهولة التّفريق بين المعاني " [٥].

ولهذا نجد بعض اللغويين ينظرون إلى التّطور اللغوي – بصورة عامّة – على أنّه نتيجة الصّراع المستمر بين حاجات الإنسان الاتصاليّة، وميله إلى تخفيض نشاطه العضلي والعقلي، ويتجاذب المرء حينئذٍ عاملان هما:

---

(١) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص١٨٣.

(٢) فوزي حسن الشايب، قراءات وأصوات، ص٣٩.

(٣) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٢١١.

(٤) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٣٧.

(٥) دراسة الصوت اللغوي، ص٣٨٦.

- عامل الحد الأدنى من الجهد: least of offort
- عامل الحد الأعلى من التمييز: maximal differentaion [1].

وهناك نوع من التباين يقوم على نزوع أحد الصّائتين المتتابعين – وخاصّة إذا تماثلا – إلى التّخالف بأن يصبح ثانيهما سكونًا، وتصحبه ظاهرتان: أ – إدخال صامت جديد في التأليف الصّوتي، وهي ضرورية. ب –إفادة الصّيغة الجديدة معنى جديدًا، وهي مطردة، ومن أمثلة هذا التباين في الفصحى:

- بثق الماء: اندفع فجأة، تبعثق الماء: تدفق من الحوض.
- بقر: شقّ وفرّق. بيقر: هاجر من أرض إلى أرض.

ويلاحظ أن هذا الضرب تستعمل فيه الصّوامت الزائدة دون تقيّد بموقع ثابت لها، أو بنوع محدد منها، ويبدو لنا أنّ لهذا الضّرب أهميّة كبرى في توليد الصّيغ الرباعيّة من الثلاثي في العربية بمستوييها الفصيح القديم والعامي الحديث [2].

ويمكن تفسير التباين من وجهة نظر علماء اللغة المحدثين: أنّ كثيرًا من الكلمات التي تشتمل على صورتين متماثلتين كل المماثلة، يتغيّر فيها أحد الصّوتين إلى صوت لين طويل – وهو الغالب – أو إلى أحد الأصوات الشّبيهة بأصوات اللين في بعض الأحيان، ولا سيما اللام والنون ... والسّر في هذا؛ أنّ الصّوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنّطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي يقلب أحد الصّوتين إلى تلك الأصوات التي لا تستلزم مجهودًا عضليًا، كأصوات اللين وأشباهها... [3].

ويرى بعض الباحثين" أنّ الدّافع الأساسي في الميل إلى المماثلة أو المخالفة، هو الاقتصاد في الجهد العضلي أثناء النّطق، فظاهرة المماثلة والمخالفة تهدف دائما إلى الاقتصاد في الجهد العضلي، اقتصادا غير إرادي، بل يحدث دون أن يشعر المتكلّم بحدوثه، ودون أن يكون له قصد فيه " [4].

---

(١) عمر، أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص٣٨٦.

(٢) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٢٤.

(٣) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٢١١.

(٤) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٢٥٢.

٥- **الإقحام** (Intrusion): وهو إدخال صوت غير أصلي في تأليف الوحدة المعجميّة الصّوتي، سواء في أولها فيكون الإقحام بدئيًا (Prothese)، أو في وسطها فيكون الإقحام وسطيًا (Epenthese)، أو في آخرها فيكون الإقحام آخريًا (Paragoge)، على أنّ الوحدات المعجميّة المولّدة بالإبدال والقلب المكاني، والتماثل، والتباين، غالبًا ما تتبع في الدلالة الوحدات المعجميّة الأصول التي تولّدت عنها، وأمّا الوحدات المعجميّة المولّدة بالإقحام فغالبًا ما تكون ذات دلالات جديدة، وذلك ما يلاحظ في النّماذج التي تقدمها العربية على الأقل " [١].

وإلى هذا النّوع يعزو العديد من الباحثين التوليد في الصّيغ الرباعية في العربية، يقول ابن مراد في (مقدمة لنظرية المعجم): " ويبدو لنا أنّ لهذه القاعدة دورًا أساسيًا في توليد الصّيغ الرباعية من الثلاثي في العربية، وهذا التّفسير يبدو لنا مقنعًا أكثر من نظرية (النّحت) التي ذهب إليها ابن فارس في معجمه (مقاييس اللغة) بحتر، من بتر وحتر، وهو قائم على تعقيد في توليد الوحدات المعجمية، لا ينشأ عن غير القصد والعمد، وهو يدل على عمل واعٍ في المزج بين الأصول والمفردات والتأليف بينها لتوليد وحدات جديدة، وهذا الوعي أو القصد لا يتماشى وخاصّية (العفويّة) في توليد ألفاظ اللغة العامّة. وهذه الخاصّية تجد لها تفسيرًا في الإقحام الذي يحدث حدوثًا عفويًا عملا بمبدأ (المجهود الأدنى) في استعمال اللغة، فإنّ السبب الرئيسي لإحداثه هو تسهيل التلفظ بالمفردات المثقّلة، إما بالتضعيف الصامتي، وإمّا بالتتابع الصّائتي " [٢].

وهذه القوانين الصّوتية تخضع لها جميع اللغات، لكنها ليست مطّردة دائمًا، بل ربما حدثت انقلابات صوتية نتيجة لعوامل متعددة، وهناك عوامل أخرى استطاعت أن تفسّر آليات التوليد الصّوتي في اللغات، ومنها:

---

(١) ابن مراد، مقدّمة لنظرية المعجم، ص٣٩.

(٢) مقدمة لنظرية المعجم، ص١٤٢.

عامل السهولة والتيسير النّطقي:

تشير إلى أنّ الإنسان في نطقه يميل إلى تلمّس الأصوات السّهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي، فيبدّل بالأصوات الصّعبة في لغته نظائرها السّهلة[١]، فالأصوات في تطورها تهدف إلى الاقتصاد في الجهد العضلي، فالمماثلة تقرّب بين الأصوات المتجاورة في الصّفة والمخرج، وقد يصل هذا التقريب بين الصّوتين المتجاورين أن يُصبحا متماثلين تمام التماثل، وهنا قد تبدأ عملية المخالفة التي تهدف أيضا إلى التقليل من الجهد العضلي ..[٢].

وأنصار هذه النّظرية يدّعون أنّ هذا التطور غير إرادي فهو يحدث دون أن يشعر به المتكلم، ودون أن يعمد إليه قصدًا، والعملية لا شعورية، وهي لهذا بعد تكررها تترك أثرا في تطور كثير من أصوات اللغات، كما أنّها ليست عملية ذات أثر سريع، بل تمرّ في أطوار من اللغة حتّى يظهر أثرها واضحًا جليًا بعد أجيال[٣].

ويمكن إرجاع كثير من التّطورات الصّوتية في لهجات الكلام قديمها وحديثها إلى الميل إلى الاقتصاد في الجهد العضلي[٤]، " هذا ويجب أن ينُظر إلى هذه النّظرية ، لا على أنّها العامل الوحيد في تطور الأصوات، بل على أنّها قد تكون أحد العوامل ذات الأثر البيّن في التّطور الصّوتي، فالتطور الصوتي يخضع لعدة عوامل مجتمعة ..."[٥].

عامل الشيوع:

" تقرر هذه النّظرية أنّ الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال، تكون أكثر تعرّضًا للتّطور من غيرها، فالصّوت اللغوي إذا شاع استعماله في الكلام، كان عُرضة لظواهر لغويّة، كان القدماء يسمّونها حينًا إبدالا، وحينًا آخر إدغامًا، هذا وقد يتعرّض الصّوت الكثير الشيوع للسقوط من الكلام "[٦].

---

(١) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٢١٢.

(٢) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٢١٤.

(٣) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٢٣٥.

(٤) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٢٥٣.

(٥) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٢٣٧.

(٦) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٢٣٨.

ويؤكد العديد من الباحثين على أنّ الكلمات الكثيرة التردد والشيوع في اللغة أكثر عرضة للاختزال والاختصار، والأدوات النّحوية المتنوعة التي يكثر استخدامها في اللغة عرضة للاختصار أكثر من الكلمات الكاملة [١].

وكل من نظريتي السهولة والشيوع تعتبران أكثر عوامل التّطور الصّوتي تأثيرا [٢]، ومن النظريات الأخرى التي حاولت تفسير التّطور الصوتي في اللغة:

تطور أعضاء النّطق:

يزعم بعض العلماء أن تغير الأصوات من جيل إلى جيل، ليس إلا نتيجة تطوّر عضلي في أعضاء النّطق، فقد تبع الاختلاف في تكون أعضاء النّطق تغيّر في الأصوات، يقول إبراهيم أنيس: " ولسنا نعني بتطور الأصوات في اللغة، أنّ القديم منها يفنى فناءً كليًا دون أن يترك أثرًا له، أو أنّ أصواتًا جديدة لا وجود لها من قبل تنمو وتنتشر في الكلام، وإنّما الذي نعنيه هو أنّ الأصوات القديمة تنتقل من مخارجها، وتستعمل في مخارج جديدة، أو يبطل استعمالها في مكانها الأصلي " [٣].

وقد يؤيد هذه النّظرية ذلك التطور الذي حدث في بعض الأصوات الرّخوة للغة العربية، كالذال والثاء والظاء، إذ أصبحت في لغة الكلام أصواتًا شديدة، هي الدال والتاء والضّاد [٤].

أخطاء السمع:

يعزى لهذا السبب العديد من التّحولات الصوتية في اللغة، فهناك انقلابات صوتيّة أخرى ليست إلا نتيجة لأخطاء السّمع، فإنّ الطّفل يعتمد في تلقي اللغة عن المحيطين به على حاسّة السّمع، لمّا كانت هذه الحاسّة عرضة للزلل في إدراكها للأصوات، ولا سيما تلك الأصوات

---

(١) عمر، أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص٣٦٩.

(٢) ينظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص٢٣٨.

(٣) الأصوات اللغوية، ص٢٣٢.

(٤) الأصوات اللغوية، ص٢٣٢.

المتقاربة في المخارج... وقد يخطئ الشخص البالغ كذلك في السّمع، ويخلط بعض الأصوات بأصوات أخرى قريبة منها في المخرج [(١)].

وربما كان لهذا العامل أثرٌ في نشوء بعض حالات التعاقب والإبدال في اللغة، يقول رمضان عبد التّواب: " وإلى هذا السبب، وهو الخطأ السّمعي، يرجع في نظري معظم أمثلة ما يسمّى في اللغة العربية بحالات (تعاقب الأصوات) مثل: جدف، جدث (للقبر)، والحثالة ، الحفالة (للرديء من كل شيء)، والثوم والفوم (للحنطة)، واللفام، واللثام (لغطاء الوجه)، وقحمة وقحبة (للمرأة العجوز)، وكمحته وكبحته (جذبت عنانه) .." [(٢)].

العامل الخارجي: " قد يحدث تطور صوتي في اللغة في فترة معيّنة، أو في إقليم معيّن بسبب خارجي عن اللغة، عن طريق تأثر أصوات لغة بأصوات لغة أخرى، انتقل إليها المجتمع أو احتكّ بها "[(٣)]، أو نتيجة لما يسمّى بالعادة اللغوية لمنطقة ما.

فهناك ألفاظ دخلت إلى العربية كما هي بأصواتها وطريقة نطقها، دون تغيير في صوتها أو بنيتها(دخيلة)، وذلك بسبب انتفاء مقابل عربي لها، أو تفكهًا في استخدام اللفظ الأعجمي، وهو ما يرتبط بجانب نفسي بحت يتمثل في استخدام اللغة الراقية لشعور مركّب بالنّقص.

وبعضها تناله الألسن العربية بالتّغيير بالنّقص أو الزيادة ليناسب الأوزان العربية، ويظهر ذلك بإطلاق مقابل عربي باشتقاقه من جذر عربي (بنية عربية القالب) للكلمة الوافدة، أو استخدام كلمة عربية قديمة في مدلول جديد، وكل هذا يدخل فيما يسمّى بالتعريب الصّوتي في اللغة [(٤)].

---

(١) عبد التواب، رمضان، لحن العامة والتطور اللغوي، ص٣٦.

(٢) لحن العامة والتطور اللغوي، ص٣٦.

(٣) عمر، أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللغوي، ص٣٦٩.

(٤) ينظر: ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٢٠٣.

٢- التوليد الصّرفي:

التعريف: هو إحداث وحدات معجميّة جديدة لها صيغها الصّرفية المستقلّة، ودلالاتها الخاصّة بها، نتيجة ما يطرأ على الجذور والأسس الثابتة أو الجذوع من التغيير أو التحويل أو التركيب (Composition)[١].

طبيعته: توليد شكلي أو صوري، لكن الأشكال أو الصّور المولّدة – وهي الصيغ – تكون ذات دلالات[٢].

وسائل التوليد الصرفي:

ويتم التوليد الصّرفي في العربية بطرق متعددة من أهمها:

- **الاشتقاق**[٣]: أي صوغ وحدة معجمية جديدة ذات بنية صرفية مستقلّة، بسيطة، دالة بنفسها، من أصل ما[٤]، سواء كان اسميا، أو فعليا، أو وصفيا، أو ظرفيا، أو أدويًا، وأقوى الأصول هي الإسمية والفعلية[٥]، والتوليد بالاشتقاق ضروب كثيرة منها: اشتقاق فعل من فعل، واسم من فعل، وصفة من فعل، واسم من اسم، وصفة من اسم، وصفة من صفة...

- **النّحت:** وهو صوغ وحدة معجميّة جديدة بسيطة من وحدتين معجميتين بسيطتين، أو أكثر، وذلك إما بضم إحداهما إلى الأخرى دون حذف، وإما بضم إحداهما إلى الأخرى مع حذف مكوّن أو أكثر من مكوّنات التأليف الصّوتي، في إحداهما أو في كلتيهما[٦]، ويندر في

---

(١) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٤٣.

(٢) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٧.

(٣) جاء في المزهر للسيوطي في باب (معرفة الاشتقاق)، ٣٤٦/١، " الاشتقاقُ: "أخْذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنًى ومادةً أصلية، وهيئة تركيب لها؛ لَيدلّ بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة؛ كضارب من ضرب"، وفي الاشتقاق لعبد الله أمين ص١: " هو " أخذ كلمةٍ من كلمة أو أكثر مع تناسبٍ بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى جميعًا ".

(٤) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٤٣.

(٥) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٢.

(٦) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٩.

ألفاظ اللغة العامّة، ويكاد ينعدم في المصطلحات، وقد أكسبه المحدَثون قدرة توليدية، واعتمدوه في وضع المصطلحات، وخاصة في الوحدات الإسمية[١].

- **التركيب**: ويكون بالجمع أو المزج بين وحدتين بسيطتين أو أكثر لتوليد وحدة معجميّة مركّبة، إمّا تركيبًا إضافيًا، وإمّا تركيبًا مزجيًّا، وإمّا تركيبًا إسناديًا، على أنّ التّركيب الإضافي والتركيب الإسنادي قد تولّد بهما وحدات معجميّة معقّدة، وذلك بالجمع بين أكثر من وحدتين بسيطتين[٢].

- **المَعجمة** (Lexicalisation): وهي توليد وحدة معجميّة جديدة من تعبير، أو من جملة، وهي تختلف عن النحت؛ لأنّ النّحت هو توليد وحدة معجميّة بسيطة من وحدتين معجميتين بسيطتين، أي: من مركب مزجي، أو مركّب إضافي، أو مركّب إسنادي، أو من أداة ووحدة معجميّة تامة بسيطة، فإذا أصبح المركّب جملة أو شبه جملة وولّدنا منه وحدة معجمية جديدة – بسيطة أيضًا – سمّينا قاعدة التوليد (معجمة)[٣]. ويتم باختزال عناصر التركيب المعقد، وتكوين وحدة معجميّة بسيطة منها ذات دلالة عامّة أقل توسعًا وتعقيدًا من دلالة التركيب[٤].

وأمثلتها في العربية قليلة؛ لأنّها ظاهرة ليست غالبة أو مطّردة في العربية لا في القديم ولا في الحديث، ومن أمثلتها: باسم الله (البسملة)، الحمد لله (حمدل)، حسبي الله (حسبل) ، سبحان الله (سبحل)، لا حول ولا قوة إلا بالله (حوقل)، حي على الصلاة (حيعل) ... بأبي أنت (بأبأ)[٥].

---

(١) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٢.

(٢) ابن مراد، مسائل في المعجم ص٤٢، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٥٣.

(٣) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٥٥. يقول: " والمعجمة في هذا السياق عملية تحويلية؛ لأنّها تحول التعبير أو الجملة من الخاصّية التركيبية إلى الخاصّية المعجميّة، أي: من التركيب الذي تتكون دلالته من مجموع دلالات إلى الوحدة المعجميّة المفردة التي تجتمع فيها – أو تختزل – دلالة واحدة عامة أو مخصّصة أقل تعقيدًا أو توسعًا من دلالة التركيب ".

(٤) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٨.

(٥) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٥٦ يقول: " المعجمة ليست النّحت، وليست التركيب، فإنّ تكوّن أصولها من تراكيب نحوية يخرجها من باب المنحوتات والمركّبات المزجيّة والإضافيّة والإسنادية ".

الصّيغ الصّرفية في العربية:

العربية من اللغات السامية، وتصنّف البنية في اللغات السّاميّة بأنها مقيّدة، والبنية المقيّدة تقوم على جذر مؤلّف من صوامت ذات عدد معيّن، فتكون (اثنين، أو ثلاثة، أو أربعة، أو خمسة لا أكثر)[١]، وتزاد إلى هذا الجذر الصّوائت فيُولد ما نُسمّيه (الجِذع) الذي يكون هو نفسه أصلا لجذعٍ آخر أو أكثر، وذلك بأن تزاد إلى الجذوع السّوابق في أوّلها، والدواخل في وسطها، واللواحق في آخرها، زيادة مقيّدة بشروط تلحق المشتقّات بأوزان معلومة محدّدة لأنماط صيغيّة معيّنة[٢]، قد يكون لها دور في تحديد دلالة الوحدة المعجمية[٣].

فالبنية الصّرفيّة حادثة في المفرد، حسب عملية تحويل داخلي، ينتقل بها من مرحلة المركّب الصّوتي إلى مرحلة الجذر، إلى مرحلة الجذع الذي يكون هو نفسه أصلا لجذوع أخرى تتولّد عنه بالاشتقاق، حسب قانون التّحويل الداخلي دائمًا[٤].

والبنية الصّرفية تكون إمّا بسيطة، وإمّا مركّبة، وإمّا معقّدة، والبسيطة في العربية هي المكوّنة من وحدة صرفيّة معجمية واحدة، ومثالها: (كتاب)، و (مكتبة)، و(كتب)، والمركّبة هي المتكوّنة من وحدتين، سواء بالتّركيب الإضافي، مثل:(عصا الراعي)، (لسان المزمار)، أو التركيب المزجي، مثل (الاثنا عشري: أحد الأمعاء) ، أو بالتّركيب الإسنادي مثل: (الاستسقاء الزقي)، (الزائدة الدودية) والمعقّدة، وهي المتكوّنة من أكثر من وحدتين مستقلّتين، مثل: (العصب الوحشي المحرك للمقلة، أم وجع الكبد)[٥].

---

(١) يؤكد علماء النحو والصرف قديما على أنّ أقل الأبنية في العربية الثلاثي، يقول الخليل في العين، ص٤٩:" الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف: حرفٌ يُبتدأ به، وحرفٌ يُحشى به الكلمة، وحرفٌ يُوقف عليه، فهذه ثلاثة أحرف. مثل: سعد وعمر ونحوهما من الأسماء.." يقول ابن جنّي: " إنَّ الأصول ثلاثة: ثلاثي، ورباعي، وخماسي، فأكثرها استعمالاً، وأعدلها تركيبًا، هو الثُّلاثي؛ وذلك لأنَّه حرفٌ يُبتدأ به، وحرفٌ يُحشى به، وحرفٌ يوقف عليه.." الخصائص، ت: محمد علي النَّجار، دار الكتب العلميَّة، القاهرة، ط٢،١٣٧١هـ ١٩٥٢م، ١/٥٥.

(٢) ينظر: ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٠٩.

(٣) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٣٤.

(٤) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٠٩.

(٥) ينظر: ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١١٠.

ومما لحظه الخليل على الصّيغ الرباعية والخماسية في العربية أنّها أكثر عُرضة للوضع والاختلاق؛ لأنّهما أقل جريانًا على الألسنة، وأقل ورودًا في الشواهد اللغوية من الثنائي والثلاثي، ويرى أنّه ليس في كلام العرب رباعي ولا خماسي إلا وفيه من حروف الذلاقة، وهي (الراء واللام والنون)، والأحرف الشفوية، وهي: (الميم والباء والفاء)، يقول: " فإن وَرَدَتْ عليك كلمة رباعيَّة أو خماسيَّة، معرَّاة من حروف الذَلَق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أنَّ تلك الكلمة مُحْدَثة مُبْتَدَعة، ليست من كلام العرب؛ لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة، رباعيَّة أو خماسيَّة، إلاَّ وفيها من حروف الذَلَق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر" [(١)].

ويبدو أثر التوليد الصّرفي واضحا في تطور بعض الصّيغ في بعض اللهجات العربيّة، فصيغة (انفعل) قد عمّت على ألسنة العامّة، وفي لهجات الخطاب، للتعبير بها عن المبني للمجهول، حتّى كادت صيغة المبني للمجهول الأصليّة تندثر في كثير من اللهجات العربيّة الحديثة، وينوب عنها في الدلالة على الجهل بالفاعل، صيغة (انفعل) [(٢)].

القياس الخاطئ:

ومن الظواهر الأخرى المتعلّقة بالتوليد الصّرفي ما يسمّى بالقياس الخاطئ، فقد يكون له دورٌ في عملية التوليد اللغوي، وهو مخالفة القياس ما شاع في اللغة، ويبدأ عادة عند فرد يقوم به للمرة الأولى، ثمّ قد لا يصلح له، فينتشر ويزيد، ويقلّده غيره من النّاس، ومن هنا ينشأ ما يسمى (بالأخطاء اللغوية الشائعة) التي يمكن أن تتطور، وتتغلب على القديم، وتسود وحدها في أذهان النّاس [(٣)].

ويبدو أثره واضحًا في تطور الصّيغ والدلالة في بعض الأحيان؛ فتشابه كلمة (سراويل) وهي مفردة في اللغة الفارسية، بصيغة من صيغ الجمع المكسّر في العربية، وهي صيغة (فعاليل)، جعل العرب يقيسونها على تلك الصّيغة من صيغ الجمع، ويشتقّون لها مفردًا قياسًا على

---

(١) الخليل، العين، ٢/١.

(٢) ينظر: عبد التواب، رمضان، (تفسير الشواذ في العربية)، مجلة مجمع اللغة العربية، ٤٤/٥٠.

(٣) عبد التواب، رمضان، لحن العامة والتطور اللغوي، ص٤٢.

مفردات ذلك الجمع، فيقولون (سروال) ، وقد عرف القدماء هذه الظاهرة، وسمّوها (بالتّوهم) أو (الحمل) أو (القياس الخاطئ) أيضًا [(١)]، وفي كتاب سيبويه: " فأما قولهم مصائب، فإنّه غلطٌ منهم، وذلك أنّهم توهموا أنّ مصيبة فعيلة، وإنّما هي مُفعلة " [(٢)].

٣- التوليد في التراكيب النّحوية والأساليب:

تُعد التراكيب النحوية ونظام الجملة عنصرَ ثبات في أي لغة من اللغات، وعملية تطورها تسير ببطء شديد، وقد يحدث تطور محدود أو غير ملحوظ خلال أجيال متلاحقة، " وهناك دلائل كثيرة تشير إلى أنّ تغيّر اللغة قد صاحبه جمود في القواعد النّحوية، ومع ذلك كان هناك اتّجاهٌ نحو اعتبار النّماذج القديمة بمثابة المُثل اللغويّة، والنّظر إلى النّماذج الحديثة التي طرأت على أساليب الكلام على أنّها انحرافٌ وابتذال يجب مقاومته والتّقريع عليه " [(٣)].

وفي العربية نجد بعض تلك التراكيب المضطربة عدّها علماء البلاغة من عيوب الفصاحة في الكلام، كضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيد اللفظي والمعنوي، وعدّوا فصاحة الكلام خلوصه من تلك العيوب [(٤)].

فمن أمثلة ما ورد من تلك التراكيب المخالفة لشرط الفصاحة، ما ذكره صاحب الإيضاح: " وأما فصاحة الكلام فهي: خلوصه من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيد مع فصاحتها، فالضعف كما في قولنا: (ضرب غلامه زيداً) فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظاً ممتنع عند الجمهور؛ لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر لفظاً ورتبة... والتنافر منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان، وعسر النطق بها متتابعة كما في البيت الذي أنشده الجاحظ: (الرجز)

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

ومنه ما دون ذلك، كما في قول أبي تمام: (الطويل)

كريمٌ متى أمدحهُ أمدحهُ والورى ... معي وإذا ما لمتهُ لمتهُ وحدي

---

(١) عبد التواب، رمضان، لحن العامة والتطور اللغوي، ص٤٢.

(٢) سيبويه، الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ٣٥٦/٤.

(٣) ماريو باي، أسس علم اللغة، ص٢٢٨.

(٤) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١/١ .

فإن في قوله: (أمدحه) ثقلاً ما ؛ لما بين الحاء والهاء من تنافر.

والتعقيد أن: لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به، ومنه، ما يرجع إلى اللفظ، وهو أن يختلّ نَظم الكلام، ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه كقول الفرزدق: (الطويل)

وما مثله في الناس إلا مملّكاً ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

ففصل بين: أبو أمه، وهو مبتدأ، وأبوه، وهو خبره، بحي وهو أجنبي، وكذا فصل بين حي ويقاربه، وهو نعت حي، بأبوه وهو أجنبي، وقدّم المستثنى على المستثنى منه، فهو كما تراه في غاية التعقيد، فالكلام الخالي من التعقيد اللفظي: ما سلم نظمه من الخلل، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل، من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك، إلا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية " [(١)].

فللعربية نظامها الخاص في تأليف الكلام، ونسق التراكيب، وللجملة العربية نظامها الخاص، بحيث لا يخرج الكلام عن حدود الفصاحة، وغايته الإفهام والتبليغ، لذا عابوا كل تركيب يظهر فيه ضعف في التأليف، أو تعقيد لفظي أو معنوي يخالف أسلوب العربية.

وقد يكون التعقيد في استخدام الكلام في غير موضعه، أو استعمال التراكيب في غير سياقها، كما عابوا قول من قال: (افتحوا سيوفكم)، ومن عبّر بـ (است الأرض)، ومن استخدم جمود العين كناية عن المسرّة[(٢)]، يقول القزويني في الإيضاح: " فالكلام الخالي عن التعقيد المعنوي: ما كان الانتقال من معناه الأول إلى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهراً حتى يخيل إلى السامع أنه فهمه من سياق اللفظ "[(٣)].

وهذه التراكيب المضطربة التي لا تتفق والقواعد المتبعة في نظم الكلام العربي، قليلة في كلام العرب، وقد تنسب بعض التراكيب الشاذة إلى بعض القبائل العربية، ويقتصر استعمالها عليهم،

---

(١) القزويني، الإيضاح، ١/١.

(٢) يقول القزويني في الإيضاح ٢/١: " وأخطأ؛ لأن الجمود خلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها فلا يكون كناية عن المسرة وإنما يكون كناية عن البخل ...".

(٣) الإيضاح، ٣/١.

فمن ذلك ما أسماه سيبويه لغة (أكلوني البراغيث)، وكذلك بعض ما يذكره النّحاة في التراكيب الخارجة عن القواعد، والتي وصموها بالشذوذ، ومنها: الفصل بين المتضايفين، وما يجوز للشاعر في الضرورة، وما يجوز للشعراء من الاستعمالات الشاذة من باب التّوسيع عليهم، وليس من باب القاعدة التي يقاس عليها.

ومن تلك الظواهر التركيبية المنسوبة إلى لهجات العرب: " ترك الإعراب في التراكيب النّحوية، وقد حكى اللغويون ترك الإعراب عن تميم، وذهب النّحاة مذاهب شتّى في تعليل ما وجدوه من الشواهد والأمثلة غير معرب، فقالوا: إنّه تخفيف، أو إنّه وصل بنيّة الوقف، أو غير ذلك من عبارات تقليدية..ومما يتصل بالإعراب إسكان آخر الفعل المضارع في الوصل، فتقول: أخي يسافرْ معي، وهو محكي عن العرب، وعليه بعض القرآءات في آيات من التنزيل. ومنه: حذف نون الرفع، لغير ناصب أو جازم، فتقول: أنتم تُحِبوا الحق، وهو جائز في فصيح الكلام، ولو لم تكن هناك ضرورة. ويتصل به كذلك الوقوف بالسكون على الأسماء في حالة النّصب، مثل: أكلتُ كبابْ، وشربت شرابْ، وقد نسب ذلك إلى قبيلة ربيعة. ويتصل به كذلك إشباع الكسرة في تاء المخاطبة، حتّى تنشأ ياء، فتقول للمرأة: أنتِ أكلتيه، وشربتيه، وذلك مسموع، وقد ورد في حديث نبوي: في مخاطبة امرأة: { لو راجعتيه ..} "[1].

ويظهر التوليد في التراكيب أيضًا عند ترجمة العلوم ونقلها إلى العربية، أو نقل الأساليب الأجنبية إلى العربية، فيما سمي بتعريب الأساليب[2]. بيد أنّ تتبع مثل هذه الأساليب المعرّبة في العربية القديمة ضرب من المغامرة؛ لأننا لا نمتلك معلومات كافية عن الأنماط التركيبية الأعجمية المؤثرة في النّظام التركيبي العربي في القديم بعكس الأساليب الحديثة التي طغت في لغة الصحافة والإعلام في المجتمعات العربية[3].

---

(١) هذه الأمثلة على بعض التراكيب اللهجية، ذكرها محمود تيمور، في كتابه (مشكلات اللغة العربية)، ص١٩٠. والحديث ورد في سنن ابن ماجه حديث (٢٠٧٥)، ٦٧١/١، والنسائي (٥٤١٧)، ٢٤٥/٨. قال الألباني: صحيح.

(٢) تحدث المغربي في مقال له عن (تعريب الأساليب) في مجلة مجمع اللغة العربية، ٣٣٢/١، ونقله علي عبد الواحد في فقه اللغة، ينظر: تعريب الأساليب، ص١٨٠.

(٣) أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة العديد من الأساليب المعرّبة، ينظر: (القرارات المجمعيّة في الألفاظ والأساليب) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المطبعة الأميرية، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، وينظر: إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، (تعابير أوربية في العربية الحديثة)، ص٢٨٣.

وسبب الاختلاف بين اللغويين فيما يجوز من التراكيب، وما لا يجوز، يعود إلى تحديد المستوى الصّوابي، وهكذا لم يتّفق كثير من اللغويين على مقياس محدّد يقوم على أساسه الحكم بالصّحة أو الخطأ، فمنهم من سلك مسلكًا متشددًا بالوقوف على ما سمع، وعدم الاعتراف إلا بالأفصح، ومنهم من يرى أنّ من يتكلّم بلهجة من لهجات العرب، أو يقيس عليها، ولو كانت نادرة أو رديئة، فهو مصيب غير مخطئ[(١)].

والاتفاق قائم بين علماء الألسنية حالياً، على أن المستوى الصوابي للغة ما، مرتبط في عرف الحداثة بالصورة التي يرتضيها المجتمع للغته، فالاستعمال الشائع أقوى من كل قاعدة، وأساس لكل قاعدة، وبعدم الاعتراف بالمُتغيّر تَأْسَن اللغة، كما بغير الثابت تَنْفَلت[(٢)].

٤- التّوليد الدلالي:

التوليد اللغوي من المباحث المهمة في علوم اللغة، ويدخل في العديد من مستويات اللغة، وخاصة في مستوى الدلالة، فالتوليد يتعلّق بالمعاني وتطورها، واحتياجها إلى ألفاظ جديدة.

التعريف: عبارة عن إسناد مدلول جديد إلى دال قائم في الاستعمال اللغوي، أو هو انتقال دال عن مدلول أصلي كان مقترنًا به إلى مدلول جديد لتكوين دلالة معجمية، أو مفهوميّة جديدة[(٣)]، أو إحداث مدلولات جديدة في اللغة تُحمّلها دوال موجودة فيها[(٤)]،" وتحويل الدوال والمدلولات عن مواضعها، وبلاها، مؤديان إلى تولّد وحدات معجميّة جديدة، فإنّ التحويل نفسه توليد .."[(٥)].

طبيعته: ليس توليدًا صوريا أو شكليا، فهو توليد لمدلولات جديدة دون الدوال، " وتستجيب الأمم عادة لمظاهر الحياة، فتعمل على تغيير الدلالات في بعض ألفاظها، حتّى يمكن

---

(١) ينظر: الجندي، أحمد علم الدين، (في التركيب اللغوي)، مجلة مجمع اللغة العربية، ١٢١/٧١.

(٢) ينظر: الأقطش، عبد الحميد، (التوليد اللغوي على وزن (فعلنة) في الاستعمال العربي المعاصر)، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٧٩ (ص ٤٩- ٧٦).

(٣) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٥٧.

(٤) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٨.

(٥) ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٤٠.

أن تساير الزّمن، أو تستعير ما هي في حاجة إليه من ألفاظ اللغات الأخرى" [(١)]، ويمكن بناءً على ذلك أن نصنّف التوليد إلى نوعين:

١- **التوليد بالمجاز**: بأن تنتقل بوحدة معجمية ما من دلالتها الأصليّة التي وضعت لها في أصل استعمالها إلى دلالة جديدة، ويكون ذلك الانتقال إمّا: بتوسيع الدلالة الأصليّة توسيعًا مؤديا إلى التعميم، وإمّا بتضييقها تضييقًا مؤديًا إلى التّخصيص، على أنّ الدلالة الجديدة غالبًا ما تكون بينها وبين الدلالة الأصلية علاقة أو قرينة ظاهرة، فالمجاز إذن هو: إسناد دالّ ما أصلي، إلى مدلول مُحدَث [(٢)]. وهذا الضرب من التغيير لا يزال من أقوى القواعد لتوليد المداليل الجديدة التي تقترن بالدوال، فتتكون منها معًا الوحدات المعجميّة الجديدة بنوعيها: العامّة والمخصّصة، أي: ألفاظ اللغة العامّة، والمصطلحات .. [(٣)].

٢- **التوليد الدلالي عن طريق الترجمة الحرفية أو النّسخ**: والترجمة الحرفية ضرب من الاقتراض المعجمي الدلالي، ينتقل فيه المدلول دون الدال، من لغة مصدر (مقرِضة) إلى لغة مورد (مقترِضة)، أي أنّها تكون بإسناد مدلول غير أصلي – لأنّه مقترض – إلى دال قائم الاستعمال في اللغة المقترضة [(٤)].

وقد كان لهذا الضرب من التوليد أثر مهم في العمل المصطلحي العربي القديم، وخاصة في ما سمّي علوم العجم أو العلوم الدخيلة... أما العربية الحديثة فإنّ أثر الترجمة فيها كبير، سواءٌ في ألفاظ اللغة العامّة، أو في المصطلحات [(٥)].

والتوليد الدلالي أحد نوعي التوليد اللغوي، وقد يتم هذا التوليد بطريقة عفوية في ألفاظ اللغة العامّة، أو يتم بطريقة مقصودة متعمدة، يقوم بها أفراد مختصون، أو موهوبون في صناعة الكلام في المجتمع، أو هيئات ومجامع لغوية [(٦)].

---

(١) أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، دار المعارف، ط٦، ١٩٨٦م ص١٤٦.

(٢) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٥٧.

(٣) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٥٧.

(٤) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٥٨.

(٥) ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص١٥٩.

(٦) ينظر: أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص١٣٤.

وعن هاتين الوسيلتين المهمتين في التوليد الدلالي يقول إبراهيم أنيس: " ووجد الإنسان نفسه مضطرًا إلى التّطور في الألفاظ المعبّرة عن أدواته، ومواصفاته، وصناعاته، وملابسه، وأبنيته، فلجأ إزاء هذه الضّرورة إلى وسيلتين:

أولاهما: أن يعمد إلى الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة، فيحيي بعضها، ويطلقه على مستحدثاته، ملتمسًا في هذا أدنى ملابسة، ومن الألفاظ القديمة الصّورة، الجديدة الدلالة: المدفع، الفتيلة، الدّبابة، اللغم، السّيارة، الطّيارة، البريد، الحافلة، القاطرة، القطار، الثّلاجة، السّخان، المذياع، الجريدة، وغير ذلك من الألفاظ التي أحياها النّاس، أو اشتقّوها، وخلعوا عليها دلالات جديدة، تطلبتها حياتهم الجديدة " [(١)].

وربما دعت الحاجة إلى اقتراض ألفاظ من اللغات الأخرى اختصّت بها تلك اللغات، يقول إبراهيم أنيس عن هذه الطريقة: " وقد تدعو الحاجة أو الضرورة إلى الالتجاء إلى ألفاظ اللغات الأجنبية، فيستعار منها ما تمس الحاجة إليه حينا، وما لا حاجة إليه حينا آخر، فاللغات يستعير بعضها من بعض، إما لأنّ الألفاظ المستعارة تعبّر عن أشياء تختص بها بيئة معيّنة، ولا وجود لها في غير هذه البيئة، أو تكون الاستعارة لمجرّد الإعجاب باللفظ الأجنبي، وتقتصر الاستعارة عادة على الألفاظ والكلمات، ولا تكاد تتعداها إلى العناصر اللغوية الأخرى، كالتّصريف والاشتقاق وتركيب الجُمل.." [(٢)].

وهذه الدلالات الجديدة للألفاظ قد تلقى قبولا في المجتمع، فتتداول وتشيع وتنتشر، " وقد يصل الشّيوع بالدلالة الجديدة حدًا، تُنسى معه الدلالة القديمة نسيانا تاما، فلا يبقى لها أثرٌ في أذهان النّاس، ويمكن أن نعزو هذا التطور الدلالي إلى عاملين أساسيين، لكلٍ منهما عناصره ومقوماته: الاستعمال، والحاجة "[(٣)]، " فكثرة الاستعمال تُبلي الكلمات في معناها وفي صيغتها، ولا سيما إذا كانت من الكلمات المعبّرة، لأنّ قيمتها التعبيرية تتضاءل بسرعة في الاستعمال، فتُصبح الكلمة معتمة بالية .." [(٤)].

---

(١) أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص١٤٨.

(٢) أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص١٤٨.

(٣) أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص١٤٨.

(٤) ج. فندريس، اللغة، ص٢٤٧، وفي موضع آخر يقول: " وتعدد الاستعمال يؤدي إلى خلق كلمات مختلفة " ص٢٨٦.

ولتجديد دلالات المفردات طرق شتى تلجأ إليها اللغات عادة، فتحول دلالة اللفظة من معنى عام إلى معنى خاص، وهذا ما يطلق عليه (تخصيص الألفاظ) أو (تضييق الدلالة)، وقد يقع التخصيص بقرينة استعمال اللفظ في سياق معيّن من الكلام، وبحسب بيئة المتكلم، أو المخاطب، أو مناسبة الكلام(١)، أو تحول اللفظة من معناها الخاص إلى معنى عام، ويسمّى (تعميم الألفاظ) أو توسيعها، وقد تلجأ اللغات إلى النقل أو الاستعارة، أو إلى وسائل أخرى، وفي ذلك يقول ج. فندريس: " العمليات اللغوية التي بها تتجدد المفردات، يمكن إرجاعها بسهولة إلى بضعة أنواع عامّة، والموارد التي يمكن للغات أن تستنبطها من ذات نفسها محدودة، عندما يلجأ الإنسان إلى كلمة عامة، فينوط بها – بواسطة التّخصيص – استعمالا خاصا، أو إلى كلمة ما فيدير معناها بواسطة الاستعارة أو النّقل، ويكون بذلك قد فعل كل ما في وسعه في حدود المفردات الموجودة في اللغة، وهذا خلقٌ للمعاني لا أكثر من ذلك، ... ومن الطرق الشائعة عند تسمية شيء جديد أن يطلق عليه اسم مخترعه أو مروجه أو بائعه، أو من ساعد على نجاحه بأي وسيلة من الوسائل .." (٢).

ولا ريب في أنّ لهذا النوع من التوليد أهمية كبيرة في رفد وزيادة الثروة اللغوية، عن طريق الاشتراك اللفظي، وإصباغ دلالات جديدة على الألفاظ، ويؤكد هذه الأهمية محمود تيمور، يقول: " وثمّة باب آخر أكبر من ذلك الباب سعة، تزدحم فيه كلمات عاميّة، جذورها عربيّة، وصيغتها كذلك عربية، ولكن الجديد فيها هو تحديد الدلالة، أو تخصيص المعنى، أو إطلاق ما قيّد منه، وهو في الجملة إشراب اللفظ مدلولا مولدا لا ينشز عن مدلوله الأصيل، ولا يتنكّر لمعناه القديم، ولقد كان حقا أن تحتمل الألفاظ العربية على ألسنة العامّة دلالات جديدة، وأن تكتسي صبغة مجازية خاصّة .." (٣).

---

(١) ينظر: المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص٢٢٠، ومثّل عليه بلفظ (موسم) بالنسبة للزراع أو الرعاة أوالصناع أو الباعة.

(٢) ج. فندريس، اللغة، ص٢٩٠. ومن الألفاظ التي توسعت دلالاتها في العربية: الكفر، النّفاق، الفسوق، الإيمان، الشريعة، البأس ... ومن الألفاظ التي تخصصت دلالاتها: الطهارة بمعنى الختان، السيارة، القطار، الحريم ... ينظر: أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص١٥١.

(٣) مشكلات اللغة العربية، ص٢٢٠.

ومن هنا يتضح ما تميّزت به العربية من سمات تجعلها تتبوأ مكانا مرموقا بين لغات العالم الحية، وما أوتيت من قدرة على العطاء، والاتساع والنماء.

وحُقّ لنا أن نصف العربية بأنّها لغة ولاّدة، تسمح لها وسائلها المرنة بالتّوسع والزيادة، وهي لغة محافظة وتجديد، تجمع بين صفتي الثبات والمرونة، ويتضح ثبات العربية من خلال نظام قواعدها المستقر، وثبات أصواتها وصيغها الصرفية، أما صفة المرونة فتتضح من خلال قابلية العربية للتّطور عن طريق التجدد والابتكار وتوليد المفردات، وهذا يؤكد قدرتها وطواعيتها لمواكبة مستجدات الحياة الحضارية.

وإنّ مرونة العربية وحيويتها لا يعني تفلّتها، وإنّ ثباتها في أصولها و محافظتها على نظامها لا يعني جمودها، وإنّ تسامحها مع غيرها من اللغات لا يعني ذوبانها، وإن تواصلها مع الماضي لا يعني انقطاعها عن الحاضر، فالعربية ما فتئت تمد الحضارة، وتواكب العصر بما أوتيت من قدرة على العطاء، ومرونة في الوسائل، واستجابة للمستجدات الطارئة .... كل ذلك جعلها تتبوأ مكانة فريدة بين اللغات ..

وقد استطاعت أن تحتوي الثقافات الأخرى بوسائل عديدة، وعلى رأس هذه الوسائل: الخاصة الاشتقاقية، والمجاز وطرائق الترجمة والتعريب؛ وقد أصبحت نتيجة لذلك لغة الحضارة والعلم في فترة مهمة من تاريخ البشرية، وأصبحت رباطا وجسرًا تنتقل من خلاله ثقافات وتراث العصور السالفة لتستوعبها العصور الحديثة الراهنة.

وهذا يؤكد مدى قدرة العربية على استيعاب ألفاظ الحضارة والحياة، ومصطلحات العلوم والفنون المختلفة، فقد مكّنتها وسائلها الكامنة في داخلها من استيعاب مفردات الحضارة، فأصبحت لغة علمية عالمية.

البـاب الثّـانـي: (الدراسة التحليلية الوصفية)

الفصل الأول:
مجالات التوليد اللغوي في مدونة التنوخي

الفصل الثاني:
التوليد في مستويات الاستعمال في مدونة التنوخي

الفصل الثالث:
مظاهـــر التوليـــد اللغوي في المدونة

الفصـل الرابع:
الصياغة الكتابية (التمثيل الكتابي) للألفاظ المقترضة في المدونة

الفصل الأول
مجالات التوليد اللغوي في مدونة التنوخي

الفصل الأول: مجالات التوليد اللغوي في مدونة التنوخي

ثمة علاقة بين التوليد اللغوي والتطور الاجتماعي والعلمي، وثمّة علاقة بين تقدم العلم وظهور مصطلحات جديدة، فالحركة العلمية في العصر العباسي استدعت ظهور مصطلحات بوسائل تسمح بها قواعد اللغة نفسها، ولا تقدم لعلمٍ لا يوازيه نشاطٌ لغوي اصطلاحي يدقّق المفاهيم، وهناك تغير حتمي يكون تعبيرا عمّا يصحب أي تحول اجتماعي أو ثقافي وديني، ويظهر في مستوى المفاهيم والقيم، ومن ثمّ في مفردات اللغة المعبّرة عنها.

وتزخر مدونة التنوخي بالعديد من مجالات التوليد اللغوي ومظاهره المختلفة، سواء في ألفاظ اللغة العامة التي يغلب عليها العفوية، أو في مصطلحات العلوم والفنون التي يغلب عليها التعمد في توليدها، أو غيرها من أنشطة الحياة المتعددة.

وهذه المجالات تعكس فكر المجتمع، وتصوّر الحياة فيه، وترسم صورة صادقة عما يعتمل في داخله من معتقدات وأفكار، وجوانب الحضارة المادية والروحية، ونفسيات الشعوب، ودرجات تفكيرها ووعيها، فاللغة في أي مجتمع أداة الفكر، ومادة التعبير والشعور.

وفي عصر التنوخي ظهرت ألفاظ كثيرة لم تكن معروفة من قبل، إضافة إلى ألفاظ قد تغيّرت دلالاتها مع تطوّر العصر، وهذه المولدات في ألفاظ اللغة العامة، ومصطلحات العلوم والفنون، منها ألفاظ استعملت في عصره فعُدّت مولّدا لا يرقى إلى مرتبة الفصيح، وبعض هذه الألفاظ قد فرض نفسه في بيئة القرن الرابع الهجري، وبعضها الآخر ما لبث أن انزوى واختفى.

أما المجالات التي حدث فيها التوليد فمتعددة ومتشعبة، وسيكون الحديث عنها بحسب التفريعات الآتية:

أولا: التوليد اللغوي في ألفاظ الحياة العامة: وتتفرع إلى ألفاظ الحياة السياسية، وألفاظ الحياة الاقتصادية، وألفاظ الحياة الاجتماعية.

ثانيا: مصطلحات الطب والعلوم والفنون المختلفة: وتتفرع إلى مصطلحات الطب والأدوية والأمراض، ومصطلحات المعادن والنّبات والحيوان، والمصطلحات العلميّة والفلسفيّة.

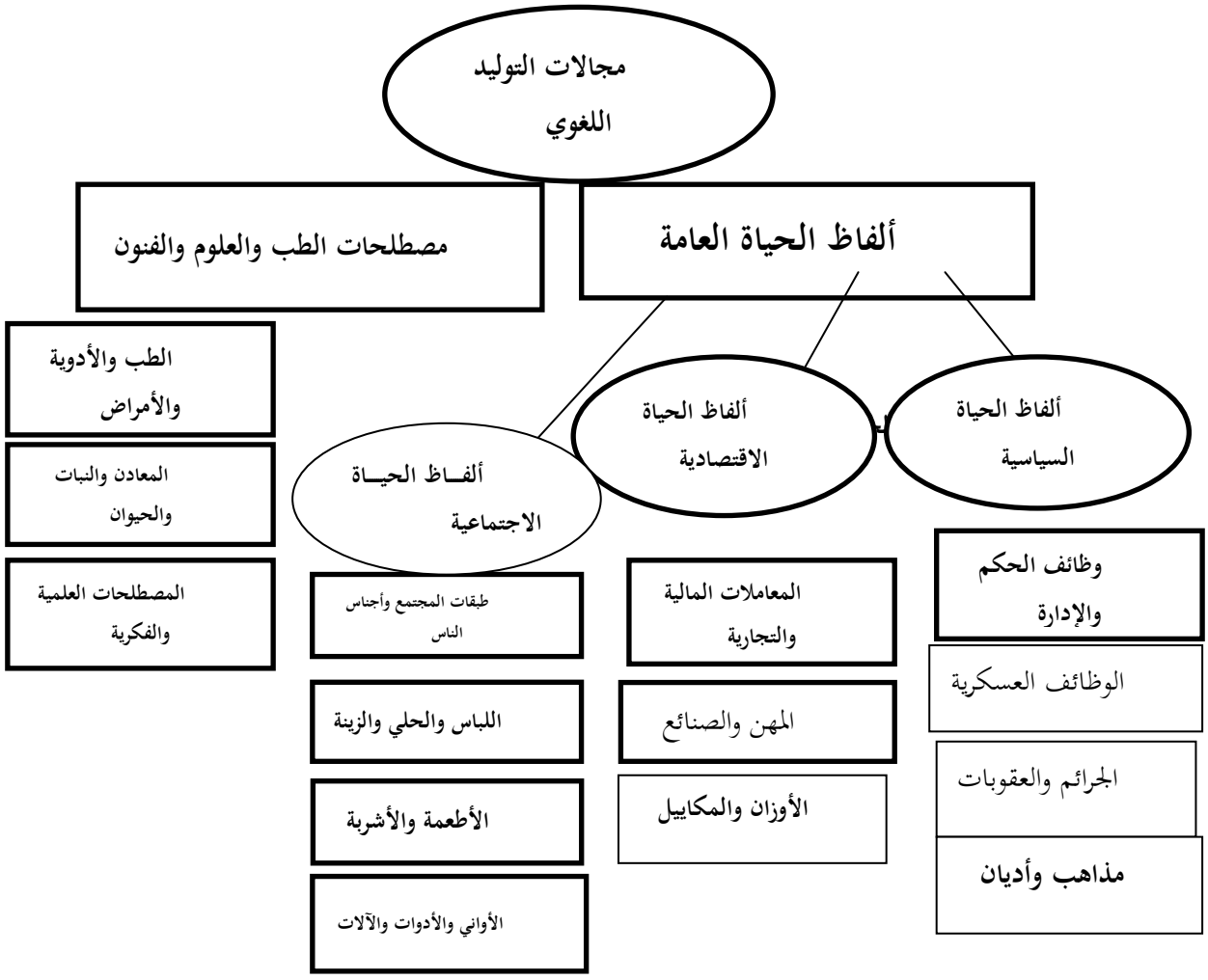

أولا: مجالات التوليد اللغوي في ألفاظ الحياة العامّة:

١- ألفاظ الحياة السياسية:

وهي الألفاظ المتعلقة بأنظمة الحكم السياسية والإدارية، وألقاب الحاكم، ووظائف القصر التابعة، والرتب السياسية والعسكرية، وفرق الجيش، والأسلحة الحربية، وأعمال القضاة وأنواع العقوبات والجرائم، ومرتكبيها، إضافة إلى الطوائف الدينية والنِّحل والفِرق، والعقائد والأديان السائدة في المجتمع العبّاسي:

– الدواوين ووظائف الحُكم وإدارة الدولة:

دعت الحاجة إلى إنشاء دواوين ووظائف لإدارة الدولة، بسبب اتساع مظاهر ومجالات الحياة، وقد كانت من قبل مقتصرة على دواوين الأصول، ولم تكن في أيّامهم دواوين أزمّة، وفي أيّام الدولة العبّاسية اتسعت الدواوين وتشعّبت، واحتيج إلى إنشاء دواوين جديدة، وتفريع الدواوين السابقة، وفي نصوص نشوار المحاضرة رصدٌ لأنواع الدواوين المتعددة، وأبرزها:

ديوان الدار: وهو أهم دواوين الدولة، والقائم عليه بمنزلة رئيس مجلس الوزراء، فهو الجامع لكل الدواوين، ومن مهمته: الإشراف على الخراج، وأعمال دواوين المشرق والمغرب والسّواد [1]، وفي المدونة (٣٩/٨) : " لما قلّدني عليّ بن عيسى، في وزارته الأولى، ديوان الدار، الجامع للدواوين ..".

ديوان الأزمّة والتوقيع (٣٥/٨، ١٣٤) : من الدواوين المهمة في إدارة الدولة، وإليه تصدير القرارات وإيراد الرسائل، وتنسيق الدواوين، والربط بين أنظمة الدولة المتعددة ودواوينها، ومن مهماته الرئيسية: مراقبة الحسابات العامة، ووضع ميزانية الدولة، وفي المدوّنة (٣٥/٨) : " وهو إذ ذاك يتولى دواوين الأزمّة، والتوقيع، وبيت المال ..".

ديوان الخراج: ، وهو من أهم دواوين الدولة العباسية، إذ كان يهتم بعائدات المستغلات من الأراضي الزراعية، والضرائب في المعاملات المالية، وغيرها، وفي المدونة، من أقوال أبي العباس بن الفرات: (٢٣/٨) " ومن صلح لديوان الخراج، صلح للوزارة ".

ديوان المَعاوِن: وهي مراكز الشرطة وإداراتها في المناطق، وصاحب المعونة هو المتولي ضبط أمور العامة، ويقوم بأعمال تقابل ما يقوم به اليوم (وزير الداخلية أو مسئول الأمن العام)، (ينظر: ٢١٩/١، ٣٤١، ١٥٨/٤، ٦٧/٨، ١٢٦، ١٤٣، ١٦٩).

ولكلّ ديوان نظامه الخاص، وأعماله المناطة به، وعلى سبيل المثال، نجد ديوان البريد يهتم بالصادر والوارد من دار الخلافة إلى سائر الأقاليم، ورفع تقارير خاصة عن الولايات والأعمال، والعمّال، وكافة مرافق الدولة للاطلاع، واتخاذ ما يراه الخليفة من قرارات بناء على ما وصله، ومثله: (ديوان الرسائل)، الذي كانت مهمته إنشاء الرسائل، والمراسلة إلى العمّال وأصحاب الولايات والجيش وغيرهم، وكان صاحب ديوان الرسائل (صاحب الدواة) يجلس

---

(١) ينظر: السامرائي، حسام الدين، المؤسسات الإدارية في الدولة العبّاسية، دار الفكر العربي، ١٤٠٣هـ، ص٢٠٢.

بين يدي الخليفة، أو الوزير، ويوقّع بين يديه، ويختم، ويشرف على الصادر والوارد، وأرشفة الرسائل (ينظر: ٤/ ٤١، ٨٩/٤، ١٣٦/٨، ١٤٣).

ومن الدواوين الأخرى: ديوان السّواد، ديوان الضّياع، ديوان الدار، ديوان المَعاون، ديوان الخاصّة، ديوان البريد، ديوان الرسائل، ديوان المظالم، ديوان القضاء، ديوان المغرب، ديوان المشرق، ديوان زمام الجيش.

وكان لكل ديوان تفريعات إدارية، وتشعُبات متعددة، تسمى عادة (مجالس)، وكان ديوان الدار يشرف على أعمال جليلة في إدارة الدولة، ومنها: مجلس المشرق، ومجلس المغرب، وتحوّل المجلسان فيما بعد إلى دواوين مستقلة، ويعود استحداث مثل هذه الدواوين والمجالس إلى بعض الوزراء في الدولة العبّاسية؛ لما رأوا اتساع شئون وإدارات الدولة، وفي المدونة (٧١/٤): " وقد كان أبو العبّاس، أحمد بن محمد بن الفرات، في خلافة عبيد الله ابن سليمان، على الأمور، عمل ديوانا سماه: ديوان الدار، وجمع إليه سائر الأعمال، ودبّره بنفسه، وكتّابه "، وفيه: " وانتزع مجلس المشرق، من ديوان الدار، وجعله ديوانًا مفردًا .." وينظر: (٣٢،٤٠/٨)، ومن تلك المجالس: (مجلس المقابلة) في ديوان الخاصة، ويهتم بمراقبة كفاءة الجند بعد إثباتهم، وإجراء التحقيقات السّرية والمصادرات لكبار رجال الدولة ينظر:(١٩١/٨)، ومنها: مجلس الحساب في ديوان الضِياع ينظر: (١٩٦/٨) [1].

– الوظائف والألقاب العليا في الدولة:

برز في مدونة القاضي التنوخي ألقاب ورُتَب سياسية، اشتهرت في نظام الحكم العبّاسي في القرن الرابع الهجري، ويمكن تصنيفها إلى:

مراتب عليا: الملوك، الخلفاء، الوزراء، العمّال (أصحاب الولايات)، السّادة، الأمراء، الرؤساء، مشايخ الحضرة ، القضاة، أصحاب الدواوين، أرباب الخراج..

وظائف تابعة: الحاشية، الحاجب، الحجّاب، ركّابيون ج ركابي، الفراشون، عرّيف الفراشين، القهرمان أو القهرمانة، جمعها قهارمة، وصيفة جمعها وصائف، النّدماء، جواري، خدم، الخادم، حاجب الكسوة، رئيس الاسطبل، الشاكرية، أصحاب الستور، داية.

---

(١) ينظر: نشوار المحاضرة، ١٩٦/٨، وينظر: السامرائي، حسام الدين، المؤسسات الإدارية، ص١٩٧، ٢٥٦.

– أصحاب الدواوين:

كان لكل ديوان (صاحب) أو مسئول يدير شئونه، ويتبعه موظفون وكتّاب يقومون بأعماله، وفي المدونة رصدٌ لعديد القائمين على وظائف الدواوين العليا، والمناطق والأقاليم، ولعل أبرزهم، وأعلاهم شأنا بعد مرتبة الخلافة، والإمارة، والوزارة، ما يسمّى بالحاجب الأجل، أو حاجب الحُجّاب[1]، ويكلّف عادة بتسيير أمور الدولة، وفي المدونة (٢٤٥/٣): " ثم أُطلق القائد، وسمِّي بالحاجب الأجل، ورُدّت الضمانات إليه ..".

ومن الوظائف العليا في إدارة الدولة المبدوءة بلقب (صاحب) [2] :

صاحب الدواة (٥٩/٥) : المسئول عن كتابة الخطابات وتنسيق المعاملات وأرشفة المكاتبات والرسائل، وتنظيم الصادر والوارد.

صاحب مجلس المقابلة في ديوان الخاصّة (٨/ ١٩١) : من يتولى الإشراف على عمليات التحقيق، والمصادرات مع كبار الدولة، والمسئول عن اختيار الجند ووظائف الدولة المهمة.

صاحب خبر السر (٣١٩/١) : واختصاصه يتمثل في جمع المعلومات من المخبرين إلى صاحب ديوان البريد، أو الخليفة مباشرة، وكان لكل إقليم صاحب خبر سر، مهمته رفع تقرير عن الوالي والولاية.

صاحب خبر (٢٧٧/٣، ٢٧٨) : وهو موظف تابع لصاحب ديوان البريد، مهمته تتبع ونقل أخبار العمّال والأماكن ومراقبة الموظفين، وفي المدونة (٢٨٢/٣):" أنا صاحب خبر المعتضد عليك، منذ كذا وكذا شهرا، أفعل كذا، وأصنع كذا، وذكر مثل ما أخبرته به، وأنّه يجمع الأخبار، ويكتب بها في كلّ نصف نهار، من كلّ يوم ..".

صاحب بيت مال الإعطاء (٨٢/٨) : وهو فرع عن ديوان بيت المال، ومهمته توزيع عطايا ومرتبات الجيش.

---

(١) ينظر: ابن مسكويه، تجارب الأمم، ت: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ط٢، ٢٠٠٠م، ٣٢٩/٢، وهو بمنزلة من يسمى اليوم برئيس الوزراء، أو الحكومة.

(٢) يرى جرجي زيدان أنّ التعبيرات الإدارية المبدوءة بلفظة (صاحب) هي أثر من آثار اقتباس التعبيرات الإدارية الفارسية التي انتقلت إلى العربية ... ينظر: اللغة العربية كائن حي، ص٥٢.

صاحب الضريبة (٨/ ١٦٠) : وهو من يتولى ضريبة البضائع وما تحمله السفن من متاع.

صاحب ديوان الخراج وديوان الضّياع (٢٤/٨) : وهو المسئول والمشرف العام على أعمالهما.

ومن الوظائف الأخرى المماثلة الواردة في المدونة:

صاحب طَرِف، صاحب الرُبع، صاحب الحرب، صاحب الخراج، صاحب المعونة، صاحب الشرطة، صاحب الكِراع، صاحب البريد (رئيس الاستخبارات العامة)، صاحب ديوان الرسائل، صاحب الضمان، صاحب الدواة، صاحب بيت المال، صاحب ديوان المظالم...

وقد يبدأ اللقب الوظيفي بلفظ (عامل)، والعُمّال: مصطلح يُطلق على كبار موظّفي الدولة، ومن التركيبات الإضافية المبدوءة بلفظ (عامل):

عامل المستغَلات (٧٦/٨) : المسئول عن الأراضي الزراعية، وخراجها، وفي المدونة: " وعرّفني أنّ عامل المستغلاّت، ببغداد، الذي يتولى مستغلات السلطان، وعامل بادوريا قد أدخلا أيديهما، في أملاك الأيتام ".

عامل الصلاة (٥٢/٦، ٦٣) : وهو بمنزلة من يُسمّى اليوم بالمحافظ، وقد تُضاف إليه صلاحيات الحرب، فيسمى: (عامل الحرب والصلاة).

ومن ألقاب الدولة، ووظائف دور الخلافة الأخرى:

نقيب (٨١/٨) : وهو العريف أو رئيس المجموعة وجمعه (نُقباء)، ومنهم نقيب الطّالبيين.

مشايخ الحضرة (١٣٠/١، ١٥٢/٢) : هي حاضرة بغداد، ومشايخ الحضرة ورؤساؤها: كبارها وعُمَدها.

الأستاذ: فارسية، (استاد)، ومعناه المعلم[1]، واستخدم لتسمية رئيس الديوان، أو من يقوم بالإشراف على أعمال الدولة، أو المقدّم في الصنعة والمهنة، وفي المدونة (٧٢/٤) : " فكانا يجلسان بحضرة أبي الحسن، ويأمرهما وينهاهما، ويسمّيانه أستاذنا، على رسم أصحاب الدواوين إذ ذاك .."، وفي موضع آخر (٢١٦/٣) : " فصاح به الملّاح: أيّها الأستاذ- وكذا كان يخاطب، وهو رسم لكلّ من يتقلّد رئاسة الشرطة ببغداد "، ويطلق - أحيانا — في

(١) ينظر: العنيسي، طوبيا، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، مع ذكر أصلها بحروفه، دار البستاني للنشر والتوزيع، القاهرة، ص١١، وأدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، دار العرب للبستاني، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧- ١٩٨٨م، ص١٠، وفي التركية والكردية (أسطا)، وشاع استخدامها في بعض اللهجات العربية.

مخاطبة كبير الدولة، أو الولاية، وفي المدونة (١٧٤/٣) : " وجعله طيّ رقعة إلى الأستاذ كافور "(وينظر:١/١٧١،١١٢، ٢/٣٣٥، ٣/١٧٤، ٢٠٥، ٢١٧، ٢٤٤، ٤/ ٩٨، ١١٥ ، ١٨٥، ٥/٢٣٣، ٧/١٨٠، ٢٥٠).

قهرمان، قهرمانة (١٧٩/٤، ١٢٣/٦) : جمعها قهارمة، يونانية[1]، موظف مختص بتنسيق وتدبير أمور قصر الخليفة، ومواعيده، أو أمين الدخل والخرج.

– وظائف تابعة للدواوين:

استلزم تسيير أمور الدواوين وجود موظفين يُختارون بعناية فائقة، ومن ضمنهم:

كُتّاب الحضرة (٦٤/٥) : وهم موظفو الدواوين عامة، ولا يختصون بديوان دون آخر.

الفرّاشون (٤٥/١، ٣٠٤، ٧٤/٢، ١٣٠، ١٨٠/٣ ٧٣/٥، ١٠٦/٧ .....) : هم فئة من العاملين في دور الخلافة، موكلون بفرش الدور وأعمال التنظيف، والتبريد، ولهم رئيس، يطلق عليه:(عريف الفرّاشين) ، أو رئيسهم، مهمته الإشراف على هؤلاء العُمال، وترتيب نوباتهم، وفي المدونة (٤٨/٥) : " أنّه كانت عدّة كل نوبة من نوب الفرّاشين في دار المتوكّل على الله، أربعة آلاف فِراش ....".

ومن الوظائف الأخرى التابعة لديوان الرسائل:

الفيوج أو السّعاة (٢١٢/١، ٢٣/٢، ٨٠/٣، ٢١٧/٤، ٢٢٨) : ومهمتهم نقل الرسائل.

البرّاجون (٢٢/٣) : ويقومون بمراقبة أبراج الحمام الزاجل، ونقل الرسائل إلى الدواوين ودار الخلافة.

الفُرانق (٥٤/١، ٧٩) : وهم من يتولون مسئولية مراقبة سِنكك البريد، والسّعاة، والخيّالة، ويتولّون أحيانا نقل الرسائل الخاصة بأنفسهم.

ألقاب ووظائف أخرى:

ومن الوظائف الأخرى المماثلة: ضامن، الكُفاة، الموكّل بالطُرق (الحدود) المتصرفون، الحُسّاب، المحرزين، الجهابذة، ومن الألفاظ الإدارية والمهنية: الرّتبة، بيت المال، صناعة الكتابة....

(١) ينظر: العنيسي، طوبيا، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، مع ذكر أصلها بحروفه، ص٨٥.

– وظائف القضاء:

قاضي القُضاة (١١٤/١، ٢٠٨، ٢٤٧، ٣٢٠/٢، ١٤٤/٣) : منصب قضائي رفيع، يرأس فيه صاحبه سائر القضاة، وعادة يستشيره الخليفة في تعيين القضاة وعزلهم، وإليه يوكل ديوان القضاء، ويكون مرافقا للخليفة في حاضرة الخلافة، وظهر هذا اللقب في العصر العبّاسي، حين استحدثت الدواوين، وكثرت تفريعات الحكم، وهو تركيب إضافي استعاره العبّاسيون من أنظمة الحكم الفارسية، وفي لسان الفُرس: (موبذان موبذ)، وترجمته: قاضي القضاة [١].

الشهود والأمناء (١٥/٢، ٢٠٤/٤، ٥٦/٦، ٧٦/٨) : من يكلّفون من قبل القاضي بأداء الشهادة أمامه، أو حفظ أموال اليتامى، ومن شروطهم العدالة وأن يرتضيهم القاضي [٢].

الوكلاء (٢٢١/٣) : من يتوكّلون للمحاماة عن موكليهم، ويعطون أجرا معلوما يتفق عليه الطرفان.

– الوظائف العسكرية وأصناف الجنود:

أصحاب الشّبرط والمراكز والجوازات (١٨١/٧) : وتُوكل إليهم مهام أمنية، والمراكز والجوازات: أماكن يتم فيها تفتيش المسافرين، وتكون على المداخل والحدود.

الخفير (٢٤٩/٤) : شخص يرافق القوافل لحمايتها.

الرجّالة (٢٢٣/١، ٢٨٤/٢) : ج راجل، وهم جنود يحيطون بالموكب، ويحرسونه، ويستخدمون بمهام أخرى، مثل جباية الضرائب، وتنفيذ أوامر المستحثين والمستخرجين، أو حُراسا على أبواب الدواوين.

ركابيّون (٨٣/٣، ٩٥/٤، ٢١٨) : ج ركابّي، من الجنود السعاة وصغار المستخدمين، أو من يأخذون بركاب الفارس، أو يسيرون بجواره.

---

(١) ينظر: الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ت: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط١، ١٣٣٢هـ، ١٩١٤م، ص١٣، وفيه: " ويقال إن سابور ذا الأكتاف، لما مات موبذان موبذ، وصف له رجل من كورة إصطخر، يصلح لقضاء القضاة في العلم والتأله والأمانة ".

(٢) تطوّر مصطلح (الشهود) ليطلق على قوم مخصوصين في عهد القاضي أبي إسحاق إسماعيل الأزدي ت ٢٨٢هـ، وكذلك الأمناء: فهم فئة خاصة يختارها القضاة تكون مهمتها حفظ الأمانة ومال الأيتام والمتاجرة بهذه الأموال لصالح الأيتام، ينظر: نشوار المحاضرة، ٢٦٢/١.

السّاجية والحُجرية (١٨٩/١، ٤٨/٥، ١٨٢/٨) : صنفان من غلمان الخلافة، فالساجية نسبة إلى ابن أبي الساج، والحجرية: فرقة من الغلمان والحرس الخاص مهمتها حماية القصور، نسبة إلى حُجَر ملحقة لهم بدار الخلافة، ثمّ أصبحتا فيما بعد كتيبتين مستقلتين من الجند الخاص الموكّل بحراسة دور الخلافة ودواوين الدولة، ومثلهم:

الشاكرية (١٨١/١، ٢٥٩/٣، ٢٦١/٨) : ج شاكري، فارسية، أصلها (جاكر)، التابع، أو الحارس الشخصي، ثم أطلقت على الجند المستأجرين، والحرس الخاص.

الطائف (١٧٥/٤) : الجندي الذي يُراقب الشوارع ليلا (العَسس).

المرتزقة (٢٦٥/٣، ١٨٢/٨) : الجنود غير النظاميين الذين يحاربون في الجيش على سبيل الارتزاق.

مسوّدة (١٢٦/٦) : جنود عبّاسيون، يلبسون السواد. وكان شعار الدولة العبّاسية السواد.

المطوّعة (٢/ ٢٤٩) : طائفة من الناس تتطوع لقتال العدو، وفي المدونة " وإطلاق مال للمطوّعة، يقوون به على قتال العدو ".

نفّاط (٣٤٩/١، ١٦١/٨) : جمعها نفّاطون، وهم الرماة بالنفاطة، وهي أداة من نحاس يرمى فيها بالنفط والنار، وتكوّن عادة فرقة في الجيش، مهمتها إعداد النفاطة، والرمي بها، لإحراق معدات وقلاع العدو.

أصحاب السّير والخبر والتجسس (أعمال أمنيّة): الجواسيس المتخبّرين، الغمّازين، السّعاة.

ومن أدوات تسليح الجيوش الواردة في المدونة:

الزّوبين (١٧٥/١) : فارسية (الرمح القصير)، **الهُدَري** (٢٣١/٨) (شبيه الحراب)، **دَرَقَة** (٢٣٦/٣) : الترس من الجلود لا خشب فيه، **نفّاطة** (١٦١/٨) : أداة من نحاس، يُرمى فيها بالنّفط والنّار.

ومن الأماكن: خزانة السلاح، المَعاون (مراكز الشرطة).

– مراسم الدولة:

اتسعت الدولة العباسية، واتسعت دواوينها وأعمالها، وتعقّدت أنظمة الحكم وإدارة الدولة، وشملت مرافق ووظائف متعددة، وكان لإدارة الحكم والوزارة مراسم خاصة، ومن تلك المراسم، يوم الخُلع، وهو يوم تقلّيد الوزارة، ويسمى أيضا (التقليد)(١٠١/٨) ، وفيه يُقطَع السواد، أي: يُلبس السّواد (شعار الدولة العبّاسية) (١٥٧/٨، ٢٤١)، ويسمى يوم الخُلع، يوم الموكب (٢٣٨/٢).

– ألفاظ الجريمة:

من الألفاظ المولّدة الدالة على أصناف المجرمين: العيّارين، الذعار، التوّابين، حملة السكاكين، الخنّاق: (من يقوم بخنق ضحيته وسلبه)، الشدّاخ: (من يقوم بضرب ضحيته من قفاه).

نماذج من التمثيلات:

أصحاب العصبية والسكاكين (٤/١، ٨٨، ١٤٤/٣) : فئات من أهل الشغب والمتمردين والمجرمين الذين يظهرون إذا ضعف السلطان وأيام الفتن، وربما كانت تعني ما نعرفه اليوم من عصابات ومجموعات متمردة، وكانت هذه العصابات تتنافس فيما بينها في الغلبة والسيطرة، يظهر ذلك من القصة التي وردت في المدونة (١٤٩/١) : " أن عافية الباقلاّني، وخالد الحذّاء، رئيسي أصحاب العصبية في زمانهما، بايعا على أن يُحمى لهما باب حديد ..".

العيّارون (٤/١، ٨٦، ٢١٨/٨) : جمع (العيّار) وهو الشخص الذي لا يهتم بأمور نفسه، ويخلي نفسه وهواها، وقد يراد به المتفنن في اللصوصية وأنواع الشر والإجرام.

الذّعار (٨٦/١) : أهل الخبث والفساد والفوضى، ولعل أصلها بالدال المهملة، من الدعارة، وهي الفساد والشر، وعدّها الحريري من تحريف المعنى الذي يقع على ألسنة العوام والكُتّاب [1].

---

(١) وعند الحريري في درة الغوّاص، ت: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثّقافية، بيروت، ط١، ١٤١٨، ١٩٩٨م، ٤٠/١: " وَيَقُولُونَ للخبيث الدخلة: ذاعر، بِالذَّالِ الْمُعْجَمَة، فيحرفون الْمَعْنى فِيهِ، لِأَن الذاعر هُوَ المفزع لاشتقاقه من الذعر، فَأَما الْخَبِيث الدخلة فَهُوَ الداعر، بِالدَّال الْمُهْمِلَة لاشتقاقه من الدعارة وَهِي الْخبث " .

التوّابون (٢٢٨/٨) : هم رؤساء المجرمين الذين تابوا عن اللصوصية والإجرام، وأصبحوا – في الغالب – من مخبري الشرطة، أو ممن يدلون على مرتكبي الجرائم[١].

المبنّجون: من يستخدمون (البنج) عقار خاص، لتخدير الضحية، وسلبه أو قتله، وفي المدونة (٢٨٨/٤) : " وإذا بعض المبنّجين قد وقع عليه .. فلمّا رأى الكلب ذلك، ثار إلى المبنّج، فخمش وجهه ...".

المستقفون: جماعة من اللصوص يهاجمون الضّحية من القفا، لسلبه، وفي المدونة (٢٦١/٥) : "كنتُ البارحة عند صديق لي، وبكرتُ من عنده، فلقيني لصٌّ يستقفي، فمنعته ثيابي، فأخذها .."، وفي موضع آخر من المدونة (٢١٨/٨): " وهناك قوم يقال لهم البابوانية، يجرون مجرى المستقفين ها هنا، والسلطان يطلبهم ..".

البابوانية: أهل الفساد بالهند، وفي المدونة (٢١٨/٨): " وهناك قوم يقال لهم البابوانية، يجرون مجرى المستقفين هاهنا، والسلطان يطلبهم، فإذا وقعوا في يده، وظفر بهم، فعل بهم، كما يُفعل باللصوص والعيّارين ...".

المَعيي: الحيلة التي ينصبها المحتال، أو من يوقع بضحاياه عن طريق الخداع، وفي المدونة (٣٥١/٢) : " وإني أريد أن أعمل مَعْييا، قال: وهذه كلمة لهم إذا أرادوا أن يعملوا حيلة كبيرة، فساعديني عليها بالصّبر ".

– أدوات التعذيب وأصناف العقوبات:

من أدوات التعذيب: الضرب بالمقارع (مقرعة)، ومَداق الجُص، والجلد بالسّياط، والتقييد بالأغلال والثقيل من الحديد والسلاسل، التسميل (فقأ العين بسيخ محمى)، تسمير اليدين على الحائط، سل الأظافر وقلعها، سلخ الجلد، ضرب اللحم بالقصب الفارسي، قطع الأجزاء، حرق الجثة، الصلب. ينظر: (١٥٥/١، ٢٥٤/٤).

---

(١) يقول عنهم المسعودي في مروج الذهب، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م، ١٩٨/٤: " هم شيوخ أنواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا، فإذا جرت حادثة علموا من فِعْل من هي، فدّلوا عليه، وربما يتقاسمون اللصوص ما سرقوه ".

ومن وسائل التعذيب الأخرى: الإدخال في التغار والجوالق، ودقه بالمطارق، وصب الإسفيداج والمواد الكلسية على الشخص المراد تعذيبه، السحق والدهس بالفيل، الشوي بالنار. ينظر: (١٥١/١، ١٤٤، ١٥٢، ٣١٧، ٢٠٩/٨).

ومن أنواع العقوبات: كبس الدار، القبض، الصرف من العمل، المصادرة (مصادرة الأملاك والأموال)، الإقامة على رؤوس الملأ، حلق الرأس واللحية. ينظر: (١٣٢/٦، ١٢١/٧، ٢٢١).

نماذج من التمثيلات:

التّنور (١٧/١) : صندوق مستطيل على قدر قامة الإنسان، من خشب أو حديد، وفيه مسامير مغروسة فيه، محمّاة بفُرن يقع في طبقته السّفلى، وفي المدونة ما يدل أنه كان يستعمل للتعذيب، ومن بين الذين عُذبوا فيه حتى الموت الوزير العباسي ابن الزيّات.

الدَهْق: آلة تعذيب تشتمل على خشبتين يضيق بهما على ساقي المعذّب، وفي المدونة (١٣٤/١) : " فأخذه، وأرهقه، وطالبه بعشرة آلاف ألف، ودهقه، وضربه، وهو لا ينحلّ بشيء ..".

السجن بالمُطبِق: السجن تحت الأرض، وفي المدونة (٣٣/٤) : " فقال الخليفة، لعلي بن عيسى: وقّع إليه، بأن يضرب هذا، مائة سوط، ويثقله بالحديد، ويحبس في المطبِق ". وينظر: (١٢١/٦، ٣٢٢/٦).

– مذاهب وأديان: (مصطلحات العقائد والمذاهب والأديان الأخرى)

يرتبط انتشار أديان أو مذاهب اجتماعية جديدة – غالبًا – بظهور مفردات لغوية جديدة في صياغتها، أو في معناها على الأقل؛ للدلالة على المفاهيم الجديدة، ومن تلك الألفاظ التي ظهرت في هذا المجال:

الصوفية، الحلاّجية، الإمامية، الرافضة، الزّنج، الحنابلة، الحشوية، الخوارج، القرامطة، مذهب مالك، وأهل المدينة، مذهب أهل العراق (أبو حنيفة)، المتكلّمين، الزّيدية، المجوسية، الإمامية، أهل التناسخ، أهل الإلحاد، ملحد، نصراني، ثنوي ..

مصطلحات صوفية: الخطرات والهواجس، الوساوس، (٩٩/١، ٢٢٨/٣) الهوس الصوفي، والنور الشّعشعاني (١٦٩/١)، حلقة صوفية، الحلاّجية، المقالة (المذهب)، التّواجد، اليقين،

الرأس الأكبر، معونات، ألطاف، الأبدال، قوام العالم، قُطب الوقت، المتفردون، المريدون، المخبِتون، العبّاد، المتبتلون، الزهاد، المتوحشون، المتواجدون، حِجة على المذهب (الحج على التوكل بلا زاد ولا راحلة) (١١٩/٣، ٥٤/٦)، باب الإمام، صاحب الزمان، صاحب الناموس الأكبر، هو هو (مصطلح عقدي صوفي) (١٦٢/١)، الرّبّانيّون[1].

علم الخِرَق: يقصدون بعلم الخِرق، علم التّصوف والباطن، ويقصدون بعلم الورق، العلم الظاهر المخالف لمذهبهم، وفي المدونة (١١٧/٣) : " ويحك تدعُ علم الخِرق، وتأخذُ علم الورق ..".

مصطلحات وتراكيب المعتزلة:

فلانٌ يَعتقد الحق، أهل الحق، أهل العدل والتوحيد (كان معتزليًا)، المعتزلة ...(١/ ٩٥، ٢٢٣، ٢٠٧/٢، ٥٩/٤).

مصطلحات نصرانية: النّاسوت، الصليب، قربان، زنّار، المسيح، اللاهوت، الناسوت الروح، روح القدس، قنوم، صومعة صوامع: مكان العبادة، قلة الميرون (زيت مقدس)، الهياكل، الدخن، الإنجيل، معمودية الأرواح، المذبح، المسوح والإمساح، التقريب في الآحاد يوم الأحد، ناموس، السليح، الأسقوفيا، البيرم، القّبداس، الفصح الناسي .. (٢٦٨/٤، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣).

عظماء النصارى: البطرك (البطارقة)، الجاثليق، الزراورة، الأعلاج، المزنّير، مِطران، الأسقف، القِس، الشمّاس، البطرك الأكبر، الرهبان، الديراني، ماري (٥٣/١، ٢٢٨، ٢٩٨/٢).

مصطلحات فلسفية جدلية وعقدية: ملكوت، اللاهوت، الحلول، الجسم، العَرَض (الحالة التي تطرأ على الجسم، فتكون من صفاته العارضة، كالبياض، والسّواد، والحركة، والسّكون) (١٧٣/١، ١٥٠/٨).

أهل الإلحاد: الملحدة، المتنبين، الزنادقة.

---

(١) أحد الاصطلاحات المستخدمة عند الصوفية، ويعني العالم الزاهد المتأله التقي، ينظر: نشوار المحاضرة، ١٤٤/٣، وفيه: " فاتّفق أن بدئ برجل من رؤساء الصّوفيّة، يُعرف بأبي إسحاق بن ثابت، ينزل بباب الشام، أحد الربّانيين، عند أصحابه ...".

نماذج من التمثيلات:

السّريانية: لغة الكتاب المقدّس عند النّصارى، وفي المدونة (٢٧٢/٨) : "كنتُ تعلمتُ السّريانية، حتّى كنتُ أقرأ كتبهم التي يصلّون بها ..".

المعموديّة (٢٧٣/٤) : أول أسرار الدين المسيحي (الدخول في المسيحية)، وهي غسل الشخص بالماء باسم الأب والابن، والروح القُدس، واللفظة سريانية الأصل، أو مولّدة، مأخوذة من (العَمَد) أي الغسل أو البلل.

الشّعانين (٢٧٢/٤) : (عبرانية) عيد الأحد قبل الفصح، مأخوذة من (هو شيعة نا)، أي: خلّصنا، وهو عيد دخول المسيح إلى أورشليم.

الشّراة (الشاري) (١٠٨/٤، ٦٩/٨) : فرقة من فرق الخوارج؛ وفي المدونة (٦٩/٨) : " وهم يستحبّون أن يقال لهم شُراة، ويأبون أن يقال لهم: خوارج، ويذهبون إلى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ البقرة ٢٠٧ ".

المخمّسة (٢٥٤/٤) : من غلاة الشيعة، وفي المدونة: " أنّهم كانوا مخمّسة، يعتقدون أنّ عليا، وفاطمة، والحسن، والحسين، ومحمد صلوات الله عليه، خمسة أشباح أنوار قديمة، لم تزل، ولا تزال، إلى غير ذلك من أقوال هذه النحلة، وهي مقالة مشهورة ".

الرّجعة (١٣٢/٢) : وفي المدونة: " إنّه رأى حجّامًا بالكوفة، يحجّم بنسيئة إلى الرجعة؛ لشدّة إيمانه بها ..".

الهاجس عند الصّوفية (٩٩/١، ٢٢٨/٣) : يعبّرون به عن الخاطر الأول، وهو الخاطر الرباني الذي لا يخطئ أبدا.

المكاشفة والمناظرة (١٥٢/٤) : كاشف: أظهر نحلته، ناظر: تكلم فيها وجادل عنها.

زنديق (زندقة) (٩٧/٣) : الخارج عن تعاليم الإسلام، أو المتمرد على الحاكم.

عبادة البدّ (١١٠/٣) : كناية عن الصّنم، وهي محرّفة عن بوذا، وفي المدونة: " فقال: هذه الصّرة، فيها عظم من عِظام الرجل الذي جاء بعبادة البدّ، وأقام هذه الشريعة لهم ..".

الموبذ (١٤٢/٨) : قاضي المجوس، وفي المدونة: " وأحضر الموبذ من غد، وحدّثه بالحديث، وشاوره فيما يعمله ...".

أهل التناسخ (٧٠/٨) : وهم القائلون بتعلق الروح بالبدن، بعد مفارقتها بدنا آخر، من غير تخلل زمان بين المفارقة والتّعلّق، وفي المدونة: " ثم صار يقول بمذهب أهل التناسخ ..".

الجبّارية بالهند (الجبّاري) (٢١٧/٨) : فرقة مجوسية، وفي المدونة: " رأيتُ قوما، يقال لهم: الجبّارية، يأكلون الميتة، ويقذرهم جميع أهل الهند، عندهم إذا ماسّوهم نجسوا ..".

٢- ألفاظ الحياة الاقتصادية:

وهي الألفاظ المتعلقة بالمعاملات المالية والتجارية، والأوزان والمكاييل، وأصناف المهن والصّناع والعمّال .

– المعاملات المالية والتجارية:

تطورت المعاملات التجارية والماليّة في العصر العباسي، وكان أبرز مظاهر هذا التطور ظهور مصطلحات جديدة، تعبّر عن تلك المعاملات التجارية، والعقود المالية، ومن مظاهره في المدونة:

تشعّب ديوان بيت المال والحسابات العامة، واحتوائه على مجالس متفرعة عن الديوان، مثل: بيت مال العامّة، وبيت مال الخاصيّة، الذي يتكون من مخصّصات الخليفة، وأهل بيته، وواردات ضياعهم، والهدايا والمصادرات (٣٨/٨، ٣٩)، ومجلس الحساب، الذي يقوم بتصنيف الأموال الواردة إلى ديوان الخراج والضِياع، وفي المدونة (١٩٦/٨) : " قال لي الفضل بن مروان: كنتُ أعمل في ديوان ضِياع الرشيد، مجلس الحساب ..".

ويُسمّى الذي يُشرف على أعمال (مجلس الحساب) الجَهبذ، ومن مهامه: تدقيق الحسابات، والصّرف والإعطاء، ويقوم أحيانا بدور المحقق المالي، ويشترك في أعمال المصادرات، ويُطلق على جميع هذه المهام مصطلح (الجَهبذة)[1] (٤١/١، ٧٣، ٢٢٣، ١٥٨/٤، ٢١٨/٥، ٨٦/٦، ٨٣/٨، ٣٩، ٤١، ٤٢).

ومن ثَم نشأت وظائف مالية أخرى تتصل ببيت المال، ودواوين الخراج والضِّياع، مثل:

المستخرجين ج المستخرج، المستحثين ج المستحث، خازن الديوان، الصارف أو الصّراف أو الصيرفي، وجمعها (صيارف)، الناقد، وهو: المحاسب أو الجابي (٨٥/٧).

تعدد ألفاظ العقود والسندات المالية، والمعاملات والشكاوى، وما أشبهها: الصّكاك (ج صك)، عقود الضِياع، ، الوثيقة، الإضبارة ، القِصّة (شكوى)، محضر، عدوى (الأمر بالحضور أو الإحضار أمام القاضي)، فهرست، الثبت، تذكرة، الكتب الواردة والنّافذة، الصادر والوارد، كتاب الختمة، حساب مزوّق، جواز السفر، التوقيعات (المعاملات والقرارات)، التسبيب، حسبانة (حسبانات).

---

(١) الجهبذ فارسية، (كهبذ)، وتعني أمين الخزانة، أو المحاسب، والجهبذة: أعمال مصرفية تشبه ما تقوم به المؤسسات المصرفية والبنوك اليوم، ولعظم شأن الجهبذة في الدولة، يقول التنوخي في النشوار٤٢/٨ : " وكان السلطان لا يرى صرفهما، ليبقى جاه الجهبذة مع التّجّار، فيُقرض التّجّار بالجهبذ، إذا وقعت الضرورة، ومتى صُرف الجهبذ، وقُلّد غيره، ولم يعامله التّجار، وقف أمر الخليفة ..".

تعدد مصطلحات الرواتب والأرزاق: الجرايات، الجاري، الراتب، المادّة والوظائف (ج الوظيفة) ، الأنزال، الفرض، الأرزاق. (ينظر: ٣/ ٢٦٥، ٢٦٦، ٨/٩٨، ٩٩).

تعدّد مصطلحات الدخل والخراج: الارتفاع، دخالات، إجارات، مزارعات، مستغلات، المعطّل، التكملة، العبرة، تفسير السفن، الاستثناء، الرسم (الرسوم)، الطسق، (جمعها طسوق) .

تعدد مصطلحات البيوع والمعاملات: النّداء (المزاد العلني)، نقَدة جمعه (النَقَّدات)، البيّع، التقسيط، المِكاس (المجادلة من أجل إنقاص الثمن).

تعدد العملات السائدة في المجتمع العبّاسي: دانق (٣/٣٦، ٧/٨٠)[1]، دينار، درهم، دراهم طرية أو طبرية: الدراهم الجديدة الصياغة، أو المنسوبة إلى طبرية (٢/١٩٤)، ومن التعبيرات المألوفة: البِدَر، ج بدرة، صُرة.

نماذج من التمثيلات:

من ألفاظ العقود والمعاملات:

المؤامرة: التحقيق المالي، والمناظرة والتدقيق في الحساب، وفي المدونة (٨/٢٦): " فتشاغلتُ أنا بعمل مؤامرة له، فلم أجد عليه كثير تأوّل، .. وقد كنتُ صدّرت أوّل باب من المؤامرة، بأنّه فصّل تفصيلا، ثمن الغلّة المبيعة ..".

تذكرة: هي القائمة المشتملة على الأشياء المطلوبة، وفي المدونة (٤/١٨١) : " وأخرجتُ تذكرة بأشياء أخَر ..".

الجرايات والرواتب: ما تُجريه الدولة من مبالغ مالية للموظفين، والمسئولين، ومن جرى مجراهم، وفي المدونة (٣/١٧٣) : " فهرب منه إلى كافور الإخشيدي، فأجرى عليه جراية في كل شهر، سائغة، كما كان يجري على جميع من يقصده، من الجرايات التي سمّاها: الراتب، وكان مالا عظيما ..".

جمّاعة: كشف حساب يكتب به التاريخ، وحساب السّنة، وفي المدونة (٣/٣٥): " فجمعتُ الحساب، وعملتُ جمّاعة لسنة خمس وثلاثمائة، بارتفاع مال الخراج بالأهواز، وكورها، سوى الضِياع ".

---

(١) الدانق: فارسي، (دانك) سدس الدرهم (درهم: دراخمه باليونانية، نقد فضة)، ينظر: تفسير الألفاظ الدخيلة، طوبيا العنيسي، ص٤٠،٤١.

الجواز (جواز السفر): ختم أو توقيع خاص في كتاب أو نحوه، يخوّل المسافر أو الغريب دخول البلد، وفي المدونة (٣٢٠/١) : " وارسم لهما أن لا يخرج إلا بجواز ..".

حِسبة: جمعها حسبانات، قائمة الحساب، وفي المدونة (١٩٢/٣) : " ثمّ رفعت إليه حِسبة، وكان يقف بنفسه على حِسباناته ..". وفي موضع آخر (١٧٩/٧) : " وكان دأبه تغليط الكتاب، والرد عليهم، وتغيير كتبهم التي ينشئونها عنه، وعكس حِساباتهم التي يرفعونها إليه، ويعرضونها عليه، بالمحال الفاسد، والمستحيل الباطل ".

حساب مزوّق (٤٠/٨) : المزوّر أو الزائف.

المحضَر (١٧٤/٣) : عريضة تكتب بشكوى أو طلب أو تحقيق، مذيلة بتوقيع.

الخِتمة، أو دستور الختمة: كتاب يرفعه الجهبذ في كل شهر بالاستخراج، والحمل، والنّفقات، والأصل، كأنّه يختم به الشّهر، وفي المدونة (٣٧/٨) : " وأنا إذا تمّت ثلاثون يوما، وجّهتُ صاحبي إلى حساب بيت المال، فحمّله مع صاحب بيت المال؛ ليُنظّم دستور الختمة بحضرتي ..".

المستخرِج (٢٢٣/١، ١٨٥/٣) : جمعه المستخرِجون: وهم موظفون في جباية الضرائب، أو استخراج المصادرات والغرامات، والتحقيق مع المصادَرين.

الرّوز (٧٣/١، ١٦/٢، ٢٤٤/٨) : فارسية [(١)]، (روزنامه) وصل، أو صَك يكتبه الجهبذ بقبض المال(سند قبض)، أو كتاب توثيق المعاملات والسَنَدات (سجل).

السّفاتج (١٤٤/٢) : ج سفتجة: فارسية[(٢)]، وهي صُكوك مالية، تتضمن حوالة أموال من بلد إلى بلد آخر. وفي المدونة (٢٢٢/٨) : " أورد عليّ رجلٌ غريب، سفتجة بأجل، فكان يتردد إلى أن حلّت، ثم قال: دعها عندك، وآخذها متفرّقة ..".

التسبيب (٦٤/١، ١٣٢/٣) : وجمعها (تسبيبات) إحالة مالية، على موضع معيّن، مع تعيين الأبواب التي يُستخرج منها المال، واشتق منها: سبّب، يسبّب، وفي المدونة: " وجذب الدواة، فكتب الوجوه، بما يعجّل، ويسبّب، وفرغ من ذلك، وأمر بإنشاء الكتب، وسبّب لي بالباقي ..".

---

(١) ينظر: تيمور، أحمد، (تفسير الألفاظ العبّاسية) مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، سنة ١٣٣٤هـ، م٢، ج ١١، ص٣٢٧ .

(٢) ينظر: الخفاجي، شفاء الغليل، ص١٣٨، وفيه: " فارسية معربة، وهي الخطوط، وأصلها أن يكون لواحد ببلد متاع عند رجل أمين، فيأخذ من آخر عوض ماله، ويكتب له خوفًا من غائلة الطريق ".

الصادر والوارد: المعاملات أو الكتب الصادرة أو الواردة بقوائم الحساب والرسائل الأخرى في الدواوين، وفي المدونة (٢٦/٨) : " أيّها الوزير، يطعن في ديوانك، ونسخ الكُتُب الواردة، والنّافذة، شاهدا عدل ".

الصّكوك: كتاب بالإقرار بمال، أو أمر بصرف مال معيّن لصاحب الصّك، وفي المدونة (٣٥/٨) : " قد صككتَ عليّ البارحة للمعاملين، بألف وستمائة دينار ..".

عَدوى: الأمر بإحضار الخصم من صاحب المعونة أمام القاضي، وفي المدونة (٢١٩/١): " فاستعديتُ عليه إلى القاضي أبي القاسم عليّ بن محمد التنوخيّ، فكتب لي عدوى إلى صاحب المَعونة..".

فهرست، ثبْت: جريدة يُدرج فيها ما يراد إدراجه من مواد، أو أبواب، أو فصول، وفي المدونة (١٨١/٣): " وجعل ابن شهرام يقرأ عليه من فهرست قد عُمل، ثبتًا للمجموع الذي أمر له به، من صنوف الثياب والفَرْش ..".

كتاب الخَلع: عريضة يتم فيها الإقرار بالتنازل عن الخلافة لعلة مرضية بصيغة معينة يشهد عليها كبير القضاة وكبار الدولة، وفي المدونة (٢٠٧/٣) : " حتّى شهِدنا على المطيع لله، بأنّه قد خلع نفسه، وقرأنا عليه رقعة الخَلع، وقرّرناه بما فيها، .. لنوقّع خطوطنا بالشهادة في كتاب الخَلع ".

المادة والوظائف (٢٠٧/١، ١٧٨/٣) : ما يخصّص للأفراد من تموينات غذائية، في كلّ يوم.

الوثيقة (١٥١/٢، ١٩٨/٨): كتاب مذيّل بتواقيع وشهود يتضمن إقرار أو تمليك أو بيع ونحو ذلك .

ومن ألفاظ الدخل والخراج والرسوم والضرائب:

الرسوم (٢٣٨/٧) : ج رَسم، كل تصرّف استمر، وأصبح في حُكم المقرّر.

الرّسم المستثنى(الاستثناء) (٢٣٨/٧) : هو الرّسم المقرر استثناؤه من أموال الضريبة لصالح الوزير.

الارتفاع (٦٥/١، ٣٥/٣، ٧٩/٥، ١٨/٨): الإيراد المالي، أو الدَخل، أو ما يُعرف بالموازنة المالية.

الطَسق (٥٩/٥، ١٢٩/٨): جمعه (طُسوق) مثل الرسوم، فارسية (تشك)، وتعني الأجرة، والرسم، أو القدر المعلوم المقرر الساري في استخراج مستغلات الأراضي من ضرائب أو مبيعات.

الضّريبة (١٦٠/٨، ٢٣٧) : ما يُفرض على البضائع والسّفن من حقوق ماليّة لصالح بيت المال، ولها مسئول يتولى شئونها في كل إقليم.

العَبرة (١٢٧/٨) : حساب ارتفاع خراج الأراضي باعتبار المتوسط الحسابي، بين السنة الأكثر ريعًا والسنة الأقل ريعًا.

المعطّل (١٧١/١) : المهمل أو الموات من الأرض ، ويظهر من المدونة أنها ضريبة أو خراج على الأراضي المعطّلة: " فلما جاء أبو جعفر الصيمريّ إلى هناك، وطالب الناس بالمعطّل – ولهذه المطالبة شرح طويل– ناظره البومنيّ في أنّها غير واجبة، فلم ينزل تحت الحجّة، وأخلد إلى القدرة ".

التفسير (٢٣٨/٧) : تقدير الضريبة المفروضة على البضائع التي تحملها السّفن.

التكملة (١٢٠/٨، ١٢٧) : حساب ارتفاع خراج الأراضي باعتبار السنة التي هي أكثر ريعا، وفي المدونة: " إنّ السّجزية لـمّا غلبوا على فارس، أجلي قومٌ من أهل الخراج عنها، ففضّوا خراجهم على الموجودين، وسمّوا ذلك: التكملة، حتّى يُكمل به مال قانون فارس ..". وفيها أيضا: " وجد أمير المؤمنين، أفظع ما اخترعوه، وأشنع ما ابتدعوه، في مدّتهم التي طال أمدها، وعظم ضررها، تكملة اجتبوها بكور فارس، في سنّي غوايتهم، لـمّا طالبوا أهلها بالخراج على أوفر عبرتهم ..".

ومن ألفاظ معاملات البيع والتجارة:

البيّع (١٣٧/٤) : باليـاء المشددة، البيّاع، وهو صاحب محل تُحفظ فيه الحاصلات الزراعيّة، وتُباع.

قُبالة (٢١٨/١) : إقرار المدين بما عليه من أموال للدائن، وفي المدونة: " فخفّفتُ منه شيئا يسيرا، وأقرضته ثلاثين ألف درهم، وكتبتُ بها عليه قُبالة ..".

التقسيط (١٣٧/٤) : دفع الدائن المال بأقساط معلومة، وفي المدونة: " وقد بلغني أنّ غرماءه، أثبتوا عندك، وقد قسّطتُ لهم في ماله .." .

النّيداء (١١٧/١) : المزاد العلني للسلعة المراد بيعها، وهو أن يقوم البائع بالنداء على السلعة، وبيعها لصاحب الثمن الأعلى، وفي المدوّنة: " كان من عادة النعمان، إذا كان في انسلاخ كلّ شتوة، أن يعمد إلى جميع ما استعمله من خزّ وصوف وفرش وكوانين وآلة الشتاء، فيبيعه في النداء ".

النّقَدات (١٣٣/٣، ٢٢٢/٨) : ج نقدة، اصطلاح تجاري عبّاسي، يتضمن ما يؤديه التاجر نقدا، سدادا لما يترتب عليه من ديون.

ومن ألفاظ وتعبيرات العطايا والهدايا والأجور: الجوائز والرغائب، الجُعْل جمعها (أجعال)، جذور المغنيات والقيان، (١٧٨/١، ١٨٣، ٣٠٤)، ومنها:

الارتفاق (٦٤/١) : ما يُعطى مقابل المنفعة أو مقابل خدمة معيّنة، وهي الرشوة.

اللَطَف وفي المدونة (١٠/٢) : " فاجتهدنا في قبول غلمانه لَطفا منّا، أو شيئا، قليلا أو كثيرا، فامتنعوا ".

ومن تعبيراتهم: خلع عليه، بمعنى: أهداه العطايا المتنوعة من ملبس ومكانة وأثاث ومال (٢٤٠/١، ١٥٨/٨).

– ألفاظ المهن والصّناعة:

وردت في مدونة التنوخي عشرات الألفاظ الدالّة على مهنة أو صناعة، وجاءت بصيغ متعددة، بعضها مشتق من ألفاظ عربية، وجاء اشتقاقها من جنس العمل، أو الصناعة، وبعضها ألفاظ دخيلة أعجميّة، وبعضها عرّب فصار على طريقة العرب في الصياغة والاشتقاق، وبعض هذه الألفاظ الأعجمية ينتهي بياء النسب، أو تاء التأنيث.

ومن ملاحظة الألفاظ الخاصّة بالمهن الموجودة في المدونة يتّضح الآتي:

* أنّ أغلب تلك الألفاظ جاءت على صيغة: (فعّال)، مثل: بقال، هرّاس، ثلاج، ملاّح، ضرّاب، حذّاء، خمّار، حدّاد، أكّار، خرّاز، قفّال، صفّار، زيّات، قيّار، بوّاب، تمّار، بزّاز، كسّار، حجّام، نطّاف، دبّاغ، نخّاس، دلاّل، برّاج، طبّاخ، قصّاب، بزاز، قطّان، عطار، نخّاس، خياط، دهّاق، ذرّاع، حمّالين، حفارين، طوّاف، فيّال، جمّال، قرّاد، علاّف، ورّاق.

* وبعض تلك المهن جاءت على صيغة اسم الفاعل: سائس، شارب، ناقد، صائغ، نائحة، قابلة، حاضنة، مطرب، مزيّن، مستخرج، مستحث..

* وبعضها ألفاظ مقترضة، مثل: الفيج، البستانبانون، البانانيّة، المهندس ..

* وبعض تلك المهن جاء بألفاظ مقترضة، بصيغ خاصة تنتهي آخرها بياء النّسب: رهداري، روز كاري، شاكري، بيطري، إسكافي، قلانسي، صيدلاني ..

* وبعضها ألفاظ عربية تنسب إلى السلعة التي يبيعها الشخص، وتنتهي بياء النسب: بقلي، أنماطي، أسكافي، ربابي، باقلاني، سَقطي، خلقاني، فقّاعي، دواتي ..

* بعضها ينتهي بياء النسب، وتاء التأنيث (مصدر صناعي): شرّابية، شاكرية، ركّابية ..

* بعضها ذو صيغ متعددة: (صارف، صرّاف، صيرفي).

* ومنها ما جاء على وزن (فاعول): ناطور.

* ومنها ما جاء بصيغة الجمع: الفعَلة، الصُناع. خزّان، راضة (مروضو الدواب).

* ومنها ما جاء على وزن (فعيل) أو (فعيلة): رقيبة (رفيقة ومنسّقة أعمال المغنيّة) (٤٣/٤)، خفير.

* ومنها ما جاء وصفًا يدل على المهنة: يدقّ السُّعد [(١)]، يبيع القار (قيّار)، وكان يخلفني على العيار في دار الضرب (عيّار).

نماذج من التمثيلات:

أدّت المناشط الاجتماعية، واتساع المدن، وامتزاج الشعوب إلى ازدياد النشاط الاقتصادي، وتبع ذلك ظهور صناعات ومهن جديدة في مجالات متعددة، ومن ذلك:

١- مهن الزراعة والفلاحة: ذكر القاضي التنوخي في مقدمته (٣/١): " والتُّناء والمزارعين، وأرباب الخراج والأرضين، والأكرة والفلاحين ...".

الأكَرة (بفتحتين): جمع أكّار، وهو الزارع، أو المستأجَر للزراعة، وربما كان أصله من الأجر، فحرّفت الكلمة، ويرى بعض العلماء أنّ أصلها من الحفر، وتطلق على الخبير أيضا، ثم خصّ العُرف المؤاكرة والمخابرة بالزراعة بنصيب معلوم [(٢)].

---

(١) دق السعد: مهنة تقوم على جمع نبات السعد وتجفيفه وبيعه للعطّارين، وفي مدونة التنوخي(٣٠/٥): "كان عبد الصّمد يدقّ السعد في العطّارين ..".

(٢) ينظر: مجلة المجمع العلمي العربي، مقالة: (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، تيمور، أحمد، م٢، ج ١٠، تشرين أول ١٩٣٣م، صفر ١٣٤١هـ. والكلمة ما زالت مستعملة في بعض العاميات العربية، ويشتقون منها: يكري، كروة، بمعنى يؤجر، الإيجار، وهذا القول هو ما نرجحه في أصل الكلمة.

البستانبان (٢٩٥/١) : خدم البساتين، فارسية، ويطلق عليهم: (الباغبان)، وتعريبها: (البستاني).

التُّنّاء (٣/١، ١٧٤، ١٦/٢) : ج تانئ، أرامية الأصل، ويظهر من خلال المدونة أنّ التانئ: من وجوه الأرياف وأرباب الزراعة والأرضين، أو الوجيه السّري من أعيان الريف [(١)].

دِهقان (١٢٨/٦) : فارسية (دهكان)، زعيم القرية.

علاّف (٢٦٥/٣) : نسبة إلى بيع العلف وتجارته.

النّاطور (٣٣١/١) : حارس البساتين، أو حافظ الزرع، والنّخل، والشجر، وفي الأصل: ناظور، من النظر، وهذه الكلمة من لغة أهل السواد والنبط، يبدلون الظاء طاء في كلامهم [(٢)].

٢- مهن اجتماعية أخرى:

من المهن والصناعات التي وجدت في المجتمع العباسي، ورصدت في المدونة:

أنماطي (٣١١/١) : نسبة إلى صناعة وبيع وشراء الأنماط، وهي: الفُرُش والطنافس، والنسبة إلى الجمع شائع في اللغة المولدة.

البقّال (٢٨٠/٥، ٦٠/٣، ٢٥٩/٨) : مهنة ترتبط ببيع المواد الغذائية والخضروات والحبوب والأجبان، وأشياء أخرى، ويجلس عادة في دكّان، وعدّها الفيروز أبادي من الألفاظ العامية، وأنّ الصحيح أن يقال: البدّال [(٣)].

باقلاني (٢٠٤/٢) : بائع الباقِلاء.

بقلي (١١٧/١) : بائع البقل.

---

(١) ينظر: مجلة المجمع العلمي العربي، مقالة: (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، تيمور، أحمد، م٢، ج ١٠، تشرين أول ١٩٣٣م، صفر ١٣٤١هـ.

(٢) ينظر: الجواليقي، في المعرب، ت: أحمد محمَّد شاكر، مطبعة دار الكتب، الطَّبعة الثَّانية ،١٣٨٩هـ ١٩٦٩م، ص٣٨٢، وابن جني، سر صناعة الإعراب، ت: حسن هنداوي، ١/ ٢٢٧، وتاج العروس، الزبيدي، ت: عبد الستار محمد فرَّاج، مطبعة الكويت، ١٣٨٥هـ١٩٦٥م، ٢٤٣/١٤.

(٣) ينظر: القاموس المحيط، إشراف: محمد نعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص٩٦٧.

بيعّ (١٣٦/٤) : البيّع بتشديد الياء هو صاحب محل تحفظ فيه الحاصلات الزراعية وتباع، وفي المدونة: " إنّ لي على الضّبعي – بيّع كان للمعتضد وغيره – مالا .." [(١)].

تمّار (٦٠/٣) : نسبة إلى بيع التمر، وجمعه (تمّارين).

ثلاّج (١٢٥/١، ١٠٦/٦) : بائع الثلج.

حذّاء (١٩٩/٢، ٢٠١، ١٦٦، ٢٧/٥) : بائع الأحذية وصانعها، ويطلق على مرقّع الأحذية (الإسكافي)، وجمعه أساكفة. وعادة يحمل في يده أداة تسمّى(الأشفى) تشبه المخرز.

خلقاني (١٧٨/٤) : بائع الأقمشة الخَلِقة المستعملة الرخيصة.

دقّاق (٢٢٢/٨) : بائع الدقيق.

الدّواتي (١٨٤/٧) : الكاتب، نسبة إلى الدواة، أداة الكتابة.

ذرّاع (١٧٢/٦) : والجمع ذُراع وذراعين، والذَّراع هو الذي يذرع الأرض.

رهداري (٦١/١، ١٦١/٢، ١٦٦/٢) : البائع المتجول بسلعته [(٢)].

روزجاري، روزجارية (١٥٨/٤) : فارسية، من روز: وهو اليوم، وكار: أي العمل، وكانت تطلق على عامل المياومة، ثم أصبحت تطلق على عامل البناء؛ لأنه يعمل مياومة.

زيّات (٢١٥/٧) : بائع الزيت أو عاصره.

سَقْطي (٦٣/٣) : بائع الخرداوات، نسبة إلى بيع سَقط المتاع، كالملاعق والأواني والحديد، وفي المدونة: " فلما كان ذات يوم، جاءني سقْطيّ كان يعاملني، فقال: قد دفعتُ إلى شيء إن تمّ عليّ، افتقرتُ ".

صفّار (٢٢٢/٨) : وجمعه (صفّارين)، وهم صناع الأدوات والأبواب من الحديد والصّفر وغيرها، وكان لهم سوق تعرف بسوق الصّفارين، أو جوبات الصّفارين.

---

(١) يقول محقق النشوار: " وهو ما يسمّى الآن في العراق بالبيّاع ..".

(٢) ينظر: تيمور، أحمد في مقالة: (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، مجلة المجمع العلمي العربي، م٢، ج١١، وفيه يقول: " الرّهداري يعاني التجارة في كل شيء، وهو مركب من كلمتين فارسيتين، من راه بمعنى الطّريق، ومن دار بمعنى صاحب، والمراد من يطوف بسلعه في الطرق .. والفرس تقول فيه (راهدار)، وتطلقه على من يحافظ على الطريق ويخفره، وعلى الذي يقبض المكوس على السّلع الداخلة من مملكة إلى أخرى، والياء التي بآخره ياء التنكير عندهم، فلمّا استعمله المولدون أبقوها بآخره، كما فعلوا بالروزكاري، وهو العامل في البناء بالمياومة، أي من يقال له عند العامة: الفاعل ..".

طوّاف (٣٢٧/١، ٨٩/٨) : المراقب على الأسواق، أو المنادي على البضائع.

عيّار (١٢٠/١، ١٩٨/٧) : مهنة ترتبط بوزن المعادن النفيسة، وضرب الدنانير والدراهم.

ومثله: (**الضـرّاب**) (١٤٢/١) : وهـذه الكلمـة مـأخوذة مـن ضـرب الـدراهم والـدنانير وصياغتها، وهو الذي يسك النقود، وفي المدونة: " وكان الرجل ضرّابا، يعرف بابن كردم، أهوازيّ، ضمن منه عمالة دار الضرب بسوق الأهواز، فضرب دنانير رديئة ..".

الفَعَلة والصّناع (٢٥٠/٢، ٢٨٩، ٢٣٢/٣، ٦٨/٧، ٢٩٨/١، ١٤٠/١، ٨٤/٣) : العمال الذين يُستأجرون لأغراض متعددة، وخاصة أعمال البناء والنّقض، وربما كان الصّناع أكثر خبرة ومهارة من الفَعَلة، وقد يكون لهم أعمال غير البناء، كتفكيك المعادن الثمينة.

فقّاعي (١٠٥/٧) : بائع الفقّاع، شراب يتخذ من الشعير، وسمي به لما يعلوه من الزبد.

فيّال (٢٠٥/٨، ٢١٠) : سائس الفيل، ومروضها، وجمعها فيّالون.

قفّال (٢٢٢/٨) : وهو صانع الأقفال من الحدّادين وبائعها.

قلانسي (١٢٩/٣، ٧٩/٧) : بائع القلانس (نسبة إلى صناعة القلانس)، جمع قلنسوة، وناسجها، وهو غطاء الرأس، وتُلَف عادة عليها العمامة، وقد تلبس بدون عمامة.

قيّار (٢١٥/٧) : عامل القير أو القار، مادة، أو سائل أسود تُطلى به السفن، وغيرها.

كسّار (١٦٢/٢) : بائع التمر في قِصَع صغيرة.

المسّاح (٢٢٢/١) : مثل الذرّاع، وهو المختص بحساب مساحة الأراضي.

نطّاف (٢٧١/٣) : بائع النّطف وهي نوع من الحلوى.

هرّاس (١٠٠/١) : مشتقة من الهرس، وتنسب هذه الصنعة لبائع الهريسة وصانعها.

تحقيق كلمة:

الشارب، الشرّابية: الساقي، أو حامل الإبريق، من باب تسمية الشيء بضده، وهي لفظة اشتهرت في البيئة البغدادية، وفي مدونة التنوخي (٦٨/٣) : " ودعاه، واستسقاه، فكسر الشارب شفة كوز كان معه، وملأه ودفعه إليه "، وفي موضع آخر (٤١/٣) : " إنّ أبا القاسم البريديّ، أيّام تقلّده الأمر بالبصرة، شرب يوما، وعنده جماعة من ندمائه، فافتقد قحف بلّور، كان معجبا به، وطلبه الشرابيّة، فلم يعرف له خبر ..". ومفرد الشرّابية (شرّابي) ، وفي المدونة (١٩٧/٤) : " جاء طبّاخه بما كان في مطبخه، وجاء شرابيّه بالصواني، والمخروط، والفاكهة، والبخور، وجلس يومه ذاك عندي ".

وهذه الألفاظ المولدة ربما عاشت وشاعت في بيئة خاصة جنبا إلى جنب مع ألفاظ أخرى ترادفها في الدلالة، وترافقها في مسيرة الاستعمال والحياة، فلفظ (السقّاء) استعمل بجانب (الشارب)، في البيئة البغدادية في القرن الرابع الهجري، وفي مدونة التنوخي (٣٢٦/٢) : " فوقعت عيني على سقّاء معه ماء محبوس في قربته .. فرأيت السقّاء قد صبّ الماء "، وفي موضع آخر، في ترجمة المتنبي (٢٤٦/٤) : " وكان أبوه يعرف بعبَدان السّقاء، يستقي لنا ولأهل المحلّة ".

ومن خلال السياق يتضح أنّ كلمة (السّقاء) ذات دلالة عامة، فهو الذي يجلب الماء ويبيعه للناس بكميات كبيرة، أمّا كلمة (الشارب) فهي أكثر خصوصية، فقد يكون خاصا لقوم أو تابعا لرجل، فيقوم بسقي الماء في المجالس والمحافل، وربما يطوف في الناس وهو يحمل جرّة مخصوصة تحمل الماء، ويسقي الناس [1].

– الأوزان والمكاييل:

وردت في مدونة التنوخي ألفاظ المكاييل والأوزان السائدة في المجتمع العباسي، وأدوات الوزن، ومنها: الكر، أرطال (ج رطل)، مكوك، أرادب (ج إردب)، القفيز، الجريب، الباب (جزء من الجريب)، ذراع، التغار، العيار، التخت، الطيّار ... ومن تلك الألفاظ:

آجُرة (١٣٩/١) : استخدمت الآجرة كمقياس للمساحة.

الإردبّ (٨٠/١، ٢٠٦/٦) : جمعه (أرادب)، مكيال يسع أربعة وعشرين صاعا.

الباب (١٢٩/١) : أحد أجزاء الجريب.

التّغار (١٥١/١) : فارسية، مكيال للحبوب، يعادل طنّين، والطن يعادل ألف كيلو.

الجَريب (١٢٩/١) : مساحة الأرض، كالفدان بمصر، إلا أنه أقل مساحة.

التَخت والطيّار (١٨١/٤) : من أجزاء ومكونات الميزان، ويشكلان ميزانا لطيفا، توزن به الأشياء الدقيقة، كالدنانير.

الرّطل (٤٥/٤، ٢٢٣) : وعاء يسع رطلا من الشراب، أو (اثنتي عشرة أوقية، والأوقية أربعون درهما)، وتنطق حاليا (لتر).

---

(١) يقول محقق النشوار ٦٨/٣: " إنّ الساقي البغدادي ينادي على الماء بقوله: (شارب)، فسمي بالاسم الذي ينادي به على بضاعته "، وهو كما قلت: من باب تسمية الشيء بضده، كما سموا الصحراء، مفازة، واللديغ سليما، والأسود أبيض..

العِيار (٢٠/١، ١٩٨/٧) : المقياس الذي تقاس به الأوزان من الذهب والفضة، وغيرها، ويكون على أحجام متعددة.

الكر (٨٠/١، ٥٥/٣) : جمعه (أكرار)، مكيال يساوي أربعين إردبا، أو ستين قفيزا.

٣- ألفاظ الحياة الاجتماعية:

وهي الألفاظ المتعلقة بكل ما يصدر عن المجتمع من مناشط وأعمال، ووسائل المعيشة الأخرى، ويتمظهر في مجالات متعددة أبرزها: طبقات المجتمع وأجناس الناس، ألفاظ اللباس، والحلي والزينة، والأحذية، والفرش والأثاث، وألفاظ الأطعمة والأشربة، وألفاظ الأواني والأدوات والآلات، وأدوات الكتابة، والعادات والمراسيم والمناسبات والأعياد، والمناطق والنواحي والأراضي، وأجزاء البناء وأدواته والقصور، والدور والأماكن المخصوصة، وأنواع المراكب والسفن، ومصطلحات الألعاب و اللهو والمجون.

١- طبقات المجتمع وأجناس الناس:

ذكر القاضي التنوخي في مقدمة نشواره طبقات المجتمع، وأجناس الناس، ومراتبهم الاجتماعية، خاصتهم وعامتهم، رؤساءهم وسوقتهم، وأورد عاداتهم وأخبارهم، وحكى على لسانهم، وترجم مشاعرهم، وعبّر عن دواخل أنفسهم، فكان كتابه سجّلا حافلا بطرائف الأخبار، ونوادر الوقائع والأحداث.

ومن فئات المجتمع وطبقاته الواردة في المدونة، رصد التنوخي ألفاظا مولدة كثيرة، منها ما كان وليد ذلك المجتمع، ومنها ما سُبق إليها، وذكرت في المؤلفات السابقة لعهده، ومنها ما تحدث عنها التنوخي وذكرها لأول مرة، وأكثرها – كما يقول التنوخي في المقدمة –: " مما لا يكاد يتجاوز به الحفظ في الضمائر، إلى التخليد في الدفاتر، وأظنها ما سُبقتُ إلى كَتْب مثله، ولا تخليد بطون الصحف بشيء من جنسه وشكله ".

يجيد القاضي التنوخي في مقدمة نشواره عرض طبقات المجتمع وفئاته المختلفة عرضا شاملا، ويظهر من خلال مقدمته عنايته بالمترادفات، فيعطف أغلب ألفاظها بما يرادفها:

الأذكياء والفهماء، المحادثين والندماء، الأسخياء والكرماء، الفلاسفة والحكماء، واللغويين والنحاة، والشهود والقضاة، والشجعان والأنجاد، والجواسيس والمتخبّرين ...

وأحيانا يعطف ألفاظه بما يضادّها في المعنى: السفهاء والحلماء، الأجواد والبخلاء، الأغنياء والمملقين، المجدودين والمحدودين، المياسير والفقراء ..

وعرض في مقدمة كتابه طبقات اجتماعية تعبّر عن ملامح الحياة، وتكشف عن طبيعة ذلك العصر المكون من فئات وأجناس من الناس شكّلت صورة عامة للقرن الرابع الهجري، ومنها:

الطبقات الاجتماعية الرفيعة:

الملوك، الخلفاء، الوزراء، العمّال: وهم أصحاب الولايات، السادة، الأمراء، الرؤساء، مشايخ الحضرة ، الأغنياء، التجار، المياسير، الفضلاء، الفواضل من النساء، الحرائر (جمع الحرة، وهي الشريفة من النساء).

الطبقات الاجتماعية الوضيعة: المملِقون، الفقراء، المحدودون، الخدم، الغلمان، الشاكرية، الخصيان، السوقة (الفئات الاجتماعية الدنيا)، الإماء، الجواري السواذج (التي لا تُغنّي)، القيان (ج قينة).

فئات أهل الكمال والمروءة: الفطناء، المتقدمون، الفهماء، الرجحاء، المبرزون، المفكرون، المحصّلون.

فئات التخلف العقلي: الأغبياء، المتخلفون، البله، المغفلون، الموسوسون، المجانين، أهل المذهب، السوداويون، المخرّفون.

أهل التسول والتطفيل: الطفيلية، المتطرّحون، الأكلة، المؤاكلون، الشحاذون، المجتدون أو المكدّون حذاق المكدين، المستميحون، السؤّال.

فئات أهل النقص واللهو والمجون: المقصّرون، أهل النقص، الشّطار، أصحاب العصبية والسكاكين ، قطاع الطريق والمتلصصين، أهل الخسارة ، العيّارون ، الذّعار، لعّاب النّرد، والشطرنجيون، الشّراب، المعاقرون، الأبليات، المغنيات، المغنون، الرّقاصون، المخنّثون، والمخنكرون، أصحاب الستائر والمقيّنون، المتقاينون، المستمعون، أهل الهزل، المتخالعون، المجّان، المشعوذون، المحتالون..

فئات الظرفاء والمنادمين: الندماء، المحادثون، المُلاّح، المتطايبون، (الطيّاب)، المسامرون، المضاحكون، أصحاب النادرة، والمضحكون، الصّفعان.

أهل الإسراف والتبذير: المورّثون المتخلفون، المبذّرون.

مهن ترتبط بعادات وطقوس اجتماعية وعلوم التنجيم: ذكر صاحب النشوار في مقدمته طائفة من المنجمين ومن شاكلهم من أصحاب الزجر (٦/١) : " والمتكلمين على الطُرق، وأصحاب الحادور والحلق، وذوي التنمّس ..... وأصحاب الزجر، والزراقين، وأهل القرعة، والمفايلين، والطوّاف بالسهام، والمفسّرين ..". ومعظم هذه الأصناف ترتبط بالتنجيم: وهو علم النجوم ومواقع الكواكب وتأثيراتها.

نماذج من التمثيلات:

المتكلّمون على الطّرق (٣/١) : فئة من النّياس تجلس على قارعة الطريق لتقرأ طالع النّاس، ويُعرف الواحد منهم في بعض البيئات العربية بـ (فتّاح الفال).

أصحاب الحادور والحَلق (٣/١) : المعالجون بالطب الشعبي، والحادور والحَلق من الأدوية المسهّلة.

أصحاب الزّجر (٦/١، ٣١٨/٢، ٣٢٠، ٣٢٢) : أشخاص يتنبؤون عن أمور الغيب بزجر الطائر، وكانت هذه العادة مشهورة في البيئات العربية القديمة، وذكر التنوخي في المدونة أخبارًا عن شُهرة بعض قبائل العرب في زجر الطير، وفي المدونة عن أحد الأعراب (٣٢٠/٢) : " نحن إنما نتفاءل، ونزجر الطير، ونعيف ما نراه ".

الزرّاقون (٦/١، ٣٢٥/٢) : الزرّاق هو: المنجم الذي يقعد على الطريق، وينظر في النجوم. والزّراق: النّاظر في النّجوم، والتزريق: الاحتيال والهذيان والتلبيس، وزرّقتُ عليه: أي موّهت عليه، وهي من الألفاظ المولدة، وتعود أصولها إلى اللغة الساسانية [(١)]، وفي نشوار المحاضرة: (٣٢٥/٢) " وقد جرى حديث الزّراقين .... – وفيه عن أحد الزرّاقين قوله –: اعلم أنيّ لا أحسن من النّجوم شيئا، وإنّما أنا أزرّق، وأهذي على النّساء ...".

(١) ينظر: مجلة المجمع العلمي العربي، مقالة: (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، تيمور، أحمد، م٢، ج ١٠. وفيه: أن نسبتها إلى اللغة الساسانية من كلام المحبي في (قصد السبيل) ٨٢/٢، والخفاجي في (شفاء العليل)، ص١٤٣.

أصحاب النيرنجيّات (٨٤/٦) : أصحاب السحر والتدليس والاحتيال على الناس، وفي المدونة: " وأقبل حامد يتحدّث عن قوم من أصحاب النيرنجيات، كانوا يعدون بإخراج التين، وما يجري مجراه من الفواكه، فإذا حصل ذلك في يد الإنسان، وأراد أن يأكله، صار بعرا ".

أهل القرعة (٦/١) : الذين يمخرقون بالقرعة المنسوبة للإمام جعفر الصادق.

المفايلون (٦/١) : من الفأل، وقد وردت في المدونة بلفظ: (المقالين)، وربما كانت محرّفة عن المفايل: الذي يأخذ كفّيًا من التراب، فيبسطه على الأرض، ثم يقلبه بكفه، ويتحدث عما يراه، وهو الضرب على الرمل ، وعند بعض المحققين من علماء العربية أنّه: " لا يصحّ اشتقاقهم من القول، أو من المقل بمعنى يناسب ما هنا، وعندي أنّ اشتقاقهم من الفأل بالفاء، غير أنّ غالب هذه الألفاظ لما كانت مولدة لا نستطيع الجزم بما صاغوه من هذه المادة للدلالة على المشتغلين بالفأل، وأقرب الصّيغ إلى صورة اللفظ أن يكونوا (الفئآلين) بوزن (فعّال) بتشديد الثاني، أي: بإحدى صيغ النسبة لذوي الصّناعات، وتكون الميم زيادة من قلم النّاسخ " [(١)].

الطوّاف بالسهام (٦/١) : عملهم ضرب من القرعة، وأصل السُّبهمة كالقُرعة وزنا ومعنى [(٢)].

المفسّرون (٦/١، ١٩٢/٤) : المعبّرون الذين يفسّرون الأحلام، وكانوا يدورون على الناس.

ومن العادات الأخرى المرتبطة بالتنجيم أو المعتقدات: معرفة الطالع، وتحويل المولد، وقد يحتفلون بيوم ميلاد الشخص، وكان حسابهم يتم بالسنة الشمسية (٨٨/٤، ١٩٦/٧)، الطلاسم (ج طُلسم) (٣٢/٥، ٣٢/٥، ٣٤).

مشايخ الحضرة (١٣٠/١، ١٥٢/٢) : رؤساؤها وعُمَدها، ويقصد بالحضرة: حاضرة بغداد.

الأبليات (١٥٨/٧) : فئة من النساء كن يغنين في الأفراح، وينحن في مواطن النياحة.

الجواري السّواذج (٣٠٥/١): اللاتي لا يُغنّين، وفي المدونة: " ويشتري الجواري السواذج، والمغنّيات فيبيعهنّ عليه .."، والساذج معرّب (ساده) الفارسية، وهو ما لا نقش فيه، ومنه الساذج عند المولدين للبسيط الحَسن الخُلق[(٣)].

---

(١) تيمور، أحمد، مقالة: (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، مجلة المجمع العلمي، دمشق، م٢، ج١٠.

(٢) ينظر: تيمور، أحمد في مجلة المجمع العلمي العربي، مقالة: (تفسير الألفاظ العباسية)، م٢، ج١٠.

(٣) ينظر: تاج العروس، ٣٤/٦، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص٨٨.

المخنّثون (٥/١، ٢١٩/٤، ١٥٨/٧) : يظهر من خلال ما أورده التنوخي في نشواره، أن المخنّثين: فئة من الناس كانت ترافق المغنيات خاصة، وتتميز هذه الفئة بنقص الرجولة والكلام المعسول، وبعض صفات النساء، وميلهم إلى التّحدث كثيرا مع النّساء، والخَنث: اللين والتكسر والتشبه بالنساء[1].

المخنكِرون: المُجّان والمتخالعون، وفي المدونة (١٩٦/٢) : " وقال لنا: نحن بالغداة في صورة العلماء، وبالعشي في صورة المخَنْكرين ".

الطيّاب والمتطايبون (١٨٥/١، ٣٤٥/٢) : فئة من المنادمين الذين يجيدون رواية الأخبار والأسمار.

الصّفعان: من الصّفع، وهو الضرب على قفا الرجل، وتكون في الرقبة غالبا، وهم جماعة من الناس المتظارفين الذين يتصافعون بالمخاد ونحوها من باب اللعب واللهو والمزاح، وفي المدونة في ترجمة أبي العباس الشامي (٣٠٦/١) : " وكان، مع هذا، صَفعانا طيّبا. فمن ذلك: إنّه دخل يوما على أبي يوسف البريديّ، فصفعه بمخدّة ديباج حسنة مثمّنة..." ويقابله في العصر الحديث ما يسمى بالمهرج، ولهم زي خاص، وفي المدونة (٢٧٤/٨) : " وخرجتُ عليهم في زي الصّفاعنة، فعطعطوا عليّ وضحِكوا ".

أصحاب الستائر: المراد بالستائر، مجالس الغناء التي تُعقد من وراء ستار، وكان المغنون والمغنيات يؤدون الغناء في أحيان كثيرة من وراء ستارة، وخاصة في مجالس الخلفاء والملوك وفترات استراحاتهم الخاصة؛ " لأنّهم كانوا يضربون ستارة تحول بينهن، وبين المستمعين، وكان الخلفاء إذا أرادوا سماع الغناء سمعوه من وراء ستار يحجبهم عن الندماء والمغنين " [2]، وفي نشوار المحاضرة أخبار عديدة تدل على أن القيان كن يغنين من وراء ستارة، من ذلك ما ذكر (١١٤/٧) : " أنّ السّري الرّفاء، دخل على أبي الحسن، باروخ بن عبد الله، صاحب ناصر الدولة بن حمدان، وبين يديه ستارة، تستر من يجلس برسم الغناء "، ومنه ما روي في المدونة

---

(١) يقول محقق النشوار، ٥/١: " المخنّثون: طائفة من الرجال تتزيا بزي النّساء، وتتكسب بالفجور والقيادة، وكان المخنثون يُستأجرون للطم في المآتم، والرقص في الأفراح .." وينظر هامش، ١٥٨/٧، وفي النشوار، ٢١٩/٤: " ويجمع على سور الميدان المخانيث بالطبول والزمور ".

(٢) تيمور، أحمد مقالة: (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، مجلة المجمع العلمي العربي، م٢، ج١٠.

عن تحفة المغنية، والرقية زوج أبي علي من أنهما كانتا تغنيان من وراء الستارة، ومن هنا يفهم معنى قولهم: أصحاب الستارة، وعند فلان ستارة، واتخذ فلان ستارة (ينظر: ٧/ ٣٠، ١١٥، وينظر لبيان العادات الغنائية في العهد العباسي وما بعده: ١٨٢/١، ١٧٣/٢، ١٥٤/٣، ٢٧٧/٥، ٢١١/٦، ٢٢٦/٧).

المقيّنون (٣٠٥/١) : الذين يتخذون القيان لسماعهن، أو للتكسب من غنائهن، وقد يبدأ المقيّن بالنخاسة، وهو بيع القيان والمتاجرة بهن، وينتهي بالقوادة، واتخاذهن للمتعة والتكسب والغناء، " وأصل التقيين التزيين، يقال: قيّنت فلانة صاحبتها، أي: زيّنتها، فاستعماله في اتخاذ القيان مولّد " [(١)].

المتقاينون (١٧٥/١، ١٧٧، ١٨٥، ١٩٧) : المستهترون بسماع القيان ومصاحبتهن، والإنفاق عليهنّ، وهو أيضا استعمال مولّد، واشتقاقه من القينة، أي: المغنيّة، والظاهر أنّهم توسّعوا في التقاين بعد ذلك فجعلوه لمطلق الإسراف في اللهو واللذة والمجون؛ لأن الغالب أن يكون هذا المجون بالقيان، وأمثالهن [(٢)]، وفي المدونة ما يدل على هذا التوسع في استعمال الكلمة، ومنه (١٧٥/١) : " وكان هذا الفتي، ابن جان بخش، قد ورث مالا جليلا، ودخل الديلم الأهواز عقيب ذلك، فتقاين بالمال "، وفي المدونة (١٧٧/١) : " ومن طيّب أخبار متخلّفي المورثين، ما أخبرت به: من أنّ أحدهم ورث مالا جليلا جسيما، فتقاين، وعمل كلّ ما اشتهى ".

المستمعون (٥/١) : يقصد بهم المستهترون بسماع الغناء خاصة، وهو من الاستعمال الخاص.

٢- اللباس والحلي والزينة:

شاع في العصر العباسي، وعصر الدول والإمارات في القرن الرابع الهجري وما قبله أصناف عديدة من الألبسة والحلي وأدوات الزينة التي كانت تُستعمل قديما، أو المستحدثة التي أوجدها بالضرورة الاتساع الحضاري، واختلاط الشعوب، وتغيّر العادات، واختلاف الميول والأذواق.

---

(١) قاله تيمور، أحمد في مقالة: (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، مجلة المجمع العلمي العربي، م٢، ج١٠. ويدل على هذا الأصل ما ورد في غريب الحديث للخطابي٥٧٧/٢: " .. فما كانت من امرأة تقيّن في المدينة إلا أرسلت إليّ تستعيره ".

(٢) ينظر: تيمور، أحمد في مقالة: (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، مجلة المجمع العلمي العربي، م٢، ج١٠.

وفي نشوار المحاضرة رصد لعدد كبير من تلك الأشكال الحياتية المستجدة، فقد كان لتنوع الطبقات الاجتماعية وتميزها ، ومراتب المجتمع وفئاته دور كبير في تشعب الألبسة، والأزياء، فقد كان للوجهاء لباسهم الخاص، وللعوام وأصحاب المهن أزياؤهم التي بها يُعرفون، وللقضاة زِي، ولرجالات الدين زي، وللخلفاء والوزراء زي ورسم معيّن، وللكتاب زي، ولأصحاب اللهو والمجون والمغنين والمغنيات ومن على طبقتهم زي [(١)].

وقد رصد التنوخي في أخباره الجامعة مظاهر الحياة المختلفة، وأصناف الناس وأنواع لباسهم، ووقف على رسم الخلفاء ومن دونهم في اللباس، وكان زي الكُتاب في دار الخليفة، أن يجلسوا وعليهم قِباء وسيف ومنطقة وشاشيّة، ويعلل القاضي التنوخي ذلك بقوله (١٣/٨) : " لأنه لم يكن أحد يصل إلى الخليفة، إلّا بقباء وسيف ومنطقة من الناس كلهم، إلّا القضاة، لا في موكب، ولا غيره، فإذا كان يوم موكب، كانت الأقبية كلها سوادا، وإذا كان غير يوم موكب، فربما كانت من بياض، وفي الأكثر سوادا ".

وكان شعار الدولة العبّاسية السواد، وفي المدونة (١٥٧/٨) : " وكان الرسم إذ ذاك، أن لا يصل أحد إلى الخليفة، في يوم الموكب إلا بسواد ".

وقد يصف التنوخي في نشواره لباس بعض ملوك الشعوب الأخرى، كالهند، ففي أخبار مذاكرته، ذكر أحد ملوك الهند، ووصف ما شاهد من أثاث قصره ومجالسه، ومن لباس الملك وحليه، وفيه (١٠٥/٣، ١٠٦) : " وقد جلس على سرير مُلكه، وعليه مئزران حرير صينيّ، وقد اتّشح بأحدهما، واتّزر بالآخر، وفي حلقه خيط فيه صرّة من ذلك الحرير، لا أدري ما فيها" وفي موضع من الخبر: " والملك جالس فيه، وعليه قميص قصب في نهاية الخفّة والحسن، وسراويل دبيقيّ ، بتقطيع بغدادي، وعلى مسورته رداء قصب فاخر جدا، وبين يديه آلات ذهب، وفضّة، وصياغات كثيرة عراقيّة، كلها حسنة، مملوءة بالكافور والماورد، والعنبر، والندّ، والتماثيل ".

---

(١) وقد أشار الجاحظ في عدة مواضع من كتابه (البيان والتبيين) إلى تنوع الأزياء واختلاف اللباس في عصره، فقال٨٧/٣: " وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب: فمنهم من يلبس المبطّنة، ومنهم من يلبس الدّرّاعة، ومنهم من يلبس القباء .."، وقبل هذا الموضع يقول٦٧/٣: " وللخلفاء عمّة، وللفقهاء عمة، وللبقالين عمة، وللأعراب عمة، وللصوص عمة، وللأبناء عمة، وللروم والنصارى عمة، ولأصحاب التشاجي عمّة .."، وفي موضع آخر: " وكان الكاهن لا يلبس المصبّغ، والعرّاف لا يدع تذليل قميصه وسحب ردائه، والحكم لا يفارق الوبر. وكان لحرائر النساء زيّ، ولكل مملوك زيّ، ولذوات الرايات زي، وللإماء زي ".

وفي أحد أخباره ما يشير إلى لباس بعض الشعوب، ومنها الفوطة، وهي من ألبسة بلاد السّند، وفي المدونة حكاية في وصف رجل (١٩٤/٣) : " فخرج عليّ من بين نخل، وعليه فوطتان، متّزر بإحداهما، متّشحٌ بالأخرى، كأنّه سِنْدي ".

ويصف ثياب البَرد السائدة حينذاك، فيحكي عن أحدهم أنه قال (٧٤/٨) : " فجاء البرد في ليلة، فأصبحنا من غد، وقد لبسنا الخزوز، والمحشو .."، والخزوز، جمع خَز، وهو: نسيج مختلط من الصوف والحرير، أما المحشو، وقد يسمّى الحشو: فهي الثياب المحشوة بالقطن، وتُلبس في الشّتاء، وفي المدوّنة (٥٨/٣) : " إنّ فتى منهم، ركب في يوم شاتٍ، شديد البرد، والماء قد جمد، وليس عليه من الحشو شيء " (وينظر: ١٢٠/٣).

والملاحظ في تتبع ألفاظ اللباس والزينة في المدونة أنها جمعت أصنافا عديدة من اللباس بين قديم عُرف عند العرب، وبين مستحدث جديد من اللباس ..

أما القديم من اللباس، فقد عرفته البيئة العربية قديما، فألفاظه قد تداولتها مدونات الشعر العربي ونثره، ما بين ألفاظ خالصة العربية، وأخرى معرّبة، ومن تلك الألفاظ القديمة:

الطيالس (طيلسان)، الحرير، الديباج، وشي، قلنسوة (قلانس)، دُراعة (دراريع)، دراريع الديباج، أكسية، قُطُيف (قطيفة)، البُردة، سراويل، قميص، عَطاف (عطفيين)، قباء (أقبية)، الخمار، ربطة (من ألبسة النساء، وهي الملاءة إذا كانت من شقة واحدة (٨١/٦) ، شقّة زهرية (من ألبسة النساء) (٢٩٣/١)، خُف، مرقّعة، مبطّنة (كساء الجُبّة) (١٠٤/٨)، مئزر، رداء، جِباب (ج جُبّة)، عمائم، الكُم والأكمام (الفتحة التي في الثوب: مدخل اليد ومخرجها من الثوب (١١١/١، ١١٦/٤).

ثياب سائدة في عصر الدولة العبّاسية وما بعدها:

جاء في المدونة أصناف عديدة من الألبسة، ربما كان أغلبها مستحدثا في ذلك العصر، مثل: الخزوز، المحشو أو الحشو، القصب، المروي (المنسوب إلى مرو، وهو الملحّم، الذي تختلف لحمته عن سداه)، ثياب قصب (القصب: الثوب الرقيق الناعم من الكتّان) وفي المدونة (١٢٠/٣): " ..ولبس الخَز، والقصب، والدبيقي، والمروي .. "، والدّنية، والبركان، والعتّابي، والصّدرة، ومن لباسهم المستحدث في أيام الأعياد واللهو: أبو قلمون مذهّب (ثوب إذا انعكس عليه ضوء الشمس يتراءى بألوان شتى، يعمل ببلاد اليونان)، (١١٨/٨)، والوشي،

ومن أنواع الأقمشة الأخرى: المناديل، الشستجة (المنديل المستعمل للمسح) (١١٩/٨)، وثياب النعال: ثياب دبيقية تستعمل لصنع أحذية منزلية خفيفة وخاصّة، وفي المدونة (٢٩٤/١) : "كنتُ أشتري لها ثيابا دبيقية، يسمّونها ثياب النّعال .."، وألبسة مخصوصة: الزنانير (خاصة بالنصارى): ما يشده الذمّي على وسطه (٣١٩/٢)، وفي المدونة (٣١٩/٢): " والنصارى مخصّرون بالزنانير".

ألبسة منسوبة إلى مناطق: قميص ودراريع وسراويل دبيقية، أُزُر مروي، بياض مروي، سِبنية (ألبسة وفرش منسوبة إلى سبنية بالمغرب) [(١)]، ثياب يمانية، وفي المدونة (١٢٩/٣) : " ولبس ثوبا يمانيا ".

ألبسة النساء: واشتهر من ألبسة النساء في هذا العصر المصبّغات من ثياب قصب، وربما استخدمه الرجال في ليالي اللهو والغناء، وفي المدونة حكاية عن وزير المعتضد (٢٧٦/٣) : " ولبس ثياب قَصبٍ مصبّغات، من ثياب النساء .." [(٢)]، والقراطق والخفاتين، وفي المدونة (٨٤/٣) : " وكانت الأخت تشدها في أوساط الجواري، وتلبسهنّ القراطق والخفاتين، وتلك المناطق فوقها، ويخدمنها كذلك .." [(٣)]، وطراز الحرم الديباج: لباس خاص من ألبسة حريم القصر، مصنوع من الديباج (٩٩/٢).

وطراز الثوب: علامته، وهو قطعة جانبية من الثوب، توضع عادة في قفا الثوب، وهو عبارة عن كتابة تدل على مكان صنع الثوب، ودعاء، وما شابه ذلك، ومن شعر صاحب النشوار(القاضي التنوخي) (٤٩/٥) : (الكامل)

فكأنّ دجلةَ طيلسانٌ أبيضٌ والجسرُ فيها كالطِراز الأسودِ.

والجدول التالي يحوي بعض ألفاظ اللباس الواردة في النشوار من الفئات السابقة:

---

(١) يقول محقق النشوار: " السبنية: قماش يتخذ من الثياب الكتان أغلظ ما يكون، ينسب إلى سبن، واللفظة مستعملة إلى الآن ببغداد، وقد حُرّفت إلى شبليّة " ينظر: نشوار المحاضرة، ١٢٤/٤.

(٢) نشوار المحاضرة، ٢٧٦/٣.

(٣) و(القراطق) جمع قرطق، وهي فارسية، وتنطق في العاميات الحديثة (كرته)، والقرطق: قباء ذو طاق واحد، والخفتان: فارسية، ثوب من القطن يلبس فوق الدرع .. ينظر: كلام المحقق، نشوار المحاضرة، ٨٤/٣.

الكلمة	نوع اللباس	الشرح
طيالس طيلسان ٥٨/٣، ١١٣/٧	الكتف أو العاتق	لباس مطرز يطوى ويوضع على الكتف (أعجمي معرّب).
دِنّية ٢٦/٢	الرأس	عمامة تشبه الدن في شكلها تلبسها القضاة
القراطق ج قرطق ٨٤/٣	البدن	كرته، قباء ذو طاق واحد من ألبسة النساء (فارسية)
الخفاتين ج خفتان ٨٤/٣	البدن	ثوب من القطن يلبس فوق الدرع (فارسية)
قميص قصب ١٠٦/٣	البدن	الثوب الرقيق الناعم من الكتان
رداء قصب ١٠٦/٣	البدن	المقصب المزين بالشريط المطوق من الذهب والفضة
المروي ١٢٠/٣، ٢٨٠، ٢١٩/٤	البدن	ثوب من نسج مرو، وهو الملحم، الذي تختلف لحمته عن سداه
ثوب دبيقي، دراريع دبيقي ١٦٧/٢ ، ١٢٠/٣	البدن	ثياب فاخرة (نسبة إلى دبيق مصر)
سراويل دبيقي ١٠٦/٣	أسفل البدن	سراويل فاخرة تجلب من مصر
فوطة ١٩٤/٣، ٨٥/٧	أسفل البدن	إزار يغطي أسفل البدن، وقد يتشح به على البدن(أعجمي)
دُوّاج ٢٥٨/٣، ٢٠٦/٤	يغطي البدن	لحاف يلبس
بُرنُس ١١٥/٤	البدن كله	ثوب يكون غطاء الرأس جزءا منه متصلا به (أعجمي)
سبنّية ١٢٤/٤	البدن	قماش يتخذ من الكتان أغلظ ما يكون(نسبة إلى سبن بالمغرب)

ثوب ديباج ٢١٨/٤	البدن	ثوب سداه ولحمته من الحرير
العتّابي ٢١٩/٤	البدن	الثوب المعلّم بخطوط بيضاء وسوداء متوازية
البركان ٩٤/٧	البدن كله	قماش يلف حول البدن، فيكون مئزرا ورداء
شاشية ١٣/٨	غطاء الرأس	نوع من القلانس التي تلف على الرأس
المحشو ٧٤/٨	البدن	ثياب تحشى بطبقة من القطن للشتاء
شستجة ١١٩/٨	منديل	قطعة قماش تستعمل للمسح (أعجمي)
صَدرة ٢١١/٨	البدن	ثوب يغشى الصدر
إبريسم ٢٩٤/١، ٢١١/٨	حرير	حرير مخلوط بالقطن(أعجمي)
أبو قلمون ١١٨/٨	البدن	ثوب يتراءى إذا قوبل به عين الشمس بألوان شتّى، يعمل في اليونان

الحلي وأدوات الزينة:

خلخال (خلاخل)، سوار (أساورة)، دمالج، القرطين، جان (محرفة عن جمان) (٢٧٢/١)، عِقد حَب، عِقد جوهر، ياقوت أحمر، ياقوت بلخش (جنس يشبه الياقوت الأحمر) (١٦٣/٢)، فص ياقوت، فص ماس، منطقة ذهب، جمعها مناطق (المِنطقة: كل ما يُشد حول الوسط)، وتكون غالبا موكدة بسيور من الجلد (٤٣/٣، ٨٣)، هميان (حزام عريض يوضع في باطنه المال ويشد في الوسط) (٤٥/٢)، قبيعة السيف (ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد)، الجواهر واليواقيت والتوتيا (معدن نفيس مجلوب من الهند) (١١١/٣)، سبحة أو مسبحة سبج (الخرز الأسود) (٢٩/٥). ومن أنواع الطيب الأخرى: المسوك (ج مسك)، العنابر (ج عنبر)، دهن البلسان،، ماء الورد، المسك، الكافور، النّد.

نماذج من التّمثيلات:

جناغ (٩٩/٤) : ثوب مرصع منقش، يوضع على السرج للزينة، فارسيته (جناغ)، الجيم الفارسية مع الغين المائلة إلى القاف (النطق الفارسي) [(١)].

تكّة: أرامية [(٢)]، الرباط، أو الشد، وفي المدونة (٢٢٤/٥) : " أمرني بهاء الدولة أن أكتب أبياتا يكتبها بعض الجواري على تكّة إبريسم "، وفي موضع آخر (١٤٥/٥) : " قال: إي والله، ثم خالطها، وأخرج تكّتها، فكتّفها بها ".

مواد أخرى للزينة والتطيب:

إسفيداج (١٥١/١، ٢٩٨، ١٩٥/٥) : (فارسية) مادة كلسية ناعمة، يستخدمها النساء للزينة، مثل النورة، وتستخدم لأغراض أخرى، كالبناء أو الكتابة.

الكلكون (٣٤٤/٢) : طلاء تحمر به المرأة وجهها، والكلمة فارسية، مركبة من كل أي: ورد، وكون: أي لون.

الصاروج (١٢٨/٢) : النورة وأخلاطها، واشتقوا منه مصهرج: المطلي بالصاروج، ومنه الصهريج: الحوض الذي يحتبس فيه الماء.

عود (طري، مُقْيلِي) (٦٩/٢، ٢٠٨/٨) : نسبة إلى شجرة المقْيل، أو الدوم، ومنه العود الهندي: المجلوب من الهند، والعود الصنفي، موضع في بلاد الهند [(٣)].

غالية (٢٨٩/١) : جمعها غوالي (من أنواع العطور الفاخرة)، وهي عبارة عن أخلاط من الطيب تجمع وتعجن وتُعتق، وسميت غالية؛ لارتفاع ثمنها.

الغَسول من ذراريّ: ج ذريرة، وهو مسحوق من قصب يُجلب من الهند، يتطيب به، وفي المدونة (١٧٥/٧) : " ثمّ جيء بغَسول ذراري عجيبة طيّبة، فغسل يده بها ..".

---

(١) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٤٦.

(٢) ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، ص٣١.

(٣) يقول محقق النشوار، ٢٠٨/٨: " وهو أردأ أنواع العود، ليس بينه وبين الخشب إلا فرق يسير ".

أشنان (١٤/٥) : أعواد صغيرة بيضاء أو صفراء تدق، وتستعمل في غسل وتنقية الأيدي بعد الطعام، ومثله الصّابون، والغَسول.

التماثيل والشّمامات (١٥٧/٧، ٢٥٣/٨) : أصناف تصنع من الطيب والكافور على هيئات شتى، وتنصب في مجالس القصور للزينة والتطيب، ومنها تماثيل العنبر والكافور.

شموع موكبية (١٣٠/٢) : هي الشموع الضّخمة التي تُحمل في المواكب. وفي المدونة: " وكان أحسن ما شاهدنا له شمعتين موكبيتين ..".

ألفاظ الأحذية:

من أنواع الأحذية التي اشتهرت في هذا العصر:

نعال كنباتي (من الأحذية الهندية)، **خُف منعّل** (على هيئة النعل)، وفي المدونة (١٩٠/١) : " وأرى عليه قميصا مخرّقا، ودرّاعة مرقوعة، ونعلين كنباتي في رجله يمشي بهما في الطرق، وغلامه خلفه، ومعه خُف منعّل، فإذا حصل في دهليزنا لبسه ..."، وفي موضع آخر (٢٣٤/١) : "وكان أبو أمية الغلابي يخرج في كل عشية من داره، وعليه مئزر، وعلى ظهره رداء خفيف، وفي رجليه نعلان كنباتي ثخان، وبيده مروحة، وهو قاضي البصرة ...".

مداس (من الدوس) وفي المدونة (٢٥/٥) : " دخلتُ حمّاما، وخرجتُ وقد سُرق مداسي ..".

تمشك: من أنواع الأحذية البسيطة، وفي المدونة (٢٨٠/٣) : " ونزعتُ خُفي، ولبستُ تمشك غلامي، ومشيت ..".

نعل طاق: من الأحذية الفاخرة، وفي المدونة (١٤٣/٥) : " فلمّا كان بعد سنين، رأيته في الكرخ، بطيلسان، ونعل طاق، بزي التّجّار المياسير ..".

وهناك نعال خاصة تستخدم في القصور، وفي المدونة (٢٩٤/١) : يحكي التنوخي عن كيفية صناعتها، وأغراضها، وأنها تصنع من ثياب النعال، ولا تُلبس إلا لمدة محدودة، وأنها محشوة بالمسك والعنبر، وتُجعل طبقات .

٣- ألفاظ الأثاث وأمتعة المنازل:

من مظاهر الاتساع في الحياة، وتأثير الحضارات في بعضها، التوسّع في أنواع الأثاث والفرش، ووسائل الراحة، وفي المدونة (٥٢/٨) وصف للفرش الكامل للمنزل: " فاستعملوا له فرش أرمني، ببساط عظيم، ومصلّيات، وأنخاخ، ومساور، ومخادّ، ودست، وستور .." [(١)]، وفي موضع آخر (٥١/٨) يصف فرش قصر فاخر: "وجاءنا رسول يوسف بعد الظهر، فركب، ونحن معه، حتى أوصلنا إلى حضرته، فأجلسنا في فازة بهنسي، لم أر قبلها مثلها حسنا، في صدرها سدّة أبنوس مضبّبة بالذهب، ومساميرها ذهب، وعليها دست ديباج فاخر جدا، وبين يديها بساط جهرمي، فوقه حصير واسع، كبير، عظيم، طبرانيّ، ومخاد، وصدر منه " [(٢)].

ومن أنواع المتاع والأثاث المنزلي الأخرى:

مخدّة، قصب، حُصُر، مزمّلات، تخوت ج تخت، الطوف (الخشب المتراكم)، الصناديق، رَبْعَة (صندوق مربّع) (٢٥٤/٨)، أنماط (فُرش وطنافس)، فرش أرمني، اللبود الطاهرية (نوع من البسط)، بُسُط ج بساط، النّطع، الخيم، الشُرع، الفازات، الخوص، حصير ، ستارة، علق حسن، وفرش ديباج مثقل، المرايا المحلاّة الثقيلة، المضارب البلّور، المداخن المحلاة (المجامر)، العمّارية (الهودج).

---

(١) يقول محقق النشوار: " والفرش الكامل للبيت يشتمل على فراش متماثل في اللون والنّقش، مختلف في المساحة، فالصدر أكبر القطع مساحة، ويُفرش في ساحة البيت أو القاعة (غرفة الضيوف)، والأنخاخ، مفردها نخ، ونخ الطائر عظم جناحه، والمتعارف أن يكون مع الصدر نخّان، والنّخ سجّادة طويلة، قليلة العرض، تمد فيما بين الصّدر وبين الحائط، أما المصلّيات، فهي قطع صغيرة، تستعمل للصلاة، وتوضع تحت الضيوف، والمخاد، والمسورات، والدست وهو قطعة توضع في صدر المجلس، والستور التي تعلّق على الحيطان، والشبابيك ".

(٢) والسّدة: ما يجلس عليها كالمنبر، وبهنسي: منسوب إلى بهنسة بمصر. وجهرمي: منسوب إلى جهرم بفارس، وطبراني: نسبة إلى طبرستان في أواسط آسيا. ينظر: هامش محقق النشوار، ٥١/٨.

نماذج من التمثيلات:

بارية (٢/٢٩١، ٤/١٩٥، ٦/١٩٠) : وجمعها بواري، الحصير المنسوج من القصب [(١)].

بُرذعة (٢/١٧٥) : الأصل أنها كساء يُلقى على ظهر الدابة، ثم استعير للفراش الذي يوضع للحجرة من أجل الراحة.

تخت (١/١٨٤، ٢/٨٤، ٤/٢٧٨) : وعاء تُصان فيه الثياب.

المحفّة (١/٢٧٢، ٤/١٩٦) : سرير أو مجلس خاص معد للنساء يُحملن عليه، وقد يحمل عليه المريض والمسافر.

الخيش (١/٣٠٣، ٧/١٨١، ٢٣٣) : نسج من الكتّان، يعلّق في مجاري الهواء، ويُرش، أو يوضع على الجرار الكبيرة بقصد تلطيف الجو، أو التبريد.

دست (١/٧٩، ٣/١٥٤،١٠٦، ٤/٩١) : نوع من الأسرة العريضة التي تُوضع في صدر المجلس، وقد تدل على المنضدة التي توضع عليها الأشياء.

الرَسَن (٣/٢٦٤) : الحبل، ورسنتُ الفرس وأرسنته، إذا شددته بالرسن، والمَرسِن: موضع الرَسَن من أنف الفرس، وهو مما اشتركت فيه اللغات[(٢)]، ومثله: خيط قُنّب (حبل) (٥/٢٧٥، ٧/٩٦).

زلاليّ (٣/١٨٠) : مفردها زليّة، فارسية، وهي البساط.

سِبنّيات (٣/١٨٠، ٤/١٢٤، ٨/١٠٧) : مفردها (سِبنّية): قماش يُتخذ من الكتّان، ما يكون، ينسب إلى (سبن) بالمغرب[(٣)].

مِسورة (١/٤٦، ٣/١٠٦) : وسادة أو مسند، يتكأ عليها.

---

(١) يرى الأب مرمرجي الدومنكي أنّ هذه اللفظة وليدة البيئة العراقية، وهي أكّدية النجار، ونقلت إلى الأرامية، وتناولتها الفارسية، وعن الفارسية أخذتها العربية، ينظر: المعجمية العربية، مطبعة الآباء الفرنسيسيين، القدس، ١٩٣٧م، ص١٥، ويرى أدي شير، أنّها تعريب (بوريا)، وهي مشتقة من (آي بار) بمعنى: لم يفلَح، وكأنّ الباري أغلظ المفروشات، يقول: وأظن أنّ أصلها أرامي، ينظر: الألفاظ الفارسية المعربة، ص٣٠ . يقول محقق النشوار: ولم يزل هذا اسمها في بغداد، ينظر: ٢/٢٩١.

(٢) ينظر: الصحاح للجوهري، ٥/٢١٢٣، ومقاييس اللغة، ٢/٣٩٤.

(٣) يقول محقق النشوار ٣/١٨٠: " واللفظة مستعملة إلى الآن ببغداد، وقد حُرّفت إلى شبليّة ".

سِماط (٩٥/٤) : سفرة أو مائدة الطعام، وهي قطعة من الجلد تمدّ على الأرض وتوضع عليها صحون الطعام [١].

شريجة (٩٠/٣) : جمعها شرائج، وهي الستارة من القصب، توضع على أبواب الدور والدكاكين.

المَطرح (١٥٤/٣) : المفرش، وهو دون الدست، يوضع في جوانب المجلس.

طنفسة (٣١٠/١) : فارسية (البساط).

الفازات (٢٤٧/٣، ٢٥١/٨) : جمع فازة، وهي المظلّة بعمودين.

كِلّة قَصَب (٢٣٩/٨) : غشاء رقيق يُتوقّى به من البعوض، كان يُتخذ من عيدان القصب.

وطاء (١٩٠/٦) : مجلس، أو سرير مرتفع.

٤- الأواني والأدوات والأثاث:

طرأ تطور كبير في مظاهر عديدة في المجتمع العبّاسي، واتسعت الحضارة، وتنوعت أساليب الحياة، وتمظهر هذا التطور في عدة مظاهر، ونشأت تسميات جديدة لأشياء استجدت في الحياة، كان أبرزها في مجال الأدوات والأواني والأثاث ..

ولا نريد أن نتوسع في الاستقصاء والتتبع، بقدر ما نريد أن نضرب الأمثلة لتلك الألفاظ التي دخلت الحياة العربية، سواء كانت كلمات فصيحة، أو معرّبة، أو مولدة، أو دخيلة، وقد رصدتُ من خلال تتبعي عشرات الكلمات التي تحكي البيئة العبّاسية واسعة الأصقاع.

وقد آثرنا تصنيفها بحسب مجال الاستعمال، نظرا لكثرة الألفاظ، وهي كالتالي:

- الأواني والأدوات المنزلية: الصُفر: الأواني المنزلية المتخذة من النحاس، كالقدور، القصعة(الصّحفَية أو الصحن الكبير)، الطسوت أو الطساس ج (طست أو طشت) [٢]، الصحون، كيزان (ج كوز) [٣]، سُكرجة، سِتطل، برّادة، قِدر، قنّينة، قَدح، زِق حدّاد، عتيدة (وعاء يُوضع فيه الطيب والمشط ونحو ذلك)، المجامر، البرام (البُرمة)، صنجات،

---

(١) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٤٦/٦.

(٢) ينظر: نشوار المحاضرة، ١٥٧/٤، ووردت بلفظ (طشت) في أكثر من موضع، ينظر: نشوار المحاضرة، ١١٢/٣، ٢٥٩/٥.

(٣) الكوز إناء من الفخار يستعمل للشرب، ينظر: نشوار المحاضرة، كلام المحقق في الهامش حول أنواع أواني الفخار واستعمالاتها ٦٨/٣.

صواني ج (صينية)، صينية ذهب، صينية فضّة، مغسل فضة، ملعقة، شرابي ذهب ، مجامع فضّية، قماقم ج قمقم، أباريق، الدن والدنان، أكياس ج كيس، حق من ذهب، مداخن، مجامر، ج مجمرة، كوز وقدح بلّور، قحف بلّور، ومن أدوات الطباخة والتسخين: مِرجل، مسخنة، ديكدن، كوانين، طنجير، ومن أدوات سقي الماء: فوّارة، مزمّلة خيازر.

أدوات أخرى: مِذبّة (أداة يدوية لطرد الذباب)، المِنبرد، المكنسة، المقدحة، قنديل، الجهاز: (أثاث العروس)، دبوس، مقراض، ومن أدوات التنجيم: الاصطرلاب، التّقويم، الزايرجة، مِطرقة، أشفى (المثقب والمخرز)، زراقة النفط، خُرج، وأنواع العصا المجوفة: قناة، أنبوبة، قصبة.

نماذج من التمثيلات:

إجّانة (٥٩/٣، ٢٥٣/٨) : الإناء الكبير ذو الحافة المرتفعة، أو إناء مستدير تُغسل فيه الثياب، وجمعها أجاجين، ومثله: (القَدَس: السطل).

إداوة (٢٧٩/٤) : (فصيحة) إناء صغير من الجلد، يحمله راكب الدابة، وقد تطلق على الرحل.

أُصص (١٧٦/٨) : أوعية تزرع فيها الورد، والرياحين.

برنيّة (٣٤٢/١) : وعاء من خزف.

التّور (١٣٠/٢) : وعاء تثبّت فيه الشّمعة.

الجِراب (٧١/٧) : بكسر الجيم، الوعاء من الجلد، وجمعه جُرُب، وجُرْب، وأجربة.

جامة (٣٩/١، ٢٠٧، ٢٤٨/٢٥١،٨، ٢٤٩) : وجمعها (جامات)، فارسية، صحون أو كؤوس أو أوعية زجاجية فاخرة، توضع فيها الحلوى وما شاكلها، وقد تكون مصنوعة من أحجار فاخرة، وقد يتفننون في صنعها وحجمها، ويوضع فيها غالبا الحلوى، وما شابه ذلك.

الجُوَن (١٨٩/٣، ١٤٤/٥، ٢٣٤/٥) : ج جونة، وهي السلّة الصّغيرة المغشّاة بالأدم.

الحُب (٢١٦/٤) : الجرة الكبيرة، أو الخابية، وجمعه: حباب.

خرداذَي بلّور (٢٥٣/٨) : إناء أو قنينة ذو عنُق ضيّق، يودع فيها الخمر، والكلمة فارسية.

مخالي الدواب (٨١/٢، ٢٦٤/٣) : جمع مخلاة، أوعية وحقائب كبيرة لحفظ الأشياء.

خُماسية (١٢٦/٢) : إناء يسع خمسة أرطال.

المخروط (١٤٦/٤، ١٩٧) : الأواني الزجاجية النفيسة، مخروطة الشكل.

مـدافات بلـور: القـدح الـذي يُخلـط بـه الشـراب بالمـاء، ويُشـرب، وتسـمى بالفارسـية (جاشنكير) كمـا ورد في المدونـة (٢٥٣/٨) : " فـأمر يوسـف، بإخراج الأنبـذة، في مـدافات بلّور، تسمّى بالفارسية: جاشنكير ..".

ديكدان (١٢٦/٢) : فارسية، آلة يوضع عليها القِدر.

دولاب الجمـل (٢٣٦/٨) : آلـة يـديرها الجمـل لعصـر الحبـوب والسّمسـم واسـتخراج الزيوت.

المِركن، والمغسل (٢٥٣/٨) : وهو إناء كالإجانة تغسل فيه الأشياء، والمركن يوضع فيه الأشنان وما شابهه، لغرض غسل الأيدي.

مِروحة (١٦٢/٢) : أداة يدوية لجلب الهواء و تلطيف الجو، ومثلها المِذبة: لطرد الذباب.

الدّهق والمِصقلة (٢٨٩/١) : أداتان لحمل الأشياء الثقيلة.

مزمّلة خيـازر (٣٧/١) : مـن الألفـاظ البغداديـة التـي اشـتهرت في بيئـة العـراق، ويطلقونهـا على الجـرة أو خابيـة المـاء للسـقيا وحفـظ المـاء بـاردا، في وسـطها فتحـة فيهـا قصـبة مـن فضّـة يشرب منها، وتزمّل عادة بالخيش، والخيازر جمع خيزران وهي قضبان تغلّف بها المزامل [(١)].

زبدية (٢٤٩/٨) : جمعها زبادي، صحفة صغيرة من الخزف.

الزايرجـة (٣٢٧/٢) : فارسية، أصلها (زيركاه)، شبكة مربعة تشتمل على مائة بيت، يرسـم في كـل واحـد منهـا حـرف مفـرد، ولهـم فيهـا أعمـال يزعمـون أنهـم يسـتدلون بهـا على المغيبات [(٢)].

زنبيل، زبّيل (١٧٢/٨) : جمعها زُبُل، القفة الكبيرة.

السُّكرجات (٩٦/١) : ج سكرجة: (فارسية) الصّحفة.

سـلاليم (١٧٢/٨) : وسـلالم، مفردهـا (سُـلّم)، وهـو المرقـاة، سـواء كـان مـن خشـب، أو حجر.

---

(١) ينظر: تيمور، أحمد (تفسير الألفاظ العباسية)، مجلة المجمع العلمي العربي، م٢، ج١١. وينظر: المحبي، قصد السبيل، ٤٦٥/٢، يقول محقق النشوار: وكلمة المزملة لم تزل شائعة في بغداد، وقد حرّفت فأصبحت (مزمبلة)، وتطلق على قصبة الحديد أو الرصاص التي ينصب منها الماء.

(٢) ينظر: أدي شير، تفسير الألفاظ المعرّبة، ص٨٢.

المِسرد (٢٦٤/٣) : الغربال الواسع العيون.

المَسَاحي (٢٠/٤) : ج مسحاة، وهي أداة يغرف بها، أو يسحى بها كالمجرفة.

صَن (٣٨٥/٥) : وعاء شبه السلة.

الطَلق (٢٠/٤) : حَجر برّاق يدق إلى طاقات صغار، ويعمل به مضاوئ للحمامات، فيقوم مقام الزجاج.

مطاولات (٣٦٤/٢، ٢٥٣/٨) : أطباق فيها طول، والصحن أو الصينية المستطيلة.

طنجير (١٢٦/٢، ١٢٨) : فارسي معرب تنكيره[(١)]، وعاء يطبخ فيه.

طيفوريّة (١٦٥/٧) : وعاء يقدّم فيه الحَساء.

ظَرف (١٤٥/٥) : وعاء كبير.

غضارة (١٠٠/١، ٤٦/٤، ٧٨) : الصَّحفة المتخذة من الطين، ومنه الغضار الصيني المجزّع، وهو الملون بالسواد والبياض.

قحف بلّور (٤١/٣) : إناء يشبه قحف الرأس.

قوصرة (٨٩/٧) : وعاء مثل الكيس، يُنسج من القصب، ويوضع فيه التمر المكبوس.

كشتبان (١٢٨/٢) : قمع الخيّاط يضع فيه إصبعه، يتقي بها وخز الإبر، فارسية، انكشتانه، معناه إصبعي[(٢)].

كوانين: ج كانون، الموقد والمصطلى، وفي المدونة (٢١٩/٤) : " فكان الشاب يسبح قائما، وعلى يده كانون فوقه حطب يشتعل تحت قدر، إلى أن تنضج ..".

مرور (١٧٢/٨) : ج مر، أداة تشبه الفأس، وتستعمل للحفر[(٣)].

المِنقاش (٩٣/٨) : أداة لنتف الشعر.

هواوين (١٦٨/٢، ١٤/٥) :ج هاون: فارسية، تطلق على أداة من النحاس يدق فيه ما يحتاج إلى دقه من حبوب وغيرها.

---

(١) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٨٢/٧.

(٢) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٩٢/٩، قال: وهو من كلام العامّة.

(٣) يقول محقق النشوار: وما تزال مستعملة ببغداد.

الهيب: وقد فُسّرت في المدونة (١٧٠/١) : " والهيب حديدة عظيمة كالبيرم، يقلع بها أصول النّخل، لا تنقلع إلا بها، وهي تسمى ببغداد العَتلة، ومنها منبسط كالأسطام .. " [(١)].

– أجزاء فتح الأبواب وإغلاقها:

التربـاس والمترس (١٠٠/٧): التربـاس: مزلاج من حديد أو خشب يغلق به الباب من الداخل، والمِترس: فارسية، خشبة توضع خلف الباب لتدعمه، وتعريبها (الشِّجار) [(٢)].

الحلقة، الرَّزة (٣٤٠/٢) : حديدة يدخل فيها القفل ونحوه.

الدرابات (٢٢٣/٨) : فارسية، أبواب من الخشب، تُصف الواحدة بجانب الأخرى، ويمد عليها حديد، يغلق بقفل أو أقفال.

زرافين (٢٥٢/٨) : ج زرفونة، فارسية، تعني الحديدة التي يغلق بها الباب، أو حلقة الباب.

– حقائب وأوعية لحفظ الأشياء:

الخريطة (٨٥/٨، ٢٥٥) : وعاء من الجلد، أو غيره يشد على ما فيه، من أموال أو رسائل.

الأدراج والثبت (٥٥/٨) : يستعملان في حفظ الدفاتر والتدرب على الكتابة.

سَفط (٨٤/٦، ٨٥، ٩٦، ٩٢/٧، ٩٨) : جمعه أسفاط، أوعية، أو صناديق صغيرة تستخدم لحفظ الأشياء، وهي أنواع، فمنها سَفَط الجواهر والمعادن الثمينة، ومنها أسفاط الكراريس والدفاتر، ومنها ما يستخدم للأمتعة.

قِمَطر (١٥٣/٤، ١٥١/٨) : أوعية تحفظ فيها الدفاتر والرقاع والكراريس.

كيمخت (٣٧/٣) : فارسية، نوع من الجلد، توضع فيه الأشياء.

هميان (٤٥/٢، ٢٠٦/٤، ٢٦٢/٥،٢٥٣، ٦٩/٧) : حزام عريض، يوضع في باطنه المال، ويشد على الوسط.

---

(١) والأسطام: حديدة تحرك بها النار، والعتلة: حديدة يقلع بها البناء.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ٢٨٢/١٠، يقول محقق النشوار: وكلمة التربـاس عامية بغدادية، ما زالت مستعملة ببغداد.

– أدوات الكتابة:

كان الاهتمام واضحا بأدوات الكتابة والترجمة، ونقل الكتب ونسخها، بل والتفنن بالأوراق والكتب وتجليدها، وفي المدونة (٨٣/٦) : " وكبس منزله، وأُخذت منه دفاتر كثيرة، وكذلك من منزل محمد بن علي القنائي، في ورق صيني، وبعضها مكتوب بماء الذهب، مبطّنة بالديباج، والحرير، مجلّدة بالأديم الجيّد .."، وأخذ الاهتمام يزداد بتحسين الخط وتجويده، وفي المدونة (٢٤٠/٥) عن عبد الحميد الكاتب قوله: " إن أردتَ أن يجود خطّك، فأطِل جلفِتك وأسمنها، وحرّف قَطّتك، وأيمنها ..".

ومن أدوات الكتابة ومصطلحاتها السائدة في عصر التنوخي:

رقاع، دفاتر، كراريس، ظهور (أوراق فرغ من استخدامها تستخدم للكتابة على ظهرها)، مقلمة، جِلفة القلم: (فتحة رأس القلم).

نماذج من التمثيلات:

أسفيداج (٧٦/١، ١٩٥/٥) : مادة كلسية يكتب بها على الألواح ونحوها.

مربّعة (١٤/٢) : من أنواع ورق الكتابة.

السّحاة (٤٠/٣، ١١٥/٢) : سحا الكتاب: ربطه بالسحاة، وهي عصابة رقيقة تُلف على الكتاب، ثم يلصق طرفاها، لتحول دون فتح الكتاب، ثمّ يختم الكتاب بوضع شيء من الشمع أو الطين على طرفي السحاة الملصقين، ثم يوضع الخاتم على الشمع، ليظهر أثره واضحا فيما إذا عبث أحد بالسحاة، ثم يوضع الكتاب بعد الختم في خريطة، والخريطة: كيس من الجلد في فوهته خيط، إذا خُرط أغلقت فوّهته.

ورق أثمان منصوري (٢٠٣/٧) : نوع من الورق ساد في العصر العباسي.

٥– أصناف المأكولات والمشروبات:

من أظهر المجالات التي توضّح تأثير الفارسية على العربية أصناف الأطعمة والأشربة التي شاعت في المجتمعات الإسلامية نتيجة امتزاج الشعوب، وتعدد الثقافات والعادات، فقد استحدثت ألفاظ أطعمة وأشربة لم تكن موجودة من قبل.

– خضروات وفواكه:

باقلا، جربان الخس، زبيب خرساني، رطب آزاد، الرطب السكر (السكري)، باكورة فاكهة (أول ما يدرك منها)، كمثراه، خوخة، الهندبا، تينة، نارنج، الأرز، خافور (الأرز إذا لم يحرز) (١١٧/٨)، وقد تنسب بعض الفواكه إلى أشخاص اشتهروا بالتجارة بها: كالبطيخ العبدلاوي، والرّقي العبدلاوي (٢١٦/٢)[(١)].

– أطعمة:

مضيرة، عصيدة التمر، فراخ مسمنة، دجاج هندي، فراريج ودراريج، كبود الدجاج، وقوانصها، لحم مكسود (مملوح)، ممقور، جزورية: لحوم من قلوص فتية، بقرية: لحوم العجل، جدي مبزّر، جدي بارد، مرقة، صير(سمك صغير مملوح)، جراد مطبوخ، مباعر محشوة: (الأمعاء المحشوة)، سويق الحمص، الإدام، المريّ (ما يؤتدم به، وكل ما يؤكل مع الخبز فهو إدام)، البيض الطاجن (المقلي).

أصناف الحلوى: جامات حلوى، قطائف ج قطيفة، السكّر الحار، معقود العسل.

أصناف النُقل: لوز، بندق، غبيراء، نبق، بلّوط..

دهون وزيوت وبهارات: دهن الجوز، واللوز، والخردل، والجلّوز، فلفل مدقوق.

نماذج من التمثيلات:

إسفيدباج (٢٢٩/٢) : أو إسفاذباج، وهو طعام مكوّن من اللحم المعرّق بالإلية مع الحمّص، والبصل، والكسفرة والكمّون، ومستحلب اللوز.

أوساط (٢٣٤/٥) : وهو عبارة عن شطائر، أو رغيفين، يحشى بينهما لحم دجاج، وطبقة من الجوز والجبن والزيتون وطبقة من البيض المسلوق وغيرها.

البُرمة (٢٩٣/١، ١٩٦/٤) : في الأصل القدر من الحجر، يستخدم لإنضاج اللحم، ثم أطلق على نوع من الطعام يوضع في البُرم.

---

(١) وسمي العبدلاوي، نسبة إلى صاحب زراعة الخضروات: أبي عبد الله بن عوف، والرقي: نسبة إلى الرقة، وهي الأرض الخصبة، ينظر: نشوار المحاضرة، ١١٦/٢، ومثل هذا في العصر الحديث تسمية نوع من البرتقاليات باسم (يوسف أفندي).

بزماورد (٣٢٢/٢، ١٩٠/٣، ٥/ ٢٣٤) : فارسي معرّب[١]، خبز أو رقاق يلف باللحم.

بهطّة (١١٨/٣) : سندية، الأرز يُطبخ باللبن والسّمن بلا ماء.

البوارد (١٩٦/٤) : الطعام الذي يؤكل باردا، كالبزماورد.

التحايا (١٧٧/٧) : ما يقدم للضيف من أصناف الفاكهة كالتفاح، وأصناف الرياحين.

جام لوزينج (١٢٠/١، ١٢٣، ٢٥١، ١٤٧/٧) : فارسية (لوزينه) طبق حلوى يعمل بالدقيق ويحشى باللوز والفستق[٢].

الجلّوز (٩/٢) : حب الصنوبر الكبار، معرّب عن (جالفوزة) فارسية.

جوامرك (١٨٥/٢) : جمعها جوامركات، الفتى من الطير.

الجوذاب (١٤٠/٧) : مقلوب ذوباج، طعام يتخذ من الأرز، والبندق وبعض المنكهات والبهارات، ويوضع عليها أوز أو جدي مشوي أو شبههما[٣].

حِصرميّة (٢٠٧/٦) : نوع من الطعام يظهر من اسمه أنه طبيخ فيه أنواع من الزبيب واللوز، وفي المدونة: " وقدّم الطّعام، وفيه حِصرميّة غير محكمة ..".

الحيس (١٠٣/٤) : طعام من السمن والتمر والدقيق.

خشكنانكه (٢٤٠/٧) : فارسية، وتعريبها (خشكنانج)، وتصنع من العجين المحشو باللوز أو الجوز أو السكر، ويشوى[٤].

ديكبريكه (١٧٧/٤) : طعام مكوّن من اللحم والحمص والخل والمري، وقد يُجعل بالسكر.

الربائث (٩٦/١) : ج ربيثاء: طعام يُعمل من السمك الصّغار.

زلابية (٢٠٧/١) : دقيق يعجن ويطرح على شكل رقائق في الزيت المغلي، ويوضع عليه السكّر.

سكباج (١٨٠/١، ١٧٦/٧) : مرق يصنع من اللحم والخل ومواد أخرى[٥]، ويضرب بحموضته المثل، وفي المدونة (١٧٦/٧) : " ومرق سكباج أحمض من الفراق ".

---

(١) ينظر: الخفاجي، شفاء الغليل، ص١١٣.

(٢) يقول محقق النشوار: واللوزينج يسمى الآن ببغداد البقلاوة، وأحسب هذه الكلمة (تركية).

(٣) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٣٣٢/٢.

(٤) يقول محقق النشوار: ما زال هذا اسمها في النجف، وتسمى الآن ببغداد (كليجة) بالجيم الفارسية المثلثة.

(٥) يقول محقق النشوار: والعامة في بغداد إذا شكوا من حموضة طعام، قالوا: حامض، كأنه سكباج .

سمبوسج (٢٣٤/٥): فارسية (سنبوسه)، رقائق مثلثة، تحشى بلحم مفروم، وبصل وبهارات.

السميذ الفرّاني (٢٨٠/٢، ١٩٠/٣) : نسبة إلى الفرن، خبز ثخين مستدير، وإذا كان الخبز من الدقيق الأبيض سُمي سميذا.

السَويق (١٣٠/١، ٢٢٣/٤) : جمعه الأسوقة، الناعم من الدقيق، وكل ما صلح أن يكون دقيقا، يمكن أن يتخذ منه سويقا، وهو أصناف، منه: سويق الحمص، سويق اللوز الذي يُخلط بالسّكر أو العسل، وسويق التّمر.

الشيرج (٩/٢) : فارسية (شيره) [(١)]، دهن السمسم.

طباهجة (١٩٥/٢، ٢٠٤، ٨٥/٣) : فارسية (تباهة) [(٢)]، طعام من لحم وبيض وبصل، وهي أصناف، منها: طباهجة بكبود، ومنها طباهجة عنبرية.

طيهوج (٢٠٨/٣) : فارسية (تيهو)، ذكر السلكان أو الحجل.

غبيراء (١٢٤/٨) : فارسية (غباريه)، وتسمى عنب الدب، وهو شجر ثمره كالعُنّاب.

فالوذج (٢٠٧/١، ٧٧/٣، ٢٣٥/٥) : فارسية، حلوى تعمل من الدقيق والماء والعسل [(٣)].

الفرصاد (٢٧٣/٤) : التوت الأحمر، ويسمى في بغداد تكي الشام.

قطائف (٥٩/٢) : فطائر مقلوة ذات طبقات رقيقات كالأوراق محشوة بالعسل واللوز [(٤)].

القلايا (١٤٠/٧) : مرق يتخذ من أكباد الجزور ولحومها.

كردناك (١٤٤/١) : تركية، لحم القص (شاورما) في سفود من حديد، ثم يقلب على النار حتى ينضج.

كرنبية (١٦٥/٧): طعام يتخذ من الكرنب، وهو بقلة، ويسمى (الملفوف) تُغلى وتتخذ كهيئة المرقة.

---

(١) ينظر: الخفاجي، شفاء الغليل، ص١٣٥، وفيه: " والعامة تقول: سيرج، بسين مهملة مكسورة ".

(٢) وذكر الخفاجي في شفاء الغليل، ص١٤٧ أنه الكباب والعرب تسميه الصّفيف.

(٣) وربما كانت هي (البالوزة) الحارة التي تعمل في وقتنا.

(٤) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٣٤٥/٥، وهو أشبه بما يدعونه اليوم ببنت الصحن في اليمن.

الكَسَب (٦٠/١، ٢٤٧/٥) : فارسية (كسبه) عصارة المواد التي يستخرج منها الدهن، ويطعمون المواشي في بعض الأحيان منها، والكَسَب أيضًا التمر المجفّف (١٩١/٣).

الكـواميخ (١٣٩/٨) : فارسية، مفردها (كامخ) إدام يؤتدم به، أو المخللات التي تستعمل لتشهي الطعام[(١)].

لفّات (٢٣٤/٥) : مفردها لفّة، لون من الطّعام النّاشف، أشبه بالسندويتش، أو شطيرة البيض خاصة، ويفرد له رغيف لين خاص به، مصحوبا بأنواع أخرى من الخضار.

مخلّط خرسان (١٩٨/١) : مجموعة من الفواكه المجففة والنَقْل، كالتين والفستق واللوز والبندق والحمص والزبيب، تخلط وتؤكل.

مضيرة (١٢٣/١، ١٩٣/٣، ٧٨/٤) : مرقة تخلط باللبن المضير على هيئة الجبن، وتقدم عادة مع الفراريج، فيقال: مضيرة بفراريج، أو بفراخ مسمّنة.

النّاطف (٢٧١/٣) : نوع من الحلوى كالرغوة البيضاء، يغمس فيه السكر المطحون.

النَّقل (٢٠٤/١، ١٠٨/٣ ١٧٧/٧،١٧٦، ٢٥٣/٨) : الزبيب والفستق واللوز وأنواع الفواكه، والحمص المسلوق، وما أشبه ذلك، ويؤكل عادة مع الشّراب [(٢)].

هريسة (١٠٠/١، ٣٧/٦، ٣٩، ٦٥/٨) : كان يراد به البر المهروس، ثم أطلق على نوع من الحلوى تصنع من الدقيق والسمن والسكر، يضاف إليه الحليب والقشطة[(٣)].

الأشربة:

ومما شاع واشتهر من أنواع الأشربة في مدونة التنوخي: نبيذ تمر أو (النّبيذ التّمري) ، الصّبوح، الجاشري، الغبوق، الشراب القطربلي، قهوة (الخمر)، السلوة ، الفقّاع، ماء السذاب، المطبوخ القطربلي، النبيذ من الزبيب والعسل، نبيذ دوشاب طري، سخين وحشين، شيراز (اللبن).

---

(١) يقول محقق النشوار: وجمعه المتعارف (كوامخ)، والبغداديون يجمعونه على كواميخ، كما يجمعون الزورق زواريق.

(٢) ويسمى في بغداد (المزة) إشارة إلى طعمها المز الذي يضرب إلى الحموضة، وقد يكون النقل من غير تلك الأصناف، كاللحم المقطوع أوصالا، وفي المدونة ٢٠٤/١: " شربتُ معه يوما، فنقّلني بقديد ...".

(٣) والهريسة بالمعنى الأول أشبه بما يسمى اليوم بالعصيدة، وكلا النوعين معروف في وقتنا الحالي.

واشتهر في بيئة بغداد، والعراق عامة، أنواع من الأنبذة التي تشرب أثناء الأكل أو بعده، أو في المسامرات والمنادمات والأفراح، ومجالس الأنس، وقد اشتهر من أسمائها في عصر التنوخي:

الجلنجبين (٢٣٣/٨) : شراب يخلط بالورد.

الشراب القطربلي (١٠٥/٣، ١٧٥/٧) : (المنسوب إلى منطقة قطربل)، وهو من أجود أنواع الشراب، ونبيذها يضرب به المثل في الجودة.

شيراز (١٤٠/٨) : فارسية، اللبن الرائب المستخرج ماؤه.

الصّبوح[1] : الشرب في الصباح، فإن كان مبكرا جدا، سُمِّي (الجاشري)، و**الغَبوق**: الشرب في المساء، وفي المدونة (٦٠/٥) : " وبطُل صَبوح أبي الحسن، ودعانا وقت الظهر، .... إلى أن شرب بعد انتباهه من نومه، غَبوقا .." ، وفي موضع آخر (١٩٠/٢) : " فقال لي: يا أبا الحسن، قد عملت غدا على الصّبوح الجاشريّ فبت عندي ".

الفقّاع (٢٢٥/٥، ١٠٥/٧) : ومن أشربتهم الفقّاع، وهو شراب يتخذ من الشعير، سمي به؛ لما يعلوه من فقاقيع الزبد، ويسمى من يعمله (فقّاعي).

القهوة (١٩٦/٤، ٢٧٣): من أسماء الخمر.

النبيذ (١٤١/٣) : وهو الخمر المعتصر من العنب أو التمر أو أصناف أخرى كالشعير أو العسل، وبعض هذه الأصناف شديد مسكر، وبعضها خفيف يتفكه به، فالمعمول من التمر يسمى (النبيذ التمري)، والمعمول من الداذي، وهو نبات عنقودي، حبه على شكل حب الشعير، يسمّى (النبيذ الداذي).

نبيذ دوشاب (١٧٦/٧) : النبيذ الأسود المصنوع من التمر.

٦- **وسائل النقل البحرية:**

أنواع المراكب البحرية:

اشتهر في عصر التنوخي مجموعة من المراكب البحرية والسفن المذكورة في مدونته، وهي:

حرّاقة (٤٣/٣) : سفينة متعددة الأغراض، فمنها ما يستخدم لنقل حرم القصور، وتسمى (حراقة الحرم)، ومنها ما تعد للحرب، ويكون فيها مرمى للنيران.

خيطية (٨٥/٧) : مراكب دقيقة الشكل، خفيفة الحركة.

زبازب (٥١/٤، ١٦١/٨): نوع من أنواع الزوارق للانتقال.

---

(١) تعرضت هذه الكلمة على ألسنة العامة حاليا للتغيير الدلالي، فتحولت من دلالة شُرب الخمر في الصّباح، إلى تناول الطعام عامة في وقت الصباح في بعض اللهجات العربية، فتحولت من التخصيص إلى التعميم.

زلاّل (٢٧٦/٥، ٢٧٧) : نوع من المراكب الكبيرة الخاصة.

زورق (١٩١/٨) : وجمعها، زوارق، وعامة البغداديين يجمعونها على زواريق، مراكب صغيرة تستخدم للتنقل، وبعضها مطبق.

السُّمارية (٢٢٤/٢١٧،٨/٣) : أو السميرية، وهي زوارق صغيرة تتخذ لنقل المسافرين بين بلد وبلد، أو لاجتياز النهر إلى الجانب الآخر.

شلندي (١٧٨/٧) : مركب مسقوف، يستخدمه الغزاة أثناء الحرب، ويصحبه عادة جدّافون.

طرّادة (١٩٧/٢) : نوع من القوارب النهرية، خفيف الحركة، يستخدم للانتقال والصيد، ومثله: الحديدي، ويبدو أنهما اسمان لمسمّى واحد.

الطيّار (٢٦/١، ١٨٤/٤) : نوع من أنواع المراكب الخاصّة المستخدمة للتنقل في النهر، كان يتخذ وسيلة لانتقال الطبقة الراقية، وسمّيت به؛ لسرعة جريانها فكأنها تطير في الماء، فالكلمة مشتقة من الطّيران، وهي عربية اللفظ والصياغة[1].

الكار (٧٧/٤) : مجموعة من السفن المنحدرة من موضع واحد.

ومن أجزاء المركب:

الدّقل (٢٠١/١) : وهو عمود يكون وسط المركب، وفي أعلاه مرقى.

شراع (٢٤٨/٣) : قطعة القماش الغليظة التي توجه السفينة في اتجاه الريح.

ظلال الزورق (١٦٣/٨) : الستائر المحيطة به، تحجب المطر والشمس عمّا فيه من أشخاص وأموال.

القُلوس (١٩٧/٢، ١٦٢/٨) : جمعها قَلَس، حبال السفينة الغليظة.

المأصر (١٦٢/٨) : جمعها مآصر، محبس السفن، وهو عبارة عن حاجز أو حبل يُلقى في الماء لمنع السفن عن السير حتى تؤدي ما عليها.

المجاديف والكرك (٢١٨/٣) : المجاديف ج مجداف وهي العصي الغليظة التي يجدف بها الملاّحون لتسيير السفينة، والكرْك: حلقة من الحديد مفتوحة الأعلى على شكل الهلال، تثبت في جانب القارب، ويثبّت في وسطها المجداف عند التجديف.

– مهن النقل والملاحة: السّباح، الغوّاص، البانانية، الملاّحين، سُلاّك البحار والمفازات، المتغربين، السّياح، المسافرين، المشاة ..

---

(١) ينظر: تيمور، محمود، مقال في مجلة المجمع العلمي العربي، (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة) م٢/ ج١١، ١٩٢٢م / ١٣٤١هـ.

البانانية (٧/١) : فئة من بلاد الهند، يُستأجرون للخدمة في السفن والمراكب، وأعمال الملاحة.

البياسرة: جيل من بلاد الهند، يؤجرون أنفسهم في أعمال الملاحة، وحماية السُّيفن، و عند القاضي التنوخي أنهم المولودون على ملّة الإسلام في بلاد الهند، وفي مدونته (٢١١/٨) : " قال لي رجل من بعض بياسرة بلاد الهند، والبيسر: هو المولود على ملّة الإسلام في بلاد الهند ..".

– تعبيرات خاصة متعلقة بالإركاب:

تقديم المركب أو الطيّار (٢١٣/٢، ٢١٨/٣) : الاستعداد للإقلاع، وإرسائه على الشاطئ، وهي من مصطلحات الملاّحين، وفي المدونة: " وانتهى الكلام، وقد قدّم الطيّار إلى دار الخلافة .." ، وكذلك التسريح (٢١٧/٣) : وهو إنزال الركاب وإيقاف المركب، وفي المدونة: " وقد كنتُ سرّحتُ سماريتي إلى سوق الثلاثاء".

طرح عليه: بمعنى ألقى على السفينة ما يمسكها عن الحركة، ومدّ إليها لوحة من خشب تسمى (الدوسة) للوصول إلى السفينة، وفي المدونة (٧٦/٤) : " وإذا بسفينة رئيسهم قد دنت، وطرح عليّ كما صنع بسائر السّفن، ليشرف على ما يؤخذ ...".

تفسير السفن: وهو عبارة عن استخراج الرسم المقرر على البضائع المشحونة على متنها، بما يعرف بالضرائب التي تصب في خزينة الدولة، جاء في المدوّنة (٢٣٨/٧): " وقال: وردت البصرة سفن من بلاد الهند، فانحدرْ، وفسّرها، واقبضْ حقّ بيت المال، وما كان من رسمنا المستثنى، ولا تتأخر ... وفسّرتُ السفن، وقبضتُ حقّ بيت المال، ورسم الوزير ..".

٧– ألفاظ البناء وأدواته وأجزائه والأماكن المخصوصة في الدور:

شاع في المجتمع العبّاسي التأنق في البناء، وزخرفة القصور، وتبع ذلك تفرع الأماكن، وتنوع أجزاء القصور، وما يحيط بها من بساتين وصحون، ، وقد وصف القاضي التنوخي مبلغ ما وصلت إليه الحضارة العبّاسية في العمارة، وما تحتويه القصور من أشكال هندسية بديعة، وما يوجد بها من تماثيل ومجسّمات، وفي المدونة (٩٢/٣) : " حتى انتهينا إلى دار فيها صنمٌ من صُفر، على صورة امرأة، وبين يديها أصنامٌ صغار، على صور الوصائف، فما رأينا شيئا قط، أحسن من ذلك، وخاصّة المرأة ..".

ومن تلك المجسّمات (القرية الفضّية) التي صُنعت في عهد المقتدر، وفي المدونة (١٤٦/٤) : " أشتهي إعارة القرية الفضيّة، التي عملت لأمير المؤمنين؛ ليراها النّاس في داري، ويشاهدون ما لم يشاهدوا مثله .." ، وفيها وصف للقرية الفضية التي بلغت قيمتها مئين ألوف دراهم (١٤٩/٤): " وكانت القرية، على صفة قرية، فيها مثال البقر والغنم والجمال والجواميس والأشجار والنبات والمساحي والناس، وكلّ ما يكون في القرى ".

وكانت المدن تحاط عادة بسور عظيم، له أبواب عديدة من جهات مختلفة، يقوم عليها حرّاس وجنود، وتغلق أبواب المدن ليلا، وكانت هذه الأبواب تسمى بأسماء الجهات التي تفضي إليها: باب الشام، باب الكوفة، وقد تسمى مناطق أو محلات في نفس المدينة بأسماء تدل عليها، وتشتهر بها: باب الطاق ببغداد. (٤٦/٥، ١٢٦/٦، ٢٧٦/٧، ١٨٠/١)

مكونات القصور وأنواع المباني:

احتوت القصور الكبيرة على أجزاء وأماكن متعددة الأغراض، ومنها:

– **أقسام الدور في القصور**: دور الحرم، باب الحرم، دار البلاط، دار الخلوة، مجلس الأنس، باب العامّة، دهليز العامّة، دار العامّة.

– **ومن أجزاء الدور الأخرى**: المقعدة، السُرادق (الخيمة المنصوبة وسط الدار)، ميزاب، مربّعة، الرواق، قبة صندل مذهبة، الدكة، عَرصات ج عرصة، كوة، شبّاك.

– **ومن الأجزاء والشوارع المحيطة بالدار**: الأزقة ج (زقاق)، الإصطبل (مأوى الخيول)، بيت دولاب بقر، المتفرَج (المتنزه)، الممارق.

وشملت المدينة على دور متعددة وأسواق ودواوين، منها:

– **أسماء دور العبادة وأجزاؤها**: الجامع، الأسطوانة، الميضأة، ومن الألفاظ الفصيحة الواردة في المدونة: الخباء، الركي: ج ركية (البئر).

– **دور تجارية وأسواق وأماكن عامة**: دار الرقيق، دكان اللبان، دار البطيخ، الدكان، الخان، البيمارستان، دار القمار، الجوبة، الحمامات، الميادين..

– **ومن الدور التابعة للدولة**: دار الضرب (ضرب النقود)، دار الخزانة، المِطْبق (سجن تحت الأرض)، ودواوين إدارة الدولة .

- **ومن مواد البناء وأدواته:** اللِّبن (لبنة)، الآجر (آجرة) [1]، الطابوق، مداق الجُص.

نماذج من التمثيلات:

أسفيداج (١٥١/١، ٢٩٨، ١٩٥/٥) : فارسية، مادة كلسية يلزق بها الآجر، ولها أغراض أخرى [2]، ومثلها: الكلس، النورة، الجص..

البالوعة (٢٥٦/٥) : فتحة لتسريب المياه المستعملة في التنظيف إلى خارج الدار، أو إلى حُفر عميقة في الأرض.

خركاه (٩٤/٤) : فارسية، الخيمة الكبيرة.

الدهليز (٢٢/١، ٣١٣/٢، ٢٦١/٧، ٢٢٦/٨) : الممر الذي بين باب الدار ووسطها، وكانت دهاليز الأمراء والقادة والوزراء تحتوي على حُجَر عديدة برسم الخدم والأتباع والحراس والوكلاء والرجالة والموظفين، وفيها مواضع للجلوس والطعام، ومستراح.

دواليب (٢٦٠/٤) : ج دولاب، أدوات تستخدم لسحب المياه من الأنهار، وجلبها إلى القصور، ومثلها النواعير .

روزنة (١٨٠/١) : فارسية، نافذة أو كوة في العليّة.

الروشن (٢٦/١، ٦٩، ٢٧٩/٢) : فارسية، روشان، وأصل معناها الضوء، ثمّ أطلقت على الكوّة؛ لأنها تجلب الضوء، ثم أطلقت على ما نسميه الآن (البلكون) ، أو هو المْنور.

صحن الدار (٢٢٧/٨) : الردهة الواسعة في وسط الدار.

الطّابوق أو الطّابوقة (١٤٥/١، ١٨١) : الآجرة العريضة المسطّحة التي تفرش بها الأرض، وهي من مواد البناء، ووردت في مدوّنة التنوخي بصيغة الجمع: طوابيق، واشتق منها: (طبّق الدار) بمعنى: فرش أرضها بالطابوق [3].

---

(١) اللِبن: هو الآجر المتخذ من الطين للبناء، ويكون مربعا أو مستطيلا، فإن شوي بالنار، فهو آجر، ينظر: كلام المحقق في نشوار المحاضرة، ٢٠٩/١، واللِبنة اشتقاقها من التلبين، عربية فصيحة، والآجر فارسي معرّب، ينظر: ابن سيدة، المخصص، ت: خليل جفّال، داراحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

(٢) ومن أغراضها الأخرى المذكورة في المدونة: أنها تستخدم كمساحيق زينة للنساء كالبودرة، وتستخدم في الكتابة على الألواح كالطباشير، وتستخدم في التعذيب والعقوبات ...

(٣) يقول محقّق النشوار: والكلمة مستعملة إلى الآن في بغداد.

عرَضي (٥٠/٤) : حجرة تكون في ناحية من الدار، تشرف على ساحتها، وتهيّأ لاستقبال الضّيوف[١].

مجلس الضيوف: ومن أجزائه، الدست (٦٩/١، ٥٠/٤) : ويوضع عادة وسط المجلس.

المستراح (٢٢٦/٨) : وجمعه مستراحات، مكان قضاء الحاجة، ويسمّى (الكنيف)، ومن أجزاء المستراح: المقعدة (٢٩/١، ٣٩/٤): موضع القعود أثناء قضاء الحاجة، وتُسمى الفتحة التي في أرضية المقعدة (نقرة)[٢].

مطبخ (٢٦١/٧) : مكان للطباخة وإعداد الطعام.

المقصورة (١٤٠/٦) : حجرة صغيرة من خشب، تتخذ للخلفاء بغرض حمايتهم.

الممارق (٩٩/٧) : ج ممرق، السبيل من موضع إلى موضع، وقد تكون مقفلة بأبواب.

وممّا يتصل بأساسات البناء، وما يدعّمه:

تأزيرة (١٦٦/١) : ما يلصق بالحائط من أسفله لتقويته.

الدستاهيجات (١٣٩/١، ٢٠٨/٧) : فارسية، مفردها، (دستاهيج)، وهي الدعائم التي تبنى بجوار الأسوار لتقويتها.

شاذروان (٢١١/٦) : القَدر البارز في الأسفل من البناء، ويستخدم كالأساس أو الحماية من التآكل.

قارية ساج (٤٩/٨): تعريب الكلمة اليونانية (Karia)، أي السارية، أو الصاري، وفي المدونة: " وأنّيه استعمل في سقف دهليز داره سبعين قارية ساج، والقارية: ساجة عظيمة، تستعمل صحيحة ..".

القنطرة (٩٥/٢، ٢٨٠/٧) : الجسر الذي يربط جانبي النهر.

المُسَنّاة (١٣٩/١، ٢٥٩/٤) : حائط متين البنيان، يحيط بالأسوار، والبنيان، وشواطئ الأنهار، ويحميها من التآكل.

ومن الدور والأبنية الأخرى:

بيمارستان (١٦/٣) : دار خاصة لمعالجة المرضى، والعناية بالموسوسين، وهي بمثابة المستشفيات والعيادات الخاصة في وقتنا الراهن. وفي المدونة: " رأيتُ في بيمارستان البصرة،

---

(١) يقول محقق النشوار: وقد حرّف البغداديون اسمها الآن، فأصبح (أرسي).

(٢) من ملاحظة بعض سياقات لفظة (النقرة) في مدونة التنوخي وجدنا أنها تأتي بمعنى النقطة، أو الفتحة، وفي المدونة: (نقرة الأتون) ٦٩/٧، ثم تطورت في بعض اللهجات العربية، لتدل على نقرة الكنيف خاصة.

رجلا من الكتاب محبوسا "، وفي المدونة وصف لبعض الدور التي كانت تستخدم كأماكن خاصة لعلاج المرضى، ففي ترجمة الطبيب القطيعي (١٥٢/٣) : " وكانت له دار، قد جعلها شبيه البيمارستان، من جملة داره، يأوي إليها ضعفاء الأعلة، يعالجهم، ويقوم بأودهم، وأدويتهم، وأغذيتهم، وخدمتهم، وينفق أكثر كسبه في ذلك " .

الجوبة (٢٢٢/٨) : ج جوبات، الساحة الخالية بين الأماكن المعمورة، وتتخذ عادة مواضع لإقامة الأسواق الأسبوعية، ولاجتماع الناس، ومن أشهرها: جوبات الصّفارين ببغداد.

الحمّامات: أماكن خاصة للاستحمام بالماء الساخن والعناية بالبدن، وكان الاهتمام بإنشائها واسعا، وفي المدونة (١٢٨/١) : " بلغ عدد حمامات بغداد لوحدها في زمن المقتدر عشرة آلاف حمّام ".

خان (١٢٥/٦) : دور خاصة، تستأجر لإقامة ونزول المسافرين.

دار البطيخ (١٣٤/٣) : سوق الفاكهة، سمي بالبطيخ باعتبار الصنف الغالب بيعه في هذه السوق.

دار القمار (١٥٦/١، ٨٦/٤) : دار خاصة، يجتمع فيها المُجّان والمتقاينون، وتحصل فيها المقامرة بالأموال.

دكّان (١٠١/٢، ٢٤٥) : فارسية، دكة كالمصطبة يقعد عليها، ثم استعملت للدلالة على الحانوت الصغير؛ لأنّ صاحبه يجلس في صدره على دكّة.

العُمْر (٢٧٢/٥) : الدير، وفي المدونة: " أنا فلان الراهب صاحب العُمْر الفلاني ..".

الكناديج (١٢٤/٨) : ج كندوج، فارسية (كندوك)، مخازن الحبوب والغلال.

الميدان (١٣٨/١، ١٣٩، ٤/ ٤٠، ٢١٩، ٢٥٩) : ساحة واسعة يحيط به سور واسع، وله أبواب، يجتمع فيها الناس أيام الأعياد، وفي الاحتفالات، وفيه يتم إقامة الألعاب، والمصارعة، والسباق، ومطاردة الفرسان.

ناووس (٢٥٢/٥) : جمعه نواويس، مقابر النصارى، وهو بناء من حجارة، وفي المدونة: " ولاح لي ناووس، فقصدته، وقد كاد الأعرابي أن يلحقني، فلما دخلت الناووس، وقفت وراء بابه، قال: ومن صفة هذا الناووس، أنّه مبني بحجارة، وباب هذا الناووس حجر واحد عظيم، قد نقر، وحفّف، فلا تستمكن اليد منه، وله من خارج الباب حلقة، وليس من داخله شيء تلزم به اليد، وإنما يدفع من خارجه، فينفتح، فيدخل إليه، فإذا خرجت، وجذبت الحلقة، انغلق الباب، وتمكّن الذي يكون من خارجه ..".

ومن المواضع الأخرى:

المتصديّات (٣٣١/١، ٢٦٠/٣): أماكن الصّيد.

الأتّيون (١٤٠/٥، ٦٩/٧) : موقد النار، فإن كان لإحراق الآجر، فهو أتّيون آجر، وهناك أتون الحديد (الكور)، وأتون الحمّام، لتسخين المياه.

البيدر (١٥٥/٨، ٧٢/٣، ١٥٩/٨) : الموضع الذي يداس فيه الطعام ويشرح، أو مكان حفظ الطعام.

الكور (١٥٠/١) : مداخل الحديد للتسخين والتشكيل.

المذار (٢٥٩/٣) : موضع تذرية المحصول بعد حصاده.

تعبيرات خاصة مستخدمة في البناء: جصصّت الدار، بيّضت الدار، طبّقتها، يسنّفون البناء، تحرّفتُ فيها (أصلحتها ورممتها بحرفة)، ساف لِبن ..

٨- أسماء المناطق والنواحي والبيئات الطبيعية:

- مرادفات المناطق والأقاليم: الكَور، أهل الكَور، عامل الكَور (المنطقة)، الحَضرة، رِستاق، الثغور(المناطق الواقعة على الحدود)، الطساسيج (طسوج) .

- **ومن أنواع الأراضي والعقارات:** الضيعة، العِقار (ما له أصل وقرار، كالأرض، والدار)، العُقد (ما يمتلكه الإنسان من ضيعة وعقار)، شِقص (القطعة من الأرض)، الرّقة (الأرض الذي يغطيها ماء النهر ثم ينحسر عنها، وإليها يُنسب البطيخ الرّقي)، مبقّلة (أرض كثيرة البقل)، الشط، التُخم (الحد بين الضيعتين)، الخور (المنخفض من الأرض بين النشزين)، الرَّحبة : (المكان الواسع، أو الساحة)، البطائح .

نماذج من التمثيلات:

الجِدام (٢١٢/٨): الرستاق، هندية.

رستاق (١٨٤/٢، ١٧٣/٥، ٧٩/٧، ١٧٨/٨): جمعها رساتيق، فارسية، (روستا)، القرى والسواد، أو ما يحيط البلدة من أرياف وقرى، وتعريبه (السواد)، وسمي كذلك لشدة خضرة الأرياف، وكانت هذه الأماكن مشهورة بغلاتها ومحاصيلها الوافرة، واتخذ لها ديوان، وعمال، ومعاونين (١٢٠/٢، ٦٧/٨)، ومن العبارات الشهيرة الواردة في المدونة (١٧٣/٥): " إذا خرجتَ من العراق، فالدنيا كلّها رستاق ".

طساسيج (١٠/٨، ١٦٤): طسوج:ناحية، والطساسيج عبارة عن نواحي في الكور الواحد.

القِراح (٨٨/٣، ٢٢٠/٦، ٣٤/٧، ٧٩) : المبقلة، أو الأرض المزروعة بالخضار، مثل: قراح بطيخ، قراح خس.

الأودية والبيئة الطبيعية:

الخيف، المشارع (مشرعة)، الجبّانة (الصحراء)، ذنابة الوادي، الزرنوق، النهروان ..

أسناية (١٥٤/٨) : وتسمى السناية، أو السانية، القناة أو النهر يُحفر، ويجري فيه الماء.

ذُنابة الوادي (٢١/١): الموضع الذي ينتهي إليه مسيله.

الزرنوق (٢٨٦/٤): النهر أو الجدول الصغير[(١)].

الطُفوف (١٧٢/٨) : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق.

القارة (١٣٨/٥، ١٧٢/٨) : الجبل الصغير.

النهروان (١٣٩/٨) : فارسية، معناها ثواب العمل، وهو اسم نهر مشهور.

٩- الأعياد والمناسبات:

في المجتمع العبّاسي، اختلطت شعوب مختلفة العادات والتقاليد، ونتيجة لذلك، ظهرت أعياد واستحدثت عادات واحتفالات جديدة، ومن الاصطلاحات الداخلة في كيان ألفاظ العربية: النوروز، أو النيروز: وهو الاحتفال بأول أيام السنة الشمسية عند الفرس، وفيه تلبس الثياب الملونة والمذهبة، وتمارس الألعاب المختلفة، ويتبادل الناس التهنئات والهدايا واللطائف (١١٨/٨، ٢٤٦)، ومن تلك الأعياد، نيروز المعتضد: وهو عيد استحدثه الخليفة المعتضد، بتحويله افتتاح خراج السنة، إلى شهر حزيران، وقد كان يؤدى في مارس، إرادة منه التخفيف على المزارعين في الجباية، وفي المدونة (٢٩٣/١) : " إنّها – يعني أم المقتدر – طلبت منه، في يوم يقرب من نيروز المعتضد، ألف شُقّة زهريّة خفافا جدا ".

ومن أعياد النّصارى: أعياد الصليب، عيد شمعون، عيد الشعانين، عيد أشعيا، عيد مرماري، البيرم، يوم الدنح، يوم الخميس الناسي، القُبّاس، ليلة الميلاد، عيد السلاق، عيد الفصح[(٢)].

---

(١) ويرى يوهان فك أنّ اللفظة (أرامية) بمعنى البئر، ولا تزال حية إلى اليوم في لهجة نجد، ينظر: العربية، ص٢٠٤.

(٢) ورد ذكر هذه الأعياد في قصيدة طويلة، لأبي القاسم، مدرك الشيباني، في نصراني، ينظر: نشوار المحاضرة، ٢٧٢/٤، وقد فسّرها محقق النشوار.

ومن الأعياد الأخرى الواردة في المدونة:

البدّ (١٠٩/١، ١١٠/٣) : من أعياد الهند، يقدّمون القربان عند البدّ، وهو آلهتهم.

المهرجان (٢٤٦/٨) : عيد من أعياد الفرس، والكلمة فارسية، مهر: محبة، وكان: متصلة، فيكون تعريب الكلمة: المحبة المتصلة [(١)].

يوم الأسبوع (١٨٩/٤) : وهو من العادات السائدة في الأعراس ويقصد به اليوم السابع من العرس، وفيه تقام الولائم.

ومن المصطلحات الدينية الواردة في المدونة:

أيام الموسم: أيام الحج، وفي المدونة (١٣/٦): " وأمّ بالنّاس في المسجد الحرام، أيّام الموسم ..".

صلاة التراويح: وفي المدونة (١٧٢/٥): " من محاسن الإسلام، يوم الجمعة ببغداد، وصلاة التراويح بمكة، ويوم العيد بطرسوس ..".

١٠- آلات اللهو والألعاب والمجون:

ظهرت في مدونة التنوخي عشرات الألفاظ التي تدل على آلات اللهو والمجون والألعاب في أيام الأعياد، فمن تلك الآلات الموسيقية: الطنبور، الرباب، الغناء بالقضيب، الطبول، الزمور، الدبادب، الصنوج.

وفي المدونة (١٧٤/٢) ساق التنوخي في أحد أخباره بعض أرباب الغناء ومهنهم، وذكر المغنين والمغنيات والقيان والمتقاينين، ووصف إحدى الفرق الموسيقية من الجواري: " فخرج علينا جوارٍ لم نر قط أحسن، ولا أملح، ولا أظرف منهنّ، من بين عوّادة، وطنبوريّة ، وكرّاعة، وربابيّة، وصنّاجة ، ورقّاصة، وزفّانة، بثياب فاخرة وحلي، فغنّيننا ..".

نماذج من التمثيلات:

ألعاب: الصولجان والكرة (الصوالجة)، النرد (فصوص النرد)، شاذكلى، أو شاذكلاه.

الدبادب (٢١٩/٤، ٢٠٧/٨) : طبول صغيرة كانت تضرب على أبواب الخلفاء والولاة في أوقات الصلاة، والأعياد.

---

(١) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١٤٧، دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٢٥/١٠.

الدوباركة (٢٢٣/٢، ٢٦٨/٥) : دمية كانت تتخذ من القماش في يوم النوروز، وقد فسّرها التنوخي في مدونته: " الدوباركه: كلمة أعجمية، وهي اسم للعب على قدر الصبيان يخلّونها، أهل بغداد في سطوحهم ليالي النيروز المعتضدي، ويلعبون بها، ويخرجونها في زيّ حسن، من فاخر الثياب والحلي، ويحلّونها كما يفعل بالعرائس، وتخفق بين يديها الطبول والزمور، وتشعل النيران ".

الرّباب (١٧٠/٢) : آلة موسيقية ذات وتر واحد، يجر عليها ما يشبه القوس، فيحدث أصواتا تصاحب الغناء، ومن يجر به يسمى(ربابيًا).

شاذكلى أو شاذكلاه (٣٠٤/١، ٢٦٠/٢) : لون من ألوان المرح في الأعياد، وخاصة يوم النوروز.

شطرنج (٢٧٠/٢): لعبة تعود إلى الأصول الهندية، تعريب (شتورانكا)[(١)]، أي: الأجزاء الأربعة التي يتألف منها الجند عندهم، وهم: الأفيال، والأفراس، والمركبات، والمشاة، وهي مكونة من قِطع وأجزاء: (شاه، والرخ، الفرزان أو الوزير، الفيل، الفرس، البيدق). فأخذها الفُرس عنهم في القرن السادس الميلادي، ثم أخذها عنهم العرب.

الطنبور (٣٠٤/١) : آلة موسيقية ذات عنق طويل، لها أوتار من النحاس، شبيهة بالعود، والجاسّ بها يسمّى (طنبوري)، وممن اشتهروا بالغناء على الطنبور(أبو القاسم الرائق) وفي المدونة: " وكان أطيب النّاس حلْقا، وأحسنهم صِنعة، وكان يجسّ الطنبور جسّا، أطيب من الضّرب .."[(٢)].

الغناء بالقضيب (٣٤٣/٢، ٣٥٦، ٢٣٦/٥) : وهو أن يغنّي المغني وبيده قضيب يضرب به الأرض، أو على مخدة من جلد، ويسمّى المغني بهذا اللون (قوّال، أو قوّالة).

الكرّاعة (١٧٤/٢) : المغنّية على طبل صغير، **الصّبّناجة:** الضاربة بالصنج، **الربابية:** التي تجر الرباب، **العوّادة:** التي تضرب بالعود، **الزفّانة:** التي ترقص مع ضرب الرجل على الأرض.

وشاعت ألفاظ في المدونات تصف أشكال المجون، والتمادي في اللذات، ومن تلك الألفاظ: القصف، التخالع، التماجن، التهالك، اللواط، العربدة. ومن أصناف المتماجنين: المخنّثين، المخنكرين، البغّائين، القوّادين، المتقاينين، النّاكة. (٥/١، ١٩٦/٢،١٧٥،١٧٦، ١٥٨/٧)

ومن ألعابهم ورياضاتهم، أيام الأعياد، وفي الميادين، أو الساحات:

---

(١) ينظر: زيدان، جرجي، اللغة العربية كائن حي، ص٢٤.

(٢) وهو معرّب (دنب بره) بالفارسية، ينظر: الجواليقي، المعرّب، ص٢٧٣.

السّبعي: وهو السباق، **والصراع**: وهو المصارعة، **والسباحة**، والتفنن بها، وكل هذه المسابقات استحدثت في زمن معز الدولة. (ينظر: ٤/٢١٧، ٢١٨، ٢١٩).

فئات اللاعبين: لعّاب النرد، الرسيل: الخصم في اللعب أو المنافس. الدَست (٢/٢٧٠): المرة الواحدة في اللعب.

ثانيا: مصطلحات الطب والعلوم والفنون.

مصطلحات الطب والعلوم والفنون: وتشمل: مصطلحات الطب والأدوية والأمراض، والأدوية النباتية، وأعضاء الإنسان وأسماء الحيوان، ومصطلحات المواد والمعادن، والمصطلحات العلمية والفلسفية.

وقد آثرنا تقسيمها على النحو الآتي:

- مصطلحات الطب والأدوية والأمراض.
- الأدوية النباتية وغيرها.
- أعضاء الإنسان وأسماء الحيوان.
- مصطلحات المواد والمعادن والأحجار الكريمة.
- مصطلحات علمية وفكرية.

١- مصطلحات الطب والأدوية والأمراض.

- مهن طبية: ذكر التنوخي في مقدمة مدونته (١/٦) مصطلحات تدل على مهن طبيّة مختلفة سادت في عصره، ومما ذكره: " ... والأطباء والمنجّمين والكحّالين والفصّادين والأساة والمجبّرين ومعالجي الجرائح والقمائحيين .. "، وفي المدونة: بياطرة، صيدلاني، مبنّج، المتطببين.

- أدوية وعلاج: الفصد، الحادور، القمائح، الحضض: دواء للعين، دهن الخِرْوع، مازريون (دواء الاستسقاء)، بنج، ريباس، إيارج ...

- ومن العِلل والأمراض: السّوداء، الصفراء، مرطوب(من الرطوبة)، علّة الخنازير، برسام، خُمار، الآكلة، قولنج، البثور (فصيحة)، الدَروك، زمنت، أزمنه، زمانة:(داء مزمن)، قِلْبة (فصيحة)، حمّى رِبع، خراج، السّل ..

نماذج من التمثيلات:

إطريفل (٢٠١/٨): هندية، وردت محرفة في النشوار (لطريفك)، وهي دواء مخلّط من عدة أصناف، وفي المدونة: " لعلّه كان اليوم عند الصيدلاني، وتناول لطريفك ..".

إيارج (٧٩/٧) : الإيارجة دواء يُسحق، وفي المدونة: " فإذا حصلتُ عندكم، فأدخلوني الحمّام، واضربوني، ليحمى بدني، وسوّكوني بالإيارج، فإني أفيق ..".

بنج (٣٧/٣، ٢٥١/٧): مادة، أو نبات سام من فصيلة الباذنجانيات يستعمل في الطب للتخدير[(١)].

بياطرة (١٤٦/٢) : جمع بيطري، وهو الشخص الذي يعالج الدواب. وفي المدونة: " وكنت أحضر أمر الدواب دفعات في اليوم، حتى توقّح وتعالج وتسمن، وأفردت بياطرة فرها لذلك ".

جوارشن (جوارشنات) (١٤٤/٢، ١٦٠/٧) : نوع من الأدوية المركبة المسهلة، وفي المدونة (١٦٠/٧) : " وأمره أن يُكثر من تعاهد الجوارشنات المنفذة للسّدة، المقوية للمعدة، المشهية للطعام، المسهلة لسبيل الانهضام ..".

الحادور (٣/١) : من الأدوية المسهلة، والحلق: دواء يقطع الصفراء، وفي المقدمة: " وأصحاب الحادور والحلق ..".

الحمية (١٦١/٣): فصيحة، منع المريض من تناول ما يضرّه من المأكول.

صيدلاني (٦٨/٨، ٢٠١) : المختص بعمل الأدوية وبيعها.

الفَصْد: فِصاد (لغة في الفصد)، الافتصاد: فصيح، شقّ العِرق، واستخراج الدم، وفي المدونة (١٨٤/١) : " وإنّه أنفق في فِصادٍ فصدته عشيقته، ثلاثة آلاف دينار .."، وفي موضع آخر (٢٤٩/٨): " فشكتْ إليه شيئا وجدته، فأشار عليها بالفَصْد، وكان لا يَفصد بيده، وإنّما يحمل معه من يَفصد من تلامذته، ورسم الفصد عليهم خمسمائة دينار ..".

القمائحيون (٦/١) : صانعو القمائح، أو المعالجون بها، نسبة إلى الجمع (قمائحي)، والقمائح: ج قميحة: من أنواع السفوف أو المعَاجين عند الأطباء، وقد شاعت عند المولدين النسبة إلى الجمع في أمثال هذه الصناعات، كالقمائحي والحشائشي والطبائعي[(٢)].

---

(١) يقول محقق النشوار (٢٥١/٧): كان الأطباء العرب في القرون الوسطى يستعملون البنج للتخدير في العمليات الجراحية، ويسمّونه: المرقّد، يسقون منه العليل الذي يقتضي أن تجرى له الجراحة، ولما خبثت رجل عروة بن الزبير، وأراد الأطباء قطعها، قالوا له: نسقيك المرقّد"، وينظر: وفيات الأعيان، (٢٥٧/٢)، والمبنّجين: طائفة من المجرمين يستخدمون البنج لتخدير ضحيتهم، ينظر: نشوار المحاضرة، (٢٢٨/٤).

(٢) ينظر: تيمور، أحمد، مجلة المجمع العلمي العربي، (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، م٢، ج ١٠، تشرين أول ١٩٣٣م، صفر ١٣٤١هـ.

المائي (٢٣٣/٣): نسبة إلى فحص ماء الإنسان، وهو بمنزلة المختبري في هذه الأيام.

المِجسّ (١٥٢/٣) : وسيلة لجس نبض القلب، كوضع اليد على عضو معيّن، أو استخدام أداة معيّنة.

ومن العِلل والأمراض:

الاستسقاء (١٦٢/٣، ١٦٣، ١٦٥): داء يصيب الإنسان من جراء تجمع سوائل مصليّة في تجويف، أو أكثر من تجاويف جسده، أو خلاياه.

الآكلة (٩٣/٢) : داء في العضو يأتكل منه.

البِرسام (٢٠٥/١، ١٦٠/٤) : فارسي، مركب من (براي) صدر، و(سام) أي، التهاب[1] ، ويعني: التهاب الصدر.

التخليط العقلي (٦٢/٤) : داءٌ يصيب العقل، فيقال: اختلط، بمعنى: أصيب في عقله.

حُمى الرُّبع (٢١/٣، ٢٥٨) : هي التي تنوب المصاب كل رابع يوم.

الخَبَل (٢٨٣/٤) : داء يصيب العقل، ومنه المخبّل.

الدَروك، البثور: خراجات ودماميل جلدية، فيها قيح، وميد، ودم فاسد، وفي المدونة (٩٤/٢): " وكانت بي بثور في ساقي، فتطاولت ... فقالت: هذه عِلّة، يقال لها: الدَروك، وأنا أرقيها ...".

الذّرَب (١٦٢/٣) : الإفراط في الإسهال.

السّدة (١٦٠/٧): انسداد الأمعاء بوجود شيء يحتبس فيها.

السُّكات (٢٥٩/٦): داء يمنع من الكلام.

السّكتة (١٥٢/٣): توقّف الشخص عن الحركة، بما يشبه الجلطة الدماغيّة.

السَلس (مسلوس) (١٣٧/٥) : الذي ذهب عقله.

السوداء (٥/١، ١٦٧/٧) : اهتياج المرة السوداء، وهو مرض الماليخوليا، وهو فساد الفكر في حزن.

الشّرى (٥٦/٤) : طفح جلدي يحمر منه الجلد، ويصبح كهيئة الدراهم.

الصّفراء (٧٠/٢، ١٦٠/٧، ٢٦٤/٨) : اهتياج المرة الصفراء، وهي أحد الأخلاط الأربعة: الدم، والبُلغم، والمرة الصفراء، والمرة السوداء.

---

(١) ينظر: العنيسي، طوبيا، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، ص١٩.

الفالج (٢٢٦/٣، ٥٦/٤، ١٥١) : داء يصيب الجسم فيسبب شلله، وتوقف بعض الأعضاء عن الحركة.

القولنج (٩٣/٢) : مرض معوي يصيب القولون (يوناني)[(١)]، يتعسر معه خروج ما يخرج بالطبع.

اللقوة (٢٧٤/٧) : داء يصيب الوجه باعوجاج الشدق إلى أحد جانبي العُنق.

النّقرس (١٩٦/٤، ٥٣/٦) : مرض روماتيزمي يأخذ بمفاصل القدم، وإبهامه.

وسوسة (موسوس) (٥/١، ١٣٩/٥، ٢٣٣/٨) : أصيب بالوسواس، وهو مرض يحدث من غلبة السوداء، ويختلط معه الذهن، أو من أصيب في عقله فتكلم بغير نظام، ومثله: بهتة: وهي تغير اللون، والدهشة في الوجه، ومثله: (أهل المذهب)، وهم من يوسوسون في الماء، ويكثرون من الوضوء (وساوس وأفعال قهارية) .

ومن التعبيرات الطّبية: انحلّ طبعه، واندفعت طبيعته (١٦٢،١٦٥/٣، ٢٤١/٤) : كناية عن الإسهال.

٢- الأدوية النباتية وغيرها.

– نباتات وورود عطرية وطبية: نرجس، ريحان، نيلوفر، الزعفران، العصفر، الآس، الداذي، المنثور، الخيري، الشقائق، الياسمين، الجلنّار، مازريون ..

– أشجار تستخرج منها مواد عطرية: كافور، الكافور الرباحي، الإهليلج، الصندل ..

– فواكه عطرية ودهون: الدستنبو، الأترج الأصفر، النارجيل أو النارنج، البلاذر، دهن النارجيل العتيق.

نماذج من التمثيلات:

الأبنوس (٢٤٧/٨) : خشب ثمين أسود اللون صلب العود للغاية، يعيش شجره في البلدان الحارة.

أفيون (٧٩/٧) : لبن الخشخاش الأسود، مخدر شديد التخدير، ويستخدم – أحيانا – في أغراض طبيّة.

الأنبجات (٧/١) : ثمرة من ثمار الهند، لذيذة الطعم (المانجو)، وتسمى (أنبه)، أو عنبه[(٢)].

---

(١) ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، ص٨٥.

(٢) ينظر: تيمور، أحمد، تفسير الألفاظ العبّاسية، م٢، ج١٠، ١٣٣٤هـ.

الإهليلج (٣٦/٣) : شجر هندي تستعمل ثماره لتنظيف جهاز الهضم، مسهلة فقابضة.

البلاذر (٣٩/٣) : ثمرة شبيهة بنوى التّمر، ولبّها مثل لب الجوز.

بهار (١١٢/٧) : نبت طيب الرائحة، يقال له: عين البقر، أو بهار البر.

الدّاذي (١٤١/٣) : نبات عنقودي، حبه على شكل حب الشعير، يوضع منه في العَرق، فتعبق رائحته، ويجود إسكاره.

الدستنبو (٣٠١/١) : (فارسية)، نوع من الأترج يُستعمل للشم.

ريباس (١٤٤/٢) : بقلة، لها خشونة، توصف كمقوي للمعدة.

الزعفران (٣٠١/١) : نبات بصلي زهره أحمر إلى الصّفرة، من فصيلة السوسنيات، يستخدم للطعام وللحلويات.

السّداب (١٠٥/٧) : نبات يقارب شجر الرمان، ورقه كالصّعتر، وزهره أصفر.

السُّعد (٣١/٥) : بضم السين، وسكون العين، نبت له أصل تحت الأرض، أسود، طيّب الريح، ويباع جافًا عند بعض العطّارين.

شقائق (١١٢،٢٣١/٧) : زهور ربيعية، ذات لون أحمر جميل، تستعمل للزينة، وأيام الأعياد، قيل: سميت بذلك؛ لأن النعمان بن المنذر حمى المواضع التي تنبت فيها.

الصّندل (٥٩/٣): شجر هندي أبيض الزهر، خشبه طيب الرائحة، يستعمله الأطباء في الدواء.

الكافور (٥٩/٣): فصيحة، مادة عطرية، تستخرج من شجر الكافور .

مازريون (١٦٣/٣) : فارسية، شجر ورقه كورق الزيتون، وزهره إلى البياض، وهو من دواء الاستسقاء.

المنشور (١٤٢/٣، ٢٣١/٧): (فصيحة)، نبات ذو زهر، ذكي الرائحة، سُمّي منشورا؛ لأنّه كان يُفرش في مجالس الشّراب، وما كان منه أصفر اللون فهو الخيري.

الهليون (٢٧٩/٢، ١١٦/٨) : نبات معمّر تمتد جذوره تحت الأرض، وتؤكل سوقه مسلوقة، وفي المدونة: " فصحت: الهليون الرطب ".

الوَرس (١٥٧/٥): نبات أصفر، يُصبغ به.

ورقة تنبول (٢١٥/٨) : نبات هندي، يمضغ ورقه كما يمضغ العلك، من فصيلة الفلفليات، يضاف إليه النّورة.

٣- أعضاء الإنسان وأسماء الحيوان.

– من ألفاظ أعضاء الإنسان والحيوان الواردة في المدونة:

البَظر (١١٥/٣، ١٤٨): من أجزاء فرج المرأة، وهذه الكلمة تستعمل في الشتم والمهاترة.

البوز (٢٢٨/٦): فارسية[١]، فم الحيوان، والكلب خاصّة.

جند بادستر (٩٣/٢): خصية حيوان معروف، وهو القُندس[٢].

جوانبيرة (١٨٤/٢) : الكهلة من النساء، بين الشابة والعجوز.

صِماخ الأذن (٩٩/٣) : خرق الأذن الباطن، الماضي إلى الرأس.

الكُس (٢٨٨/٣) : معرّبة عن الفارسية (كوز)[٣]، وفصيحُها في كلام العرب (الحِز)، وهو فرج المرأة.

– ومن ألفاظ الحيوان الواردة في المدونة:

سِنّور، برذون، عقعق، خنزير، حِرذون، يربوع، عقرب، أفعى، زنبور، بادستر (القندس)، الشباش (البطة)، حجلة، فرّوج، دراريج، القراد، بنات وردان، قبجة، حمار فاره، برذون فاره، وبغلة فارهة، جرو كلب، الحمار المصري، الخافي، الأسود السالخ.

أسود سالخ (٣٦/٣) : نوع من الأفعوان الضخم، سمي بذلك؛ لأنّه ينسلخ جلده كل عام.

بادستر (٩٣/٢) : حيوان من القوارض المائية، (قندس).

برذون (١٦٤/١، ١٨٠، ٢٧١/٥) : لاتيني، هو البغل[٤].

بنات وردان (٣٩/٤) : ضرب من الخنافس، تعيش في الأماكن الندية، والحمّامات، وما شابه ذلك.

حِرذون (٧٤/٢) : دويبة شبيهة بالضّب، وقيل: هي ذكر الضّب، من الزواحف[٥].

---

(١) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٣٠، وفي قصد السبيل، للمحبي، ٣٠٧/١: " عامية، ويطلقونه على الأكثر على فم الكلب ".

(٢) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٢٠٨/٢.

(٣) ينظر: الخفاجي، شفاء العليل، ص١٩٤، وفي القاموس، ص٥٧٠: " ليس من كلامهم، إنما هو مولد ".

(٤) ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، ص١٩.

(٥) ينظر : الدميري، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ، ٢٣٠/١.

الحمار المصري (١٧٩/٤، ٢٠٩/٦) : نوع من الحمير يُجلب من مصر، مشهورة بالنّشاط والقوة وسرعة الاستجابة.

الخافي (١٣٧/٥) : الجن، سميت بذلك؛ لاختفائها عن البشر.

شباش (٧٤/٣) : بطّة أليفة يستخدمها الصيّادون في المعابر النهرية لاصطياد البط البري.

فاره: يقال: للغلام أو الصّياد بأنه فاره، إذا كان نشيطا حادا قويا، ويقال للدابة بأنها فارهة إذا كانت كذلك: وفي المدونة وردت هذه اللفظة وصفا للغلام والحمار والبغلة: غلام فاره، حمار فاره، بغلة فارهة (١٨٠/١، ١٩٣/٢، ٧٤،٨٠/٣، ١٢٧/٢٢٨،٤، ١١٦، ١٣١/٥، ٩٧/٧، ٢٥٠).

قُبّجة (٤٦/٤) : فارسية، (كبك)، وهي الحجل[1].

القُراد (٢٣٥/٣): دويبة تتعلق بالحيوان، وتمتص دمه.

٤- مصطلحات المواد والمعادن والأحجار الكريمة.

نوشادر، قار، كافور، صندل، ماورد، الغالية (مادة عطرية للزينة)، كيمياء، صُفر، ذهب إبريز، لازورد، زمرد، الجص، الإسفيداج، حب الكحل، صابون، أشنان، المغناطيس، ألماس، فص عقيق، بجاذي، بلّور ، ، عِقد حَب، عِقد جوهر، ياقوت أحمر، ياقوت بلخش ، فص ياقوت، فص ماس، مِنطقة ذهب، والتوتيا، سُبحة أو مسبحة سبج (الخَرز الأسود) (٢٩/٥)، جان (محرّفة عن جمان) (٢٧٢/١).

نماذج من التمثيلات:

التوتيا (١١١/٣) : معدن نفيس مجلوب من الهند.

الشّيب (٩٣/٢): حجر أبيض يُسحق ويوضع كمسحوق دوائي لأمراض الجلد وتغير الرائحة.

صابون (١٤٤/٢): مادة مركبة من أخلاط عطرية، تساعد في تنظيف الأيدي، وتغيير رائحة البدن.

الطَلَق (٢٠/٤): حجر برّاق يتحلل إذا دُقّ إلى طاقات صغار، ويعمل منه مضاوئ للحمامات، فيقوم مقام الزجاج.

القار (١٢٧/٢، ٦٢/٦) : مادة سوداء تخرج من عيون في باطن الأرض، كانت تُستعمل لطلاء السفن، والأباعر الجرباء، وكانت تسمى القطران عند العرب.

---

(١) ينظر: طوبيا العنيسي، تفسير الألفاظ الدخيلة، ص٧٩.

الماورد (٥٩/٣): تركيب مزجي، ماء الورد، ويستخدم عند العطّارين، ويدخل في تركيب بعض المواد والأدوية.

المغناطيس (٣٠١/١، ٢٥٥/٨) : معدن يجذب الحديد.

مِنطقة ذهب (٤٣/٣، ٨٣): جمعها مناطق، والمِنطقة: كل ما يُشد حول الوسط، وتكون غالبا موكّدة بسيور من الجلد.

نوشادر (٣٦/٣) : فارسية، (نوشادر)، مادة صلبة ذات طعم حامض حاد.

ياقوت بلخش (١٦٣/٢) : جنس يُشبه الياقوت الأحمر.

٥- مصطلحات علمية وفكرية (مصطلحات العلوم والفنون).

– فئات ووظائف علمية: العروضيون، المحدِّثون، الفقهاء، الأدباء، المتأدبون، المعلمون، النسابون، الحفاظ ، الدُّراة، اللغويون، النحاة، المترسّلون: (أصحاب الاسترسال في الكلام)، الرّجاز ، الملحنون: فئة المنشدين.

– علوم وفنون:

مذهب أهل العراق: (مذهب الإمام أبي حنيفة)، الفرائض (علم تعرف به كيفية قسمة التركة على مستحقيها)، القسمة (تمييز الحقوق، وإفراز الأنظمة)، الذَرع (ذرع الأراضي، وقياس المساحات)، الجبر، المقابلة، حساب الدور، غامض الوصايا، المناسخات، صناعة الحُكم (علم القضاء وفصل الخصومات)، مباشرة الخصوم (أصول المرافعة)، ويدخل في أصول الحكم، معرفة المدافعة، وهي تعليل الحكم، وتسمى بالحيثيات، لأنها تبدأ بكلمة: حيث، وفي المدونة (١٧٤/٤) : " فيدافع عن الأحكام، مدافعة أحسن من فصل الحكم .." عمل المحاضر، السّجلات، الإقرارات، وفي المدونة (١٧١/٦) : "استقضى المعتضد بالله على الشرقية، سنة ثلاث وثمانين ومائتين، أبا خازم، عبد الحميد بن عبد العزيز، وكان رجلا ديّنا، ورعا، عالما بمذهب أهل العراق، والفرائض والحساب، والذرع والقسمة، حسن العلم بالجبر والمقابلة، وحساب الدور، وغامض الوصايا، والمناسخات، قدوة في العلم بصناعة الحكم، ومباشرة الخصوم، وأحذق الناس بعمل المحاضر والسجلات، والإقرارات ".

– مصطلحات حديثية:

المتون، المقطوع (المقاطيع)، المرسل (المراسيل)، الحكايات، الحديث المسند، علل الحديث، وأسانيد الحديث، وأوضاع رجال الحديث، تفسير غريب الحديث، وفي المدونة في ترجمة أبي بكر الجعابي (٢٥٥/٤) : "إنّه يحفظ مائتي ألف حديث، ويجيب في مثلها، إلّا أنّه كان يفضل الحفاظ، بأنّه كان يسوق المتون بألفاظها، وأكثر الحفّاظ يتسمّحون في ذلك،

وكان يزيد عليهم بحفظ المقطوع، والمرسل، والحكايات، ولعلّه يحفظ من هذا، قريبا ممّا يحفظ من الحديث المسند، وكان إماما في المعرفة بعلل الحديث، وثقات الرجال، ومعتلّهم، وضعفائهم، وأساميهم، وأنسابهم، وكناهم، ومواليدهم، وأوقات وفاتهم، ومذاهبهم، وما يطعن به على كل واحد، وما يوصف به من السداد " وينظر: (٢٢٩/٥).

– مصطلحات شعرية:

الرقائق، الزهديات: الأبيات من الشعر الصوفي، ظاهرها الغزل وباطنها التعبد، والزهديات قصائد طابعها الزُّهد، وفي المدونة (٦١/٣) : " فأسمعه يُنشد على الطريق، الرقائق، والزّهديّات ..".

قصيدة طردية مزدوجة (٢٥/٤)، **الإجازة في الشعر:** أن يزيد الشاعر على كلام غيره بعد فراغه منه (١٧٣/٤)، **التضمين الشعري:** أن يضمّن الشاعر قصيدته أبيات شعرية لشاعر متقدم، وينظم على نسقها (٢٥٢/٧) ، **الأرجوزة:** قصيدة من بحر الرجز، **القصيدة الدالية** (٤٩/٦)، **الرباعيات الشعرية** (١٠٠/١، ٤/ ٢٦٥)، **غناء الركبان** (الحداء)، **وغناء الخلوات** (٢٨٠/٤).

علم الأخبار (١٥٣/٤، ١٥٤): الروايات الأدبية واللغوية، وأخبار العرب وأشعارهم.

علم التصريف (٢٠/٦) : علم بأحوال الكلمة من حيث بنيتها، وما يطرأ عليها من تغيير.

صناعة الكتابة (١٤٤/١، ٢٩/٢، ٣٠، ٢١٢، ٢٤٦/٤) : علم أصول الكتابة والمراسلات وآدابها.

علم التنجيم أو النجوم (٣٢٧/٢، ٣٢٩/٤،٧/٦٦،٨/١٩٩،١٩٠) : ومن مصطلحاته وأدواته: الطالع، التحويل، السعود، النّحوس، الاسطرلاب، التقويم الزايرجة.

خلاصة الفصل:

من خلال استعراضنا لمجالات التوليد اللغوي في مدونة التنوخي نستطيع أن نؤكد التنوع الهائل لهذه المجالات، ودخولها القاموس العربي، وهذا يؤكد مدى قدرة العربية على استيعاب ألفاظ الحضارة والحياة، ومصطلحات العلوم والفنون المختلفة، وقدرة العربية على صهر هذه الألفاظ لتصبح جزءا لا يتجزأ من ثروة العربية، وتثبت أنها لغة تؤثر وتتأثر بما حولها بمرونتها المذهلة على استيعاب الجديد من الألفاظ والمصطلحات، وثبات أصولها وقواعد أنظمتها النحوية.

واستطاعت هذه اللغة الشريفة أن تتحول إلى لغة علمية ومعرفية، وأن تحتوي الثقافات الأخرى بوسائل منها: الخاصة الاشتقاقية، والمجاز وطرائق الترجمة والتعريب؛ وقد أصبحت نتيجة لذلك لغة الحضارة والعلم في فترة مهمة من تاريخ البشرية، وأصبحت رباطا وجسرا تنتقل من خلاله ثقافات وتراث العصور السالفة لتستوعبها العصور الحديثة الراهنة.

إنّ وصف مجالات التوليد اللغوي يكشف عن ملامح التّطور اللغوي في بيئة المتكلمين، ويوضّح الأثر الذي تركوه في نمو اللغة وازدياد مفرداتها، ويسبر أغوار حياة اللغة ومسيرتها، فهناك مولّدات تظهر، ومفردات تختفي، وأخرى تموت، وأخرى تعود للحياة بثوب جديد، وكذلك يؤدي إلى كشف جوانب التأثر والتأثير الحضاري بين الثقافات والشعوب المختلفة.

ومجموع هذه الألفاظ والتراكيب المولّدة شكّلت فيما بعد ملامح ما سُمي بالعربية الوسيطة، واستخدمت للتعبير عن المفاهيم الفكرية، والقضايا الذهنية، والأشياء والماديات، وفي استحداث أشكال الإدارة والحكم، والمعارف والمصطلحات العلمية والمعاني الجديدة الطارئة في الحياة.

بل واستطاعت مظاهر هذه المجالات أن تكشف لنا بيئة القرن الرابع الهجري، وأنماط الحياة السائدة، ووسائل الحضارة، وأن ترسم لنا فئات المجتمع المختلفة، والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيه.

الفصل الثاني
التوليد في مستويات الاستعمال في مدوّنة التنوخي

١- المستوى الفصيح.

٢- المستوى المولّد.

٣- المستوى العامي.

٤- المستوى المقترض.

الفصل الثاني: التوليد في مستويات الاستعمال في مدوّنة التنوخي

تشتمل الدراسة التطبيقية لمدوّنة القاضي التنوخي (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) على مستويات متعددة من الاستعمال اللغوي، إضافة إلى ما ينتج عن استعمال اللغة من مجالات مختلفة في الواقع اللغوي، سواء كان ذلك في ألفاظ الحياة العامة أو في المصطلحات.

وتمظهرت هذه المستويات من الاستعمال اللغوي في مظاهر توليدية شكلية ودلالية، تفرّعت هذه المظاهر التوليدية في المستويات اللغوية الآتية: الأصوات، الأبنية، التراكيب، والدلالة .

وإذا نظرنا لما يحويه كتاب النّشوار للقاضي التنوخي عثرنا على رصيد ضخم من ألفاظ العربية متعددة المستويات، وألفاظ اللغة العامّة، ومصطلحات العلوم والفنون في عصره، إضافة إلى ما اقترضه العرب من اللغات الأعجميّة وخاصّة الفارسيّة منها، لتسمية الأدوات والأطعمة والمفاهيم والأشياء التي لم يعرفها العرب من قبل، وترتب على ذلك نمو ألفاظ العربية في العصر العباسي، وتطور تعابيرها وتجدد ألفاظها.

وهذه المستويات اللُّغوية التي وردت في كتاب (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) كانت سائدة في عربيّة بغداد في القرن الرابع الهجري، وإن كان الغالب فيما دوّنه التنوخي من المستوى الفصيح، وعلى الرغم من ذلك فإن لغة التنوخي كانت قريبة من الواقع اللغوي السائد في عصره، فهي لغة سهلة طيّعة تعبّر عن طبيعة المتكلمين، وبيئاتهم المتنوّعة.

وقد حاول التنوخي في نشواره نقل لغة الواقع في أحيان عديدة فظهرت مستويات من الاستعمال اللغوي بجانب المستوى الفصيح، وهي: المستوى المولد، والعامي، والمقترضات اللغوية، وسنحاول في هذا الفصل دراستها، والإلمام بخصائصها، وإعطاء نماذج وافية بمجالاتها المتعددة من ألفاظ ومصطلحات، قد وجدت طريقها في الظهور إبّان القرن الرابع الهجري في البيئة العباسية، وعصر الدول والممالك بخاصّة.

١- المستوى الفصيح.

عالج التنوخي في نشواره أغلب موضوعات كتابه بهذا المستوى الفصيح من الاستعمال اللغوي، ولا نستطيع أن نلمّ بكل خصائص هذا المستوى من الاستعمال ولكن نشير إلى بعض مظاهره في لغة التنوخي:

- البعد عن التعقيد اللفظي والتقعير في الكلام: يتضح ذلك من سياقه لحوار ذلك المتقعر الذي تكلف السجع بحضرة القاضي أبي خليفة، فأمر بصفعه، وفي المدونة (٢٨/٢) : " فقدّمت هذا الرجل امرأته إلى أبي خليفة، وهو يلي قضاء البصرة إذ ذاك، وادّعت عليه الزوجية والصَّداق، فأقر لها بهما. فقال له أبو خليفة: أعطها مهرها. فقال أبو الرطل: كيف أعطيها مهرها، ولم تَفلع مسحاتي نهرها ؟ قال أبو خليفة: فأعطها نصف صَداقها. قال: لا، أو أرفع ساقها، وأضعه في طاقها. فأمر به أبو خليفة، فصُفِع ".
- يستأنس القاضي التنوخي أحيانا بالغريب من الفصيح، لكن هذا الغريب غالبا ما يتّضح معناه بتضامّه مع غيره من الكلِم في السياق، ليزول غموضه، والكلمات الآتية أمثلة ذلك:

(**النّائرة**) (١٦٧/٤) : " ثمّ سكنت النائرة ... "، على الرغم من قلة ورودها في المعاجم العربية، إلا أنّ سياقها يوضح معناها، فقد جاءت هنا بمعنى الفتنة، وفي المصباح المنير: " والنَّائِرَةُ أيضا: العداوة والشحناء مشتقة من النار، وبينهم (نَائِرَةٌ) وسعيت في إطفاء (النَّائِرَةِ) أي في تسكين الفتنة "[(١)].

(**شعّث، يُزهمُها**) في التركيب الآتي (١٨٦/٢) : " أمرهم أن يمسحوا أيديهم في لحاهم؛ ليعلم أنهم ما شعّثوا شيئا يُزهمها ..." متحدثا عن طبع أحد البخلاء من كراهيته مؤاكلة الآخرين، ومن الواضح من خلال سياق القصة أنّ معنى: شعّثوا: فرّقوا ومزّقوا، وأن يُزهمها: يغيّر رائحتها[(٢)].

(**يُستّفون**) في السياق الآتي (١٤٠/١) : " أنّهم يستّفون البناء في السّور "، الظّاهر من سياق القصّة أنّ معناه إما أنّهم يسرعون البناء، وهو مأخوذ من ستّفت النّاقة: تقدّمت الإبل

---

(١) المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، ص٣٢٤.

(٢) ينظر: لسان العرب، ت: اليازجي وزملائه، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٦٠/٢، ٢٧٧/١٢، تاج العروس، ٢٨٣/٥، والزُّهم دهن الدجاج والطير والبط خاصّة، ينظر: ابن الجوزي، تقويم اللسان، ت: عبد العزيز مطر، دار المعارف، ط٢، ص١١٦.

في السّير، أو يحسّنون ظاهره، مأخوذ من السُّنُف، وهي: ثياب توضع على كتفي البعير للزينة [1].

(**شِقص**) (٦٥/١): " وإنّما أملاكنا شِقصٌ يسير من الأرض "، والشِّقص: القطعة من الأرض [2].

ومن التراكيب الغريبة (٢٦٩/١) : " وقصده السبع، فما كَذَب أن أخذه "، وهي من الأساليب المستخدمة عند العرب، ويتّضح من سياق العبارة، أنّ كلمة (ما كَذَب) أي: ما لبث، وما أبطأ [3]، وليست من الكَذِب الذي هو ضد الصّدق.

وفي المدونة أيضا: هاتر، يهاتر (٢٢٥/٢، ٢٢٦) : " وهاتر صديقٌ لنا مغنّية .."، وهو من الفصيح المستعمل في كلام الناس، والمهاترة: السّباب والشتم، وفلان يهاتر فلانا: يسابّه بالباطل والقبيح من القول [4].

وقد تأتي هذه الألفاظ الغريبة حكاية عن فئة من الناس تحب الإغراب في الكلام، ومن ذلك قول أحدهم (٢٠٧/٦) : " وعهدي بك تأتيني معه وأنت بَزقة ، مَخطة، لَعقَة، قردلاش "، ويفهم من خلال السياق إرادة المتكلم إخبار السامع بأيام طفولته، وبزقة: من البُزاق، ومخطة: من المخاط، لعقة: من اللعق، ولعله لعق الحلوى وما شابهها، وهذه الصيغ من صيغ المبالغة، أما كلمة (قِردلاش) فلم تذكر في المعاجم العربية، ولعلّها (مرتجلة)، ويدل سياقها على أنها من صفات الطفولة، وربما تعني كثرة الحركة.

* ووردت ألفاظ غريبة في مدونة التنوخي جاءت على شكل مسكوكات صيغيّة من (فعّل) الدال على المبالغة والتكثير، ومن أمثلتها:

---

(١) ينظر: تاج العروس، ٤٦٧/٢٣، ٤٦٩.

(٢) ينظر: الجوهري، الصحاح، ١٨٠/٤.

(٣) ينظر: تاج العروس، ١٢٤/٤.

(٤) ينظر: الزاهر في معاني كلام الناس، لابن الأنباري، ت: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م ٣٩٨/١، وفي لغة أهل التهائم تستخدم إلى الآن كلمة (هتر) بمعنى شد الشيء بقوة، ومقلوبها (هرت) بمعنى عض الشيء بقوة، أو شاتمه بشدة.

– **وسبّب لكلامه فأحسن** (١٢/٢) : ويتّضح من سياقها أنّه مهّد وجعل لحديثه مقدّمات لبلوغ مراده في الخطاب، ومن هذه المادة ما ورد في النشوار (١٩٧/٣) : " وتسبّبتُ إلى الخروج من عندهم ": احتلتُ وتوصّلتُ.

– **ففيّل رأيي** (١٢٤/٦) : استقبحه وضعّفه وخطّأه [١].

– **وذنّب معه**: وردت في السياق الآتي (١٧/٤) : " وداخله الطّبري في ذلك، وذنّب معه "، وفي النشوار (٢١/١) : " وذنّبت معهم في ذلك ". والتذنيب كما يظهر في هذا السياق يتّخذ دلالة المشاركة في الكلام، جاء في أساس البلاغة: " وذنّبتُ كلامه : تعلقت بأذنابه وأطرافه "[٢]، وواضح أنّ الفعل مشتق من الذّنَب، وهو من المجاز .

– **وورّكتُ** على ابن قديدة مالا عظيما (٢١٨/١) : بمعنى ألزمته وحمّلته، واشتقاقه من الوَرِك، وفي الصحاح: " وتوركت المرأة الصبي، إذا حملته على وركها " [٣]، فهذا أصله اللغوي، ثم استعمل مجازا في التحميل والتغريم.

* ومن الظواهر اللغوية الأخرى استخدام المتلازمات اللفظية على غير مستحقّها الدلالي، سواء في المصطلحات التركيبية، أو في لغة الحياة العامّة، ولا شك في أنّ هذا التخصيص في تراكيب العربية في النعت والإضافة والإسناد نوع من الدقة في التعبير، والعدول عنه نوع من التحريف الدلالي، ومما ورد في الاقتران اللفظي، ودقّة اختيار التركيب اللفظي، تلحينهم عبارة: (**يَضرب بالرباب**)، يدل على ذلك ما أورده التنوخي عن أحد القضاة من إنكاره هذه العبارة، وقوله للشاهد عندما سمع منه هذه العبارة (١٧٠/٢) : " كأنّك لا تعلم أنّ الرباب يجرّ حتى يُسمع صوته، ولا يضربُ به .."، فكلمة (الرباب) وهي آلة موسيقية، يناسبها فعل (يجر)، وإنما يُضرب بالعود.

* وفي المدوّنة أيضا، أمثلة من الفصيح المولّد، وأساليب جرت مجرى المثل، فمن ذلك:

قولهم (٢٣٩/٥) : "صَبرك على أذى من تعرف، خيرٌ لك من استحداث ما لا تعرف ". وقد روي هذا المثل بأساليب مختلفة في لغة العامة.

---

(١) ينظر: الجوهري، الصحاح، ٦/ ٧٢، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص١٣٥٠.

(٢) الزمخشري، ٢٩٤/١.

(٣) الجوهري، الصحاح، ٣٠٠/٥.

وقد تبدأ هذه الأمثال باسم تفضيل، ويُطلق عليها عند بعض الباحثين: (**المفاضلات المثليّة**)[1]، ومن أمثلتها الفصيحة (١٦٧/٢) : " فتحوها، فوجدوها أخلى من فؤاد أم موسى "، وقد يرد هذا المثل بتغيير لفظ مكان لفظ (١٩٧/٤) : " بيتي أفرغ من فؤاد أم موسى ".

ونلاحظ أنّ أثر قصص القرآن الكريم قد بدا واضحا في صكّ المثالين السابقين فأصبح (فؤاد أم موسى) مثلا يُضرب في فراغه من الثبات، كناية عن فزعها الشديد على ابنها .

ومن المسكوكات التفضيلية الواردة في المدوّنة، قولهم (٢٩/٣): " أضيق من مَسك شاة "، ومَسْك الشاة (بالفتح): جلدها [2].

وفي المدوّنة من رسائل ومكاتبات الخلفاء والأمراء والوزراء والعمّال في القرن الرابع الهجري نماذج مولّدة كثيرة، اختارها التنوخي ليضمها في كتابه، فقد كان الكتّاب يحرصون على إجادة كتاباتهم، واختيار الألفاظ والتراكيب بدقة، وتحرير العبارات بما يطابق المعنى، ويؤيد هذا ما ذكره صاحب النشوار حكاية عن الوزير عبيد الله بن سليمان، فقد " أراد الخليفة المعتضد أن يُشهد على نفسه العدول ، في كتابٍ صدّره (٣٨/٣): " هذا ما شهد عليه العدول جميعاً : أنّ أمير المؤمنين، عبد الله أبا العباس المعتضد بالله، أشهدهم على نفسه، في صحةٍ منه ، وجواز أمر، وعُرضت النسخة ، على عبيد الله بن سليمان ، فضرب عليها ، وقال : هذا لا يحسن كتبه عن الخليفة ، اكتبوا : في سلامة من جسمه ، وإصابة من رأيه ؟ ".

* ويحوي المستوى الفصيح في المدوّنة تراكيب مولّدة بلاغية من تشبيهات واستعارات وكنايات، إرادة تنميق العبارة، أو توضيحها، وفي الأمثلة الآتية بيان ذلك:

- رأيت عمر بن ميسرة وكان كهيئة الخيال، وكأنه صُبغ بالوَرِس (١٥٧/٥).
- فأعطاني فصًا عليه نقش كأنّه طُلْسم (١٩٩/٣).

وقد أدّى التركيب التشبيهي في العبارتين دلالة معينة أراد المؤلف أن ينقلها إلى القارئ، فالعبارة التشبيهية الأولى توحي بنحافة البدن واصفرار الجسم نتيجة الداء، وهذا الأسلوب التركيبي قديم في العربية.

---

(١) ينظر: روضة الحرزي، التعبيرات الاصطلاحية (رسالة ماجستير)، إشراف: د. عبد الحميد الأقطش، جامعة اليرموك، ص٣٠.

(٢) ينظر: الصحاح، للجوهري، ٢٩٧/٥.

أما العبارة الأخرى فأراد المتكلم بها أن يشبّه النقش بالطُلسم، والجامع بين المشبه والمشبه به هو الغموض والإبهام، فالطلاسم كتابات غامضة يستخدمها السحرة ومن على شاكلتهم، ويبدو التشبيه في هذه العبارة مولّدا.

ومن الأساليب البلاغية أيضا:

* فوجد المائدة تريد أن تقدّم للملك (١٤٠/٨) : فأسند الفعل للمائدة على سبيل الاستعارة، وهذا الأسلوب البلاغي يشبه ما جاء في القرآن الكريم: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ الكهف: ٧٧. والفعل (تريد) في سياق العبارة السابقة بمعنى (تكاد).

ومن تلك الأساليب البلاغية التي دُبّجت بالاستعارة (٨٩/٥) : " ثمّ إنّ الأمر تفاقم، وتمكّنت منه الصبابة، وسقَمَه الغرام ". ومن الكنايات الواردة في المدوّنة:

" **إنّ ذيلي طويل** "(٢١٥/١) : كناية عن اتساع العائلة وتعدد المسئوليات، وهذه من الكنايات المولّدة، وربما كان لذيوعها على الألسنة آنذاك دورٌ في دخولها في المستوى الكتابي.

ومن الأمثلة الأخرى قولهم (٣٠٩/١) : " **بلغ الرجل الصُّكاك** ": بضم الصاد، والصُّكاك: الهواء، مثل السُّكاك، وعدّ صاحب الزاهر هذا الأسلوب من كلام العامة، والصّواب: بالسين[١]. وهذه الكناية يعبّر بها عن رفعة الشيء وعلو مكانته.

ومن الكنايات الفصيحة، قولهم (٣٧/٦) : " **حملتُ على نفسي** "، أي: أكلتُ أكثر من طاقتي.

ومن الكناية المستخدمة: (**اختطّ عارضه**) (١٩٢/٤) : إذا بلغ الغلام مرحلة الشباب، والعارض: صفحة الخد من الإنسان[٢]. ومثله استخدام تعبير " **والناس حضور عن بَكرة أبيهم** " (١٤/٢)، وهذا التركيب الكنائي أفاد دلالة اجتماع الناس وعدم تخلّف واحد منهم. وليس هناك بَكرة في الحقيقة، وإنما هو مثل[٣].

وهذه الأساليب البلاغية لها وظائفها المتعددة في الكلام من تأثير في المتكلّم، أو في زيادة إيضاح النّص وفهمه من قِبل المتلّقي، أو الإبداع الرفيع القائم فيه، وكان سائدا في المستوى المكتوب، وقد يقصد المتكلم في بعض تلك الفنون البلاغية غاية أخرى، فالتورية قد يقصد بها

---

(١) ابن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ٣٠٩/١.

(٢) ينظر: تاج العروس، ٣٨٥/١٨.

(٣) ينظر: تاج العروس، ٢٤٨/١٠.

غموض الكلام لا وضوحه، وتعتيم الدلالة، من باب التوقي والدهاء، وإلى هذا يشير القاضي التنوخي في ترجمة أحد القضاة، يقول (١٩٧/٣) : " وكان أفعلُ الناس لهذا، وأقدرُهم على أن يتكلّم دائما في الأمور بما يَحتمل معنيين، ويحتاج إلى تفسير للمقصد، توقيًا منه ودهاء ".

وهناك جانب مهم يظهر فيه أثر المستوى الفصيح، ويتمثل في إنشاء المصطلحات في العلوم والفنون المختلفة، وفي ألفاظ الحياة العامة، والاشتقاقات المختلفة: فالكلمات المولدة منها ما هو فصيح مشتق من فصيح، ومنه ما هو مولّد مشتق من فصيح، أو تراكيب مولدة مركبة من كلمات فصيحة، ونكتفي بالتمثيلات الآتية الواردة في المدوّنة:

ألفاظ فصيحة: من الألبسة:(وشي، درّاعة، قطيفة، بُردة، خِمار، مرقّعة، قِباء، كُم ....)، ومن الأواني والأثاث: (الخوص، الحصير، النّطع، الصّفر، القَصعة، الصَحفة، قدَح، الحُب، مِرجل، قناة، رقاع، الخباء، الرّكي، البئر ..)، ومن المأكولات: (مضيرة، أوساط، الحيس، السويق، الفِرصاد ..)، ومن ألفاظ الطبيعة: الخيف، الطُفوف، القارة .... ومن أعضاء الإنسان: الصّماخ، البَظر ...

ألفاظ أو تراكيب مولدة مشتقة أو مركبة من الفصيح:

الجرايات، الأنزال، التصرف، الارتفاع، الصادر والوارد (أجور ووظائف ومعاملات).

النَطف – ناطف – نطّاف (حلوى وصانع الحلوى).

القِسمة – الجَبر – المقابلة (مصطلحات حسابية).

فرّاش – هرّاس – ثلاّج – قفّال – زيّات (مهن وأعمال).

الطّيار، المأصر، فوّارة، المساحي، المقدحة (أدوات نقل وأماكن وآلات).

كلمات مشتقة من مواد عربية فصيحة: المنثور: الورد الذي ينثر على الفرش.

ومن التراكيب الإسنادية الفصيحة: الوجه الأمسي.

ومن التراكيب الإضافية: قاضي القضاة، صاحب المعونة، دار الخلوة، سِلف الميت.

وتختلط – أحيانا – الحدود الفاصلة بين المستويات، فيتكلم العامة بألفاظ وعبارات فصيحة، ويُظن أنّها عاميّة، وهذا ما يُدعى بالفصيح العامي، أو العامي الفصيح، ومن أمثلته العبارات الآتية:

الفعل (**شال**) بمعنى رفع الشيء، وهذا الفعل ما يزال شائعا في اللهجات العربية، وجاء في المدونة: وشاله الفيل شيلا عظيما (١٠٩/١)، وأمسكه ركّابيون فوق السور ليشيلوه فيُخنق (١٤٠/١)، شال إحدى قوائمه، ... وشالني في الهواء (١٩٧/٣).

ويبدو من ورودها في العديد من عبارات النّشوار أنها كانت شائعة في لغة التخاطب ببغداد في تلك الفترة. وسنشير إلى أمثلة أخرى في المستوى العامي.

٢- المستوى المولّد.

تظهر في مدونة التنوخي مظاهر عديدة للمستوى المولد، يمكن أن تصنّف إلى ألفاظ اللغة العامة، ومصطلحات العلوم والفنون في عصره، إضافة إلى ما اقترضه العرب من اللغات الأعجمية المتاخمة، سواء في ذلك المعرّب أو الدخيل لتسمية الأدوات والألبسة والأثاث والأطعمة والمفاهيم والوظائف والأشياء التي لم يعرفها العرب من قبل، وكذلك الألفاظ المرتجلة التي لم تسجلها المعاجم العربية، والألفاظ التي تغيّرت دلالتها عن طريق المجاز، أو الاشتقاقات الجديدة، وبعض العبارات والتراكيب التي دخلت اللغة.

ولا يمكن أن يُهمل مثل هذا الرصيد، فقد كان مستعملا من قبل الجماعة اللغوية، وينبني على معرفة المولّدات اللغوية مسيرة الألفاظ في تطورها وانتقالها عبر التاريخ، وتغير دلالاتها، وتصور للبيئة التي عاشت فيها تلك الألفاظ، وتحليل طرق التوليد في العربية سواء منها الشكلية أو الدلالية.

وسوف نعالج هذا المستوى اعتمادا على مظهري التوليد الأساسيين، وهما: التوليد الشكلي بظهور دوالّ تحمل مدلولات جديدة، أو التوليد المعنوي الدلالي، بإعطاء دوالّ موجودة في اللغة دلالات جديدة للتعبير عن الجديد في تجارب الجماعة اللغويّة ..

التوليد الشكلي:

يعتمد التوليد الشكلي على الاشتقاق خاصّة للتعبير عن مدلولات جديدة، فمن الألفاظ المولّدة عن طريق الاشتقاق:

– من أنواع المراكب البحرية: الطيّار (٢٦/١، ١٨٤/٤)، حرّاقة (١٩٧/٢)، (٤٣/٣)، ومثلها: طرّادة، فهذه ألفاظ عربية المادة والصياغة.

– الطّابوق أو الطّابوقة (١٤٥/١، ١٨١): الآجرة العريضة المسطّحة التي تفرش بها الأرض، وهي من مواد البناء، ووردت في مدوّنة التنوخي بصيغة الجمع: طوابيق، واشتق منها: طبّق الدار بمعنى: فرش أرضها بالطابوق. وفي النشوار (١٨١/١) : " وجصّصها من غير بياض، وطبّقها ..".

ومن الألفاظ المولّدة المشتقة من صيغ عربية، في أصناف الناس:

العيّارون (١/ ٤، ٨٦، ١٤٤/٣، ٢١٨/٨) : مأخوذ من عارت الدابة، إذا فلتت، والعيّار: الذي يخلّي نفسَه وهواها لا يردعها ولا يزجرها[1]، والعيارون: وهم الذين لا يزدجرون عن فعل أي شيء.

وفي مقدمة النّشوار ذكر التنوخي فئات اجتماعية متعددة، وطبقات مختلفة من النّاس، فمما ذكره: " .. الأطباء والمنجمين، والكحّالين والفصّادين، والأساة والمجبّرين، ومعالجي الجرائح والقمائحيين، وأصحاب الزّجر، والزّراقين، وأهل القرعة والمقالين، والطّواف بالسّهام والمفسّرين .." (٦/١).

وأكثر هذه الألفاظ المولدة مشتق من اسم المهنة، أو الفعل الذي يمارسه هؤلاء النّاس، وتلك الألفاظ التي اخترناها للتمثيل لا للحصر يمكن أن تصنّف إلى نوعين:

طائفة الأطباء: (والطب علم تقويم الأبدان) الكحّال (المختص بالعيون): من الكحل، الفصّاد (الجرّاح) مشتق من الفصد: استخراج الدم. الأساة: الأطباء من أسى الجرح، المجبّرين: تجبير العظام المكسورة، من جبر، معالجي الجرائح: إسناد إضافي. القمائحيين: نسبة إلى الجمع (قمائحي)، والقمائح: ج قميحة: نوع من الدواء المصنوع (من أنواع السفوف أو المعَاجين عند الأطباء).

طائفة المنجمين ومن شاكلهم: من أصحاب الزجر ومنهم: الزّراق: وهو النّاظر في النّجوم، والتزريق: الاحتيال والهذيان والتلبيس، وزرّقتُ عليه: أي موّهت، وفي نشوار المحاضرة (٣٢٥/٢): " وقد جرى حديث الزّراقين، .... وفيه عن أحد الزرّاقين قوله: اعلم أنّي لا أحسن من النّجوم شيئا، وإنّما أنا أزرّق، وأهذي على النّساء ...".

ومن ألفاظ المهن المولّدة المشتقة الواردة في المدونة: (المنجّم، بقّال، هرّاس، فيّال، قرّاد، ثلاّج، قفّال، ضرّاب (الذي يسك النقود)، نفّاط، زرّاق، طوّاف، علاّفة، ذرّاع، دهّاق، زيّات، قيّار، صفّار ..)، ونلاحظ أنّ صيغة (فعّال) اشتقّ منها بكثرة لتوليد ألفاظ تدل على المهن.

---

(١) ينظر: ابن الأنباري، الزاهر، ١٣٩/١.

التوليد الدلالي [1] :

ويعتمد التوليد الدلالي على إعطاء مدلولات جديدة لدوالّ موجودة في اللغة، فيتم التعبير عن المعاني الجديدة بتغيير معاني الدوال القديمة عن طريق المجاز، أو الاستعارة، أوالكناية خاصة. ومن تلك الألفاظ:

الجريدة: تغيّرت دلالتها اللغوية، فكانت تطلق على سَعف النّخل، يقال: جريد، وواحدتها:(جريدة) [2]، ثم انتقلت دلالتها لتطلق على كشف أسماء أو حساب، أو القائمة، جاء في المدونة (٧٠/١، ٧١) : " واكتبْ عنها جريدة بأسماء جميع النّساء ..... فبلغت الجريدة ثلاثة آلاف وكسرًا في الشهر .."، وفي موضع آخر من المدونة (١٤٥/١) : " فوجد في داره جرائد بأسماء من بايع ... وأمر المعتضد بالجرائد، فأحرقتْ ظاهرا .."

الارتفاع: خُصص هذا اللفظ ليطلق على الإيراد المالي، أو الدخل، أو ما يُعرف بالموازنة المالية في مدونة التنوخي، ووردت في مواضع عديدة بهذه الدلالة الجديدة، ومما جاء في هذه المدونة (٦٥/١) : " فوفرُ ما بين الارتفاعين يعمّر الدنيا كلّها .."، (١٨/٨) " فوقّع المعتصم يوما، أن يُقطع الواثق ما ارتفاعه ألف ألف درهم .."، (٧٩/٥) " وأنّه كان يسمع الكتّاب يقولون في ضِياع أبي الحسن بن الفرات، أنّها ترتفع في وزارته بألف دينار .."

القماش (١٥٦/١، ١٥٧) : يطلق القماش والأقمشة في عصرنا على نوع من الحرير أو النّسيج التي تُصنع منه الملابس، أما بعض المعاجم القديمة فذكر أنّ القماش: هو فتات الشيء، أو أراذل النّاس [3]، وورد ذكر هذا اللفظ في مواضع عديدة في مدوّنة التنوخي بمعنى: متاع البيت، وأثاثه، فمن ذلك، ما جاء في مصادرة ابن الجصّاص (٣٧/١) : " إنّا وجدنا في جملة قماشه سبعمائة مزمّلة خيازر، فما ظنّك بمروءة وقماش يكون هذا في جملته ؟ "، وفي موضع آخر (١٧٩/١) : " فجاء فإذا هو قد باع قماش بيته "، وفي موضع ثالث (٣٣٩/٢) : " فأنزلْ وأفتحْ الباب وآخذْ الكيس والقماش .."، ففي هذه المواضع وغيرها جاءت لفظة (القماش) بمعنى: متاع البيت، وأثاثه، ولعلّها تطوّرت واتّسعت دلالتها من المعنى الخاص

---

(١) سنتعرض لبيانه في مظاهر التوليد اللغوي، ونكتفي هنا بالتمثيل.

(٢) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٥٢/١.

(٣) ينظر: القاموس المحيط، ٧٧٨/١.

الوضيع وهو: فتات الأشياء، إلى متاع البيت، وأثاثه، وفي الصحاح: " وقماش البيت: متاعه "[1].

قحبة: وهي من الكلمات المولّدة التي تطوّرت دلالتها[2]، لتحمل دلالة معيّنة في عصر التنوخي، وهي الدلالة على النساء الفواجر، وفي المدونة (١٠٩/١) : " فاجتمع القحاب وهم النساء الفواجر .."، وفي موضع آخر من المدونة (١٢٨/٥) : " لمَ تغتمْ على هذه القحبة ؟ ".

وهذا المعنى الَّتي انتقلت إليه الكلمة، وهو: إطلاق(القَحبة) على المرأة الفاجرة مجازًا، ويقال للفعل: قُحاب، ما يزال مستعملاً حتَّى اليوم، ولكثرة استعماله في بعض البيئات أصبح بمثابة الحقيقة.

وأصبحت تُطلق على البَغي حقيقة، يقول أبو هلال العسكري: " صار تَسمية البغِيّ المكتسبة بالفجور القَحْبة حقيقة، وإنَّما القُحاب السُّعال "[3]. وفي شفاء الغليل: "والعامَّة تُسَمِّي البغِيّ قَحْبَة " [4]، واستقرّت الكلمة على هذا المعنى في الاستعمال الرَّاهن.

هذه بعض الألفاظ التي أصبح لها مدلولا مغايرا لما وُضعت له في أصل لغة العرب، فانتقلت دلالتها إلى معنى آخر على سبيل الاتساع أو تعميم الدلالة، أو غير ذلك من أغراض التطور الدلالي للألفاظ.

وهناك جوانب أخرى يظهر فيها المستوى المولّد سواء في لغة الخطاب العام، أو في التراكيب والأساليب النّثرية والشّعريّة، أو في المقترضات اللغوية، وسنعالج هذه المظاهر في أبوابها المختلفة، ونكتفي بذكر بعض الأمثلة والنماذج الواردة في المدونة على سبيل التمثيل:

فقد يكون مظهر التوليد في العبارة الشعرية، وقد يذكر ذلك صراحة، ففي المدونة (٢٧٨/٤) ، خبر يرويه الزبير بن بكّار عن امرأة وقد مات بعلها " تنشد قصيدة ، منها هذا البيت: (البسيط) أمستْ فتاةُ بني نَهْدٍ علانيةً وبعلُها في أكُفّ القوم يُبتذلُ

---

(١) للجوهري، ١٥٣/٤.

(٢) عدّ الجوهري وغيره هذه الكلمة من الكلمات المولدة التي انتقلت دلالتها إلى معنى آخر، وأصل القحاب السعال، ثم انتقلت إلى دلالات أخرى، ينظر: (الصِّحاح)، (قحب) م١٩٨/١، و(لسان العرب) ٣٥٣٤/٤٠. و (القاموس المحيط)، ١١٣/١.

(٣) كتاب (الصِّناعتين)، ت: مفيد قمّيحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ، ص١٦.

(٤) الخفاجي في (شفاء الغليل)، ص١٨٣.

... أمستْ فتاةُ بني تَهْد علانية، أي: ظاهرة، وهذا حرفٌ لم أسمعه في كلام العرب قبل هذا..".

فهذا التصريح من المتكلم على أنّ هذا الحرف لم يُسمع من قبل في كلام العرب يدل على أنّ هناك تعابير وألفاظا مولّدة دخلت في لغة الشعر ، ومن تلك التعابير الشعرية المولدة (٤/ ٢٥٦) : (يا محنةَ الله كُفِي ..) في مقطوعة شعرية بديعة للقاضي أبي نصر، وما أكثر ما جادت به قرائح الشعراء في العصر العباسي الأول والثاني ، وكذلك في عصر الدول والملوك في القرن الرابع وما بعده من تعابير شعرية مولدة، وصور وأخيلة بديعة، أورد منها صاحب النشوار طُرفًا ومقطوعات شعرية عديدة ذات موضوعات وأغراض مولدة [(١)].

ولكثرة أمثلة الشعر الفصيح المولّد في نشوار المحاضرة نستطيع أن نعده مصدرًا مهمًا من مصادر الأدب العربي في العصر العباسي الثاني وعصر الدول والملوك في القرن الرابع الهجري.

ويحفل كتاب النّشوار للقاضي التنوخي على صور نثرية عديدة، تمثّلت في المراسلات، وأنواع الرسائل الإخوانية، وعبارات الكُتّاب، وتوقيعات الخلفاء والأمراء، وكتب الوصايا والتهاني وغيرها، وظهرت نتيجة اتساع الكتابة وأعمال الدواوين تجديدات في النثر وأسلوب الكتابة، ورافق ذلك ظهور أغراض نثرية لم تكن معهودة من قبل [(٢)].

---

(١) ينظر على سبيل المثال في نشوار المحاضرة: نماذج من شعر أبي فراس ٢/ ٢٦٨، ٢٣١/٣، في الأغراض الشعرية المولدة: وصف زراقة نفط ٣٠٣/٢، وصف كانون ووصف مجدور، ٣٠٥/٢، وصف شمعة، ٣٠٦/٢، ١٠٧/٧، وصف قدح أبيض، ١٥٩/٣، ١١٠/٧، وصف النارنج، ٣/ ٣٥٥، وصف باقلاء ٢٠١/٥، في وصف طيلسان، ١١٣/٧، وصف أنواع من الورد، ١٧٦/٨. ومن الأغراض الشعرية الأخرى، هجاء حمّام ٢٥/٥، هجاء اللحية ٧١/٦، في هجاء طفيلي ١٤٠/٧،وتضمين المكاتبات والرسائل الإخوانية مقطوعات شعرية ١٨٧/٣، ومن أنواع التجديدات الشعرية الأخرى: التوليد في المعاني والتشبيهات البديعة، وأنواع المعارضات، ٤/ ٨٤، ٨٥، والمقطوعات الشعرية القصيرة التي تناسب الغناء ١٠٩/٤، ٢٥٧/٤، والتشبيهات البديعة بالأحرف من الغزل، كقول أحدهم: أيا من قدّه ألفٌ ويا من صدغه لام ٢٠٥/٣، والغزل البديع، ١٢/٦، الغزل بالغلمان، ٣٠٧/٢، ٢٤٣/٣، ومن شعر المربعات التي اشتهرت في القرن الرابع وغرضه الغزل بغلام من بني النّصارى ٢٦٦/٤. بل وشمل التوليد في الشعر إدخال ألفاظ وأعلام أعجمية مثل: (سقلاطونها، آذريونها ..) ٢٣١/٨، وينظر: ٢٦٦/٤.

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر، في نشوار المحاضرة: في الأغراض النثرية: رسالة في رجل تزوجت أمه، ٢ / ٢٦٤ ، ٣/ ٢١١. في الاعتذار والاستعطاف ١٤٣/٨، ٢٣٨/٨، حث العمال على المطالبة بالمال ٢٥٠/٣، في فداء الأسرى رسالة من سيف الدولة إلى أصقاع المسلمين، ٢/ ٢٩٧، كتب ورسائل أخرى، ٢٦١/٢، ١٦٩/٣.

وهناك تعبيرات أخرى مولّدة، طرأت نتيجة لتطور الحياة، وأساليب التمدن، والاقتباس من التعبيرات الفارسية، ومن تلك التعبيرات ما يختص بإدارة الدولة والحكم، وإنشاء الدواوين، والتوسع العمراني، ومن أمثلته:

دواوين: ديوان السّواد، ديوان الضّياع، ديوان الدار، ديوان الرسائل، ديوان المظالم، ديوان زِمام الخراج، ديوان المغرب، ديوان الأزمّة والتواقيع، ديوان زمام الجيش، ديوان الخاصّة، خزانة السلاح، أعمال المعاون.

وظائف عليا: صاحب طرف، صاحب الربع، صاحب خبر السّر، صاحب الحرب، صاحب الخراج، صاحب المعونة، صاحب الشرطة، صاحب الكراع، صاحب البريد، صاحب الدواة، أصحاب الستور، صاحب الضمان، حاجب الحجاب، (الحاجب الأجل)، خازن الديوان، القهرمان، صاحب بيت المال، الجهبذ، عامل الحرب والصلاة، أصحاب الشرط والمراكز والجوازات، عامل المستغلاّت، صاحب الضريبة، نقيب الطالبيين، قاضي القضاة.

وظائف أخرى: فُرانق، ركّابيون، وصيفة، فرّاش، عرّيف الفراشين، الساجيّة، الحُجَرية، الرجّالة، الشاكرية، مسوّدة، رئيس الإسطبل، المستخرج، الطائف، الأستاذ، الفيج ..

وظائف دنيا: المرتزقة، السّجانين، البوّابين، السائس، الخمّار، النّخاس، الشّرابية، الأساكفة، ربابيا، طنبوري، الفَعَلة، المزين، المقيّن، المقاينين، المغنين.

تراكيب مولّدة:

عند الحديث عن المستويات اللغوية في المدونة، عرضنا نماذج مختلفة من تراكيب فصيحة، وأخرى مولدة، وعاميّة وردت في نصوص النشوار، ونحاول هنا أن نأتي بنماذج أخرى من التراكيب المولدة كشواهد على تلك العربية المولدة الوسيطة التي تقع بين النموذج المعياري الفصيح، وبين تلك العاميّات واللهجات المختلفة والأساليب الوافدة التي طغت في لغة العصر الحديث في مجالات الكتابة والإعلام. ومن تلك التراكيب المولدة الواردة في المدونة:

اختلال الحال (٢٣٥/٧) : " وكانت حال العطّار قد اختلت ورزحَت "[(١)]، وفي موضع آخر (٢٥٣/٤) : " وشاهدته أنا، وهو شيخٌ كبير، وقد اختلّت حاله "نقصت وتغيرت، واختل حاله: افتقر بعد غنى "[(٢)].

(١) ورزح الرجل: ضعف وفتر، وبعير رازح: الهزال الشديد وبه حراك، أساس البلاغة، ١/١٦٦.

(٢) أساس البلاغة، ١/ ١٢٣.

أزاح علّته: ومن التعبيرات العباسيّة المولدة، قولهم: " أزاح علّته "، بمعنى: لبّى جميع مطالبه، وفي المدونة (١٣٢/٨) : " فعرّفته إزاحتي علّته فيما طلبه ".

اعتقد: قولهم: (اعتقد فلان عُقدة)[١] إذا اشترى ضيعة، أو اتخذ مالا من عقار وغيره، وهي مستعملة عند عوام الشام وبغداد، وفي المدونة وردت العبارات الآتية (٢٦٦/١) : " وعاهدتُ الله تعالى، أن لا أعتقد مالا من القِمار "، وفي موضع آخر (٣٩/٢) : " أجلّ ما يعتقده الناس لأولادهم الصنائع والإخوان، فإنهم إن اعتقدوا لهم ضِياعا، أو عقارا، أو صامتا، من غير إخوان، ضاع ذلك وتمحق .. فالصّديق أفضل العُقَد ..".

تركتُ التّصرف (٢٧٠/١) : تقاعدتُ عن الوظيفة.

صلّيتُ وِردي (٢٣١/٢) : الوِرد: المقدار المعلوم، وقرأت وردي: جزء من القرآن يقرؤه الشخص كل ليلة [٢].

ضغا المقامر (١٥٧/١، ٢٦٧) : إذا غضب وصاح، وامتنع عن أداء ما خسره، ويرى محقق النشوار، أنّ قول العامة: زغل ونحوها هو تطور عنها، وهذا محتمل [٣]، وأصل الكلمة، حكاية صوت في الدواب، مثل: السباع، والشياه، والبقر، يقال: ضغا يضغو: هو صوت الأرنب والثعلب، وضغا فلانٌ ضغاء: تضوّر من ضرب أو أذى [٤].

طنّز به (١٨٠/١، ٣١/٤، ٨/ ٧١) : سخر منه واستهزأ به، وهي من التعبيرات المولدة للدلالة على السخرية في الكلام. وعدّها الجوهري لفظًا معربًا أو مولّدا[٥]، وفي الجمهرة: " فأمّا الطّنز فليس من كلام العرب " [٦].

---

(١) ينظر: محمد كردعلي، (تطور الألفاظ والتراكيب) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٣٠/٧.

(٢) ينظر: تاج العروس، ٢٨٩/٩.

(٣) ينظر: تعليق عبود الشالجي في حاشية نشوار المحاضرة، ١٥٧/١.

(٤) ينظر: أساس البلاغة، ٢٧٧/١.

(٥) الصحاح، ٤٣١/١.

(٦) لابن دريد ، ت: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ٤٥٢/١.

فسّر السفن، المال المستثنى (٢٨٥/١، ٢٣٨/٧) : تفسير السفن معاينة وتحليل للبضاعة؛ لاستخراج الرسم المقرر على البضائع المشحونة على متنها، بما يعرف بالضرائب التي تصب في خزينة الدولة. والمال المستثنى: ما يستثنيه المسئول لنفسه من الرسم المقرر. وهذان المصطلحان من المصطلحات المالية التي استجدت على إثر تمدن الدولة واتساع رقعتها، وتطور المظاهر الحضارية فيها.

فلان بغيض: وفي المدونة (٩٠/١) : " مع شدّة تقشف أبي حازم، وبغضه "، وفي موضع آخر (٢١٦/٢) : " كان بغيضًا "، شاع هذا التعبير في المجتمع العباسي للدلالة على من كان شديد التزمت، عابس الوجه، سيء المواجهة.

فلان ثقيل القلب: ومن الكنايات المولدة الشبيهة لهذا الأسلوب، قولهم: " فلان ثقيل القلب، ممتلئ البطن "، كناية عن الضغينة والحقد، وفي المدونة (١٨٦/٥) : " وكان الحسن بن زياد ثقيل القلب، ممتلئ البطن على محمد بن الحسن .."

قام: قولهم (٢٤٣/٢) : " قام من دكانه .."، (٥٠/٣) " قام للناس .."، وذلك إذا أغلق دكّانه، وتأخر عن سداد ديونه، وهي شائعة عند عوام بغداد حتى اليوم [(١)].

كان ممخرقا، مخرقة، يمخرقون، الممخرقات، المخاريق، (١٦٥/١، ١٦٩/٤، ١٧٠، ١٧١) : التمخرّق: التمويه والحيلة، أو التخلق بالكذب والتدليس، وعدها الجوهري من الألفاظ المولّدة [(٢)]، وفي تاج العروس: " المِخْرَقَةُ : إظْهارُ الخُرْقِ توصُّلاً الى حِيلَةٍ وقد مَخْرَقَ . والمَمَخْرقُ : المموَّهُ وهو مُستعارٌ من مَخاريقِ الصِّبيان "[(٣)]. والكلمة من فعل الجهالة المؤدي إلى خرق النّظام الاجتماعي حمقًا أو هبلا.

كوسج العقل (١١٤/٣) : ضعيف العقل، وقد ورد هذا التعبير المولد في شعر لأحد الكتّاب يهجو رجلا، والكوسج: الذي لا شَعر في عارضيه، والكلمة معرّبة، وفصيحها (الأثط)، ومن كلامهم: تكوسج عقله، إذا خفّ وضعف [(٤)].

لا يقع مني: ومنها، قولهم (١٥٣/٨) : " لا يقع منّي "، أي: لا يبلغ كفايتي، ولا يسد حاجتي.

---

(١) يقول محقق النشوار عبود الشالجي في هامش ٢٤٣/٢، ٥٠/٣: وهو اصطلاح بغدادي، لم يزل مستعملا.

(٢) ينظر: الصحاح، ١٦٩/١.

(٣) تاج العروس، ص٦٥٨١.

(٤) ينظر: الصحاح، ١١٤/٢، تاج العروس، ١٧٤/٦.

٣- المستوى العامي في المدوّنة.

شهد المجتمع العبّاسي في القرنين الثالث والرابع تحولا فكريا وثقافيا وحضاريا اتّضح أثره على جميع المستويات اللغوية، وخاصّة في المستوى المقولي الذي يتّضح من خلال المستوى العامي في حكايات القاضي التنوخي على ألسنة عامة النّاس.

والدراسة تحاول تسليط الضوء على نماذج محكية وردت في المدونة، تمثّل المستوى العامي من حيث التغيّر في الأصوات، أو الدلالات في الاستعمال العام، وهي عامية تقوم على الواقعية اللغوية التي من أهم مميزاتها التبسيط والسهولة والتيسير.

وهذه المتغيرات الكلامية قد عُدّت من أوهام العامة وأغلاطهم؛ لأنّها حدثت خارج عصور الفصاحة، وهي بالتالي مخالفة لنمطها المعتاد ومعياريتها الصارمة.

وعند دراسة المستوى العامي وخصائصه في مدونة التنوخي ينبغي النّظر إلى المستويات الأخرى التي امتزجت بالعامية، وكوّنت لغة وسيطة مولّدة تأثرت بكل المستويات اللغوية، وانفردت عن الفصحى بعدة خصائص، وكانت امتدادا للهجات العربية الحديثة السائدة في وقتنا الراهن.

وفي بغداد العاصمة العبّاسية منذ عهد أبي جعفر المنصور التي أسماها (مدينة السلام) اختلطت الشعوب، وامتزجت الأفكار، فقد كانت محط نظر العلماء، والتجار، والرحالة، والناس خاصتهم وعامتهم، من كل أقطار العالم القديم شرقيه وغربيه، باعتبارها عاصمة الخلافة، ومركز القوة التي تنطلق منها الجيوش، ويتخذها الملوك مقرا لإقامتهم.

وفي بغداد حيث تكوّنت عامية وسيطة لها خصائصها، ولها طابعها المميّز، ولغتها المشتركة التي تجمع خصائص اللهجات الأخرى، وتأخذ من الفصحى ألفاظا وتراكيب، وتتأثر بالمقترَض اللغوي فتأخذ بعض الألفاظ التي تعبّر عن طارئ الحياة في الأطعمة والملبس وبعض شؤون الحياة الأخرى.

وشأن ألفاظ الحياة العامة، وتراكيبها المختلفة، التي تنحو نحو تقليل جهد المتكلم، أو تبسيط التعبير بما يُفهم، أو اختصار الكلم، نجد التنوخي في مدونته يصف مظاهر الحياة في

حوادث قصصه وأخباره، ويحاول تقريب لغة الواقع، ومحاكاة لسان المتكلمين وبيئاتهم، وهو لم يغفل دور اللغة الواقعية، فغرض اللغة الإفهام، وتوصيل الفكرة بأقرب طريق.. فإذا حققّت التواصل الاجتماعي بين الناس فهو المراد، وقد حكى التنوخي الغرض التواصلي للغة في خبر رجل أعجمي يرطن بالعربية في وصف يقطين، وقول بعضهم له (٢٢٨/٧) : " مرّ يا سيدي في حديثك، فلك نيّتك، وقد علمنا ما أردت ".

خصائص عامية بغداد في القرن الرابع:

على الرغم من غلبة المستوى الفصيح في مدونة التنوخي في لغة الكتابة، إلا أنّ القاضي التنوخي ساق ألفاظا وتعبيرات كثيرة سادت في لغة التخاطب اليومي، يلهج بها العامّة والخاصة في البيئة البغدادية وغيرها، وهي امتداد للهجات العربية الحديثة، وخاصة البغدادية الحديثة، وهذه اللهجات العامية تشترك في عدة خصائص، من أبرزها:

* **تسهيل الهمز**[(١)] : وتسهيل الهمز ضد تحقيقها، وهي ظاهرة صوتية كانت سائدة في لغة الحجاز، وبعض اللهجات العربية، ونجد في مدوّنة التنوخي أمثلة كثيرة على هذه الظاهرة، سادت في عامية بغداد، حيث يميل المتكلم إلى تقليل الجهد، والميل إلى السهولة بتخفيف الهمزة، أو حذفها، أو قلبها واوا أو ياء[(٢)] :

– **حذف الهمزة:** تتمثل هذه الظاهرة الصوتية في حذف الهمزة تخفيفا، حيث يميل المتكلم إلى تخفيف الجهد بالتخلص من الهمزة، ولحذفها مواضع في عامية القرن الرابع الهجري، رصدها التنوخي في المدونة، منها، حذفها في أول الكلمة: غلق الباب بدلا من

(١) تكاد تجمع الروايات على أنّ التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم، في حين أن الحجازيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها حرف مد، وروي عن بعض قبائل تميم قلب الهمزة الساكنة إلى صوت لين من جنس الحركة التي قبلها .. ينظر: أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ص٦٧.

(٢) للهمزة حكم خاص يخالف جميع الأصوات الأخرى؛ لأنها صوت ليس بالمجهور ولا بالمهموس، وهي أكثر الأصوات السّاكنة شدة، وعملية النطق بها وهي محققة، من أشق العمليات الصوتية؛ لأنّ مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النّطق بها، ثمّ تنفتح فجأة، فتسمع ذلك الصّوت الانفجاري التي نسميه بالهمزة المحققة .. ينظر: أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ص٦٨.

أغلقه (٩٢/٧)، وطفّى المصباح بدلا من أطفأ (١٧٦/٤)، وقولهم: عتقني بدلا من أعتقني (٢٨٧/٢)، وفي المدونة أيضا: بنت بنته بدلا من بنت ابنته، وبنتي (٨/٥، ١٢٥).

ولم تقتصر هذه الظاهرة في البيئة البغدادية فحسب، بل شملت أغلب اللهجات العربية، وعلى العموم، فإنّ العاميّات اليوم تتجه إلى استعمال وزن (فعّل) لا (أفعل) في مقام التعدية، وذلك مظهر من مظاهر الاقتصاد اللغوي بتوفير الجهد وتقليله بعيدا عن النّبر بالهمزة.

وقد تُحذف الهمزة في أول الكلمة في الكُنى والنّداء تخفيفا؛ لكثرة الاستعمال، فيُقال: يا با فلان [(١)]، وتطوّر الأمر في عاميات بغداد، والشعوب الأخرى من غير العرب، فشاع حذف الهمزة في الكُنى في غير النّداء، وفي المدوّنة (١٧٥/١) ما يدل على أنّ هذه الظاهرة كانت منتشرة في بعض البيئات غير العربية: " وجعل لرأسه شَعرا مثل شعور الجيل والديلم [(٢)]، وسمّى نفسه، حلّوز بن با علي، وكان أبوه في الأصل يكنى بأبي علي، وهذا الاسم من أسماء الجيل "، وفي موضع آخر (٣٤٩/١) : " .... قائد من قوّاد الديلم، يقال له أبو الحسن شيرمردي بن بلعبّاس قاضي الديلم ..".

وحذفها في وسط الكلمة: تسل بدلا من تسأل (٣٨/١، ٤٤، ٤٦)، يجون، بدلا من يجيئون (٢٢٢/١، ٣٣٥/٢)، وهي لغة بغدادية، وما زالت مستعملة في بعض اللهجات العربية الحديثة، المهنّون، يهنّونه بدلا من المهنئون، يهنئونه (٨٩/٤).

وحذف الهمزة في آخر الكلمة: الهوا بدلا من الهواء (٦٣/٢)، الباقلا بدلا من الباقلاء (٢٢/١)، ابتدوا بدلا من ابتدءوا (٨٠/٣)، وقولهم: " قد أمرتُ بشِرى " أي: بابتياع (٨١/٣، ١٨٩/٧)، وقولهم: " ما جا شي " (١٨٩/٣).

---

(١) وفي شرح التصريف الملوكي، لابن يعيش، ت: فخرالدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م، ص٣٧٠: " الذي سوّغ الحذف في (يا با فلان) أمور، منها: ثقل الهمزة، وإيثار تخفيفها، ومنها طول الكلمة بكونها مضافة، ومنها كون الكلمة كنية، والكنى تجري مجرى الأعلام في التغيير، والأمر الآخر: أنّها منادى، والنداء مطيّة التغيير، فلذلك حذفوا الهمزة، ولا يفعلون ذلك إلا في النداء، لا يقولون: جاءني بو فلان، ولا رأيت با فلان ..".

(٢) الجيل والديلم: أقوام من غير العرب، كانت ديارهم متاخمة لأرض العرب من جهة العراق، والديلم: قوم من العجم مقامهم بناحية جرجان، ومنهم ملوك بني بويه (البويهيون)، أما الجيل: فقوم من الفرس من أهالي جيلان من وراء بلاد طبرستان، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ١٧٩/٢.

– **إبدال الهمزة:** يطّرد إبدال الهمزة واوا أو ياء في لغة العرب[(١)]، ويكثر هذا الإبدال في اللهجات العربية القديمة والحديثة، وينتج عن تحول الصوت الشديد إلى رخو؛ طلبًا للسهولة، وفي المدونة نماذج عديدة، منها: إبدال الهمزة واوا: ونّسته، أونّسها (٦٠/١، ٢٣١/٣)، وكيدة بدلا من أكيدة (٥٧/١)، نشوة بدلا من نشأة (١٠٢/٣، ٢٦٢/٦) وهي لغة بغدادية ما زالت مستعملة [(٢)]. وبدلا من أحد، يقولون: واحد، " فقال لي واحد " (١٩٩/٢).

وكذلك إبدال الهمزة ياءً: تعبية بدلا من تعبئة (٢٩٦/١)، رياسة بدلا من رئاسة (٦٢/٢، ٩٠/٨)، أخطيك بدلا من أخطئك (٢٢١/٨)، قريت عليك بدلا من قرأت (١٨٧/٧).

وقد تخفف الهمزة، وتبدل إلى ألف، ومثالها: راس، ومن مكاتبات العوام الواردة في المدونة (٢٣٠/٧) : " .. وحياة راس الأمير ".

*** التخفف من قواعد الإعراب والصّرف:**

فمن ذلك حذف نون الرفع من غير ناصب ولا جازم، وفي المدونة (١٤٥/٣) : " حصلنا على أنكم تهذوا، وتوهموا الناس .."، وفي المدونة أيضا (١٨٩/٣) : " ليس يجسروا يعودوا، فيقولوا ما جا شي " على سبيل الكلام العامي الذي يميل إلى التخفف من القواعد النّحوية، وقد نقل بعضهم جوازه في فصيح الكلام، وإن لم تكن هناك ضرورة [(٣)].

وقد انتشر اللحن في الألسنة، وأصبح السّمة البارزة بين عامتهم وخاصتهم، وفي أنواع مخاطباتهم، وسائر حواراتهم، وذكر التنوخي في المدونة (١٨٣/٧) على سبيل الحكاية، قول عامل الأهواز، أبي العباس، سهل بن بشر: " أنت يا أبونا أحمق ... ".

وعلى الرغم من أنّ هذا اللحن يعد خروجًا عن النمط الفصيح في العربية، إلا أنّه تغيّر مستساغ في العاميّات، فكل العاميّات تُغلّب حركةً واحدة في الأسماء الخمسة (أبو) رفعًا ونصبًا وجرًا.

---

(١) ينظر: شرح التصريف الملوكي، ص٢٣٨، ٢٤٨، يقول ابن يعيش: " وأما إبدال الياء من الهمزة، فإذا سكّنت، وانكسر ما قبلها، وأريد تخفيفها، قلبت ياء خالصة ... "، " وتبدل الواو من الهمزة، إذا سُكّنت وانضمّ ما قبلها، عند التخفيف ..".

(٢) ينظر: كلام المحقق: في تخفيف وحذف الهمز في لغة عامة بغداد في الحاشية، ٢٦٢/٦، ١٠٢/٣، يقول محقق النشوار: " وهي عامية بغدادية، ما زالت مستعملة ببغداد، والبغداديون يسمون الغراس والنّبات أول ظهوره: النّشو ".

(٣) تيمور، محمود، مشكلات اللغة العربية، ص١٧٠.

مظاهر التحريف واللحن في عامية بغداد في القرن الرابع:

يرصد التنوخي – أحيانا – بعض مظاهر اللحن في الكلام، والتحريف في الصّيغ الصرفية، والتحريف الصّوتي على ألسنة العامة والخاصّة، وقاعدته على الحكاية، فمن ذلك، اللحن في الحركات، ودورها في تغيير الدلالة، فلم يقتصر اللحن في العبارة، والحركات الإعرابية، والصيغ على عامة الناس، بل أخذ ينتشر على ألسنة العلماء، ولا يخفى أثر ذلك على الدلالة، والفرق بين عبارة: فعل الأمر: (أهلِك)، من الهلاك، وعبارة: (أهلَك)، من الحث على صلة الرحم. في سياق القصة الآتية، فقد ذكر التنوخي خبر أحد العلماء بحضرة القاهر، وقوله للقاهر (٢/٢٩٥) : " يا أمير المؤمنين، أهلِك الهاشميين، فقال القاهر: أفعل، وإنّما أراد أن يذكّره بهم، ويقول: أهلَك، ورأى عينا هائجة، فقال: لو استعمل لها الخضرط، عوفيت. فقيل له : ليس هو الخضرط، فقال: نعم، غلطتُ، هو الخضخض، فسكتوا عنه، وإنما أراد الحضض...".

وقد يكون تحريف الصّيغ غير مقصود لذاته، بل ينشأ نتيجة كون الكلمة غريبة في اللغة في بيئة ما، معروفة في بيئة متخصصة، فقد تكون مجهولة عند غير المتخصصين، فلفظة (الحضض) المعروفة عند أهل الطب، قد تكون غريبة عند أهل الحديث.

وقد تحرّف الصيغة نتيجة شيوع الكلمة على ألسنة العامة، فيميلون إلى تغيير حركة الجمع، أو إشباع الكلمة، فمن الصيغ المولّدة على ألسنة العامة نتيجة التحريف لفظة: (جِداد) جمع جديد (٤/٩٩)، فهي محرفة عن (جُدد)، وهي من صيغ الجمع الشائعة في البيئة البغدادية، وفي العاميات عمومًا، فاللهجات العامية كثيرا ما تستأنس بصيغة (فِعال) في الجمع، ودونما نظر إلى مسألة القياس الصّرفي بين المفرد والجمع، وقد تجتلب ألف وصل قبله عند النطق به، على قياس (افعال).

وقد يشيع استخدام لفظة عند العامة بتحريك حرف، ككسرهم الصاد من لفظة (الصُّفْر) وهو النّحاس، أو الأدوات المصنوعة من النّحاس، والكلمة يجوز فيها الوجهان [(١)]، الضّم والكسر، والأولى الضّم، إلا أنّ البغداديون يلفظونها بكسر الصاد (٤/١٥٧) .

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ٣/ ٢٩٥. والقاموس المحيط، ص٥٤٦.

ومثلها: (النَّقْل) (٢٠٤/١، ١٠٨/٣ ١٧٧/٧،١٧٦، ٢٥٣/٨)، وهو أصناف اللوز والجوز والزبيب، والبندق، وما شابه ذلك، يُتنقّل به مع الشراب، وقد جرى ذكره على ألسنة العامة بالضّم[١].

التحريف في الألفاظ والتراكيب:

وكان التحريف في الألفاظ والعبارات والتراكيب نتيجة طبيعية لاختلاط العرب بالأعاجم، ومما ورد في المدونة حكاية عن كلام الأعاجم المحرف، قول بعضهم في وصف يقطين (٢٢٦/٧) : " اقطعون راسك، أخرجون صوف، هاي، إنما أخرجون قماش بطنك "، يريد وصف بطن اليقطين الواسع.

ومن التحريف في الأصوات، ونطق الألفاظ، قولهم: سوت في (صوت)، وفي المدونة، قول أحدهم (٢٢٧/٧) : " يا ستّي، غنّي لي ذاك سوت "، وكانوا بالكاد يستطيعون فهم الشعر العربي أو تذوقه، بل وإنشاده على الوجه الصحيح، فقد ورد في المدونة، قول أحد الأعاجم لمغنية يطلب منها غناء أحد الأصوات، فقال لها (٢٢٧/٧) : " يا ستي، غنيّ ذاك سوت: يا فاطمة بعط ذلول، يريد: أفاطم مهلا بعض هذا التدلل " ، وقوله لها: " يا ستي، غنّي لي ، ذاك سوت: أمن سميته دموعك عينك ذرذف ، يريد: أمن سميّة دمع العين مذروف" [٢]، وكان بعض هؤلاء الأعاجم ممن اشتهروا بالكتابة، إلا أنهم يلحنون في نطقهم.

ومما يطّرد في كلام العامة –كما يتّضح من المدونة – التخفيف في العبارات والتراكيب، كحذف (أنْ) الناصبة، أو أداة من أدوات النَّصب الأخرى، قبل الفعل المضارع، كقولهم: (٩٣/٣) " أريد أطلبه من الخليفة "، (١٢٨/٣) " أشتهي آكل أكلة "، (١٨٥/٤) " نريد نفتّش الصّندوق "، (١٩٢/٤) " نخرج نصيد سمكا ".

---

(١) وفي القاموس المحيط، ص١٠٦٤: " والنَّقْل: ما يُتنقل به على الشراب، وقد يضم أو ضمه خطأ، ..."، وفي لسان العرب، ٦٧٦/١١: " النَّقْل: بفتح النون الانتقال على النبيذ، والعامة تضمه ..".

(٢) وهذان البيتان (أفاطم مهلا بعض هذا التدلل)، (أمن سميّة دمع العين مذروف) لشاعرين جاهليين، فالأول شطر بيت من معلقة امرئ القيس، والآخر شطر بيت لعنترة العبسي.

ولعلّ العامّة كانوا يلفظون هذه الأفعال بتسكين آخرها، " فالعاميّة لا تُعرب إلا في النّدرة، وقد حكى اللغويون ترك الإعراب عن تميم، وذهب النّحاة مذاهب شتّى في تعليل ما وجدوه من الشّواهد والأمثلة غير مُعْرب، فقالوا: إنّه تخفيف، أو إنّه وصل بنيّة الوقف، أو غير ذلك من عبارات تقليدية، ومما يتّصل بالإعراب إسكان آخر الفعل المضارع في الوصل، وهو محكيٌ عن العرب، وعليه بعض القراءات في التنزيل .. "[1].

وفي ترك الإعراب في اللهجات العربية القديمة، يقول رمضان عبد التّواب: " فإنّه حتّى ذلك الإعراب، الذي هو أهم مميّزات اللغة الفصحى، لم تكن كل العرب تَقدرُ عليه "[2]، وقد ذكر نصوصا من التراث تؤيد ما ذهب إليه من أنّ العرب قد تترك الإعراب في كلامها، أو تختلسه، وتجتاز به اجتيازا، من ذلك قولهم: "كلام العرب الدَرْج"، وقولهم:" إعراب العرب الخَطْف والحذْف "، وقولهم: " العربُ تُشامّ الإعراب ولا تحقّقه "، " العرب ترفرف على الإعراب ولا تتفيهق فيه "[3].

ولنا أن نتصور أنّ عامية القرن الرابع الهجري كانت عامية تنحو نحو التخلص من الحركات والميل إلى تسكين الأفعال والأسماء كثيرا، وخاصة في مستوى التخاطب، على أنّ مدونة التنوخي رصدت بعض مكاتبات العوام ورسائلهم، وأحيانا خطاباتهم المضطربة، والتي تميل إلى تخفيف العبارة، وترك الصّرامة اللغوية، اتكاءً على قرينة الرتبة المحفوظة لمواقع المباني، فمن ذلك العبارات الآتية:

- اليومْ يومْ سبتْ، والهوا طيبْ، فما ترى في ترك العمل والصَّبوح؟ (٦٣/٢).
- ولا حتى تمسكْ فرسي (٢٦٠/٣).
- ويحك، اعمل أنّ في يدك كشتبان، حلقكْ مصهرج ؟ (١٢٨/٢).
- يا سيدي لم ليس تخرج ؟ (٢٦٢/٥).
- فما يشربْ ولا يأكلْ، ولا نام ولا خلا (٢٧٩/٣) .

---

(١) تيمور، محمود، مشكلات اللغة العربية، ص١٧٠.

(٢) فصول في فقه العربيّة، ص٨٠.

(٣) ينظر: رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص٨٠، وقد أرجع هذه الأقوال إلى الرعيل الأول من أئمة العربية، أمثال: أبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، وابن أبي إسحاق وغيرهم، وهي مبثوثة في مختصر ربيع الأبرار للزمخشري، مخطوطة دمشق، ص٤٥.

وفي المدونة نماذج عديدة من كتابات العامة ومراسلاتهم، يظهر فيها أثر التسكين في التراكيب، وتضام الكلمات، ولصق المباني بعضها وراء بعض؛ اعتمادا على قرائن أخرى تُفهم من خلال المواقف الكلامية، والسياق، والرُتَب المحفوظة في العبارات، وسوف نعرض لها في مواضع أخرى.

ومما ورد في المدوّنة (٢٠٧/٨) : " فيُقيمونه الفيّالون أيّاما .."، وهي اللغة التي أطلق عليها النحاة القدامى: (لغة أكلوني البراغيث) [(١)]، وتعني إلحاق الفعل ضمير تثنية أو جمع، إذا كان الفاعل مثنى أو جمعا، وقد حكيت هذه اللغة عن قبيلة (بلحارث بن كعب)، ورويت عن بعض اللهجات العربية، وسادت في البيئة البغدادية في عصر التنوخي، وما زالت مستعملة، ويميل بعض الدارسين إلى اعتبارها موجودة في الفصحى، وأنّها كانت تستعمل في السعة والاختيار، لا على الضرورة والإجبار [(٢)].

وقد تتولّد لفظة نتيجة تطور لفظة قديمة في النّطق على ألسنة العامة، وفي مدونة التنوخي، نجد لفظة (ميشوم) التي تكررت في أكثر من موضع (١٧٩/١، ٢٥٧/٥، ٢٦٢، ١٨٨/٧)، هي مقلوب (مشئوم)، من الشؤم، وهذا القلب يكثر في العامية، وهو من أنواع التحريف الذي يُصيب كلمات الفصحى [(٣)]، وعده بعض الدارسين ظاهرة صوتية بحتة، تمثّل شكلا من أشكال التطور اللغوي في الألفاظ دون المعاني، وثمرة من ثمار الميل إلى السهولة، والتيسير في الجهد [(٤)].

---

(١) سميت بلغة (أكلوني البراغيث)، لأن سيبويه أشار إلى هذه الظاهرة في لغة العرب، بهذا المثال، يقول: " في قول من قال: " أكلوني البراغيث " في أكثر من موضع، ينظر: سيبويه، الكتاب، ٢٣٦/١، ٢٣٧.

(٢) ينظر: الأقطش، (الإسناد في لغة أكلوني البراغيث)، مجلة أبحاث اليرموك، م١٣، ع ٢، ١٩٩٥م، ص٣٩٥.

(٣) عدّها الزبيدي في تاج العروس، ص٤٤ من التحريف والخطأ، أو من الكلمات التي خرجت عن أصلها.

(٤) ينظر: الأقطش، (القلب المكاني بين الأصوات الصحاح في بنية الكلمة العربية)، مجلة أبحاث اليرموك، م١٥، ع٢، ١٩٩٧م، ص٢٢٣.

*** الاختصار في لغة العامّة:**

الاختصار في الألفاظ والتراكيب من سمات العاميّة، حيث يميل المتكلمون إلى تقليل الجهد أثناء النطق، والاختصار في الكلام ضرورة يستلزمها الكلام الدارج، فنجد بعض الألفاظ والعبارات تُختزل، فتسقط بعض الكلمات والأصوات نتيجة السرعة في النطق، والاقتصاد في الجهد العضلي، لكنه يحقق الغرض من الكلام وهو الفَهم والتواصل بين المتكلم والسامع [1]، وفي مدونة القاضي التنوخي أمثلة عديدة على هذه الظاهرة التي سادت في لغة التخاطب بين العامة والخاصة، فمن ذلك:

– **أيش** (١٨٠/١، ١٩٨، ١٢٩/٢، ٦٥/٣، ٢١١/٥) : وهي اختصار لعبارة (أيُّ شيء)، وقد وردت في سياق الاستفهام، ومن الواضح أنّ سبب اختصار مثل هذه التراكيب هو كثرة الاستعمال، ودورانه على الألسنة[2]، وفي المدونة: أيش هذا؟ أيش تريد؟ أيش عندك من الأخبار؟...

– **ستّي**: وهي اختصار لسيدتي، وغالبا ما كانت تقال لطبقة رفيعة مخدومة من المجتمع، وقد تُطلق أحيانا لمن يحتل في قلبك مكانة رفيعة، ووردت هذه الكلمة في المدونة كثيرا، وهذا يدل على شيوعها، وكثرة دورانها على الألسنة، ممّا يعطي انطباعا اجتماعيا خاصّا، ومن أمثلتها في المعنى الأول: لئلا تجيء ستي وتراك ... وتزوّجتُ بستّي (١٧٩/١، ٢٨٧/٥) : بمعنى مخدومتي. ومن المعنى الثاني: بالله يا ستّي غنّي (١٠١/١، ٦٦/٢).

– **مسكوني** (٢٣٧/٢) : بمعنى أمسكوا بي.

وقد تختصر العبارات على سبيل الغرابة والتندّر، فيكنى الشخص بكنية غريبة، أو يلقّب بلقب مختزل، وهو ما أسميته: (**التوليد بالاختصار**)، ومثاله في المدونة: (البُنص)، لقب أبو نصر البّنص ممن تقلّد الحكم في عدة نواح بالشام زمن سيف الدولة (٩٥/١) " قيل له يوما بحضرة سيف الدولة، لمَ لُقّبتَ بالبُنص؟ قال: ما هذا لقب، إنّما هو اشتقاقٌ من كنيتي، كما أننا لو أردنا أن نشتق من أبي علي مثل هذا، وأومأ إلى ابن البازيار، لقلنا: (البِعل)،

---

(١) ينظر: أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ص١١٦.

(٢) ينظر: الخفاجي، شفاء الغليل، ص١٧.

ولو اشتققنا من أبي الحسن مثل هذا، وأومأ إلى سيف الدولة، لقلنا: (ألبحِس)، فضحك منه، ولم يُنكر عليه " [1].

*** ظاهرة الإشباع في المستوى العامي:**

الإشباع ظاهرة لغوية موجودة في العربية، وتعتمد على السماع؛ إذ هي ثابتة بنقل موثوق من كلام العرب بمستوييه: الفصيح والعامّي، وفي مواضعات لهجات الخطاب اليومية الحالية.

وزيادات الإشباع محدودة التمثيل، وغير مطّردة طبقًا لقوانين لغويّة ثابتة[2]، وفي لغة العامة المدوّنة نجد هذه الظاهرة حاضرة في بعض الكلمات، فمن ذلك إشباع حركة الكسرة القصيرة في تاء المخاطبة، حتّى تنشأ ياء، وفي مدونة التنوخي (٨١/٦) : " واذكري لي ما أنكرتيه منه ".

وفي لغة العامّة الواردة أيضا في المدونة إشباع حركة الضمة القصيرة، فيقولون (١٨٨/٧) : " قولْ آمين "، وقد يُشبعون ألفاظا أخرى، فيقولون في هاتوا: هاتموه، وهي لغة بغدادية في هاتوا، ويقولون: هاتم بدون إشباع (٨٠/١، ١٤٥، ٣/ ٢١٦)، ويقولون في(هنا): هونا (١٨٧/٧). وما زالت معظم مظاهر الإشباع المختلفة شائعة في اللهجات العربية الحديثة.

*** ظاهرة الإمالة في لغة بغداد:**

شاعت الإمالة في بعض اللهجات العربية قديما وحديثا، وتوجد بعض آثارها في عامية بغداد في القرن الرابع الهجري، وامتدت في البيئة العراقية إلى العصر الحديث، فقد انتظمت ظاهرة الإمالة كل البيئة العراقية ولهجاتها، والإمالة أنواع متعددة، أشهرها إمالة الفتح إلى الكسر [3].

ورد في المدونة (١٥٩/٨) : " فقال لي: كن على الظِلامة – يكررها دفعات – وبكسر الميم، بلغة الكوفيين "، وهذا النّص الوارد في النّشوار يدل على أنّ هذه الظاهرة كانت سائدة

---

(١) وهذا يشبه ما يسمى الآن في التوليد اللغوي الحديث بالمختصر الرمزي، أو النحوت المختصرة، فتُختزل عدة كلمات في كلمة واحدة، يؤخذ الحرف الأول من كل كلمة وتجمع في كلمة واحدة، مثل (اليونسكو)، (اليونسيف) وغيرها..

(٢) الأقطش، عبد الحميد: (الإشباع الصّوتي في المقاطع العربيّة)، أوضاعه، وأهميته في التعبير اللغوي، مجلة علوم اللغة، القاهرة، م٦، ع٢، ٢٠٠٣م، ص٩ –٥٥.

(٣) ينظر: أنيس، اللهجات العربية، ص٥٨.

في لهجة الكوفيين بالعراق في عصر التنوخي [1]، ومن ذلك نطقهم لكلمة (هلال)، هليل (١٤٧/٨، ٢٣٢).

ألفاظ عاميّة وردت في المدوّنة:

شاعت في عامية بغداد ألفاظ وقع فيها نوع من التحريف الصّوتي أو الشّكلي أو الدلالي، وقد ورد ذكرها في مدونة التنوخي، ومن تلك الألفاظ:

– **الأوّلة** (٢٣/١، ٦٦، ١٨١، ١٨٢، ٢٤١/٢) : لفظة عامية محرّفة عن الأولى، وردت في مدونة التنوخي في عدة مواضع للوصف، فيقال: الجرايات الأوّلة، الوزارة الأولة، الدار الأولة، أيامنا الأولة، المرة الأولة، وعدّها الحريري في درة الغوّاص من مفاحش ألحان العامّة. وهذه اللفظة ما زالت مستخدمة في بعض اللهجات العربية الحديثة، وربما نتجت هذه اللفظة بسبب تأنيث لفظة (الأول) من باب القياس الخاطئ.

ويرى بعض الدارسين اعتبار ظاهرة التأنيث بالتّاء نوعا من التطور في لغة الخطاب العامي، حيث يميل الناس نحو السهولة والتيسير في كلامهم بتوحيد واختزال علامات التأنيث إلى علامة واحدة، وهي تاء التأنيث لكل أنواع المؤنث [2].

– **قدّها، قدّه:** مثله ونظيره، وربما كانت مختزلة من مقدارها، أو قدْرها، وقدْره، ، بتسكين الدال، وحذفت الراء المفتوحة، وانتقلت حركتها إلى الدال قبلها، وفقًا لقانون كثرة الاستعمال الذي يسقط ما لا يخل في المعنى، وبخاصة لام المبنى، وفي مدونة التنوخي (١١١/٣) : " فأعطانيها، وقد كان قد ما أعطانيه نصف رطل "، وفي موضع آخر من المدونة (٢٥٥/٨) : " فتأملناه، فإذا هو ياقوت أحمر، على كبر الكفّ، وقدّها من الطّول والعرض ..". وهي مستعملة إلى الآن في اللهجات العربية المعاصرة.

---

(١) ظاهرة الإمالة منتشرة في العديد من اللهجات العربية الحديثة، وفي البيئة العراقية كذلك، إلا أنّ محقق النشوار يقول: إنها مقصورة على الموصليين، فهم يقولون: ظلامي، وسلامي، وكرامي، في ظلامة وسلامة وكرامة.. يراجع: هامش ١٥٩/٨ من كلام المحقق.

(٢) ينظر: رمضان عبد التواب، (التطور اللغوي، وقانون السهولة والتّيسير)، مجلة مجمع اللغة العربية، نوفمبر ١٩٧٥م، ع ٣٦، ص٢٠٢.

– **برّا** (١/٥،١٨٠/٨،٢٦٣/٢١٩) : بمعنى خارج، وقد شاعت في العامية البغدادية، وما زالت مستعملة في اللهجات العربية المعاصرة، فيقولون: امض برّا، أو يعدّونها بإلى فيقولون: اخرج إلى برّا، والقياس في (برّا) أنّها ظرف منصوب على الظرفية (برًا) بالتنوين، ولكنّ انتقال النّبر من المقطع الأوّل إلى الثّاني بعده، يؤدي إلى إطالة الحركة بعده، ليكون (بران)، وهو مقطع مكروه في العربية، فكان أن أسقطت النون ليظهر في صورة (برا) ميلا إلى الاختزال والتخفيف في نطق الكلمة.

– **جابه، وجبناه** (٣/٢١٥) : إذا أحضر الشيء، وربما كانت مختزلة من (جاء به)؛ لكثرة استعمالها على ألسنة النّاس لتظهر بهذه الصورة، وهي من عامية بغداد التي شاعت في القرن الرابع الهجري، وما زالت مستعملة في اللهجات العربية الحديثة بهذا المعنى.

تعابير عامية من عربية وأعجمية:

العن إبليس (١/٢٨٩) : اترك الشّر.

صلّ على النّبي (٢/ ٢٧٢) : لدفع العين.

يفشّ الأقفال (١/١٥٦) : بمعنى يفتحها بغير مفاتيحها، وهي من حيل اللصوص [(١)].

ولم يكن يعرفني، ولا أعرفه إلا بالوجوه (١/٢١٣) : تعبير بغدادي عامي يراد به أنّ معرفته به ضعيفة.

ويكايدني عند نفسه (١/٢١٩) : أي حسب ظنه، أو كما يتصوّر.

حتّى ننظر (٨/٩٩) : كلمة تهديد شائعة في الخطاب العامي [(٢)].

كما بمعنى (عندما وحالما) فكما أذكر: يُستخدم هذا التعبير بمعنى (فحالما أذكر)، أو فعندما أذكر ، وفي المدونة (٨/٢١٣) : " فكما أذكر هذا خطأ علي يسبب سفك دمي

---

(١) وربما كانت الشين فيها مبدلة من الكاف، وعلى هذا فإنّ أصلها (فكّ)، تحوّلت فيها الكاف من الطبق إلى سقف الحلق، وزعم بعض الباحثين أنّ هذه الكلمة تعود إلى أصل أرامي من فشّ الباب، إذا فتحه مكرا، بآلة أخرى غير مفتاحه .. ينظر: رفائيل نخلة اليسوعي، غرائب اللغة العربية، دار المشرق، بيروت، ط٤، ص١٩٩. يقول محقق النشوار: والكلمة مستعملة إلى الآن في بغداد.

(٢) يقول محقق النشوار: وفي العامية البغدادية الحديثة تغيّر هذا الأسلوب إلى (هسه نشوف)، وفصيحها: (الساعة ننظر).

..". ومثله (٣٥٢/٢) : " فكما يقع الحجر .."، بمعنى: فعندما يقع، ومثله في المدونة (٣٥٢/٢) : "كما تصلي النّاس " أي: عندما تصلّي الناس.

الآخر جاهل (٣/ ٧٦، ١٦٦/٨، ١٩٩) : تعبير عامي، يراد منه إظهار التذمر والذم لطريقة المتكلم في التفكير ومعالجة الأمور[(١)].

المصدوقة (٢٨٢/٣) : بمعنى الصّدق، أو الجد في الكلام، وفي المدونة: " فلمّا رأى المصدوقة ... ".

عِشت: الفعل (عاش) يستخدم في لغة التخاطب اليومي في عامية بغداد، للتعبير عن الشكر أو الدعاء، أو التعبير عن عودة الروح وتفريج الكرب، وإزالة الغم، أو الدعاء له بالعيش الكريم، ورغد الحياة، وفي المدونة (١٨٦/٤) : " فعشتُ ونسيتُ الذي جرى "[(٢)].

عرّفته قيمته، عرّفه مقامه (٢٣٢/٨) : اصطلاح بغدادي يعني أنّ المتكلم أخجله، ومن شعر أبي إسحاق الصابي الوارد في المدوّنة: (السريع)

سلّتْ له البُرقعَ عن وجهِها فردّت البدرَ إلى قيمته.

كاد يحملُني على رأسه (٨١/٤) : من الكنايات العامية المولّدة، كناية عن العناية التامة بالشّخص.

ومن العامي الفصيح الوارد في المدونة:

- **انفلّ**: بمعنى تبدد وتفرّق، وفي المدونة (١٨٩/٣) : " وتعبيتها في الجُوَن، فانفلّت ..".

- **جسّرته، لم يجسر**: وفي المدونة (١١/٥) : " فلم يجسرْ على ذلك، فجسّرته "، من الجسارة: الجرأة والإقدام على الأمور[(٣)]، وهو من الشائع الفصيح في العاميّة، ووزن (فعّل) هو وزن التّعدية المطّرد في العاميّات.

---

(١) ومن مترادفات هذا الأسلوب: الأخير، والبعيد، والأبعد، يقول محقق النشوار: وهو اصطلاح بغدادي، يقوله المتحدث إذا أراد ذمّ شخص غائب.

(٢) ينظر: تعليق محقق النشوار ١٨٦/٤، وما زال هذا التعبير يستخدم في عاميات التخاطب في لهجات عربية عديدة، وفي بعضها: عند تشميت العاطس: يقولون: تعيش، أو عشت.

(٣) لسان العرب، ١٣٦/٤.

– **زَلّة طعام**: ومن العاميّ العراقي الذي له أصلٌ في العربية، قولهم: قدّمتُ إليه زلّة طعام، واشتقوا منها، فقالوا: زلّها، بمعنى: أعدّها، وفي المدونة (٢٩٢/٢) : " إذ دخل رجل، فقدّم إليه جحظة زلّة كان زلّها له من طعامه ونحن نأكل، وكان بخيلا على الطعام. قال: وكأنّ الرجل، كان طاوي سبع، فأتى على الزلّة ..". والزّلة: لفظة شاعت في البيئة العراقية، تُطلق على ما يُحمل من طعام للقريب والضّيف [(١)]. ولعلّ أصلها من قولهم: أزللتُ له نعمة: إذا أحدثت له نعمة، وأزللتُ له صنيعا: إذا أسديت له معروفا [(٢)].

– **شال، يشيل**: بمعنى رفع الشيء، واستعملت هذه الكلمة ومشتقاتها كثيرا في عامية بغداد في عصر التنوخي وما قبله، وما زالت تستعمل في لغة التخاطب في العامية المعاصرة، وهي من الكلمات العامية الفصيحة، وفي المدوّنة أمثلة عديدة على استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى: " شلنا أيدينا "، " شلّ المطرح "، " شالها "، (على سبيل المثال: ١٢٠/١، ٣٣٤، ٤٢/٢، ٣١٨، ٢٣٥/٥، ١٧٠/٨، ٢٢١).

– **شاوره بشيء** (١٨٢/٣): سارّه. والأصل فيها أنّها من المشورة، لكنها استخدمت في البيئة البغدادية، بدلالة أخرى، وهي (المسارة) بين اثنين، بمعنى الكلام الخفي.

– **غار**: بمعنى أسرع، وفي المدونة (٤٢/٢) : " فغار الحمار "، أي: أسرع في عدوه، من الغور والغارة، وهي الإسراع نحو العدو، وهي مستعملة إلى الآن في بعض اللهجات العربية المعاصرة.

– **فلانٌ حَرِك**: بفتح الحاء وكسر الراء، خفيف ذكي[(٣)]، وفي المدونة (١٠/٥) : " وكان حَرِكًا "، وهو تعبير ما يزال شائعا في اللهجة العراقية بهذا المعنى. وهذا الوزان (فَعِل) يستعمل في الفصحى؛ للدلالة على مهارة في صاحبها، فتكون مدحًا، وأصبح في بعض العاميات الحديثة يستعمل كثيرا في مقام الشتم والذّم، وتحوّل إلى (فِعِل) بكسر الفاء والعين، كقولهم: نِتِن، جِعِص .

---

(١) ينظر: العين، ٣٤٩/٧، وفي تاج العروس ٢٩/ ١٣١: " والزلة: اسم لما تحمل من مائدة صديقك أو قريبك، لغة عراقية، كما قاله الليث، قال: وإنما اشتق ذلك من الصنيع إلى الناس، أو هي لغة عامية، تكلمت بها عامة العراقيين ..".

(٢) وفي الحديث: [من أزلتْ إِلَيْهِ نعْمَة فليشكرها]، يَعْنِي أسديت إِلَيْهِ واصطنعت عِنْده يُقَال مِنْهُ: أزللت إِلَيّ فلَان نعْمَة فَأَنا أزلها إزلالا .. ينظر: أبو عبيد، غريب الحديث، ت: محمد عبد المعيد خان، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط١، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م ١٥/١.

(٣) ينظر: لسان العرب، ٤١١/١٠.

– **متمعّطة** (١٤٥/٢) : بمعنى ممزقة، من المعط، وهو تمزيق الشيء، وهي من العامي الفصيح، وما زالت تستعمل في اللهجات العربية الحديثة بهذا المعنى، وفي المدونة (٤٥/٢) : " فانتهيتُ إلى خِرَق متمعطة ".

– **يخلّونها**: بمعنى يتركونها، أو يضعونها، وأصلها من (خلا يخلو) إذا فرغ الشيء، ثم انتقلت دلالتها إلى ترك الشيء على سبيل التوليد الدلالي، وفي المدونة (٢٢٣/٢) : " يخلوّنها أهل بغداد في سطوحهم "، وهي من الفصيح العامي، واقترن بها أيضا لغة (أكلوني البراغيث) ، وفي المدونة أيضا (٨٩/٣) : " كيف خلّيت ثيابي؟ "، وما زالت هذه الكلمة مستعملة في اللهجات العربية الحديثة.

– **يستأهلك** (١٨٣/٤) : بمعنى يصلح أن يكون أهلا لك، من الأهلية والكفاءة، وتستخدمها العامة كثيرا في هذا المعنى.

ومن التعبيرات العاميّة التي تحوي على كلمات أعجمية مقترضة:

دست ثياب (٦٢/١) : مجموعة ثياب[(١)]، وأجلسه على الدست (٧٩/١، ٣٠٩، ٣١٠) : صدر المجلس، فارسية، ولعب دستا أو دستين، فإذا انقضى الدست (٢٧٠/٢) : مجلس اللعب، أو المرة الواحدة من اللعب.

مظاهر لهجيّة أخرى من العامية البغدادية في القرن الرابع الهجري:

– **إقحام كلمة (كان) في وسط الكلام**: ورد في المدونة أمثلة عديدة لحشو كلمة كان في الجملة، للدلالة على المضي، وهي من التعابير البغدادية السائدة في عامية القرن الرابع الهجري، ومن أمثلة ذلك (٢٣٥/٧) : " فقالت له زوجته: لو مضيتَ إلى الوزير، وتعرّفت عليه بخدمتك كانت له .."، ومن الجمل الأخرى (٢٦٠/١) : " جعل استدانتك من غير حاجة كانت بك إليها " ، وقد تأتي حشوا في التراجم (٢٢٢/٢) : " وهذه امرأة فاضلة، كاتبة كانت زوجة عم الوزير ابن شيرزاد ..".

(١) وما زالت هذه الكلمة مستعملة في بعض العاميات، يقولون: دستة، إذا كان العدد (١٢)، ولعلها مركبة من (دو الفارسية): اثنين، وستة: العدد. وللدست الفارسية معانٍ عديدة، ذكرها أدي شير، في الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص٦٤.

- **من حق، ومن حقا** ...، أي: على الحقيقة، وترد عند الاستفسار، أو الاستفهام الإنكاري، وهي من التعابير العامية السائدة في لهجة الموصل، وفي المدونة (٢١٩/٣، ٣١/٦) : " هو ذا تنصرف وتدعنا من حقا " ، " وتستقل صندوقا من حق؟ ".

- **هو ذا:** كلمة (هو ذا) التي جمعت بين ضمير الغائب (هو) و(ذا) الإشارية، وهي تعبير اصطلاحي له دلالة المفعول المطلق، في وظيفة قيد للتوكيد، وأحيانًا يكون قيدًا للتنبيه مثل (هكذا)، وأصبح له دلالته في لغة الخطاب العامي، حيث شاع هذا التركيب كثيرا في البيئة العراقية بمعنى: والحالة هذه، ووردت في المدونة في العديد من المواضع، منها العبارات الآتية: (٢١١/٢) " هوذا تشق عليّ رؤيتك بالباب .."، (٢٣٦/٢) " أنا، هوذا، أركب، لا أدري إلى أين أمضي .."، (٣٣٣/٢) " هوذا ينسبوني إلى البخل ثم لا يأكلون ..".

ونلحظ في عاميّة بغداد في ذلك العصر أنّها غالبا ما تأتي بنون الجمع في نهاية الأفعال، فيقولون: يجون، يعطون، يأخذون، وقد أورد التنوخي هذه اللغة المحكية كثيرا في نشواره، ومن العبارات التي تحكي ذلك، ما أورده التنوخي على لسان أحد الباعة (١٦١/٢) : " يجون هؤلاء الحمير، لا يدرون أيش يعطون؟ ولا أيش يأخذون؟ ".

وقد ظهر في هذه العبارة عدة خصائص من عامية بغداد منها: الميل إلى التخفف من الهمز، والميل إلى اختصار العبارات، والميل إلى إبقاء نون الجمع في الأفعال كما في لغة (أكلوني البراغيث).

وهناك عادات صوتية تشيع في العامية البغدادية رصدها التنوخي وحكاها عن بعض الأشخاص ذوي المكانة الاجتماعية، وعامة الناس، ومن هذه العادات الكلامية، قولهم:(واك) ، (والك) في أثناء الحديث، أورد التنوخي في النشوار (٨٠/٥) : "كانت عادة أبي الحسن بن الفرات، في كلامه، أن يقول للإنسان: بارك الله عليك، ومن عادة أبي الحسن، علي بن عيسى، أن يقول: (والك، أو واك)، فكان النّاس يقولون: لو لم يكن من الفرق بين الرجلين إلا حسن اللقاء، وصرف ما بين القولين لكفى ".

ويبدو أنّ مثل هذه الألفاظ كانت مستهجنة في التخاطب مع الخلفاء، وعِلية القوم، يظهر ذلك من قول الخليفة العباسي (٨٢/٥) : " دع ذا، ما خاطبني قط، إلا قال: (واك)، فهل يتلقى الخلفاء بمثل ذاك؟ ".

ومن الملاحظ أن هذه الألفاظ تنتشر في بيئات العراق والشام ولبنان في وقتنا الراهن بهذا المعنى، وربما استخدمت في الكلام العادي، وعند التحبب والاسترسال في الحديث، وربما

كانت اختزالا من لفظ (ولد)[1] مع زيادة كاف الخطاب، وحذف لام البنية من ولد، وترد في النداء كثيرًا.

وهناك تعبيرات أخرى تجري في حشو الكلام العامي تستخدم للفت الانتباه أو جذب السامع، كقولهم: (يا با)، (بابا)، وقد رصدها التنوخي، حاكيا اللغة الواقعية الشائعة في عامية بغداد في ذلك الوقت (٢٠٥/١) : " بابا إنما أكلت فَرّوج الدابة "، (١٧١/٧) " يا با، ونحن اليوم أيش بقي ما نحسنه؟ "، (٢٧٣/٨) " يا با، حصلت تسخر بالأتراك واحد واحد، وتأخذ دراهمهم ". وما زالت هذه الألفاظ والتعبيرات مستعملة في العامية البغدادية الحديثة.

ومن عاداتهم الكلامية أنهم يُبدلون الكاف جيما فارسية، (بين الكاف والشين، وهو شائع في اللهجات الخليجية المعاصرة)، فيقولون بدلا من: أحبك: (أحبچ) ، وبدلا من مالك: (مالچ)[2]، وقد تبدل إلى صوت قريب من الخاء، فيقولون: أمّخ بدلا من أمك، كما ورد في المدونة من شعر الهجاء (١٤٧/٨).

الابتذال في العاميّة:

ومما شاع في العامية الابتذال والإسفاف في الكلام، والاستخفاف في مراعاة القِيم، فيطلقون العبارات المبتذلة، والشتائم المقذعة، وفي المدونة نماذج عديدة لما شاع على ألسنة العامة آنذاك من هذه العبارات المبتذلة[3]، وبعض هذه الألفاظ المبتذلة، مقترضة أو دخيلة من الفارسية، أو من لغات أخرى: (يا كشخان، مكشاحل)[4].

---

(١) وعدّ محقق النشوار، هذه الألفاظ من اختصار كلمة (ويلك) خففت إلى والك واك، وأن العامة ببغداد ما زالت تستخدم هذه الألفاظ عند الخصومة والتحدي.

(٢) هذه الظاهرة الصوتية تعرف بالكشكشة، وهي عبارة عن تحول كاف الخطاب إلى جيم معطّشة مركّبة من تش (تاء وشين)، وتسمّى الجيم الفارسية، وتظهر بوضوح مع كاف مصحوبة بكسرة قبلها أو بعدها، وعند الوقف، وكانت لغة بعض قبائل العرب، وهي شائعة في اللهجات العراقية المتاخمة للفرس. ينظر: د. الأقطش، عبد الحميد، (عيوب النطق والكلام في لغويات التراث العربي العام)، مجلة الضاد، ماليزيا، جامعة مالايا، إبريل، ٢٠١٢م، ص١٧.

(٣) ينظر على سبيل المثال في نشوار المحاضرة: ١٢٥/١، ١٨٣، ٢/ ١٥٣،٢٢٧، ٣١/٣، ١١٥، ١٤٨، ١٠٥/٧، ٨٤/٨، ٨٥.

(٤) كشخان: الديوث بالفارسية، مكشاحل، أصلها: مشكاحن، آرامية، وهو المتفنن في استنباط الحيل، قاله: الكرملي، ينظر: نشوار المحاضرة، حاشية، ٣١٦/٢، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٣٥.

ومما يرتبط بهذه العبارات المبتذلة، التشبيهات العاميّة التي تدور في مخاطباتهم، ولا تخلو هذه التشبيهات من نكهات بلاغية وأسلوبية تؤدي الغرض في توصيل الفكرة، وإن كانت مبتذلة ووضيعة، وقد رصد التنوخي في نشواره عبارات عديدة من هذه التشبيهات دارت في محاورات العامّة، وأدّت غرضها البلاغي، وهي لا تقل قيمة بلاغية عن المستويات الفصيحة، ومن نوادر تلك العبارات التشبيهية البليغة، ما حكاه التنوخي قال (٢/٢٢٤) : " كنت أماشي المعوجّ الشاميّ الشاعر، ببغداد، وكان دقيقا، دقيق الوجه، أشهل، معوجّ الوجه. فلقينا مخنّث، فولع به المعوجّ. فقال له المخنّث: لا تسكت، يا من كأنّه ديك يطّلع في سطل ماء. فأسرع المعوج من يده، وقال: لو كان هذا شاعرا كان أشعر الناس، والله ما شبّهني أحد، أصحّ من تشبيهه ".

وفي هذه القصّة دلالة على أنّ في بعض تشبيهات العامّة وتعبيراتهم ما يعادل في قيمته البلاغية الأساليب التشبيهية العربية الفصيحة.

ويروي التنوخي في نشواره عبارات بعض العوام التي لا تقل في خصائصها البلاغية عن تلك الأساليب الفصاحيّة العربية مع ما فيها من سفافة وابتذال، فيروي عن (٢/٢٢٥) " مخنث يهاتر مغنّية، فقال لها: لا تسكتين، وحرّكِ كأنّه دكّان حجّام، داخله دم، وخارجه شَعر ".

وآخر يقول لامرأة تولّعت به (٢/٢٢٦) : " اشتغلي بحركِ الذي قُطع لسانه، وسوّد وجهه، وجعل إلى جانبه كنيف ينجرّ إليه "، (٢/٢٢٦) " وهاتر صديقٌ لنا مغنّية، فقال لها: يا من خِرَق حيضها حشو مِسورة "، والمِسورة: الوسادة التي تتخذ متكأ، وكانت تحشى بمقدار وافر من القطن والخِرق، وفي هذا الأسلوب ما فيه من كناية عن سعة حِرّها، وتعييره لها بهذه السّعة.

الحكم والأمثال العامية:

الإفادة من المستوى العامي لا ينحصر في الألفاظ، بل يمتد إلى الكنايات، والأمثال، والأخيلة، وغيرها من القصص والأساطير الشعبية، فالعامة هم الكثرة الغالبة من الأمة، ولديهم تجاربهم وحكمهم[1].

وفي مدوّنة التنوخي صور عديدة من الاستعمالات العامية دوّنها التنوخي لبلاغتها وأثرها في بيئة المتكلمين من عامة النّاس، وهذه التّعبيرات العاميّة ارتبطت بالتغيرات والأنماط الاجتماعية الجديدة، وانتشرت على الألسنة، ومن هذه التعبيرات: الحكم والأمثال الشعبية

(١) ينظر: العايد، سليمان، (العلائق الإيجابية بين الفصحى والعاميّة)، مجلة بيادر، أبها، ٢٠٠١م.

الموجزة التي تختصر جملة من الكلام بعبارة وجيزة، " ويجتمع فيها ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه " [1].

والحِكم والأمثال من الأقوال المحفوظة التي ترتبط بالخطاب الشفاهي المنطوق، والحِكم هي أقوال مأثورة مستفادة من تجارب الحياة، أما الأمثال فتفهم دلالتها في إطار الثقافة التي نشأت في ظلها، في سياق الموقف الذي تقال فيه، ولها مورد هو أساس القصة، ومضرب في المواقف المشابهة له، ومن ثمّ لها بنية خاصّة موجزة القول غزيرة المعنى، وترتبط بالأميين أكثر من ارتباطها بالمثقفين، فهي قوالب جاهزة تعين المتكلم على إبلاغ مراده بكناية غير تصريح [2].

ومن حِكم العامة الواردة في المدونة:

- **الصيّاد الفاره لا يَذبح شِباشَه** (٣/٧٤) : والشباش: بطة أليفة توضع في المعابر الموصلة إلى بركة؛ لاستدراج البط البري، وإيقاعه في الشَرَك، قالها أحد الكتّاب الذين نُكبوا لأحد رؤسائه يستعطفه، ويسأله إبقاءه، وإعادته إلى عمله، فهو الأداة التي يصطاد بها رئيسه.

- **خلَف النّار الرماد** (٣/٧٣) : قالها أحد الكتاب المشهورين بالفضل، لما رأى تخلّف ابنه، وتقصيره في أموره [3].

- " **كن صحيحا، تكن فصيحا،** ومن أمثالهم في هذا المعنى: إذا كان بولك صحيحا، فاضرب به وجه الطبيب، أي: إذا كنتَ سليما، فلا تُبال ما صنعت " (٣/١٢٣).

- **الصّاحي بموضع رجْلي السكران أعرفُ من السكران بموضع رِجلي نفسه** (٦/١٧٠) : يعني أنّ العالم أعلم بمقدار ما يُحسنه الجاهل، من الجاهل بقدر ما يُحسن. قالها أبو هاشم الجبائي شيخ المعتزلة لرجل سأله مسألة، فأجابه عنها، فقال الرجل لأبي هاشم: لا تظنّني لم أكن أعرف هذا .

---

(١) الأمثال، لأبي عبيد، ت: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م،١/٣٤.

(٢) ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النّشر للجامعات، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص١٩٤.

(٣) يقول محقق النشوار: وهو مثل لم يزل سائرا عند البغداديين، يقولون إذا أرادوا مدح السلف وذم الخلف: النار تخلف رماد.

– ومن أمثالهم الظاهرة التوليد الواردة بصيغة (أفعل التفضيل)، قولهم (١٩٥/٤) : " **أفلس من طُنبور بلا وَتَر** "، إذا بلغ الإملاق والفقر بالرجل حدا كبيرا، قالها أحد المغنين، وقد بلغ به الفاقة أن باع كل ما يملك، وبقيت داره خالية من كل شيء إلا الحصير.

ومن الملاحظ في المثل الأخير أنّه يعكس ثقافة قائله، وبيئته التي يعيش فيها، فالطنبور آلة غنائية، والوتر: حبل الطنبور الذي بواسطته يصدر صوتا، وقائل المثل: أحد المغنين الذين أرادوا نقل معاناتهم، وضيق حالهم بالتوصل بالمثل إلى المراد بحسن التشبيه، وإصابة المعنى، وإيجاز القول.

ومن تلك التعبيرات المثَلية الواردة في المدونة، قولهم: **كلامه يطيّر الآجر** (١٨٨/١) : للاستغراق في اللذة التي تؤدي إلى إتلاف المال، والآجر: الطوب المعد للبناء، ومن أقوالهم الواردة في المدونة: **"هذه دور بلا نَحبة** " (١٨٧/١)، أي: بلا أساس، فما تلبث أن تنهدم، يضرب هذا المثل للشخص الذي يتلف ماله بسرعة، ولا يعبأ بصرفه في غير وجهه، ومثله (١٨٥/١) : " فرسخ قراضة في هذا العمل بضاعة " وظاهر السياق يدل على أن هذا القول له نفس المعنى للمثل السابق.

٤- المستوى المقترض.

طرأ نتيجة الاختلاط بالأعاجم في المجتمعات العباسية أن دخلت ألفاظ أعجمية كثيرة في لغة التخاطب الشفاهي، وفي اللغة المدونة المكتوبة، ورصدت مدونة التنوخي عشرات الكلمات المقترضة التي دخلت مجالات الحياة المختلفة، وشملت جوانب عديدة، كالأطعمة والإدارة، وأنواع اللباس، والأدوات والأثاث وغيرها من المجالات ...

وكان الناس عامتهم وخاصتهم لا يتورعون عن الكلام أحيانا بالفارسية، أو غيرها من اللغات، ويرطنون بالكلام الأعجمي على سبيل التندُر أحيانا أخرى، وظهرت مظاهر عديدة للُكنة الأعجمية في لغة الكلام الشفاهي والمكتوب، استطاع التنوخي نقلها في مدونته محاكاةً للغة الواقعية، أو للتعبير عن الحادثة كما وقعت، ورصد الحدث كما هو.

وكان أمراء بني بويه الذين حكموا البلاد والعباد في القرن الرابع الهجري يرطنون بالفارسية والديلمية، ويخاطبون خليفة بني العباس بمترجم، وكانوا يتحدثون الفارسية، وكانوا لا يَفهمون العربية إلا قليلا، وفي المدونة (٩١/٣) : " حدّثني أبو الحسن، عليّ بن أحمد الحاجب، المعروف

بابن الخراسانيّ، وكان يحجب معزّ الدولة، قال: كنت مع معزّ الدولة يوما في دار الخلافة، بحضرة المطيع لله، فلما انفضّ الموكب، قال لي: قل له: إنّي أريد أن أطوف في الدار، فأراها وأشاهد بساتينها، وصحونها، فيأمر من يطيفني فيها. قال: فقلت ذلك للخليفة، بالعربية ".

ويروى عن معز الدولة البويهي أيضا أنّه كان يتكلم بالفارسية، ويكلّم وزراءه بها، وفي المدونة (٩٨/١) أيضا خبر رواه أحد القضاة قال: " كنت قائما بين يدي معز الدولة، فقال لأبي جعفر الصيمري وزيره بالفارسية: يا أبا جعفر، أريد خمسمائة ألف دينار ...".

وفي إحدى حكايات النشوار (٢٦٤/٣)، أنّ معزّ الدولة صاح بالفارسية على أحد السّواس، بكلام معناه: حسبه من الشّعير، لا تردّه إلى رأسه ...وفيها: فقال معز الدولة بالفارسيّة: قصّر عليه .."، وفي آخر الخبر سياق لحوار دار بين معز الدولة وأحد العرب، يقول: " فلمّا وقفتُ بين يديه، اقتحمتني عينه؛ لأنّي دميم، فقال: بيست دينار، فعلمتُ أنّه أراد عشرين دينارا، فكلّمه المسيّب والمهنّا العقيليان، فزادهما ثلاثة دنانير".

وفي خبر آخر (٩٧/٤) يحكي القاضي التنوخي عن عضد الدولة البويهي وأسباب سخطه عليه، وفيها أنّ عضد الدولة التفت إلى وزيره أبي القاسم، " وقال له: اسمع ما يقول، فقال له بالفارسية، وعنده أنني لا أعرفها: هؤلاء البغداديون مفتونون، ومفسِدون، ومتسوّقون ..".

وكان بعض أمرائهم لا يُحسن الحديث بالعربية، ويلحن عند النطق بها كثيرا، وكانوا مثار سخرية إذا أنشد بعضهم شعرا سمعه، وطلب من مغنية أن تغنيه (٢٢٦/٧).

ومن هذه الأخبار وغيرها نعلم يقينا أنّ العربية تضاءل دورها اليومي في الإدارة والدواوين في هذا العصر، عصر بني بويه في القرن الرابع الهجري، واقتصرت على لغة المكاتبات، وانزوت في خطاب الأمراء والخاصة والعامة، وأصبح المجتمع يرطن بلغات شتّى، أبرزها الفارسية التي نافست العربية في خطاب البلاط في دور الأمراء والوزراء.

وكان المجتمع في هذا العصر يجمع مزيجا من الأمم والشعوب، ويحوي أصنافا عدة من الأجناس المختلفة الذين اتخذوا بغداد وما جاورها مستقرا لهم، وتعددت لغاتهم نتيجة هذا الاختلاط، وشاعت الازدواجية اللغوية في المجتمع العباسي، وفي المدوّنة (٢٦٢/٥، ٢٦٣) يحكي التنوخي في أحد أخباره هذا السياق عن أحد العامة: " فحين رأتني العجوز، أقبلت عليّ،

وبدأتني بالكلام، فأجبتها بالفارسيّة ..."، وفي موضع من القصة: " وخرجتُ إلى الدار، وتكلّمتُ بلسانٍ فصيح، وقد كنتُ أكلّمهم بلسان الخرسانيّة ..".

ومما يدل على شيوع الازدواجية اللغوية ما ورد في المدونة حكاية عن أحد الأتراك (٢٦٥/٧): " وسمع التركي قولها: أبلق، فصاح: داست كفت، ثم قال بالعربية: ابني، ابني "[1].

ولم تكن العربية وحدها في هذه الساحة المتشعبة اللغات، بل كانت تجاورها وتتفاعل معها لغات عدة، كالفارسية والتركية والكردية والنبطية، والسريانية، وفي المدونة ما يدل على ذلك، فقد كان بعض الوكلاء والأمراء من عرقيات مختلفة غير العرب، يقول أحدهم حاكيا عن وكيل نصراني، وكان نبطيًا (٦٦/٨) : " وكنتُ أحسنُ النبطيّة، .. وفيها: فقال للمضروب كلاما بالنّبطيّة، تفسيره: لا تقرّ؛ فإنّ الإقرار مثل القير لا ينقلع "، وفي موضع آخر من المدونة (٢٧٢/٨)، عن أحد المكدّين: "كنتُ تعلمتُ السريانية، حتّى كنتُ أقرأ كتبهم التي يصلّون بها "، والديلمية، لسان ملوك بني بويه، وفي المدونة (٣٠٩/١)، حكاية عن معز الدولة – أحد ملوك بني بويه – تدل على أنّه كان يخاطب من حوله بالديلمية: " فقال له الأمير: يا بغّاء- بكلام الديلم – إلى أين ؟ ".

وأدّت هذه الازدواجية اللغوية إلى دخول ألفاظ وأساليب جديدة في العربية، فقد كان بعض الأعاجم يدخل هذه الألفاظ والأساليب في العربية تفكهًا بها، وفي المدونة عن رجل من بني قشير (٢٤١/٦) : "كان لي غلامٌ يسوق ناضحًا، ويرطُن بالزّنجية، بشيء يشبه الشعر .."، وفي موضع آخر من المدونة (٢٣٩/٦) : " أخبرني مخبر، أنه رأى أسود ببئر ميمون، وهو يمتح من بئر، ويهمس بشيء لم أدر ما هو، فدنوت منه، فإذا بعضه بالعربية، وبعضه بالزنجيّة، .. وكان مما قال أبيات من الشعر، منها هذا البيت: (الوافر)

أحبُّ لحبِّها تثليم طرّا ... وتَكعةَ والمشكّ وعينَ زَيتا

فقلت: ما هذه ؟ فقال: رِباع كانت لنا بالحبشة، كنّا نألفها ...".

---

(١) ويظهر من سياق الحديث أنّ المراد من هذا التركيب التركي أنه قد رضي وقبل وفرح، وهي كلمة يقولها اللاعب في مقام الانتصار، وللدست معان كثيرة ذكرها أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص٦٤.

وكان من آثار هذه الازدواجية أن نشأت مسمّيات جديدة للأشخاص والمدن والأشياء تجمع بين خصائص العربية واللغات الأخرى، ومن تلك الظواهر التي رافقت هذه الازدواجية، إضافة الألف والنون في نهاية أعلام المناطق والنواحي، فيقولون: عبّادان، مسماران، زيادان، فعبّادان على سبيل المثال: موضع تحت البصرة، ينسب إلى عبّاد بن الحصين الحبطي، وربما كانت هذه الظاهرة، وهي زيادة الألف والنون في نهاية أعلام المناطق والأماكن أثرا من آثار الفارسية عند اختلاطها بالعربية في القرن الأول الهجري [(١)]، ثم ما لبثت أن عمّت هذه الظاهرة المتمثلة في إلحاق الألف والنون في تسمية بعض المناطق في العراق[(٢)]، " ففي البصرة كانت أسماء الأمكنة المنسوبة إلى الأشخاص تختتم عادة بمقطع (آن)، وهكذا كانت تُسمى القطائع الكثيرة بأسماء أصحابها، مثل: مهلّبان، أميّتان (نسبة إلى أبي أمية)، جعفران (نسبة إلى أم جعفر)، ويوجد بين أسماء القنوات الهامة بالبصرة صيغ، مثل: خالدان، طلحتان، رباط عبّادان " [(٣)].

ونلحظ في مدونة التنوخي عشرات الألفاظ المقترضة من لغات شتى، لعلّ أبرزها الفارسية، التي غزت جوانب عديدة من الحضارة العبّاسية، ومجالات واسعة، كإدارة الحكم، وألقاب الوظائف في القصور، وأصناف الأطعمة والألبسة وغيرها من مجالات الحياة.

وهذا يدل على المستوى الذي بلغته الفارسية في مدن العراق ونواحيها، فقد سادت بين الطبقات الدنيا إلى مدى بعيد، وكان لها نصيبٌ واسعٌ على ألسنة المتكلمين خاصتهم وعامتهم، وكان إجادة اللغتين العربية والفارسية أمرا شائعا بين طبقات المجتمع المختلفة [(٤)].

وفي الجداول الآتية بيان الألفاظ المقترضة من لغات شتى:

---

(١) ينظر: يوهان فك، العربية، ص٩٠.

(٢) وإلحاق الألف والنون، لغة مستعملة في البصرة، إذا سمّوا موضعا، أو نسبوه إلى رجلٍ أو صفة، فيقولون في النسبة إلى زياد: زيادان، ويقولون: مهيجران، يوسفان، عبّادان .. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ١٨٩/١، ٧٤/٤.

(٣) يوهان فك، العربية، ص٢٥، ٢٦.

(٤) ينظر: يوهان فك، العربية، ص٩٠.

أولا: الألفاظ المقترضة من الساميات:

خالط العرب في الجاهلية وفي القرون الأولى للإسلام العديد من الشعوب، ومن بينهم الشعوب السامية، من أراميين (سريان) وعبرانيين، وكانت الجزيرة العربية تعجّ بأديان مختلفة، من بينها اليهودية والنّصرانية والوثنية، فاقتبس العرب – وخاصة من الديانتين اليهودية والنصرانية – مئات الألفاظ التي تختص بالأعياد الدينية وألفاظ الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم، وكان أكثرها تأثيرا الأرامية وفرعها (السريانية)، والعبرانية.

الكلمة	معناها	مجالها	الصفحة من المدونة
الأقنوم (سريانية)	الرمز	مصطلحات دينية	٢٦٩/٤
التناء (أرامية)	المزارعين	طبقات المجتمع	٣/١
الديراني (سريانية)	راهب الدير	مراتب دينية	٢٧٤/٤
روح القدس (سريانية)	الأقنوم الثالث عند النصارى	مصطلحات دينية	٢٦٩/٤
السلاق (سريانية)	من أعياد النصارى	أعياد دينية	٢٧٥/٤
السليح (سريانية)	الرسول	مصطلحات دينية	٢٧٤/٤
الشعانين (عبرانية)	من أعياد النصارى	أعياد دينية	٢٧٢/٤
الشماس (سريانية)	دون القسيس	مراتب دينية	٢٧٤/٤
القس (سريانية)	الكاهن	مراتب دينية	٢٧٤/٤
اللاهوت (سريانية)	الألوهية	مصطلحات دينية	٢٦٩/٤
ماري (سريانية)	السيد القديس	مصطلحات دينية	٢٧٤/٤
مريم (سريانية)	المرتفعة	أعلام دينية	٢٧٠/٤
مشكاحل (أرامية)	المحتال	أجناس الناس	٣١٦/٢
المعمودية (سريانية)	التعميد ودخول الدين النصراني	طقوس دينية	٢٧٣/٤
الناسوت (سريانية)	الطبيعة الإنسانية	مصطلحات دينية	٢٦٩/٤

ثانيا: الألفاظ المقترضة من اللغة الفارسية:

اقتبس العرب من اللغة الفارسية كثيرا من الألفاظ الخاصة بالحضارة والتمدن والإدارة، إضافة إلى أصناف الأطعمة والأدوات وغيرها من وسائل ومجالات الحياة المختلفة، ولعلها

اللغة الأكثر إمدادا للغة العربية من الألفاظ المقترضة في من بين سائر اللغات [1]، وهذه الألفاظ هي محطٌ للتمثيل من المدونة، وليس الحصر:

الكلمة	معناها	مجالها	الصفحة من المدونة
أستاذ	المعلم والرئيس	أصناف الناس	١٨٥/٤
اسفيداج	كلس ناعم	أدوات الزينة والبناء	١٥١/١
أشنان	أعود تستخدم لغسيل الأيدي	مواد وأدوات	١٤/٥
البخت	الحظ	ألفاظ الحياة	٩٦/٢
البرسام	التهاب الصّدر	العلل والأمراض	٢٠٥/١
البستانبانيون	خدام البستان	مهن الزراعة	٢٩٥/١
البوز	فم الحيوان	أعضاء الجسم	٢٢٨/٦
بيمارستان	مكان لعلاج المرضى	أماكن ومحلات	١٦/٣
التغار	مكيال يملأ حبوبا	أواني ومكاييل	١٥١/١
جامة ج جامات	وعاء من زجاج	الأواني	١٢١/١
الجلّوز	حب الصنوبر الكبار	أطعمة وحبوب	٩/٢
جناغ	ثوب مرصع منقوش	ألبسة وأدوات الزينة	٩٩/٤
جوامرك	الفتى من الطير	أجناس الطيور	١٨٤/٢
جوانبيرة	الكهلة من النساء	أجناس الناس	١٨٤/٢
الجهبذ	المسئول المالي	وظائف الحكم والإدارة	٤١/١
خرداذي	قنينة خمر	أشربة	٢٥٣/٨
خركاه	الخيمة الكبيرة	أماكن ومحلات	٩٤/٤
خشكنانه	نوع من الحلوى	أطعمة	٢٤٠/٧
الخفاتين / خفتان	نوع من ألبسة النساء	الألبسة	٨٤/٣

(١) يقول الأب رفائيل اليسوعي، في غرائب اللغة العربية، ص٢١٤: " فلا بدع بكون فاتحي بلادهم قد اقتبسوا حصة وافرة من هذا التمدن، واقترضوا من الكلمات الفارسية أكثر مما اقترضوه من سائر اللغات ما عدا الأرامية ". وأشار جرجي زيدان في كتابه (اللغة العربية كائن حي)، ص١٩: " ويقال بالإجمال إنّ العرب اقتبسوا من الفارسية أكثر مما اقتبسوا من سواها ...".

الدرابات	أبواب من الخشب	أجزاء البناء	٢٢٣/٨
الدستاهيجات	دعائم البناء	أجزاء البناء والقصور	١٣٩/١، ٢٨٠/٧
الدستنبو	نوع من النبات للشم	النبات	٣٠١/١
دكان	محل صغير للبيع	أماكن ومحلات	٢٤٥/٢
ديكبريكة	طعام مكون من اللحم والحمص	الأطعمة	١٧٧/٤
دهقان	زعيم القرية	مراتب الناس	١٢٨/٦
ديكدان	آلة يوضع عليها القدر	أدوات وأواني	١٢٦/٢
رستاق/ رساتيق	منطقة أو إقليم	أسماء المناطق	١٨٤/٢
الـــــروز جاريـــــة (روزجاري)	عامل المياومة أو عامل البناء	المهن والعمال	١٥٨/٤
الروز	الوصل	معاملات تجارية	٧٣/١
روزنة	النافذة أو الكوة	أجزاء البناء	١٨٠/١
الروشن	البلكون/ النافذة	أجزاء البناء والقصور	٦٩/١
رهداري	البائع المتجول	العمال والباعة	١١٧/١
زوبين ج زوبينات	الرمح القصير	أدوات السلاح	١٧٥/١
الزلالي/زلية	البساط	فرش وأثاث	١٨٠/٣
الزايرجة	شبكة مربعة الشكل لرصد الطالع	أدوات وآلات	٣٢٧/٢
السراويل	ألبسة لأسفل البدن	الألبسة	٢٥٥/٥
سكباج	مرق يصنع من اللحم والخل	أطعمة	١٨٠/١
السكرجات	الصحفة	أواني	٩٦/١
سنبوسج	فطائر مثلثة تحشى باللحم وغيره	أطعمة	٢٣٥/٥
شاكري	أجير أو مستخدم	المهن والعمال	١٨١/١، ٢٦١/٨
شيراز	اللبن الرائب	أشربة	١٤٠/٨
الشّيرج	دهن السمسم	أطعمة ودهون	٩/٢

صهريج	حوض يحتبس فيه الماء مطلي بالصاروج	أجزاء البناء ومواد	١٢٨/٢
طباهجة	طعام من بيض وبصل ولحم	أطعمة	٢٠٤/٢ ٨٥/٣
طسوق	رسوم	معاملات تجارية	١٢٩/٨
طنفسة	بساط	فرش وأثاث	٣١٠/١
طيهوج	ذكر السلكان	أصناف الطيور	٢٠٨/٣
فالوذج	نوع من الحلوى	أطعمة	٧٧/٣
القرطق (كرته)	نوع من ألبسة النساء	الألبسة	٨٤/٣
قبجة (كپك)	حجلة	أصناف الطيور	٤٦/٤
كسب/ كسبج	عصارة الدهن وثفله	أطعمة ودهان	٢٤٧/٥
الكلكون	طلاء تحمر به المرأة وجهها	أدوات ومواد الزينة	٣٤٤/٢
كواميخ	إدام أو مخللات	أطعمة	١٣٩/٨
كيمخت	نوع من الجلد	أغراض مختلفة	٣٧/٣
الكوسج	اللحية القليلة في الذقن	صفات خلقية	١١٤/٣، ١٥/٥
كشتبان	قمع الخياط	ألبسة وأدوات	١٢٨/٢
لوزينج	نوع من الحلوى	أطعمة	١٢٠/١، ٢٤٠/٧
مهرجان	عيد من أعياد الفرس	مناسبات وأعياد	٢٤٦/٨
المرزبان	كبير الكهنة أو الرئيس	مراتب ووظائف	٢٨٤/٤
نهروان	مكان/جزاء العمل	أماكن	١٣٩/٨
هميان	حزام يشد على الوسط يودع في باطنه المال	ألبسة وأحزمة	٤٥/٢
النوشادر	مادة صلبة ذات طعم حامض حاد	مواد	٣٦/٣

ثالثًا: الألفاظ المقترضة من اليونانية واللغات الأخرى على سبيل المثال لا الحصر:

الكلمة	معناها	مجالها	المصدر من النشوار
أبو قلمون (يونانية)	ثوب ذو ألوان شتى	الألبسة	١١٨/٨
الاسطرلاب (يونانية)	آلة فلكية	آلات وأدوات	٣٣٢/٢
الأسقوفي (يونانية)	طاقية المبتدئ	مراتب دينية	٢٧٤/٤
البلّور (يونانية)	مادة حجرية	المواد والمعادن	٣٣٦/١، ٢٥٣/٨
البيرم (يونانية)	اليوم الذي يسبق العيد	أعياد دينية	٢٧٥/٤
الجاثليق (يونانية)	متقدم الأساقفة	مراتب دينية	٢٦٧/٤
الزنّار (يونانية)	ما يشد على الوسط	ألبسة	٢٦٨/٤
قارية ساج (يونانية)	السارية أو الصواري	أجزاء البناء	٤٩/٢
قهرمانة (يونانية)	مدبرة القصر	وظائف القصور	١٧٩/٤
المطران (يونانية)	رئيس الكهنة	مراتب دينية	٢٦٧/٤
الميرون (يونانية)	زيت مقدس	طقوس دينية	٢٧١/٤
نيلوفر (يونانية)	زهور مائية	النبات	٣٠٤/٢
يوم الدنح (يونانية)	عيد الغطاس	أعياد دينية	٢٧٥/٤
البانانية (هندية)	خدم المراكب	الملاحة البحرية	٧/١
بهطة (سندية)	الأرز يخلط باللبن	أطعمة	١٨/٣
شطرنج (هندية)	لعبة معروفة	ألعاب	١٧٦/٢، ٢٧٠
الجدام (هندية)	المنطقة أو الناحية	أماكن ونواحي	٢١٢/٨
كردناك (تركية)	شاورما (لحم القص)	أطعمة	١٤٤/١

أسماء الأعلام المقترضة:

وتدل أسماء الأعلام المرصودة في المدونة على تشعب الثقافات، وتعدد الأمم القاطنة في المناطق والنواحي الشاسعة، والتي أسهمت في الحضارة آنذاك، وأصبحت من مكونات المجتمع العباسي، ومن النسيج الاجتماعي المتعدد الأطياف، من فارسي وتركي وكردي وأجناس أخرى صاقبت العنصر العربي وامتزجت به، وهذه بعض الأعلام الواردة في المدونة:

هندو، خسرو، فسانجس، كنجك ، شيركوه، إسحاق بن كنداج، سبكتكين، خواجا، ابن أبي دباكل، سبكرى، الكجي، ابن لنكك، بختيار، نوبخت، خورشيد، منداة، إيتاخ،

بجكم، ابن فرجويه، ابن فنحاس ... آل بسطام، آل نوبخت، بهرام جور، سلهون، يزدجرد، ابنا مهمندار الكسروي، روزبهان بن ونداد، عليكا، عليأباذ، باعلي، بلعباس ..

ومن الواضح أنّ هذه الأعلام تنتمي إلى ثقافات شتى، ويظهر فيها خصائص لغات متاخمة للعربية، ففي الرَّي – على سبيل المثال – من بلاد فارس يُدخلون على الأعلام لاحقة (كا) فيقولون: عليكا في لفظ علي [(١)]، وفي المدونة (١٥٥/٧) : "كان في نقباء الأمير بختيار، المعروف بعز الدولة، رجل يسمى عليكا، وكان كثير التطفيل " .

وقد يدخلون هذه اللاحقة بقصد التمليح، ومن باب الهزل، وفي المدونة (١٩٩/٢) : " رأيتُ حذّاء ماجنًا بباب الطاق، يعرف بالمدلّق، ويلقّب بالقاضي، يسمّي النعال، بأسماء من جنس الصّيفعة، على سبيل الهزل. فيقول لمن يخاطبه: هذه صلعكية، وهذه رأسكية، وهذه قفوية ".

وفي بعض البيئات المتاخمة لبلاد الفرس يدخلون اللاحقة (آن) على الأعلام، فيقولون: جعفران، حسنان، أبو العباسان[(٢)]، وفي المدونة ألفاظ عديدة جاءت بلاحقة (آن) مثل: عبّادان (اسم بلدة) (١١٩/٧)، بستانبان (البستاني) (٢٩٥/١) ، مرزبان (٢٨٤/٤)، دهقان (١٢٨/٦)، كشتبان (١٢٨/٢)، ديكدان (١٢٦/٢)، بيمارستان (١٦/٣)، دكّان (٢٤٥/٢)، خان (١٢٥/٦).

واشتهر في بلاد الديلم والجيل، قولهم في الكُنى: با علي، بلعباس .. وفي المدونة (١٧٥/١) : " وجعل لرأسه شَيعرا مثل شعور الجيل والديلم، وسمّى نفسه حلوز بن با علي، وكان أبوه في الأصل يكنى بأبي عليّ، وهذا الاسم من أسماء الجيل ".

وفي المدوّنة إشارات صريحة على أن بعض الأعلام تنتمي إلى شعوب غير عربية، فخواجا من الأعلام التركية، وفي المدونة (٢٢٧/٤) : " وكان معزّ الدولة، قد قلّيد شرطة بغداد مملوكا تركيا، يُعرف بخواجا " [(٣)].

---

(١) ينظر: يوهان فك، العربية، ص٢٠٩.

(٢) ينظر: يوهان فك، العربية، ص٢٠٩.

(٣) وفي المدونة أيضا أسماء ذات طابع ديني اشتهرت في البيئات النصرانية، تعود أصولها إلى السريانية والعبرانية، ومنها: مريم ، ماري مريم، بولس، شمعون الصفا، بطرس، دانيل، يونس، حزقيل، بيت المقدس، نينوى، مرقس، لوقا، يوحنا الحليم، شعيا، نسطور، جبريل بن بختيشوع....

خلاصة الفصل:

– تدل جميع المستويات اللغوية السابقة على مدى ما أحدث الامتزاج بين الشعوب والأمم المختلفة من آثار على العربية، وتأثيره على المستوى الشفوي، وفي لغة الكتابة، وأثره في ازدياد الثروة اللغوية المتمثل في دخول ألفاظ حضارية كثيرة في المعجم العربي، ويتجلى ذلك في رفد العربية في الألفاظ والأساليب.

– رصد التنوخي في مدونته العديد من الملامح اللهجية في عامية بغداد، أو العامية السائدة في ذلك العصر، واللهجات الدارجة في لغة التخاطب اليومية، ومن ثم تتضح ملامح جديدة في تطور العربية، ونشوء ما يسمى بالعربية الوسيطة أو المولدة.

– التنوخي لا يتردد في مدونته من استعمال المستوى العامي، واعتماد لغة الاستعمال نفسها، ليحاكي صورة الواقع أحيانا، عندما يتعلّق الأمر بنقل وصف، أو تسجيل حوار، مراعاة لطبيعة المتكلمين، وما يشيع في لغتهم من ألفاظ خاصّة، إيثارا منه على نقل الحدث كما هو، أو تقريبه من متناول القارئ؛ لذا كانت كتاباته من الوثائق المهمة لوصف لغة الواقع في ذلك العصر، وإبراز ما حدث في العربية من مولدات في الأساليب والألفاظ والأصوات، ووصف طبيعة المجتمع بكل أطيافه وطبقاته .

– ونستطيع على ضوء ذلك استخلاص لغة التنوخي في مدونته، فقد آثر التنوخي في عباراته البساطة أحيانا والبعد عن رونق البيان، فجاءت لغته شديدة التكيف مع طبيعة المتكلمين بها المهنية والاجتماعيّة، وقدرتها على نقل حقائق المتكلمين، واستطاعت أن تعبّر عن مستويات اجتماعية وثقافيّة متنوّعة، واتسم أسلوبه بعفويّة الاستعمال، وصدق الوصف فيما ينقله عن المجتمع وتناقضاته.

– هناك أهمية في رصد التطور الذي طرأ على الأساليب والتعبيرات في العربية الوسيطة لرصد تاريخ العربية بشكل عام، ومسيرتها في الحياة.

– كان من أبرز مظاهر العربية الوسيطة، شيوع الازدواج اللغوي، وهذا الازدواج اللغوي أدّى إلى مظاهر لغوية عديدة، منها: خرق المستوى الصّوابي للفصحى الموروثة، وتتمثل بالأخطاء الشائعة، والانحرافات الصّوتية التي تتأثر بالعادات الكلامية في اللغات الوافدة، وتولّد العاميات واللهجات المتعددة.

– وأصاب العربية بعض التأثير، فانتقلت إليها ألفاظ جديدة لم تكن فيها، وتتعلق كلها إلا النادر منها بالمحسوسات والماديات، كأسماء الألبسة، والأطعمة، والنباتات والحيوان وشئون المعيشة أو الإدارة وأنظمة الدولة و تفريعات دواوينها، ودخول هذه الألفاظ المقترضة في العربية دليل على تسامحها مع غيرها من اللغات.

– نلحظ خصائص العربية الوسيطة في لغة الكتابة العربية متمثلة في نصوص مدونة التنوخي في القرن الرابع، وفي ظننا أنّ انحلال الدولة العباسية في القرن الرابع الهجري وما بعده، لم يقتصر أثره على المستوى السياسي والاقتصادي فحسب، بل امتد أثره ليشمل المستويات اللغوية بعامة، وأدى ذلك إلى انحسار العربية الفصحى، وتقليل مساحتها في لغة الخطاب المنطوق، كما امتد أثره في لغة الكتابة، " وكان ذلك إيذانا ببدء عهد جديد للعربية المولّدة، فاكتساب التحرر الجديد من سلطان بغداد، لم يظهر أثره في السياسة والاقتصاد في كل إقليم فحسب، بل كان كذلك بعيد الآثار في الدائرة اللغوية .." [1].

(١) يوهان فك، العربية، ص١٧٤.

الفصل الثالث
مظاهر التوليد اللغوي في المدونة

أولا: مظاهر التوليد الصّوتي.

ثانيا: مظاهر التوليد الصّرفي.

ثالثا: التوليد في التراكيب النحوية والأساليب.

رابعا: التوليد الدلالي.

أولا: مظاهر التوليد الصوتي

ورد في نشوار المحاضرة ظواهر صوتية ملفتة للنظر، جاء معظمها حكاية لهجة معيّنة، أو رصدًا لمستويات التخاطب السائدة في عصره، أو نتيجة تحريفٍ في النطق حكاه التنوخي، ولعلّ أبرز تلك الظواهر:

- الإبدال الصوتي.
- عيوب النطق الواردة في المدونة، كاللُكنة الأعجمية، واللُثغة والفأفأة وما شابه ذلك.
- القلب المكاني، وهو ظاهرة صوتية صرفية معا.
- حذف واختصار بعض الصوامت أو الصوائت.
- ظواهر صوتية أخرى، كالإشباع، والإمالة، والألفاظ المأخوذة من الأصوات، والأصوات التنبيهية.

١- الإبدال الصوتي:

أكّد (ابن فارس) أنّ من سنن العرب، إبدال الحروف، وإقامة بعضها مقام بعض[(١)]، وفي شرح التصريف: " البَدل أن تقيم حرفا مكان حرف في موضعه، إما ضرورة، وإما استحسانا "[(٢)]، وقد يكون تاريخيا، حدث عبر مراحل طويلة، أو لهجيًا نشأ عن اختلاف اللهجات، وقد ينشأ نتيجة تحريف في أصوات اللغة على ألسنة العامة، أو في نطق الأعاجم أو نتج عن عيوب في النطق، وقد يتعاقب حرفان في الاستعمال اللغوي، وقد تحدث تأثيرات صوتية نتيجة التماثل أو التباين أو النّبر.

وقد استمرت هذه الظاهرة في مراحل العربية، وفي مستوياتها اللغوية، ومن مظاهرها في مدونة التنوخي:

إبدال الهمزة واوا: ويتم بتحوّل الصوت الشديد إلى رخو طلبًا للسهولة والخِفّة، واكله (آكله) (١٨٦/٢)، وهلّ نفسه (أهلها) (١٣٨/٣)، وإبدالها ياء، فيقولون: تعبية، رياسة، يخطّيك، قريت في (تعبئة، رئاسة، يخطئك، قرأت) (٢٩٦/١، ٦٢/٢، ٩٠/٨، ٢٢١، ١٨٧/٧). وهو مسلك مطّرد في اللهجات العربية المعاصرة حاليًا.

---

(١) الصاحبي، ص١٥٤.

(٢) ابن يعيش، شرح التصريف الملوكي، ص٢١٣.

إبدال السين صادا: قرَص الهواء: تعبير بغدادي عامي يستعمل للدلالة على برودة الجو، ورد في المدونة (٢٧٦/٢) : " يحتاج أهل المجلس إلى أكسية، فقد قرص الهواء .."، وفي (٢٨٨/٣) : " فكتب إليّ يوما، وقد قرص الهواء ..."، والأصل فيه: (قرس) بالسين [(١)]، ومن المعروف أنّ الأصوات المفخمة تبسط نفوذها، وتمد تأثيرها إلى ما يسبقها، وما يلحقها من أصوات، على سبيل المماثلة الجزئية للصوت المفخم قبل الراء؛ وذلك لاستعلاء القاف، فأبدلت السين صادا لتقرب من القاف؛ لما في الصاد من استعلاء.

وقد تتعاقب الصّاد والسين، ويؤثران في المعنى، فالفعل (يصيرون) من الصيرورة، يحمل دلالة تفيد الاستمرار والدوام، بينما (يسيرون) لا تدل على ذلك، وفي المدونة (٢٤١/٤) : " وكان الناس بالموصل يصيرون إليهما، فيتعجّبون منهما، ويهبون لهما .."، وفي (٢٠/٦) : " وكان الناس يصيرون إليه، فيقتبس منه كل فريق عِلمًا لا يشاركه فيه الآخرون ..".

إبدال الكاف جيمًا فارسية: ومن عاداتهم الكلامية أنهم يبدلون الكاف جيما فارسية، (الكاف التي بين الكاف والجيم)، وعدّها سيبويه غير مستحسنة في لغة من تُرتضى عربيّته، ولا تُستحسن في قراءة القرآن، ولا في الشعر [(٢)]، وهذا الإبدال شائع في اللهجات الخليجية المعاصرة ، فيقولون بدلا من: أحبك: (أحبچ) ، وبدلا من مالك: (مالچ) [(٣)]، وقد تبدل إلى صوت قريب من الخاء، فيقولون: أمخ بدلا من أمك، كما ورد في المدونة من شعر الهجاء (١٤٧/٨).

---

(١) ورد في تقويم اللسان، لابن الجوزي، ص١٥٠: " وتقول: برد قارس، ولبن قارص، والعامّة تقولهما بالصّاد .." أي: لا تفرق بين (القارس) التي تقترن دلاليا بالبرد، و(القارص) التي تقترن دلاليًا باللبن في لغة العرب. وقد وضع النحاة القدماء شروطًا لهذا التعاقب، كأن يليهما أحد الحروف الأربعة:(ط، ق، خ، غ)، ينظر: قول النضر بن شميل في تقويم اللسان، لابن الجوزي، ص١٧٦.

(٢) ينظر: سيبويه، الكتاب، ٤٣٢/٤.

(٣) هذه الظاهرة الصوتية تعرف بالكشكشة، وهي عبارة عن تحول كاف الخطاب إلى جيم معطّشة مركّبة من تش (تاء وشين)، وتلفظ (tch) وتسمّى بالجيم الفارسية، وهي خاصة بنطق الأعاجم، أو عربية غير العرب في نطقهم لأصوات العربية، وتظهر بوضوح مع كاف مصحوبة بكسرة قبلها أو بعدها، وعند الوقف، وكانت لغة بعض قبائل العرب، وهي شائعة في اللهجات البغدادية المتاخمة للفرس .. ينظر: د. الأقطش، عبد الحميد، بحث بعنوان:(عيوب النطق والكلام في لغويات التراث العربي العام)، ص١٧.

ونجد لهذا التغيير الحاصل في اللهجة البغدادية في القرن الرابع الهجري نظيره في اللهجات العربية الحديثة، فتفخّم بعض الحروف، ويميل الناطقون بهذه اللهجات إلى إبدال بعض الحروف المهموسة الرخوة إلى حروف أكثر شدة وجهرا وأبلغ أثرا من الناحية الصوتية، وهذا أحد مظاهر التغيير الصوتي البارزة في العربية المولّدة، ويُرجع بعض اللغويين المحدثين نشوء هذه الظاهرة بمختلف صورها في العربية إلى التّطور الصوتي الذي أثّر في نطق الأصوات العربية[1].

إبدال الظاء طاء: أنطرني (لغة في انتظرني) (١٤٩/١)، ناطور (حارس البستان أو المزرعة) (٣٣١/١). والنّاطور: حارس البساتين، أو حافظ الزرع، والنّخل، والشجر، وفي الأصل: ناظور، من النظر، وهذه الكلمة من لغة أهل السواد والنبط، يبدلون الظاء طاء في كلامهم[2]، وهذا الإبدال من قبيل الإبدال التاريخي اللهجي التطوري، حيث تتعاقب بعض الصوامت في الساميات وتتقابل، فالطاء في النبطية يقابلها الضاد العربية، والشين العبرية تقابلها السين العربية، والتاء الأرامية تقابلها الثاء العربية.

التعاقب:

يمكن إدراج التعاقب ضمن الإبدال اللغوي، إلا أنّ الألفاظ المتعاقبة تكون مشهورة الاستعمال معا، ومطّردة التوليد، بينما يكون الإبدال توليدا عارضا، ومن أمثلة التعاقب:

تعاقب الزاي والصاد: يلازق، ملتزقتين (ينظر: ١٣٨/١، ٢٩٨)، وهذا التعاقب من قبيل تحول المهموس إلى مجهور؛ طلبا للوضوح السمعي.

تعاقب الميم والنون: يقال: امتقع لونه، وانتقع لونه (ينظر: ٣٢٤/٢)، وذلك أنّ صوت النون تزداد فيه الغُنّة، ومخرجه من الخيشوم، فيتبدل إلى حرف مقارب له، وهو الميم.

تعاقب الواو والياء: وتُلحظ في تعاقب الكلمتين (قلنسوة) و(قلنسية)، وهي لباس الرأس للقضاة والفقهاء، وردت في نشوار المحاضرة بالواو (القلنسوة) (ينظر: ٤٧/١، ٨٧، ٩٠، ٣٤٧/٢، ٢٥/٤)، وبالياء (قلنسية) (١٥٧/٢)، وعزى بعض اللغويين الصيغة الواوية للهجة تميم، على حين أنّ الصيغة اليائية هي لهجة الحجاز ومن جاورها [3]، و يمكن عدّه من قبيل الإبدال التاريخي اللهجي لا التركيبي العارض.

---

(١) ينظر: أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الإنجلو المصريّة، الطّبعة الثّامنة،٢٠٠٣م، ص٦٢.

(٢) ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١/ ٢٣٧، و الزبيدي، تاج العروس، ٢٤٣/١٤.

(٣) ينظر: السيوطي، المزهر ٢٣٩/٢.

التبـاين: ورد في المدونـة (٢٥٣/٢) : " هـذا إذا سـلم مـن أن يبـدأك مـن تظنّيه صـديقا بالشر والتجني، والمعاملة القبيحة بالتّوهم والتّظني ..".

وأصل التظنّي (التظنن)، اجتمع صوتان متماثلان في نهاية الكلمة، ومن أجل كراهة توالي الأمثال، أبدل الثاني منهما ياء تخفيفا على قاعدة التباين والمخالفة التي تهدف إلى تيسير النطق وتسهيله.

التحريف في الأصوات وإبدالها:

دلّ استقراء مظاهر التحريف في المستوى الصوتي على أنّ جمهرتها ناشئ عن الإبدال الذي يقع بين الأصوات المتقاربة والمتناظرة، أو التصحيف أحيانا، وهو إبدال تركيبي لا لهجي، ومن أمثلته:

– **إبدال العين همزة:** لصعوبة النطق بالعين عند الأعاجم، ويحدث نتيجة لتحول المجهور إلى مهموس، وهو عند العجم إبدال تاريخي لهجي مطّرد، وفي المدونة (١٥٤/١)، قول زنجي: " يا بلئباس، يريد يا أبا العبّاس ".

– **ومن ذلك إبدال الصاد سينا:** صوت (سوت) [(١)]، ويكثر في نطق الأعاجم (ينظر: ٢٢٦/٧، ٢٢٧).

إبدال الضاد طاء: لم أمرّطه (لم أمرضه) لُكنة أعجمية[(٢)]، وفي المدونة (٢٣١/٢) : " وقالت العجوز: لم أمرّطه بالطّياء؛ لأنّها لا تتمكن من إقامة الضّياد، فسكّنتُ منها إلى أن نامت ..".

---

(١) ويحدث بتحويل الصوت المفخّم إلى نظيره المرقق، وتشيع هذه الظاهرة الصوتية في نطق الأعاجم للأصوات العربية، ونطق الطبقات الاجتماعية الناعمة حاليا، وبخاصة عند النساء.

(٢) الضّاد عصيّة الملفوظ على العجم، وحتى أكثر العرب، فأحيانا تبدل بنظير مطبق، وهو (الدال)، وأحيانا بنظير رخو مطابق لها في التفخيم، كالظاء أو الطاء، أو ضادا نصف مفخّمة، ومهموسة، وترسم في هيئة الطاء وهو أيسر نطقا .. ينظر: الأقطش، (التفخيم في العربية ومستوياتها)، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، م٦، ع ٢، ربيع الثاني ١٤٣١هـ – نيسان ٢٠١٠م.

٢- عيوب النطق.

وردت في المدونة مصطلحات عديدة تصف عيوب النطق في الأصوات والتحريفات المختلفة، ومنها: اللُكنة، الرُطنة، عِفطية اللسان، اللُثغة، العُقلة، المجمجة، الفأفأة ..

اللُثغة: ثقل اللسان، أو انحراف في نطق بعض الحروف [(١)]، مثل: جعل الراء غينا أو لاما، وجعل السين ثاء .. وفي المدونة، قصة (١٧٧) (٢٦١/٦) قصرها على جعل الراء غينا: (كيف تُعالج اللُثغة عند الصّبي) ما نصّه:

" كنت وأنا صبيّ لا أقيم الراء في كلامي، وأجعلها غينا، وكانت سنّي إذ ذاك أربع سنين، أقل أو أكثر، فدخل أبو طالب الفضل بن سلمة إلى أبي، وأنا بحضرته، فتكلّمت بشيء فيه راء، فلثغت فيها. فقال له الرجل: يا سيدي، لمَ تدع أبا الحسن يتكلّم هكذا؟ فقال له: ما أصنع، وهو ألثغ؟ فقال له:- وأنا أسمع وأحصّل ما جرى، وأضبطه- إنّ اللُثغة لا تصحّ مع سلامة الجارحة، وإنّما هي عادة سوء تسبق إلى الصبي أوّل ما يتكلّم، لجهله بتحقيق الألفاظ، وسماعه شيئا يحتذيه، فإن ترك على ما يستصحبه من ذلك، مرن عليه، فصار له طبعا لا يمكنه التحوّل عنه، وإن أخذ بتركه في أوّل نشوه، استقام لسانه، وزال عنه، وأنا أزيل هذا عن أبي الحسن ولا أرضى فيه بتركك له عليه. ثم قال لي: أَخرج لسانك، فأخرجته. فتأمّله، وقال: الجارحة صحيحة، قل يا بنيّ: را، واجعل لسانك في سقف حلقك. ففعلت ذلك، فلم يستوِ لي. فما زال يرفق بي مرّة، ويخشن بي أخرى، وينقل لساني من موضع إلى موضع، من فمي، ويأمرني أن أقول الراء فيه، فإذا لم يستو لي، نقل لساني إلى موضع آخر، دفعات كثيرة، في زمان طويل، حتى قلت راء صحيحة في بعض تلك المواضع. وطالبني، وأوصى معلمي بإلزامي ذلك، حتى مرن لساني عليه، وذهبت عنه اللُثغة ".

الفأفأة: حُبسة في اللسان، وهو تكرار أحد الحروف كما يبدو في قصة النشوار الآتية، وخصّه بعض أصحاب المعاجم العربية في التردد في الفاء خاصة، أو غلبة تكرار الفاء في الكلام [(٢)]، وفي المدونة (١٤/٤) : " أنّ أبا محمد المافروخي كان فأفاءً ..، فقال: أخرجوه

---

(١) وفي المزهر ٤٤١/١: " اللثغة قد تكون في السين والقاف والكاف واللام والراء، وقد تكون في الشين المعجمة، فاللثغة في السين أن تبدل ثاء، وفي القاف أن تبدل طاء، وربما أبدلت كافا، وفي الكاف أن تُبْدَل همزة، وفي اللام أن تبدل ياء، وربما جعلها بعضُهم كافا، وأما اللثغة في الراء فإنها تكون في ستَّة أحرف: العين والغين والياء والذال واللام والظاء، وذكر أبو حاتم أنها تكون في الهمزة ".

(٢) ينظر: العين، ٤٠٧/٨، تهذيب اللغة، ١٥/ ٤١٧، وفقه اللغة للثعالبي، (باب عيوب اللسان والكلام)، ٩٠/١: " الفأفأة: أن يتردد في الفاء ".

عنّي، وكرّر أخ أخ، لأجل عُقلة لسانه ... ، واستخلف بحضرته ابنا له، كان مثل الفرّوخي في الفأفأة، فخاطبه المافروخي أوّل ما دخل إليه، في أمر شيء قال فيه (ووو) مرارا، فأجابه ذلك الابن بمثل كلامه ..".

الرُطنة واللُكنة: الكلام المبهم، أو تحريف الأعاجم في النطق بالكلام العربي، كنطق الجيم زايا، أو الزاي سينا، أو العين همزة، وفي المدونة نماذج عديدة لهذه الظاهرة، أشرنا إليها في فصل سابق. وهي:

* الرطنة: " ويرطن بالزنجية، بشيء يشبه الشعر .." (٢٤١/٦).

* العِفْطي: " إنّ عندي عجوزا ربّتني من أهل كرخ جدّان عِفطية اللسان، الأغلب على لسانها النبطية، لا يمكنها أن تقيم كلمة عربيّة صحيحة .." (٢٣٠/٢).

٣- حذف واختصار بعض الصوامت أو الصوائت.

حذف الهمزة اختصارا وتسهيلا:

وجاءت في مدونة التنوخي في مواضع مختلفة: فحذفها من أول الكلمة تخفيفا: غلق، طفّى، عتقني، بنت بنته [(١)]، بنتي .. يا با فلان، باعلي، بلعباس [(٢)] .. (ينظر: ٩٢/٧، ١٧٦/٤، ٢٨٧/٢، ٨/٥، ٢٥، ١٧٥/١، ٣٤٩).

وحذفها من وسط الكلمة: يجون في (يجيئون) ويهنون في (يهنئون)، وراس في (رأس) [(٣)] (ينظر:٢٢٢/١، ٣٣٥/٢، ٨٩/٤، ٢٣٠/٧).

---

(١) حذف الهمزة في (بنته) بدلا من (ابنته)، يخضع لقانون كراهة العربية البدء بصامتين في بداية المبنى، فتلجأ الفصحى إلى اجتلاب همزة الوصل في (ابنة)، وتلجأ اللغة العامية الوسيطة إلى حذفها تخفيفا، واقتصادا في الجهد، وتتحرك فاء البنية بحركة قصيرة(بِنْت).

(٢) يحذف المقطع الأول من (باعلي) وهو فاء البنية: الهمزة والفتحة القصيرة تلوها بسبب انتقال النّبر عنها، وإطالة العين (با)، أمّا بلعبّاس، فتحذف الهمزة أيضا والفتحة القصيرة بعدها لوصل الكلام كنوع من الاختزال، واقتصاد الجهد في سرعة النطق في العاميات، وتقصر الحركة الطويلة (با) جرّاء التخلّص من المقطع المكروه في العربية من نمط (ص ح ح ص) = وكل حركة طويلة في مقطع مغلق من هذا النمط، ففي العاميات تقصر (بلعبّاس) = بلعباس، المقطع المغلق هو (بال)، يصبح (بلْ).

(٣) شاع في بعض اللهجات العربية نطق مثل هذه الكلمات بحذف الهمزة، وذلك صوتيا يجري وفق قانون حذف الهمزة، والتعويض بمطل حركة الراء رأس ـــــ راس، ومن شأن تركيز النبر في مقطع مزدوج الإغلاق أن يطيل حركته.

وحذفها من آخر الكلمة: الهوا بدلا من الهواء، الباقلا بدلا من الباقلاء [1]، ابتدوا بدلا من ابتدءوا، وقولهم: " قد أمرتُ بشِترى " أي: بابتياع، وقولهم: " ما جا شي " [2] (ينظر: ٦٣/٢، ٢٢/١، ٨٠/٣، ٨١، ١٨٩، ١٨٩/٧).

وحذف الهمزة أو تسهيلها في وسط الكلمة وفي آخرها، أثر من آثار النّبر في تقصير الكلِم، جراء النبر على المقطع الثاني، فيقصر بحذف الهمزة، وتقصير الفتحة الطويلة قبلها، وينتقل النبر إلى المقطع الأول، فالنبر له أثره في تقصير الممدود في كل اللهجات العامية [3].

حذف نون الرفع من غير ناصب ولا جازم، وفي المدونة (١٤٥/٣) : " حصلنا على أنكم تهذوا، وتوهموا الناس .."، وفي موضع آخر من المدونة (١٨٩/٣) : " ليس يجسروا يعودوا، فيقولوا ما جا شي "، وهي من المظاهر السائدة في العربية الوسيطة والمعاصرة، حيث تميل إلى التخلص من الإعراب، وهي ظاهرة لهجية، يحدث فيها التخلص من المقطع المديد من نمط (ص ح ح ص) من صامت وحركة مدية وصامت بتحويله إلى مقطع طويل مفتوح من نمط (ص ح ح)، طلبا للجهد الأقل.

اختصار الكلمات بحذف بعض الصوامت:

وأمثلتها في المدونة عديدة، فمن تلك الألفاظ المختزلة:

أيش: اختصار (أي شيء) ينظر: (١٨٠/١، ١٩٨، ١٢٩/٢، ٦٥/٣، ٢١١/٥).

ستي: اختصار (سيدتي) ينظر: (١٠١/١ ،١٧٩، ٦٦/٢ ،٢٨٧/٥).

٤- ظواهر صوتية أخرى.

– ظاهرة الإشباع :

وهي ظاهرة صوتية صرفية صغرى، وغير مطّيردة في العربية، ولها حضورها في المستوى العامي واللهجي، وقد تجيء اختيارا أو اضطرارا، ومن أمثلتها في المدونة:

---

(١) تقصير الممدود في نحو هذه الألفاظ، ناجم عن تحول النّبر من المقطع الثاني، إلى المقطع الذي قبله، ومن المعروف أنّ قصر الممدود ضعيف عند النّحاة، فلا يجوز عندهم إلا في الضرورة الشعرية .. ينظر بتفصيل: فوزي الشايب، قراءات وأصوات، ص١٤٤.

(٢) الذي حدث في لفظ (شي) هو تقصير حركة طويلة في مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص)، وذلك بحذف الهمزة، واجتلاب حركة مزدوجة (يْ).

(٣) ينظر: فوزي الشايب، قراءات وأصوات، ص١٤٤.

* إشباع حركة الكسرة القصيرة في تاء المخاطبة، حتّى تنشأ ياء (أنكرتيه) (٨١/٦).
* إشباع حركة الضمة القصيرة، فيقولون في قل: (قول) (١٨٨/٧)، وفي هنا (هونا) (١٨٧/٧).

وهذا الإشباع أثر من آثار النبر في إطالة الكلم، وينشأ عن تأخير النبر بانتقاله إلى المقطع الذي يليه، وتحوله من مقطع قصير إلى مقطع متوسط (تِ) إلى (تي)، (قُ) إلى (قو)، و(هُ) إلى (هو) [(١)].

وقد يؤدي الإشباع إلى وظائف تركيبية، تتمثل في أنّه يعمل بمثابة عامل من عوامل التوليد اللغوي، التي تُنمي اللغة بالزيادة في ثروتها المعجمية، وقد يكون الإشباع بمثابة عنصر من عناصر التطريز الدلالي أو الإيقاعي [(٢)].

– ظاهرة الإمالة:

ساد في اللهجة الكوفية –كما ورد في المدونة – إمالة الفتح إلى الكسر، أو تحويل الألف إلى ياء [(٣)]، ومن أمثلة ذلك، قولهم (الظِلامِة) بكسر الميم (في لغة الكوفيين) (١٥٩/٨)، وتحويل هلال إلى (هِليل)، (٨/ ٢٣٢، ١٤٧/٨).

وتلك مسألة معهودة في اللهجات، بسبب من قانون المماثلة الصّوتيّة بين حركات صوامت المبنى الصّرفي، فكسرة فاء البنية (الظاء) أثّرت في كسرة الميم، على سبيل المماثلة التقدمية؛ تحقيقًا للانسجام الصوتي [(٤)].

– ألفاظ مأخوذة من الأصوات:

بطّه، بطوه، يبط، البط: إخراج الدم الفاسد والقيح والميد من الجراح أو البثور، ويقوم بها الجرّاح.(١٥٤/١).

نشّ الزيت، النّشيش: صوت غليان الزيت (١٢٦/٢).

---

(١) ينظر: فوزي الشايب، قراءات وأصوات، ص١٤٥.

(٢) ينظر: الأقطش، الإشباع الصّوتي في المقاطع العربية، أوضاعه وأهميته في التعبير اللغوي، ص١٠.

(٣) الإمالة في الأصل الميل بالفتحة إلى جانب الكسرة، ويستلزم ذلك الميل بالألف إلى جانب الياء، وهي لغة تميم وسائر العرب ما عدا الحجازيين، ينظر: حفني ناصف، حياة اللغة العربية، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٨.

(٤) ويمكن تفسير المماثلة الصوتية الحاصلة في الكلمات الممالة، بأنها إتباع حركة الحرف المتأخر الممال، لحركة المقطع المنبور السابق له، ومن ثمّ فإنّ المقطع المنبور يمثّل مركز الثّقل في الصيغة، وكثيرًا ما يبسط نفوذه، ويمد تأثيره إلى المقاطع المجاورة له، فيشد حركاتها إليه، ويجعلها مماثلة لحركته، ولا تزال هذه اللهجة حيّة في الاستعمال تتوارثها الأجيال، حتى يومنا هذا، وهي عند البدو أوسع منها عند الحضر، واللهجتان السورية واللبنانية خير شاهد عليها حاليًا ... ينظر: فوزي الشايب، قراءات وأصوات، ص٥٦.

زمّ الحروف في الغناء: ويعني إطالة بعض الأصوات في الغناء بغرض تحسينه، ويختص الزم –كما يظهر – بإطالة وتمديد حرفي الميم والنون، وفي المدونة (٢٨٥/٣) : " كنتُ بحضرة أبي، وبحضرته مغنّ يغنّي، فمرّ في بعض لحنه بميم فبيّنها. فقال له أبي: إذا مررتَ في ألحانك، بميم، أو نون، فزمّها، واعصرها، وأنا ضامن لك طيبة ذلك، غارم لك كلّما يجني عليك. قال: فأعاد الصوت، وزمّ الميم زمّا شديدا، فتضاعفت طيبته ".

العطعطة: ورد في المدونة (٢٨٠/٢) : الفعل (عطعط): " فعطعط الملاّحون بنا .." والعطعطة أصوات المجّان إذا صاحوا بأحد: عيط عيط، وذلك إذا غلبوا قوما [(١)].

– أصوات تنبيهية:

ألفاظ تستعمل للإيضاح والاستفهام: هيه (هاه) (٢٨٥/٥، ١٢٦/٦، ١٢٧)، ومثلها: (هاه هاه) للاستنكار (٢٢٢/٣، ١٨٧/٧).

ألفاظ تُستعمل للتشوف والاستيضاح: (هي)، (ينظر: ٢٥٦/١)، وفي المدونة (٢١/٨): " فلمّا مثلتُ بين يدي الخليفة، ظنّ أمرًا عظيمًا قد حدث، فقال لي: هي، قل، كأنّه متشوّف " [(٢)].

ألفاظ تستعمل للتأفف والتقذر: شه، شه، إفيّه، أفيّه [(٣)] (ينظر: ١٧١/٢).

ألفاظ تُستعمل للإعجاب والتعظيم: داه داه، وفي المدونة (١٨٧/٧) : " وأنا أكلّمه، داه داه، أكلمه في أمور المسلمين .." [(٤)].

وتشكل مجموع نصوص المدونة ملامح صوّرت العربية المولدة الوسيطة، وهي صورة واضحة أشبه بأنماط بعض اللهجات العربية الحديثة، ويمثل الجانب الصوتي صورة أكثر وضوحًا في هذه الموازنة، وأبرز أشكالها: تقصير الحركات الطويلة، حذف بعض الصوامت والصوائت، اختصار الألفاظ والعبارات، التخفف من العلامات الإعرابية، أو التخلص منها، الميل في

---

(١) ينظر: محمد كرد علي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (تطور الألفاظ والأساليب)، ٣٥/٧.

(٢) يقول محقق النشوار معلقا: وهو تعبير بغدادي لم يزل مستعملا، لكنه تحوّل إلى: ها، يقولها المتشوّف لسماع قصّة، أو المطالب بإيضاح موضوع، ينظر: حاشية نشوار المحاضرة، ٢١/٨.

(٣) وردت هذه الألفاظ في سياق قصة القاضي أبي عمر،٢/ ١٧١، وفيها: " واجتاز أبو عمر بطريق قد كسر فيه دنّ خمر، ومعه بعض الشهود، فقال الشاهد: شه، شه، أفّيه، أفّيه، فأمسك عنه .." يقول محقق النشوار: تغيّر التعبير البغدادي عن أيّام أبي عمر القاضي، فإنّ (شه، شه) الآن، تعبير عامي بغدادي عن الشعور بالبرد، كما أنّ (أفيش، أفيش) بالشين المثلثة، تعبير عامي عن الرائحة الطيبة، أما التعبير عن الرائحة الكريهة فهو (إف، إف).

(٤) يقول محقق النشوار: تحوّلت اللفظة الآن إلى: دوه، دوه، يقولها العامي البغدادي؛ لإظهار الإعجاب العظيم بالشيء .. ينظر: نشوار المحاضرة، ١٨٧/٧.

بعض اللهجات إلى الإمالة والإشباع، تسهيل الهمزة وتخفيفها أو حذفها، الإبدال الصوتي، القلب المكاني، أسماء الأصوات والأفعال التي نتجت عن أصوات طبيعية، المماثلة والتباين، الانحرافات الصوتية التي تنتج عن عيوب في النطق، أو الميل إلى تقليل الجهد .

كل تلك الظواهر الصوتية شكّلت ملامح العربية الوسيطة التي تطورت عن العربية الفصحى وامتدت لتشكل أبرز مظاهر العربية الحديثة بتشعب لهجاتها وتعددها في الأقطار العربية.

ثانيا: مظاهر التوليد الصّرفي.

يتمظهر التوليد الصّرفي في استحداث صيغ جديدة أو ألفاظ مشتقة من مواد اللغة، بوسائل عديدة أبرزها: الاشتقاق، والمجاز، إضافة إلى الارتجال الذي يبدو محدود الألفاظ، والنحت، والتركيب، وألفاظ النسب والمصادر الصناعية، والبحث في المولدات اللغوية التي رفدت اللغة العربية الوسيطة، بأبنيتها الصّرفية المستقلة، ودلالاتها الخاصة.

وسنعرض التوليد الصرفي في الألفاظ المشتقة، وتشمل: المباني الصرفية: الفعلية والإسمية، والمشتقة من المقترضات، إضافة إلى بعض وسائل التوليد الأخرى، مثل: النحوت والتراكيب، والقلب المكاني، والألفاظ المرتجلة، والتوليد بالإتباع، والتوليد باللواحق الزائدة في التصغير والنّسب، واللواحق الأعجمية في النسب، والمصادر الصناعية، والتوليد في الجموع المختلفة.

١- التوليد بالمباني الصرفية:

تولّدت في العصر العربي الوسيط ألفاظ كثيرة عن طريق الاشتقاق، سواءٌ منها الفعلية أو الإسمية، أو الاشتقاق من الألفاظ المقترضة، وتمظهر هذا التوليد في الصور التالية:

أ– اشتقاق أبنية فعلية:

*** فعل وأفعل:**

تتناوب الصيغتان (فعل، وأفعل) في كلام العامة، وفي المدونة: غلقه بدلا من أغلقه (٩٢/٧)، وطفّى بدلا من أطفأ (١٧٦/٤)، عتقني بدلا من أعتقني (٢٨٧/٢) .. بالتخفيف، وهي خارجة عن معايير الفصاحة كما في كتب اللحن [(١)]، و عُدّت من اللغات الرديئة في (أدب الكاتب) [(٢)].

---

(١) ينظر: ابن الحنبلي، سهم الألحاظ في وهم الألفاظ، ت: حاتم الضّامن، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص٣٣، وابن الجوزي، تقويم اللسان، ص٤٤، ٤٥.

(٢) ابن قتيبة، ت: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ص٣٧١. واللخمي، في المدخل إلى تقويم اللسان، ت: مأمون بن محيي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص٣٢: " وهي وإن كانت ضعيفة، فلا يجب أن تلحّن بها العامّة؛ لأنّها من كلام العرب، وإن قلّت وضعُفت ".

وفي العربية الوسيطة أو المولّدة يكثر الخلط بين هاتين الصيغتين، ولعلّ هذه الظاهرة بدأت تنتشر في بدايات القرن الثالث الهجري، وقد عالجها عدد من اللغويين، وظهرت مصنّفات تحت مسمى (فعل وأفعل) [1].

نماذج من التمثيلات:

جَذَر، يَجذُر: ينثر على رؤوس القيان المغنيات النقود، من جذور المغنيات، وهو أجورها، وفي المدونة (١٨٤/١) : " وإنّه كان يجذُر دائما بمائتي دينار في يوم، وينثر على المغنّيات خمسة آلاف درهم، وعشرة آلاف درهم .."، وفي (١٨٩/١) : " فجَذَر ذلك اليوم، وتلك الليلة، قيانًا بمائة دينار، وأنفق قريبا منها ... وجلسنا على تلك الحال، يَجْذُر في كل يوم وليلة بمائة دينار قيانا .."

دَهَقَه: من الدّهق، وهي آلة تعذيب تشتمل على خشبتين يضيّق بهما على ساقي المعذّب، وفي المدونة (١٣٤/١) : " فأخذه، وأرهقه، وطالبه بعشرة آلاف ألف، ودَهقه، وضَربه .."، وفي (١٣٦/١) : " فدقّ يده ودَهَقه، ودقّ ساقه .."

سَحَا، خَرَط: من السّحاة، والخريطة: ما توضع بها الرسائل وتُلف به من رباط وغلاف قبل إرسالها، وفي المدونة (٤٠/٣، ٤١) : " وكتب هو، وسَحَا، وخَتَم، وخَرَط بيده، وأنفذ العمل .."

صَككتُ: من الصّك، وهو كتاب بالإقرار بمال، يؤدّى لصاحب الصّك (ينظر: ٣٥/٨).

*** صيغة (أفعل):**

أمدّ: من المِدّ، وهو القيح، يقال للجرح عندما يتقيّح، وفي المدونة (١٥٣/١، ١٥٤) : " وجمّع – أي الجرح – وانتفخ، وأمدّ، وأشرف على الموت ... وتبعته مِدة عظيمة وقيح ".

*** صيغة (فَعّل):**

ومن الصيغ التي كان لها حضور في المدونة، صيغة (فعّل) التي تدل في العربية على المبالغة والتكثير، وبواسطة هذه الصيغة تولّدت في العربية الوليدة أفعال كثيرة لتدخل في التراكيب العربية، ومن أمثلتها: سنّف البناء: إذا حسّنه (١٤٠/١)، سبّب لكلامه: مهّد له (١٢/٢، ١٩٧/٣)، فيّل رأيه: ضعّفه وخطّأه (١٢٤/٦)، ورّك عليه مالا: ألزمه وحمّله (٢١٨/١).

حظّر: من الحظيرة، وفي المدونة (١١٦/٥) : " وإذا هو قد حظّر حظيرة من تراب، وهو قاعد في وسطها .."

---

(١) من ذلك مصنفات: الأصمعي، وأبي عبيد القاسم بن سلاّم، وأبي إسحاق الزّجاج، وعالجها ابن السكيت في إصلاح المنطق)، وثعلب في (الفصيح)، وابن قتيبة في (أدب الكاتب).

ذنّب معه، ذنّب حديثه أو كلامه، ذنّبوا: شاركه أطراف الحديث، عقّب على كلامه، مشتق من الذَنَب (ينظر: ٢١/١، ١٤٠، ١٧/٤).

سرّدته: من المِسرد، وهو الغربال الواسع العيون، وفي المدونة (٢٦٤/٣) : " وطرحتُ به باقي الشعير الذي كان في المِخلاة، وسرّدته ..".

طبّقها: من الطَّابوق (نوع من الآجر) (١٨١/١).

طرّق، يطرّق له: يطلب إفساح الطريق (١٨٠/١).

كتّفناه، الكتاف: اشتقاقه من الكتف (٢٠٧/٤، ٢٢٨).

يلُص، التلصص: يمتهن السرقة (٩٢/٧، ٩٧/٧).

نقّلني: (من النَّقل: ما يُلقى أمام الضيف من لوز وجوز وزبيب وفستق ونحو ذلك)، (٢٠٤/١).

هوّسني، يتهوّس بها،: من الهوس (١٦٥/١، ٢٧٥/٥).

ورّق، أورّق، الورّاقين: الاشتغال في بيع الورق، ونسخ الكتب، مأخوذ من الورق (١٣٥/٦).

وعلى العموم، فإنّ العاميّات اليوم تتجه إلى استعمال وزن (فعّل) لا (أفعل) في مقام التعدية، وذلك مظهر من مظاهر الاقتصاد اللغوي بتوفير الجهد وتقليله بعيدا عن النّير بالهمزة.

* **صيغة (تفعّل):**

تأثثتُ: من الأثاث، وهو متاع البيت (٢٣٥/٢).

تخبّر، يتخبر: يطلب الأخبار، وهي وظيفة استخباراتية كانت قائمة في الديوان العباسي، وفي المدونة (٣١/٤) : " ووصف أنّ موسى بن خلف، كان يتخبّر لابن الفرات ..".

ترجّل: أصبح رجُلا (٩٥/٣، ٩١/٤).

تطفّل: من التطفيل، والطفيليين، وفي المدونة (٢٣٣/٥) : " هوذا تُطفّيل بي؟ لو أرادني الرجل لأفردني بالسؤال ".

تمسّى، يتمسّى: من المساء، وفي المدونة (١٤٢/٥) : " كان جدّك ابن أبي حامد، وهو صاحب بيت المال- إذ ذاك- يتمسّى في دار الخلافة، فينصرف وقد مضى ربع الليل، أو ثلثه ...".

*** صيغة فاعل:**

فاتشه: من المفاتشة، إذا باحثه واختبره، (٥٩/١، ١٧٧/٢).

*** صيغة تفاعل:**

من الأفعال المولّدة على صيغة (تفاعل):

تقاين: صرف نقوده في اللهو والقيان، من القينة (١٧٥/١، ١٧٧، ١٨٥، ١٩٧).

تواجد: (١٢٩،٣٥٦/٢) مصطلح صوفي مولّد، يعني شدّة الوجد والنّشوة، ويحدث أثناء سماع الأذكار ونحوها، والمتواجدون (٤/١) : جماعة من الصوفية تشتهر عادة بالتواجد والرقص، وإظهار النّشوة.

*** افتعل:**

تتناوب أحيانا بعض الصيغ في كلام العامة، وتتحكم في هذه المناوبة عوامل عديدة، من أهمها: إيثار السهولة في أثناء الكلام، والشيوع، والانتشار، وكثرة الاستعمال، في البيئة اللغوية والمجتمع، وتستخدم أحيانا أخرى لأغراض دلالية، كالمبالغة، أوالتأكيد، ومن تلك الصيغ، صيغة (افتعل)، وفي المدونة نماذج عديدة، منها:

*** ارتكب:** بدلا من ركبه، في السياقات الآتية: " ارتكبه دين .." (٢٤٣/٢)، " وأمر بأن لا يحضر الموكب؛ لما ارتكبه من ضمان القضاة " (٣٣٥/٦)، " فأخذ الخصيبيّ يوبّخه، ويستخفّ به، على ما ارتكبه منه " (١٢٥/٢).

ومثل هذه الصيغة: اهتشّ له (بدلا من هشّ له) (١٢٦/٣)، يفتكّه (بدلا من يفكّه) (٦٤/٣)، ارتجع (بدلا من أرجع) (٦٦/٣، ١٨٩/٦)، ولم أجترئ (بدلا من ولم أجرؤ) (١٢٦/٤).

ومن الأفعال المولّدة على نمط هذه الصيغة:

ارتبط، نرتبطه: مأخوذ من الرباط، وهو طلب العلم في الأربطة المعدة لذلك، وفي المدونة (٢/٢٧٥) : " ولقد قدم رجل أردنا أن نرتبطه ليتعلّم، لجودة قريحته ..".

ارتفق عليها: من الارتفاق، الاتكاء على المِرفق، وقد ورد في المدونة في عدة مواضع بمعنى: أخذ الرشوة، ومنه: المِرفق: الرشوة، وفي المدونة (١/٦٤) : " حضرتُ أبا عليّ بن مقلة، وقد عُرضت عليه، وهو وزير، عدّة تسبيبات، وتوقيعات، قد زوّرها عليه أخوه أبو عبد الله، وارتفق عليها .."، (١/٢١٣، ٢١٤، ٢/٣٠، ٣١، ٣٢، ٨/٢٧٠).

*** صيغة (انفعل):**

يعبّر العامّة بصيغة المطاوعة (انفعل) بكثرة، بدلا من صيغة المبني للمجهول، ومعلوم أنّ العاميّات قد استبدلت صيغة المجهول من وزن (فُعِل) بوزن (انفعل) الدّال على المطاوعة دائمًا، وعدّ بعض النّحاة ذلك خروجًا على مألوف لغة العرب[1]، ومما ورد في المدونة على هذه الصيغة:

- انبسط (٣/٢٧٣)
- انجرّت (٣/٢٨١)
- انحسمت، وتنحسم (١/٣٢٨).
- تنخرق (٤/١٣٢)
- انذهل (٧/٢٦٣).
- قولهم: ينستر عنك (١/٦١) لا ينستر عليه (٣/٢٧٧). منستر (١/٢١٦).
- انسحقت (٤/٢١٢)
- انشوى (١/١٤٦).
- انضاف[2] (١/٢٥٣، ٤/٧٧، ٥/١٠، ٦/١٩)..

---

(١) ورد في كتاب (سهم الألحاظ في وهم الحفاظ)، لابن الحنبلي، ص٣٦: " أنّ (انحفظ و انقرأ و انكتب) مستحدث، استحدثه المولّدون ممّا لا يُعتد بوجوده، ولا يُعبأ بكونه ...".

(٢) منع عديدٌ من النحاة صيغة (انضاف) وما في حكمها من الأفعال المشتقة من الرباعي، وفي درة الغواص، للحريري، ص٤٥: " وَيَقُولُونَ: انضاف الشَّيْء إِلَيْهِ وانفسد الْأَمر عَلَيْهِ، وكلا اللَّفْظَيْنِ معرة لكَاتبه والمتلفظ بِهِ؛ إِذْ لَا مساغ لَهُ فِي كَلَام الْعَرَب وَلَا فِي مقاييس التصريف ..."، واشترطوا لصياغة (انفعل) للمطاوعة أن تكون من الثلاثي، الدال على معالجة حسية، وعلى الرغم من ذلك فقد كثر استعمال هذه الصيغة من الرباعي في كتابات العلماء، وخاصة لفظ (انضاف) فسوّغ قبوله كثرة استعماله.

- ينطرد (٣٤٠/١)، ينطبق (١٣٥/٢)
- انعلّ من العِلة (٢٨٥/٢).
- انفلّ (١٨٩/٣).
- انقلعت (١٦٧/١).
- انكفأ، اندفق (٢٥٨/٦).
- انهدم (٢٥١/٢).

مثال توضيحي: مما جاء على صيغة (انفعل) من تلك الألفاظ المولدة التي سادت في خطابات العامة، قولهم (انبسط، ينبسط، انبساط) إذا سُرّ واستأنس، وترك الاحتشام، وفي المدونة (٤٤/١) : " فوجدتُ أبا عيسى في صدر المجلس، حيث يستحقّ صاحب الديوان أن يكون وهو يأمر، وينهى، وينبسط، ويتكلّم .."، وفي (١٣٤/٣) : " كان عندنا بالبصرة، رجل من التجّار، مستور، يعرف بأبي عليّ ابن سعدان، أحد الباعة في دار البطّيخ، موسِر، يركب، وينبسط في المجالس، وفي الكلام .."، وفي (٣٣٣/٢) : " فإذا مضى نصفُ أكله، انبسط، وانطلق وجهه "، وينظر: (٣، ١٢٦، ٢٤٥/٧، ٢٦٠/٨).

ويعزو بعض الدارسين سبب هذه الظاهرة إلى كونها حلقة من حلقات التطور اللغوي في العربية الفصحى، " وقد ظلّ هذا التطور سائرا على ألسنة العامّة، وفي لهجات الخِطاب، شيئا فشيئا حتّى كادت صيغة المبني للمجهول الأصلية تندثر في كثير من اللهجات العربية الحديثة، وينوب عنها في الدلالة على الجهل بالفاعل، صيغة (انفعل) " [(١)] .

*** صيغة (استفعل):**

من المشتقات المستعملة في البيئة العربية الوسيطة، (صيغة استفعل)، والغالب على هذه الصيغة أن تكون للطلب، أو الإصابة، وما عدا ذلك يحفظ حفظًا ولا يُقاس عليه[(٢)]، وفي المدونة جاءت أفعال عديدة على هذه الصيغة بدلالات جديدة، ومن أمثلتها:

– **أستبيع:** وجاءت بمعنى طلب الشراء (أشتري)، وفي المدونة (٢٧٩/٥) : " أحببتُ أن أستبيع من غناء بغداد شيئا ..".

(١) رمضان عبد التواب، (تفسير الشّواذ في العربيّة)، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٥٠، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م، ص٤٥.

(٢) ينظر: ابن يعيش، شرح التصريف الملوكي، ص٨٤.

– **استجعل**: وهو طلب الجُعل، وهو الأجر في إتمام معاملة، وفي المدونة (٧٦/١) : " اجلس للناس، وخذ رقاعهم، للحوائج الكبار، واستجعل عليها ..".

– **استدعى عليه**، رفع ضده دعوى، بمعنى ادّعى، وربما تكون مقلوب كلمة (استعدى عليه) من العدوى، وهي طلب الحضور الإلزامي أمام القاضي، وهي كلمة مولّدة شاعت في البيئة العبّاسية، وفي المدونة (٢١٨/١، ٢١٩) : " فاستعديتُ عليه إلى القاضي أبي القاسم عليّ بن محمد التنوخيّ، فكتب لي عدوى إلى صاحب المعونة ..."، ومقلوبها (استدعى)، وفي المدونة (١١/٣) : " فاستدعى الشيخ عليه ألف دينار دينا ..".

– **استمدّ**: أخذ من مداد القلم، مشتق من المداد، وفي المدونة (٢٥٤/٣) : " ففتح الدواة، واستمدّ منها بيده، ونقطها على الصّفرة ".

ومثل هذه الأفعال: استحجب، يستحجبه (يتّخذه حاجبا) (٣٢/٤)، استسقى: أصابه الاستسقاء، وهو مرض معوي (١٦١/٣، ١٦٣) ، استشرح (طلب منه الشرح والتوضيح) (٢٦٧/٢)، استقضى (كلّف بالقضاء) في مواضع كثيرة، منها: (١٥٦/٤، ٢٠٠، ١٧٧/٥، ١٩٣، ٢٠٥، ١٥٤/٦، ٣٢/٧) ، استهديت (من الهدية) (٣٩/٣).

واستعمل مصدر استرشى (الاسترشاء)، في الدلالة على أخذ الرشوة، وفي المدونة (١٤٢/٤) : " وكان قبيحَ الذّكر فيما يتولّاه من الأعمال، منسوبًا إلى الاسترشاء في الأحكام، والعمل فيها بما لا يجوز ..".

* **صيغة (فَعلوت)**:

وردت في المدونة ألفاظ على صيغة (فعلوت) مثل: ناسوت، لاهوت، ملكوت.. (١/ ١٧٣، ٢٦٩/٤، ٢٧٠)، ورغم محافظة البنية الصرفية في العربية القديمة، فقد عرفت فيها ظاهرة اقتراض اللواحق الأعجمية، ومثالها: زيادة (أوت) للدلالة على المبالغة ، لكنها أصبحت من صلب العربية [(١)]، ويظهر أنّها مصطلحات دينية نصرانية، وهذه الصيغة إحدى آثار الساميات في العربية،" من ذلك أنّ العبرانيين من قواعد لغتهم صياغة المصدر على وزن فعلوت، مثل: رحموت، جبروت، ملكوت، .." [(٢)].

---

(١) ينظر: ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص٢٨.

(٢) المغربي، عبد القادر، بحث بعنوان (أثر اللغات السامية في اللغة العربية)، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٥٩/٨، ١٩٥٥م.

* **صيغة (فاعول):**

ناطور: (٣٣١/١) وهو حارس البستان، من نظر، وقد أبدلت الظاء طاء في كلام أهل السواد من النّبط[1].

ومثلها: (ناووس) جمعه نواويس، مقابر النصارى، وهو بناء من حجارة (٥/ ٢٥٢) (الحادور) وهو من أنواع الأدوية المسهلة (٣/١) ، خافور (الأرز قبل أن يحرز) (١١٧/٨) الباكورة (أصناف الفاكهة توضع للضيوف)(١٥٥/٣)، عاثور (الحفرة التي تنصب للأسد لاصطياده) (٢١١/٧)، صابون (١٤٤/٢)، الطابوق (نوع من الآجر العريض) (١٤٥/١، ١٥٨/٤)، ومن الكلمات القديمة التي نطقت بها العرب (كافور) نوع من المسك، وبه سمّي (كافور الإخشيدي) سلطان مصر (١٨/٣، ١٧٣، ١٧٤).

ونرجّح من دراسة الألفاظ التي جاءت على صيغة (فعلوت)، أنّ معظمها ألفاظ دينية تسرّبت من العبرانية أو السامية إلى العربية، وأنّ صيغة (فاعول) تسربت من السريانية إلى العربية، وبتعبير آخر: أنّ هاتين الصيغتين (فعلوت)، و(فاعول) صيغتا مبالغة قديمة، من آثار الساميات القديمة في العربية.

ب– اشتقاق أبنية اسميّة:

* **ألفاظ مولدة عن طريق الاشتقاق:**

الكلمة	صيغتها	مأخذها/ دلالتها	ورودها في النشوار
التنخُس	تفعُل	النخاسة	٣٠٥/١
تعيير	تفعيل	العِيار: ما يوزن به في الميزان.	٣٢٧/١
متربَس	مفعلل	من التراس: وهو خشبة توضع خلف الباب لتدعمه (عامية بغدادية).	١٠٠/٧
مصهرَج	مفعلل	من الصاروج (النورة وأخلاطها).	١٢٨/٢
جمّاعة	فعّالة	كشف حساب من الجمع	١٣٧/٢

(١) ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٢٤٣/١٤.

كسّار	فعّال	بائع التمر بالتجزئة	١٦٢/٢
ركّابيون	فعّال	الحـرس أو التـابعين في الموكب/ من الركاب	١٤٠/١
الدُوّاج	فُعّال	لحاف يلبس	٢٥٨/٣
تسبيب	تفعيل	معاملة/ من السبب	٦٤/١
تأزيرة	تفعيلة	دعامة لتقوية الحائط	٦٦/١
مستغَلات	مستفعل	أراض زراعية من الغلة	٧٦/٨
صُفعان	فعلان	من الصفع/ المهرج	٢٧٣/٨
سجّادة	فعّالة	علامة السجود في الجبهة	٨١/٢
عَدوى	فعلى	الأمر بإحضار المتهم	٢١٩/١
الدَروك	فعول	علّة جلدية	٩٤/٢
الطيّار	فعّال	نوع من السفن	٢٧٣/١، ٨٣/٢
نفّاط	فعال	الرماة بالنفط	٣٤٩/١، ١٦١/٨
هرّاس	فعّال	صانع الهريسة	١٠٠/١
بقّال	فعّال	بائع المواد الغذائية	٣٢/١، ٢٨٠/٥
سَقطي	فعلي	بائع الخردوات	٦٣/٣
ناطور	فاعول	حارس البستان	٣٣١/١
الشارب	فاعل	الساقي من الشرب	٦٨/٣
فقّاعي	فعّالي	بائع عصير الشعير	١٠٥/٧
مَداس	مفعل	الحذاء من الدوس	٢٥/٥
مَمرق، ممارق	مفعل	ممرات عبور	٩٩/٧
مَطرح	مفعل	مفرش	١٥٤/٣
مَركن، مَغسل	مفعل	أوعيـة لغسـيل الأيـدي والأشياء	٢٥٣/٨
مَأصر	مفعل	محبس السفن	١٦٢/٨
النّاطف/ نطّاف	فاعل/ فعّال	نـوع مـن الحلـوى/ بـائع الحلوى	٢٧١/٣
مُطَاولات	مفاعلات	نوع من الأواني المستطيلة	٣٦٤/٢، ٢٥٣/٨

مَخروط	مفعول	أواني زجاجية	١٤٦/٤، ١٩٧
مزمّلة	مفعّلة	من التزميل، خابية	٣٧/١
مِروحة	مِفعلة	أداة يدوية للترويح	١٦٢/٢
مُربّعة	مُفعّلة	نوع من الورق	١٤/٢
حرّاقة، طرّادة	فعّالة	نوع من السفن	١٩٧/٢، ٤٣/٣
الطّابوق	فاعول	آجرة عريضة	١٤٥/١، ١٨١
المجبّر	مفعّل	من يقوم بتجبير العظام	٦/١
محرّر	مفعّل	من يقوم بتحرير الكتاب	٢٧٦/٥
مبزّر	مفعّل	من الأبازير	٣٣٣/٢
فوّارة	فعّالة	مكان ضخ المياه في البركة ونحوها	٣٠٣/١
الكرّاعة	فعّالة	المغنية على طبل صغير	١٧٤/٢

ج – اشتقاق أبنية من المقترضات

يُبذرِقنا: من البَذْرقة، وهي الخفارة [(١)]، وفي المدونة (١٧٧/٢): " وسألناه أن يُحضرنا من نكتري منه، ويُبذرقنا، ورحلنا ..".

جصّصها: من الجِص (١٨٠/١)، ومثل ذلك، **نوّره:** من النّورة، أي طلاه بالنّورة، (٩٢/٢) والجِص والنّورة من المواد المستخدمة في البناء.

يتجهبذ، الجهبذة، الجهبذ: وهو خازن المال، فارسية، والجهبذة: القيام بأعمال مجلس الحساب في ديوان بيت المال (ينظر: ٤١/١، ٧٣، ٢٢٣، ١٥٨/٤، ٢١٨/٥، ٨٦/٦، ٨٣/٨، ٣٩، ٤١، ٤٢).

رطلتها: وزنتها بيدي، من الرّطل (ينظر: ١٦٦/٢).

زرفنْتُ بابه: أقفلَه بالزرفين، وهي حلقة الباب، من الألفاظ الفارسية [(٢)] (ينظر: ٢٦٠/٥).

يُطجّن، مطجّن، الطّاجن: المقلي، من الفارسية [(٣)] (ينظر: ٨٦/٣).

تطيلستُ: لبستُ الطيلسان، وأنشد جحظة البرمكي (١١٣/٧): (الخفيف)

فكأنّي إذا تبخترتُ فيه ... قد تطيلستُ نصف بدر السّماء

---

(١) ينظر: الخفاجي، شفاء الغليل، ص٤٠.

(٢) ينظر: الخفاجي، شفاء الغليل، ص١١٥.

(٣) ينظر: الخفاجي، شفاء الغليل، ص١٤٧، وفيه: " فارسي معرّب تكلّموا به قديمًا ".

ومن الأمثلة السابقة يتّضح أنّ الوسيلة المثلى التي أدّت إلى توليد العديد من الألفاظ في البيئة العربية العبّاسية هي الاشتقاق. وأنّ هذه الألفاظ المشتقّة جاءت بصيغ متعددة، ولم تخرج هذه الصيغ عن القواعد الصرفية في نظام العربية.

ويتّضح كذلك أهمية الاشتقاق من أسماء الأعيان [1] في تكثير مواد اللغة، وإثراء لغة العلوم، وقد وردت ألفاظ عديدة مشتقة من ألفاظ الأعيان العربية والمقترضة، ومنها: أمدّ من المِد، يطرّق من الطّريق، تقاين، متقاين من القينة، نقّلني من النّقْل، ورّق من الورق، استمد من المِداد، صككتُ من الصّك، جصّص من الجص، نورّه من النوره، زرفنت من الزرفونة، أطيّنه من الطين، رطلتها من الرطل، كتّفناه الكتاف من الكتف، يتمسّى من المساء، جدي مبزّر من الأبازير ...

وهناك وسائل أخرى أدّت إلى تكثير وتنمية وتوليد الألفاظ، ومنها: المجاز، وهو وسيلة العربية المثلى في التوليد الدلالي، ويتم الحديث عنه في التوليد الدلالي.

٢- التراكيب والنّحوت:

وردت في المدونة أنواع من التراكيب والنحوت، منها:

*** التركيب الإضافي:**

وردت في المدونة تراكيب إضافية عديدة منها: مزمّلة خيازر، لب الخيازر، دار البلاط، ديوان الخراج، ديوان الأزمّة، ديوان الرسائل، مجلس الشرق، مجلس المقابلة، صاحب الدواة، صاحب البريد، صاحب خبر، حب الكحل، ورقة تنبول، معالجو الجرائح، قاضي القضاة ...

تراكيب إضافية مقتبسة:

– ومن التراكيب الإدارية الشائعة في البيئة العبّاسية، مصطلحات إدارية رسمية مبدوءة بلفظة (صاحب)، مثل: صاحب طَرف، صاحب الربع، صاحب الحرب، صاحب الخراج،

---

(١) خصّ عبد الله أمين في كتابه (الاشتقاق) موضوع الاشتقاق من أسماء الأعيان بنحو مائة صفحة، (الأسماء الجامدة العربية والمعرّبة)، وأكّد على أهميته، وكثرته في لغة العرب، يقول ص٥٣: " وقد كثر هذا الاشتقاق كثرة يمكن أن يصدق عليه من أجلها أنّه مطّرد اطّرادا كاملا .." ، ولكثرة استخدام العرب لهذا النوع من الاشتقاق، وشدة الحاجة إليه في العلوم والفنون، أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة استخدامه قياسًا عند الضّرورة ... ونص قراره بهذا الصّدد: " اشتق العرب من أسماء الأعيان كثيرًا، والمجمع يجيز هذا الاشتقاق للضرورة .."، علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص١٨٠، ثم رأى التوسع في هذه الإجازة دون تقييده بالضرورة، ينظر: مجموعة القرارات المجمعية، سنة ١٩٦٧م المؤتمر الثامن، ص١٧.

صاحب المعونة، صاحب الشرطة، صاحب الكراع، صاحب البريد (رئيس الاستخبارات العامة)، صاحب خبر السّر، صاحب خبر، صاحب ديوان الرسائل، صاحب الضمان، ضامن واسط، صاحب الدواة، صاحب بيت المال ... ويرى بعض اللغويين المحدثين أنها تراكيب إدارية فارسية انتقلت إلى العربية [(١)]، ومنها لقب:

قاضي القُضاة (١١٤/١، ٢٠٨، ٢٤٧، ٣٢٠/٢، ١٤٤/٣ ..) : منصب قضائي رفيع، يرأس فيه صاحبه سائر القضاة، وعادة يستشيره الخليفة في تعيين القضاة وعزلهم، وإليه يوكل ديوان القضاء، ويكون مرافقا للخليفة في حاضرة الخلافة، وظهر هذا اللقب في العصر العبّاسي، حين استحدثت الدواوين، وكثرة تفريعات الحكم، وهو تركيب إضافي استعاره العبّاسيون من أنظمة الحكم الفارسية، وفي لسان الفُرس:(موبذان موبذ)، وترجمته: قاضي القضاة[(٢)].

*** التركيب الإسنادي:**

ومن التراكيب الإسنادية في المدونة:

اللذة البهيمية (٩/١)، المجلس العامي (٣٥/١)، الحرارة الغريزية (٢٧٣/٧)، الحاجب الأجل (حاجب الحجّاب) (٢٤٥/٣)، الوجه الأمسي (٢٥٦/١)، المائدة الأمسيّة (١٧٦/٢)، جامة بجاذي (٣٩/١)، النور الشعشعاني (مصطلح صوفي) (١٦٩/١) ..

وبعض هذه التراكيب الإسنادية نشأت تسميتها نسبة إلى الشخص، أو البيئة، مثل: البطيخ العبدلاوي (نسبة إلى أحد تجّار البطيخ عبد الله بن أبي عوف) [(٣)]، والبطيخ الرّقي (نسبة إلى الرّقة، وهي الأرض الخصبة التي تغطّيها المياه، ثم تنحسر عنها) (١١٦/٢).

*** المَعجَمَة:**

ومن أنواع التركيب ما يُطلق عليه عند بعض الألسنيين المعاصرين (المعجَمَة) وهي توليد وحدة معجمية جديدة من تعبير أو جملة [(٤)] وهو نادر في التراث العربي، وتوجد له أمثلة محدودة في المدونة، منها:

---

(١) ينظر: زيدان، جرجي، اللغة العربية كائن حي، ص٥٢.

(٢) ينظر: الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص١٣، وفيه: " ويقال إن سابور ذا الأكتاف، لما مات موبذان موبذ، وصف له رجل من كورة إصطخر، يصلح لقضاء القضاة في العلم والتأله والأمانة ..".

(٣) ونسبه آخرون إلى الأمير عبد الله بن طاهر (٢٢٨ أو ٢٣٠هـ) كان أميرا في عهد المأمون، ولعله نسب إليه لأنه كان يستطيبه، أو أنه أول من زرعه هناك، فقيل: العبدلاوي، ينظر: وفيات الأعيان، ٨٨/٣.

(٤) تحدثنا عن أنواع التركيب والنحت والمعجمة في الدراسة النظرية المتعلقة بمظاهر التوليد الصرفي، وينظر: ابن مراد في كتابيه مقدمة لنظرية المعجم، ص١٥٥، مسائل في المعجم، ص٤٨.

استرجع: قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون (٢٢/٣).
تشهّد: نطق الشهادتين (١٦٥/٣).
يولول: يقول: ويلي ويلي (١٥٧/٤).
برّك له: قال: بارك الله لك .. (١٥٨/٦).
أعضّه: قال له: يا عاض بظر أمّه (٧٨/٨).

ويدخل في هذا الباب التراكيب المزجية والمنحوتة والمختزلة، كقولهم: (أيش)، وهو اختصار للتركيب الاستفهامي (أيّ شيء هذا ؟)، وهذا التركيب متداول على ألسنة العامة كثيرا، وسجّل حضوره في اللغة المكتوبة، وقد ورد في مواضع عديدة من المدونة، ينظر على سبيل المثال: (١٨٠/١، ١٩٨، ١٢٩/٢، ٦٥/٣، ٢١١/٥).

ومن التراكيب المزجيّة: الماورد: مركبة (ماء الورد) ينظر: (٥٩/٣)، وهناك تراكيب معقّدة مركّبة من عدة كلمات، مثل: (سرّ من رأى) مسمّى لبلدة.

٣-القلب المكاني:

يُعد القلب المكاني أحد مظاهر التطور والتوليد اللغوي، وهو ظاهرة لغوية صرفية وصوتية في آن واحد، وقد جاء نتيجة التفاعل الصّوتي بين أصوات الكلمة الواحدة، وهو – أيضا – وسيلة من الوسائل المهمة في إثراء اللغة بإعادة تشكيل الألفاظ المباني دون المعاني.

والظاهرة في مجملها ثمرة من ثمار الميل إلى السهولة، والتيسير في الجهد [(١)]. ومن أمثلتها في مدونة التنوخي:

مأيوس: مقلوب ميئوس. ومثلها: يأيس: مقلوب ييأس، إياس، أيسنا : مقلوب يئسنا (ينظر: ١٦/١، ١٥٣/٢، ٤٥/٨، ١٠٠/٣). فهذه الكلمات الواردة في المدونة صور فرعية عن الصورة الأصلية (يئس) ومشتقاتها: ميئوس، يئسنا، ييأس ... وأدرجت الصورتان الفرعية والأصلية تحت المستوى المعياري الفصيح، والذي شفع للصيغ الفرعية في عدها ضمن الفصيح هو استعمالها في اللغة المكتوبة، ونطقها من قبل الفصحاء الذين يعتد بلغتهم.

جوذاب (٢١٧/١) : وهو طعام مكون من أرز وبندق وبعض المنكهات، يوضع عليها أوز أو جدي مشوي، وهي مقلوب كلمة (ذوباج) الفارسية [(٢)]، اضطرّ الشاعر إلى قلبها إلى (جوذاب) في الشعر، فقال في طفيلي: (الرجز)

مطفّلٌ أطفلُ من ذباب ... على طعامٍ وعلى شرابِ وفيه:
له انقضاضُ سَورةِ العُقاب ... على القلايا وعلى الجُوذابِ

(١) ينظر: الأقطش، مقالة: (القلب المكاني بين الأصوات الصحاح في بنية الكلمة العربية)، ص٢٢٣.
(٢) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٣٣٢/٢.

فالشاعر أبو إسحاق بن حجر الأنطاكي، الملقّب بأبي الفضائل، اضطرّ إلى هذا القلب المكاني، " والأمر الذي لا جدال فيه في لغة الشّعر، أنّ جميع الضرائر الشعرية تدخل في ميدان الاشتقاق " [1]، والمفاضلة بين اللفظ والمعنى هي التي جعلت الشاعر يفضّل الاستئناس باللفظة المخالفة للقياس، واللجوء إلى الضّرورة حرصا على المعنى، ومطابقته لمقتضى الحال، ومن المقرر في تأصيل الكلمات الأعجمية أنّه ليس من السهولة بمكان معرفة الصورة الأصلية من الفرعية في الألفاظ الأعجمية التي تسربت إلى لغة العرب وأشعارهم في هذه الفترة الوسيطة من تاريخ العربية.

ميشوم: مقلوب مشئوم، من الشؤم (ينظر: ١٧٩/١، ٢٥٧/٥، ٢٦٢، ١٨٨/٧)، والذي حدث في هذه الكلمة أن أبدلت الهمزة ياء، وقلبت في ترتيبها على أيدي مستعملي اللغة في هذه الفترة، واستعملت في لغة الكتابة، والذي سوّغ استعمالها على هذه الصورة هو الميل إلى السهولة، والاقتصاد في الجهد في تسهيل الهمزة، وإبدالها ياءً خفيفة في أثناء النطق بالكلمة؛ لكثرة دورانها على ألسنة الناس في لغتهم الدارجة.

وهذه الأمثلة تدخل ضمن المقلوب الصرفي الذي يختص بالألفاظ، وهو يُمثّل شكلا من أشكال التطور اللغوي في الألفاظ دون المعاني، ويكون نتيجة تطور نشأ بداية عن المخاطبات الكلامية العجلى بين الناس، وهي ثمرة من ثمار الميل إلى السهولة، أو الضرورة في الشعر، وأحيانا تخرج هذه الألفاظ من المعيارية الكلامية وتدرج في خانة الخطأ والانحراف في اللفظ[2].

٤-الألفاظ المرتجلة:

تصادفنا في مدونة التنوخي ألفاظٌ يمكن عدّها من قبيل الارتجال العفوي الذي يسري على ألسنة العامّة بقصد الإغراب، أو الهزل، أو التعمية والغموض، أو التورية والإبهام .. وأغلبها يختفي بمجرد ظهوره، ومن أمثلة ذلك:

- **تسمية النّعال على سبيل الهزل:** رأسكية، قفوية، صلعكية ... وفي المدونة (١٩٩/٢) : " رأيتُ حذّاء ماجنًا بباب الطاق، يعرف بالمدلق، ويلقّب بالقاضي، يسمّي النعال، بأسماء من جنس الصفعة، على سبيل الهزل. فيقول لمن يخاطبه: هذه صَلْعكية، وهذه رأسكية، وهذه قفوية ".

---

(١) طنطاوي، ظاهرة الاشتقاق، ص٣١٨.

(٢) ينظر: الأقطش، بحوث لغوية، موضوع (القلب المكاني بين الأصوات الصحاح في بنية الكلمة العربية)، ص٢٣١.

- **المخنكِرون**: وهم المُجّان، أو المبهرجون المتخالعون، وربما استحدثت هذه الكلمة بطريق الارتجال، وفي المدونة (١٩٦/٢) : " وقال لنا: نحن بالغداة في صورة العلماء، وبالعَشِي في صورة المخنكرين " [(١)].

وقد تُرتجل الكلمة على سبيل الإغراب أو حب الظهور، أو السؤال الهزلي، وقد تكون الكلمة مصحّفة، وتظهر عند علماء اللغة والمتعالمين وطلبة العلم، ومن أمثلتها في المدونة:

- **الهرنطق، الخوج** (٤/ ٢٢٦، ٢٢٧) : والهرنطق مقلوب (القنطرة)، وجيء بها على سبيل التصحيف والهزل، وفي المدونة مما يروى في ترجمة أبي عمر (غلام ثعلب) (٢٢٦/٤) : " أخبرنا بعض أهل بغداد، قال: كنّا نجتاز على قنطرة الصّراة، نمضي إليه، مع جماعة، فتذاكروا كذبه، فقال بعضهم: أنا أصحّف له القنطرة، وأسأله عنها. فلما صرنا بين يديه، قال له: أيها الشيخ ما الهرنطق عند العرب؟ فقال: كذا، وذكر شيئا قد أنسيته أنا. قال: فتضاحكنا، وأتممنا المجلس، وانصرفنا. فلمّا كان بعد أشهر، ذكرنا الحديث، فوضعنا رجلا غير ذلك، فسأله، وقال: ما الهرنطق؟ فقال: أليس قد سئلت عن هذه المسألة منذ كذا وكذا شهرا، فقلت هي كذا؟. قال: فما درينا من أيّ الأمرين نعجب، من ذكائه، إن كان علما فهو اتّساع ظريف، وإن كان كذبا في الحال، ثم قد حفظه، فلمّا سئل عنه ذكر الوقت والمسألة، فأجاب بذلك الجواب، فهو أظرف ...".

وكذلك أدخلوا لفظة (الخوج) في كلام العرب، وفي نفس القصّة (٢٢٧/٤) : " وكان معزّ الدولة، قد قلّد شرطة بغداد، مملوكا تركيا يعرف بخواجا. فبلغ أبا عمر الخبر، وكان يملي الياقوتة، فلما جاءوه، قال: اكتبوا ياقوتة خواجا، الخواج في اللغة: الجوع، ثم فرّع على هذا بابا، فأملاه، فاستعظم الناس ذلك، وتتبّعوه. فقال أبو علي الحاتمي: أخرجنا في أمالي الحامض، عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، الخواج: الجوع ".

- وقد تختصر عبارات أو كُنى على سبيل الغرابة والتندّر، فيكنى الشخص بكنية غريبة، أو يلقّب بلقب مختزل، وهو ما يمكن تسميته: (التوليد بالاختصار)، ومثاله في المدونة

---

(١) جاء في تكملة المعاجم العربية، دوزي، ٢٢٧/٤: " خنكر: سحر، فتن، أبهج، وتخنكر به: افتتن به، ابتهج به، سحر به، سُر به، وخنكار: سلطان العثمانيين ..".

(٩٥/١) : (البُنص)، لقب أبو نصر البنّص ممن تقلّد الحكم في عدة نواح بالشام زمن سيف الدولة، " قيل له يوما بحضرة سيف الدولة، لم لُقبّت بالبُنص؟ قال: ما هذا لقب، إنّما هو اشتقاقٌ من كنيتي، كما أننا لو أردنا أن نشتق من أبي علي مثل هذا، وأومأ إلى ابن البازيار، لقلنا: (البِعْيل)، ولو اشتققنا من أبي الحسن مثل هذا، وأومأ إلى سيف الدولة، لقلنا: (ألبحِس)، فضحك منه، ولم يُنكر عليه " [(١)].

ولعلّهم كانوا يقصدون الإغراب والشهرة وحب التّميّز من التسمية بهذه الكُنى والألقاب الغريبة، وقد سُئل أحدهم – كما في المدونة (١٤٦/٣) – وقد كنّى نفسه بأبي البيان عن سبب هذه الكُنية، فأجاب بأنّ من فضائلها أن لا يشركه فيها أحد، وأنّه يُشتهر بها بين النّاس، وأن تُسقط عنه التلقيب، وأن يشتغل الناس بها، عمّا سوى ذلك من عيوبه .

وقد يغيّرون أو يصحّفون في الكلمة إذا كانت غير مستحسنة بقصد التعمية والتورية، ومن ذلك ما حكى التنوخي في ترجمة أحد القضاة – وكانت له أحاديث قبيحة – (٢٤/٤): " وقيل إن الناس سلّموا عليه (بالقبا) إيماء إلى البغاء .." [(٢)].

وقد يحدث للفظة تحريف على الألسنة، فتتولد كلمة جديدة جراء هذا التحريف، أو اللحن، من ذلك ما رُوي عن البربهاري – أحد رواة الحديث ورئيس الحنابلة في عصره – من أنّه " رأى عينًا هائجة، فقال: لو استعمل لها الخضرط، عوفيت. فقيل له : ليس هو الخضرط، فقال: نعم، غلطت، هو الخضخض، فسكتوا عنه، وإنما أراد الحضض "، والحضض: دواء العين، وقد تولّدت جرّاء هذا التحريف كلمتان هما (الخضرط، والخضخض).

فإذا ما انتشرت الكلمات الناشئة من التحريف، أو التورية، أو الهزل أو حب التميّز، في الاستعمال على ألسنة الناس أضيفت هذه الكلمات المرتجلة إلى معجم اللغة، وأصبح لها حضورها، وإذا انزوت وانكمشت تعرّضت لما تتعرض له العديد من الألفاظ للبلى في الاستعمال والهجر ويؤدي في النهاية إلى موتها، " ومثل هذه الكلمات المرتجلة تفنى بفناء أصحابها، أو بتغير الظروف التي أوحت بها دون أن تخلّف أثرا باقيا في اللغة، بل دون أن

---

(١) وهذا يشبه ما يسمى الآن في التوليد اللغوي الحديث بالمختصر الرمزي، أو النحوت المختصرة، فتُختزل عدة كلمات في كلمة واحدة بأخذ الحرف الأول من كل كلمة وتجميعها في كلمة واحدة، مثل (اليونسكو)، (اليونسيف) وغيرها..

(٢) يقول محقق النشوار في غموض هذه الكلمة: " كذا في الأصل، ولم أفهم لها معنى، ولعلّ الصحيح (بالبقاء)، أي بالدعاء للقاضي بالبقاء، إيماء إلى الكلمة القريبة منها، وهي البغاء " ينظر: هامش النشوار، ٢٤/٤.

تكتسب صفة الشيوع في منطقة متسعة في بيئة اللغة، ولندرة تلك الكلمات المرتجلة في اللغات الأخرى، وضعف أثرها في تلك اللغات، يرى معظم الباحثين المحدثين أنّ الارتجال أتفه طرق الوضع اللغوي.." [(١)]، وكان موقف مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن رفضه رفضًا صريحا في قراره الخاص بالمولّد [(٢)].

٥-التوليد بالإتباع:

من طرق توليد ألفاظ المعاني (التوليد بالإتباع)، وهو عملية كلاميّة بها تكرار يحاكي العبارة المسموعة نغمًا لا دلالة. وله أمثلته العديدة في التراث العربي، مثل: (عطشان نطشان) ، (حيص بيص) [(٣)]، وعادة ما تتبع اللفظة الثانية دلالة الأولى، ويسمى هذا النوع إتباع الإيقاع، وهناك نوع من الإتباع، يقوم على وجود مركّب متضام من دالّين، لكل واحد منهما دلالة مستقلّة في المعنى، وهو إتباع المزاوجة، ومن أمثلته في التراث العربي، قولهم: " لا في العير ولا في النفير "، ومنه في المدونة من مراسلات العوام (١٨٨/٧): " وما أبالي معك بولد ولا تلد ولا أحد " [(٤)]. والغرض من مثل هذه التراكيب تأكيد الكلمة الأولى عن طريق المجانسة الصوتية، مع مخالفة في بعض الحروف، وتقوية المعاني بمترادفات يكون النّغم فيها أمرا عذبا، يحرّك العواطف، على نحو ما يُلحظ من أثر الانفعالات في سماع النثر الخطابي [(٥)].

---

(١) أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ص٩٠، وينظر: مقالته (الارتجال في ألفاظ اللغة)، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٣٠٦/٨.

(٢) ينظر: شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية في خمسين عاما، محاضر الجلسات (الفصل الثالث)، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص٦٠، ومجموعة القرارات العلمية، جلسة ٢٤، ص١٢.

(٣) ذكر علماء العربية القدامى أثر الإتباع في تأكيد الكلام، وتقوية المعنى، فعن ثعلب عَنِ ابن الأعرابي قَالَ: قلتُ لأبي المكارِم ما قَولُكُم: جائعٌ نائعٌ، قَالَ: إنما هُوَ شيء نَتِدُ بِهِ كَلامَنا .." وقد رويت هذه الرواية بعدة صيغ، ينظر: أبو الطيب اللغوي، الإتباع، ت: عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠هـ، ١٩٦١م، ص٢، ابن فارس، الإتباع والمزاوجة، ت: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٢٨، السيوطي في المزهر، ٣٢٤/١، الخطّابي، غريب الحديث، ت: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، مركز إحياء التُّراث الإسلامي، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م،٤٢٠/١.

(٤) يقول محقق النشوار: ما زالت هذه الجملة مستعملة في بغداد، يقال: ما عندي ولد ولا تلد .. ينظر: هامش النشوار، ١٨٨/٧.

(٥) ينظر: الأقطش، بحوث لغوية، بحث (إتباع الإيقاع في اللغة العربية)، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، م١٢، ع٢، ١٩٩٤م، ص١٤٩.

٦-التوليد باللواحق الزائدة في التصغير والنسب:

١- زيادة الواو والنون في آخر اللفظ في التصغير:

وهي من أبرز مظاهر التوليد في اللواحق الصّرفية، وقد أشار إلى هذه الظاهرة بعض قدامى النّحاة، فعند الأشموني: " أنّ حمدون وشبهه من الأعلام لا يوجد في استعمال عربي مجبول على العربية، بل في استعمال عجمي حقيقة أو حكما، فألحق بما منع صرفه للتعريف والعجمة المحضة .." [(١)]، ويرى بعض الباحثين المجمعيين أنّ هذه الزيادة في التصغير تسرّبت إلى العربية كأثر من آثار اللغات السامية، وأنّ هذه الزيادة في التصغير تسير على وفق قواعد لغة العبرانيين " هذا في الأصل، ثمّ إنّ العرب في استعمالهم لهذه الصيغة عادوا فتناسوا معنى التصغير المستفاد من هذه الزيادة " [(٢)]، ثم أصبحت سِمة من سمات أسماء الأعلام في الأندلس والمغرب العربي، يتسمون بزيدون وحمدون وفتحون ورحمون وحسّون وحفصون، وفي المدونة أسماء جاءت من هذا القبيل: عيشونة (تصغير عيشة) (١٩٨/٢)، حمدون (٢٦٥/١، ٢٦٨)، عبدون (٢٠١/٦، ٧٨/٨)، شمعون (٩٤/٢، ٢٧١/٤)، وتعليل هذه التسمية " قد يرجع إلى إرادة التفخيم بصيغة كصيغة الجمع، أو هو مطل، أي في الإعراب مع التنوين " [(٣)].

٢- لواحق أخرى في النّسب:

– زيادة الألف والنون قبل ياء النّسب المشددة:

وتفيد زيادة المبالغة فيما نسب إليه، مع زيادة النسبة، أو تُلحظ كحبيرة صوتية، تسهّل نطق المقطع، وتكون عادة في البنية المنتهية بمقطع مزدوج الإغلاق من نمط (ص ح ص ص)، أو بمقطع مديد من نمط (ص ح ح ص)، ويُقصد منها إثبات علاقة

---

(١) شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ١٦١/٣.

(٢) المغربي، عبد القادر، بحث بعنوان: (أثر اللغات السامية في اللغة العربية)، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٥٩/٨، ١٩٥٥م، وينظر: عبد المنعم عبد العال، معجم الألفاظ العامية، مكتبة دار الفكر، طرابلس، ليبيا، ط٢، (التصغير)، ص٩٨.

(٣) عبد السلام محمد هارون، بحث بعنوان : (كُنّاشة النّوادر)، مجلة اللغة العربية بالقاهرة، ٦٤/٣٤، سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

اجتماعية بين المنسوب والمنسوب إليه حسب، ولا تختص بالعربية، وهي أثر سامي على كل حال[1]، وفي المدونة ألفاظ عديدة جاءت على هذا النمط، مثل: الربّاني (١٤٤/٣)، النور الشعشعاني (١٦٩/١)، ومثلها: خَلِقاني: نسبة إلى بيع الثياب الخلِقة (١٧٨/٤)، باقلاني (٢٠٤/٢)، صيدلاني (٢٠١/٨)، الفرّاني (خبز ثخين مستدير) (٢٨٠/٢).

– النسبة إلى الجمع:

من المقرر في القواعد المعيارية ألا يُنسب إلى المثنى أو المجموع إلا بتحويله إلى المفرد، أو غلب على جماعة معينة بهذا الاسم، أو سُمي به مفرد، وقد شاعت عند المولدين النسبة إلى الجمع في ألفاظ الصناعات[2]، وفي المدونة ألفاظ عديدة جاءت على هذه الشاكلة، ومنها: قمائحي " معالجي الجرائح والقمائحيين " (٦/١)، أنماطي (نسبة إلى صناعة الأنماط، وهي الفُرُش والطّنافس) (٣١١/١)، المزابلي (نسبة إلى المزابل) (٣٤٩/٢)، الصناديقي (نسبة إلى بيع الصناديق) (١٠٥/٢)، التواريخي (نسبة إلى جمع التواريخ) (٤٩/٨). الكُتُبي وجمعه (الكُتُبيين: نسبة إلى تدوين الكتب والرسائل) (٢٧٦/٥).

وإنّما عمّت هذه النسبة من جهة أنّ الأسماء المجموعة صارت تُفهم كوحدة واحدة، بمفهوم المفرد، أو على معنى الجمع فيها..

– ياء التنكير الملحقة باللفظ المقترض:

وهي ياء شبيهة بياء النسب العربية، وتلحق آخر الألفاظ المقترضة الدالة على المهن والصنائع، مثل: رهداري (البائع المتجول) (٦١/١، ١٦١/٢، ١٦٦)، الروز جاري (العامل بالمياومة) (١٥٨/٤)، شاكري (الجندي المرافق) (١٨١/١، ٢٥٩/٣، ٢٦١/٨).. والياء التي بآخر هذه الألفاظ هي ياء التنكير في الفارسية، فلمّا استعملها المولّدون أبقوها في آخر هذه الألفاظ، وهي زيادة العجم لا نسبة، كانوا يلحقونها بنسب أصحاب الصناعات[3] .

---

(١) ينظر: المغربي، عبد القادر، بحث بعنوان (أثر اللغات السامية في اللغة العربية)، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج ٨، ١٩٥٥م، ص١٥٩، وهذا النسب سماعي، اقتصر على ألفاظ محدودة، كما في درة الغواص،أخطاء النسب، ص٣٤٥، وعزاه جرجي زيدان إلى أنّه أثر من آثار اللغات الآرية ... ينظر: اللغة العربية كائن حي، ص٥٢.

(٢) ينظر: تيمور، أحمد، مجلة مجمع اللغة العربية، بحث (تفسير الألفاظ العباسية)، م٢، ج١٠، صفر ١٣٤١هـ، ص٢٨٩.

(٣) ينظر: تيمور، أحمد، مجلة مجمع اللغة العربية، بحث (تفسير الألفاظ العباسية)، م٢، ج١١، صفر ١٣٤١هـ، ص٣٢٨.

– لاحقة (چي) التركية:

قد تلحق لاحقة (چي) في النسبة، وهي لاحقة نسب تركية لا علاقة للعربية بها، وإنما تلحق بعض الألفاظ أو المهن، والحرفيات اليدوية، وفي التركية تعد هذه اللاحقة موضع دونية اجتماعية، في مقام السخرية، أو الذم غالبا، ومثالها في المدونة: الأبزاعجي (٢٢٠/٣)، وفيه ما يدل على نسبة اللفظة إلى التركية " أنّ الأبزاعجيّ، إنّما لُقّب بذلك؛ لأنّه كان يخدم قائدا من غلمان الموفّق، تركيًا ..".

– لاحقة (آن) الفارسية:

وتلحق أواخر أسماء البلدان والأمكنة، ومن أمثلتها في المدونة: (عبّادان) [(١)] (١١٩/٧)، وهي مكوّنة من لفظ: عبّاد (اسم علم) + آن (لاحقة فارسية)، وهي من آثار الفارسية الواضحة في العربية.

– المصادر الصناعية:

وهذه الصيغة من توابع النسب، إذ تلحق ياء النسب المشددة مع التاء في آخرها، وقد دعت الحاجة في العربية الوسيطة إلى صوغ الكلمات على صيغة المصدر الصناعي بكثرة لتستوعب مستجدات دلالية في مصطلحات الحياة العامة والخاصة، وأسهمت هذه الصيغة في رفد العربية بالعديد من الألفاظ والمصطلحات [(٢)]:

---

(١) نسبة إلى عبّاد بن الحصين، أحد رجال بني أمية، وزيادة الألف والنون في النسبة للبلدة والمكان مما اشتهر به أهل البصرة لمتاخمتهم الفرس، وامتزاجهم بشعوبها، يقولون: (زيادان) نسبة إلى زياد بن أبيه، و (أسلُمان) و (بلالان) ..وفي ذلك يقول الحموي: " وأما إلحاق الألف والنون فهو لغة مستعملة في البصرة ونواحيها، إنهم إذا سمّوا موضعا أو نسبوه إلى رجل أو صفة يزيدون في آخره ألفا ونونا كقولهم في قرية عندهم منسوبة إلى زياد ابن أبيه زيادان وأخرى إلى عبد الله عبد الليان وأخرى إلى بلال بن أبي بردة بلالان، .... وكأنها من نسب الفرس لأن أكثر أهل تلك القرى فرس إلى هذه الغاية " ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٨٩/١، ٧٤/٤.

(٢) لم يستخدم العرب هذا المصدر إلا في بضع عشرات من الكلمات، وتوسّع فيه من بعدهم الفلاسفة والعلماء وأرباب اللغة، ولشدّة الحاجة إلى هذا المصدر في التعبير عن كثير من حقائق الفلسفة والعلوم والفنون، رأى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أن يكون قياسيًا، ونص قراره: " إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء .."، ينظر: مجمع اللغة العربية، مجموعة القرارات العلمية، في خمسين عاما، إخراج: محمد شوقي أمين، إبراهيم الترزي، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، الجلسة (٣٢) من الدورة الأولى، ص١٠٧، وعلي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص١٨٠.

كأسماء الفرق والمذاهب: الصوفيّة، الحلاّجيّة، الإماميّة ..

وألفاظ الأجناس والمناطق: الديلمية، الساجيّة (مجموعة من حرس القصور، منسوبة إلى أبي الساج)، الجيوش السيفية (نسبة لسيف الدولة الحمداني) (٢٢٦/١)، البلدية (٢٥٩/١، ٢٠٣/٨)، خليفية (٣١٠/١)، السلطانية، الأمسية، النبطيّة (٢٣٠/٢، ٨/ ٤٨، ٦٦)، عفطية اللسان (٢٣٠/٢)، العلويّة، الخرسانية، المسجدية (٢٣٣/٥)، الهندية، الحربية (منطقة ببغداد) (٦١/٨)، السّجزية (نسبة إلى سجستان) (١٢٠/٨)، الحُجَرية (نسبة إلى حُجر الخلافة) (٤٨/٥، ١٨٢/٨)، الخُرمية، الركابيّة ..

والأدوات والوسائل: جسرية (مواد بناء) (١٦٧/١)، سمّارية (من أنواع السفن)، خيطيّة (من أنواع السفن)، العمّارية (من مراكب الأسفار) (٢١/٢، ٧١/٣)، طيفورية (من الأواني وعاء) (١٦٥/٧)..

وأصناف الناس والمهن: اللصوصيّة، الخيّاطيّة (٧٧/١)، الشرّابية، العصبية، الجبرية (التجبر والكبرياء) (١٣/٢، ١٦٥/٨)، الرفاهية (١٥٥/٧)، الأفيلة الحربية، الأهلية (٢٠٥/٨)..

وبعض أنواع الأطعمة: حصرميّة (٢٠٧/٦)، كرنبيّة (١٦٥/٧)..

مثال: وردت في المدونة (٢١٢/٨) لفظة (الإنسانية) بمعنى النزعة والأخلاق الإنسانية، وفي السياق: " فمشيتُ معه، وتبعته، طمعًا في أن تحمله الإنسانيّة، والمؤانسة على العرض ..".

٧-التوليد في صيغ الجمع:

من الصعب بمكان حصر جميع ألفاظ الجموع وتحليل المولّد منها، وما استخدم منها في دلالة معيّنة في عصر القاضي التنوخي (في القرن الرابع الهجري)، ومن ثمّ كان ترك القياس والاحتكام إلى السماع كثيرا شائعا جدا في أبنية جموع التكسير، " وأكثر الجموع سماعي، لكن منها ما يغلب فيذكر الغالب ليحمل عليه ما لم يُسمع جمعه " [(١)].

ويعتمد شيوعها على الاستعمال اللغوي، وسلطان العُرف اللغوي على أقلام الكاتبين وألسن المتحدثين، " والاستعمال اللغوي غير القاعدة، فإذا كانت القاعدة في جموع التكسير

(١) المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ت: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م، ٣/ ١٣٩٦.

تعمَّم، فإن الاستعمال يخصّص، وإذا كانت القاعدة تُطلق، فإن الاستعمال يقيّد تبعا لتوجه الدلالة ومقاصدها، وليس من اليسير تتبع دواعي العُرف اللغوي، ورصد أسبابه التي تُؤثر جمعا على جمع، أو تُقصر جمعا على دلالة، وجمعا آخر على دلالة أخرى " [1].

وعودٌ إلى مدونة القاضي التنوخي، حيث أكثر القاضي التنوخي في مقدمته من استعمال الألفاظ الدالة على الجمع، في ذكر فئات وطوائف الناس، وأصناف الأشياء، وهذا يؤكد أهمية صيغ الجمع في سبك الألفاظ في الدلالات الخاصة والعامة، وحسبنا أن نشير إشارات عابرة قد تقف على نماذج وأمثلة على بعض الظواهر المتعلّقة بالجمع، أو بعض ألفاظ الجمع الواردة في المدونة، ومنها:

– بعض ألفاظ الجمع استخدم استخداما خاصا للدلالة على فئة خاصة من النّاس، مثل: المحصّلين، المخرّفين، المحادثين، المتكلّمين، العروضيين، الكتبيين، الغمّازين، المتخبرين، الشّراب، المعاقرين، المطوّعة، الفَعلة، الصّناع، العلاّفة، شاكرية، ركابية ...

– كثرة الألفاظ التي استخدمت فيها لاحقة جمع المؤنث السالم كعلامة للجمع، في أنواع المعاملات الخاصة، مثل: تسبيبات، توقيعات، مستغلاّت، مكاتبات، تزويرات، خراجات، رياسات، حسبانات، إخلافات، الإملاكات، محالات ..

– وفي دْرج كلام العامة والكُتاب، شاع في اللغة المولدة أو العربية الوسيطة استخدام ألفاظ تنتهي بهذه اللاحقة، وفي المدونة: ابتداءات، قَدمات (جمع قدوم) (٢٢٢/١)، حجّات (جمع حجة) (١٩٨/٣)، الاتفاقات، الانقلابات .. الجهالات، مَضافات (جمع مضافة) (٢٤/٤)، متصيدات (أماكن الصيد) (٣٣١/١، ٢٦٠/٣).

– وقد تحرّف الصيغة نتيجة شيوع الكلمة على ألسنة العامة، فيميلون إلى تغيير حركة الجمع، أو إشباع الكلمة، فمن الصيغ المولّدة على ألسنة العامة نتيجة التحريف لفظة: (جِداد) (٩٩/٤) [2] جمع جديد، فهي محرّفة عن (جُدد)، وهي من صيغ الجمع الشائعة في العاميات، فاللهجات العامية كثيرا ما تستأنس بصيغة (فِعال) في الجمع، ودونما نظر إلى

---

(١) ينظر: محمود الطناحي، في بحث بعنوان: (جمع التكسير والعرف اللغوي)، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة،٧١/ ١٣٩.

(٢) يقول محقق النّشوار: (جداد) بمعنى جدد، تعبير بغدادي لم يزل شائعا .. ينظر هامش: ٩٩/٤.

مسألة القياس الصّرفي بين المفرد والجمع، وقد تجتلب ألف وصل قبله عند النطق به، على قياس (افعال).

– وفي العربية ما يُعرف بجمع الجمع، وفي المدونة وردت عدة كلمات من القديم المسموع عن فصحاء العرب من هذا القبيل: (بيوتات) (٢٧٦/٢)، (سروات) (٢٤٢/٤، ١٢٢/٦)، طُرُقات (٣/ ٣٣، ٢٧١، ٢٧٦/٧)، وهو وقفٌ عند قدامى النحاة على الضّرورة والسّماع[(١)]، ولهذه الظاهرة سببان عند اللغويين المحدثين، أولاهما : بلى الألفاظ بتكرار الجمع، فدوران هذه الكلمات على الألسنة أدّى إلى فقدان فكرة الجمعية، وصيرورته بمفهوم الاسم المفرد كوحدة واحدة، والسبب الآخر: تقوية الجمع وتأكيده على سبيل المبالغة [(٢)]، وقد أقرّه مجمع اللغة العربية بالقاهرة [(٣)].

– وقد تجمع بعض الأسماء الأعجمية، كإسحاقات جمع (إسحاق)، وفي المدونة (٢١٢/٤) : " اجتمعت في أيام المتقي بالله إسحاقات كثيرة، فانسحقت خلافة بني العباس في أيّامه .."، وكذا جمع (أستاذ) على (أستاذات)، وفي المدونة (٢٧٤/٥) : " وكان الفتى لشدة حبه الجارية، وإحضاره الأستاذات ليزيدوها في صنعتها، قد تعلّم الضرب والغناء ..".

أمثلة من المدونة:

الشهود: الأشخاص الذين يشهدون عند القاضي، بعد ثبوت عدالتهم، وكان الناس عامتهم وخاصتهم يستطيعون الإدلاء بشهاداتهم أمام القاضي، إذا توافرت فيهم شروط وضوابط معينة ممن تُقبل شهاداتهم وتثبت عدالتهم، ثمّ تطور الأمر بعد ذلك، وأصبح هذا اللفظ يطلق على طائفة خاصة من الناس في كل منطقة، أو حي، يُعرفون بالشهود، وفي

---

(١) ينظر، ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ت: عبد المنعم أحمد هريدي، مركز البحث العلمي، وإحياء التراث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٨٨٧/٤: " تدعو الحاجة إلى جمع الجمع، كما تدعو إلى تثنيته .."، وفي شرح شافية ابن الحاجب، للرضى الاسترآبادي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ٢٠٨/٢: " اعلم أن جمع الجمع ليس بقياس مطرد، كما قال سيبويه وغيره، سواء كسَّرته أو صححته، كأكالب وبُيُوتات، بل يقال فيما قالوا ولا يُتَجَاوَز ..".

(٢) ينظر: أنيس، إبراهيم، صيغة الجمع، مجلّة اللغة العربية بالقاهرة، ١٠/٣٥، سنة ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

(٣) ونص القرار: " جمع الجمع مقيس عند الحاجة " ينظر: محمد شوقي أمين، (قول في قضية جمع الجمع) مجلّة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٦٤/٦٢، سنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، مجموعة القرارات العلمية، مجمع اللغة العربية، ص٨٩.

المدونة نصٌ صريح يفيد ذلك (٢٦٢/١) : "كان القضاة على مذهب أبي حنيفة، وغيره من الفقهاء، في أنّ الناس كلّهم عدول، على الشرائط التي تعرفها، وكان يشهد الناس عند التيميّ بأسرهم، فإذا سمع شهاداتهم، سأل عنهم، فيزكّون، فيقبلهم، وكان الناس يشهد بعضهم لبعض، من الجيران، وأهل الأسواق، ولا نعرف ترتيب قوم مخصوصين للشهادة، إلى أنْ ولي إسماعيل .." [1].

ومما يدل بوضوح على أنهم أصبحوا طائفة مخصوصة، العبارات الآتية في المدونة:

- " فكاتبتُ جماعة من وجوه الشهود بالجانبين " (١٠٥/٢).
- " ويشبه هذا، ما أخبرني به أبو أحمد بن أبي سلمة العسكري، أحد الشهود بها " (١٢٨/٢).
- " الجوهريّ، الشيرازيّ، المعروف بابن المقتفي، وهو أحد الشهود بمدينة السلام .." (٢٧٤/٣).
- " رأيتُ ثلاثة يتقدمون ثلاثة أصناف من بني جنسهم، فلا يزاحمهم أحد .. (وذكر منهم) وأبو بكر الأكفاني، يتقدّم الشهود، فلا يزاحمه أحد .." (٢٠١/٤). وينظر: (٢٤٠/١، ١٢/٢، ٢٥٣/٣).

ومثل هذه اللفظة، الأمناء: التي تدل على طائفة خاصة مهمتها حفظ أموال اليتامى، ورعاية مصالحهم إلى أن يبلغوا الرشد، ممن يرتضيهم القاضي ويختارهم .. (٢/١، ٧٦/٨، ١٧٠).

الفَعَلة والصّناع: جمع فاعل، وصانع، وهم العمّال الذين يُستأجرون لأغراض متعددة، وخاصة أعمال البناء والنّقض، وفي المدونة (٢٥٠/٢) : " وقال: فكيف أعمل، وقد سبق قولي بأنّي أهدمه؟ فقلت له: تعمل الفَعلة في هذا اليوم فقط، فيكون في ذلك إبرار ... فوجدنا الفعلة، قد هدموا ذلك اليوم قطعة منه "، وفي موضع آخر (٢٨٩/٢) : " فاجتاز بي خلق كثير من الفَعَلة، قد انصرفوا من عمل بثق، فرأوني .."، وربما كان الصّناع أكثر خبرة ومهارة من الفَعَلة، وفي المدونة (٢٣٢/٣) : " وهل فخرُ البلد، إلّا بكثرة كون رؤساء الصنّاع، وحذّاق أهل العلم فيه؟ " ، وفي موضع آخر (٦٨/٧) : " بلغني أن المعتضد بالله كان يوما جالسًا في بيت

---

(١) وإسماعيل هو أبو إسحاق الأزدي القاضي (٢٠٠ – ٢٨٢هـ) من أهل البصرة، وهو الذي رتّب وظيفة الشهود، وولي القضاء في خلافة المتوكل، وظل قاضي بغداد ١٧ سنة، تراجع حاشية المحقق، ٨٢/١.

يبنى له، يشاهد الصنّاع..."، وفي المدونة (٢٩٨/١) " وكان الراضي جالسا على آجرّة حيال الصنّاع "، (١٤٠/١) " وأوقفه على موضع منه، كان فيه ساف لِبن لم يحكمه الصنّاع "، وقد يكون لهم أعمال غير البناء، كتفكيك المعادن الثمينة، وفي المدونة (٨٤/٣) : " فلمّا كان من الغد، حضر الصنّاع، وشريكي، وجلسنا نفكّك الباقي "...

الكُفاة: جمع (كافي)، وهم من يتولون أعمال الدولة المهمة، أو من يقومون بوظائف معيّنة عامّة أو خاصّة، وفي المدونة (٢٢٢/٥) : " فعجب النّاس لذلك، وقدّروا أنّه سيَستعمل الكُفاة على هذه الأمور العظام "، وفي موضع آخر (١١٧/٨) : " قال: وأراد اجتذابي لناحيته، وكان الناس- إذ ذاك- يتغايرون على الكُفاة "، وفي (١٥٥/٤) : " وكان قبل هذا يتولى القضاء بنواحي الشام، ويستخلف الكُفاة ..". وقول شاعر بني بويه المولّد (أبو العلاء صاعد بن ثابت) من قصيدة له (١٧١/٣) : (الطويل)

فإنْ أكُ معروقَ العِظامِ فإنّني نَهوضٌ بأعباءِ الأمورِ حَمولُ
أقوّمُ أغصانَ الخُطوبِ إذا التوت برفقي ومثلي في الكُفاةِ قليلُ

الكُتُبيين: وهم طائفة الكتّاب، ولعلها جمع (كُتُبي)، وهو من يمارس مهنة الكتابة والتحرير، وفي المدونة (٢٧٦/٥) : " فعملتُ على هذا، وجئت إلى الكُتُبيّين، وقد قوي في نفسي أن أقصدَ واسطا، وكان لي بها أقارب، فأجعلهم ذريعة إلى التصرّف مع عاملها. فحين جئتُ إلى الكُتُبيين ..".

أبليَات: وهنّ فئة من النساء يُستأجرن للرقص والغناء في الأفراح، والنّوح في مواطن الأحزان، وفي المدونة (١٥٨/٧) : " وأمره أن ينصب الأرصاد، على منازل المغنين والمغنيات، ومواطن الأبليات ..."، وقد تطورت دلالة الكلمة في عصرنا الراهن لتدل على الرئيسة في فنها، المقدّمة في مهنتها، ومفردها(أبلة)، وربما أطلقت على المعلّمة في دور الدراسة.

المخنكِرون: وهم المُجّان، أو المبهرجون المتخالعون، وفي المدونة (١٩٦/٢) : " وقال لنا: نحن بالغداة في صورة العلماء، وبالعشي في صورة المخنكِرين "، وربما كانت هذه الكلمة دخيلة، أو مرتجلة، ثم أصبحت شائعة على أيدي المولدين والعوام[1].

(١) جاء في تكملة المعاجم العربية، دوزي، ٢٢٧/٤: " خنكر: سحر، فتن، أبهج، وتخنكر به: افتتن به، ابتهج به، سحر به، سُر به، وخنكار: سلطان العثمانيين ..".

زواريق (٦٣/١، ٨٨) : بإشباع الكسر[١]، جمع زورق، للسّفينة الصّغيرة، وقياسها: (زوارق) بترك الياء في الجمع، وعدّها بعض النّحاة من الجموع الشاذّة [٢]، أو مما أولع به العامة في مخاطباتهم، وهذا ما نلحظه من كلام ابن جني: " وقد أولعت العامّة بقولهم في جمع (زَورق): (زواريق)، ولا وجه للياء هناك إلا أن يُسمع ذلك من العرب، فأما من طريق القياس فإنها (زوارق) مثل: (جوهر) و(جواهر) و(جورب) و (جوارب) " [٣].

أفضال: من الجموع المستحدثة في عصر التنوخي، وشواهدها في مدونته عديدة، ومنها:

- " فجرى ذكر الكرم والكرام، والجود والأجواد، وما كانت البرامكة وغيرها تأتيه من الأفضال على الناس .." (١٦/١).

- " على أنّي ما سألته قطّ حاجة، ولا احتجت إليه في شيء، ولا له عليّ رزق، ولا أفضال " (٦٤/٣).

- ومن الرسائل النثرية، لأبي الفرج الببغاء [٤] " فإن رأى العادل إلّا في ماله، والمقتصد إلّا في أفضاله، سيّدنا الأمير سيف الدولة .." (٣١١/٢).

- ومن الشعر، قول المهلبي الوزير [٥] (من أبيات له): (الكامل الأحذ)

وصَل الكتابُ طليعةَ الوَصْلِ ... بغرائبِ الأفضالِ والفَضلِ

---

(١) والعلّة الصّوتية في هذا الإشباع عند العامّة وإطالة الكلمة، هو انتقال النّبر في الكلمة من المقطع الثّاني (وا)، إلى المقطع الثالث (رِ)، ممّا أدّى إلى زيادة حجمه عن طريق مدّ حركته، وتحوّل بذلك من مقطع قصير إلى مقطع متوسط مفتوح.. ينظر: فوزي الشايب، قراءات وأصوات، ص١٤٨.

(٢) ينظر: الرضي الاسترآبادي، شرح شافية ابن الحاجب، ٢٠٧/٢، وفيها: " وكذا دَوَانيق وخَوَاتيم وزواريق في دَانَق وخَاتَم وزَوْرَق، والقياس ترك الياء، فالشذوذ في هذا إشباع الكسر ..".

(٣) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٣٩٤/٢.

(٤) أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي، الكاتب المعروف بالببغاء، كان في بلاط سيف الدولة الحمداني، ومدحه، وكتب له، توفي سنة (٣٩٨هـ)، ينظر: نشوار المحاضرة، ١٠٣/١، ١١٥، ٣١١/٢ .

(٥) أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي، وزير معز الدولة، اشتهر بالكفاية والأمانة، توفي سنة (٣٥٢هـ).

وفي قواعد المعيارين نجد جمع (فَضْل) على فضول لا غير [(١)]، وأنّ جمعه على (أفعال) خروج عن الباب [(٢)]، ولم يرد هذا الجمع في كتب التراث، أو من كلام من يحتج بفصاحتهم، وما ورد منه فهو تحريف لكلمة (إفضال) [(٣)].

مشايخ: وهي من الكلمات التي كثُر استعمالها، وغلب العُرف في الاستعمال على قاعدتها، وأنكر بعض اللغويين أن يكون لها أصل في العربية [(٤)]، والقياس في جمع شيخ: (شيوخ). وقد وردت في المدونة في مواضع عديدة، ينظر: (١/٤٨، ٥٦، ١٣٠، ٣٢٢، ٢/١٣٧، ٦/ ١٠٠)..

وعلى الرغم من اعتراض بعض اللغويين وكتب اللحن وتقويم اللسان على العديد من ألفاظ الجموع، إلا أنّ هذا الاعتراض يحتاج إلى إعادة النّظر، والبحث والتحري قبل إصدار الحكم، فالكلمة تلقى القبول بمجرد استعمالها في البيئة اللغوية على أيدي الكتّاب والمتحدثين، ثم في انتشارها ورواجها في المجتمع ...

ولنضرب مثلا على كلمة (**حوائج**)، وقد أوردها التنوخي في مدونته في مواضع عديدة، منها: (١/٨٢، ٨٣، ٣/٦٣، ١٢٦، ٤/٢٠، ١٨٤)، وقد عدّها بعض اللغويين من الخطأ والوهم [(٥)]،

---

(١) صرّح بذلك محمود الطناحي (عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة) في بحث بعنوان:(جمع التكسير والعرف اللغوي) ج٧١، ص١٣٩، من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٢) ينظر: ابن السّراج، الأصول في النحو، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢/٤٣٧، ومن قبله سيبويه، في الكتاب، ٣/٥٦٧، باب (تكسير الواحد للجمع) ، حين نص بقوله: " واعلم أنه قد يجئ في فَعْل أفعالٌ مكان أفعُل، .. وليس ذلك بالباب في كلام العرب. ومن ذلك قولهم: أفراخٌ وأجدادٌ وأفرادٌ ..". وفي النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط١٥، ٤/٦٣٨: "أما الاسم الثلاثي الذي على وزن: (فَعْل) - بفتح فسكون - صحيح العين -غير ما سبق- فمنع كثير من النحاة جمعه قياسا على: (أفعال) وهذا منع لا يستند إلى أساس سليم، والصواب جواز جمعه قياسيا على: "أفعال" فيقال: بحث وأبحاث، وسَهم وأسهام ..."، وقد أقرّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة إجازة هذا الجمع في في يناير سنة ١٩٧٠م، من مجلة المجمع الصادرة في شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ ومايو سنة ١٩٧٠، ج ٢٦ص٢٢٣، وينظر: مجموعة القرارات العلمية، مجمع اللغة العربية، ص٧٤.

(٣) ينظر: محمود الطناحي، في بحث بعنوان: (جمع التكسير والعرف اللغوي) ج٧١، ص١٣٩، من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٤) ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، (شيخ) ١/٦٠٣، وتاج العروس، (شيخ) ٧/٢٨٦.

(٥) ينظر: درة الغوّاص، للحريري، ص٦٤، وفيه " وَيَقُولُونَ فِي جمع حَاجَة: حوائج، فيوهمون فِيهِ ".

والخروج على القياس، وعدّها آخرون من الألفاظ المولّدة، أو الجموع الشّاذة [1]، وفي تقويم اللسان: " وتقول: لي حاجات، والعامّة تقول: حوائج، قال العسكري: وليس ممّا تعرفه العرب، ولا يُوجبه القياس، وإنّما تجمع العرب الحاجة، فتقول: حاج وحاجات، وحِوَج " [2].

وعدّها السيوطي من الألفاظ المولدة، وفي المزهر: " فأما قولهم: في جمع حاجةٍ (حَوَائج)، فليس من كلام العرب على كثرته على أَلْسِنة المولَّدين ولا قياسَ له .." [3].

وعند التدقيق والتأمُّل نجد أنّ هذا الجمع قد شاع على ألسنة الفصحاء، وممن يُحتج بلغتهم، وفي نصوص الحديث النبوي، وأشعار العرب، وليس كما ينقل السيوطي من كثرته على ألسنة المولدين فقط، وقد صرّح الجوهري بكثرته في كلام العرب، وفي الصحاح: " والجمع حاجٌ وحاجاتٌ وحِوَجٌ وحَوائجُ على غير قياس، كأنهم جمعوا حائجة، وكان الأصمعي يُنْكِرُهُ ويقول: هو مُوَلّدٌ. وإنما أنكره لخروجه عن القياس، وإلاّ فهو كثيرٌ في كلام العرب" [4].

ويرد الزبيدي في (تاج العروس) على من ادّعى أنها مولدة، بشواهد من الحديث الشريف، وأشعار العرب، ثم يسرد طائفة من الأحاديث والأشعار، محتجا بها على ورودها في كلام من يحتج بفصاحتهم [5]. ومجمل القول في الجموع:

أنّ استعمال الجموع قد تولّيد عنه دلالات مختلفة، فيحوّل من مجرّد الجمع إلى الدلالة الإسمية، ويطلق على فئات خاصة من النّاس، فينشط استعمال جمع السلامة (بنوعيه المذكر والمؤنث، بزيادة (ون)، أو (ين)، أو (ات)، وهذه الزيادات أصبحت مجرد زيادة خارجية على البنية، قد يفيد مجرّد إفادة النسبة أو النوع، أكثر منها لمفهوم الجمع، والأمر ينطبق على ظاهرة جمع المصدر المبين للنوع أو العدد جمع سلامة (توقيعات، تسبيبات، تزويرات ..)،

---

(١) وفي تاج العروس للزبيدي، ٤٠٩/١٤: " والهواجر، جمع هجر بمعنى الفحش، على غير قياس، وهو من الجموع الشاذة، كأن واحدها هاجرة، كما قالوا في جمع حاجة: حوائج، كأن واحدها حائجة ..".

(٢) ابن الجوزي، ص٩٨.

(٣) المزهر: ٢٤٥/١.

(٤) الجوهري، ٣٠٧/١.

(٥) ينظر: تاج العروس، ٤٩٦/٥، وفيه: " وأما قوله: إنه مولد، فإنه خطأ منه، لأنه قد جاء ذلك في حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أشعار العرب الفصحاء ..".

فهذه مصادر تحولت إلى أسماء منفردة بنفسها، وقابلة للتنوع والتعدد، فالظاهرة لا تعدو عن تحول المصدر إلى اسم، لضعف دلالة الحدث، وغلبة الإسمية في الاستعمال، وكذلك جمع التكسير ينهض لمجرد إفادة النسبة.

وهكذا يتّضح أنّ الأوزان والصيغ عنصر من عناصر الثبات والاتصال والاستمرار في العربية، ويبدو توليدها وحيويتها في أنها تملك منطقةً حُرة من خلال قوالبها التي تصاغ من خلالها عشرات الكلمات بواسطة الاشتقاق.

ويحق لنا بعد تناول بعض صيغ العربية التي ظهر فيها التوليد الصّرفي، أن نصف العربية بأنّها لغة توليدية، تسمح لها وسائلها المرنة بالتّوسع والزيادة، وعلى رأس هذه الوسائل: الاشتقاق، واستطاعت العربية أن تنقل من خلال هذه الوسيلة الأفكار والمعاني من جيل إلى جيل خلال عصور طويلة، وفعلت ما لم تفعله أية لغة أخرى من توسيع ورفد ثروتها اللغوية، ويحق لنا أن نردد ما قاله أحد الباحثين المعجميين: " ولا نظن أنّ في العالم لغة تعددت فيها الصيغ كما تعددت في لغتنا .. "[1].

ثالثا: مظاهر التوليد في التراكيب النحوية والأساليب

سادت ظواهر تركيبية مولّدة عديدة في استعمالات الناس استطعنا أن نرصدها في مدونة التنوخي، وأغلب هذه الظواهر جاءت نتيجة اختلاط الشعوب، وامتزاج الألسنة، وتداخل اللغات، فقد نشأت أساليب تجمع بين القديم والمولّد المستحدث، وظهرت عربية مولدة باتت تعرف في اصطلاح العديد من اللغويين المحدَثين بالعربية الوسيطة.

وعلى الرغم من أنّ تلك الظواهر تكثر في العاميات، وفي اللغة المنطوقة بشكل خاص، إلا أنّها أثّرت في المستوى الكتابي تأثيرا ظهر أثره في المدونات التي أصبحت تزخر بالعديد من التعبيرات الجديدة، والتراكيب المولدة، والجمل القلقة أحيانا أخرى.

ومن خلال تتبعنا لهذه الظواهر والتراكيب في مدونة التنوخي، نجد أنّها توزّعت على عدة مستويات، فمنها تراكيب فصيحة، ومنها تراكيب مولّدة، وأخرى عامية سادت في لغة التّخاطب اليومي، وتسرّب بعضها إلى اللغة المكتوبة، ومن ثمّ نستطيع من خلال تلك الأمثلة والعبارات المتعددة أن نحدد ملامح العربية الوسيطة التي سادت في القرن الرابع وما بعده.

---

(١) الكرملي إنستاس، نشوء العربية، ص١١٤.

وقد تعرضنا في فصل سابق – عند الحديث عن تطبيقات المستويات اللغوية المختلفة في المدونة – لتراكيب عديدة تشمل المستوى الفصيح والمولد والعامي، وأُشير حينها إلى دخول العديد من تلك الأساليب إلى لغتنا العربية، وعُدّت شاهدا على التطور والتوليد في العبارات والأساليب.

والحديث عن التوليد في التراكيب والأساليب يرصد مظاهر التحريف التركيبي الأسلوبي الذي شاع في العربية الوسيطة عديدة المستويات، ويوضّح أبرز الملامح التركيبية فيها، ويمكن أن تتفرع تلك الملامح إلى عديد من التقسيمات، ومنها: اختفاء علامات الإعراب، وشيوع اللحن، والمطابقة العددية بين الفعل والفاعل، والانحراف في الرتبة ورصف المباني، ومظاهر الحذف والاختزال في التراكيب والألفاظ والأدوات، والمتلازمات التركيبية المولّدة، كدخول (ال) التعريفية على (كافة)، و(بعض)، ودخولها عى العدد، وإقحام (كان) في رسل الكلام، وظواهر فعلية شائعة في خطابات الناس، وفي لغة الكتابة، إضافة إلى صور تركيبية بلاغية شاعت على ألسنة الشعراء والكتاب، وفي المستوى الكتابي، وأخرى مولدة عامية، بعضها مقتبس من لغات أخرى، وبعضها الآخر قلق ملبس، يكتنفه الغموض؛ لأنه وليد بيئات اجتماعية وفكرية خاصة.

وجلّ هذه الظواهر والملامح التركيبية سادت في البيئة البغدادية التي رصد جوانبها المختلفة القاضي التنوخي في مدونته، ورسمت سمات عصور تلاحقت في تاريخ العربية، وكوّنت فيما بعد ملامح العربية الوسيطة.

مظاهر التحريف في تراكيب العربية الوسيطة:

توصف بعض نصوص العربية الوسطى بالتناقض والتعبير القلق، أدّى إلى ذلك تبادل صيغ وتراكيب قديمة، وصيغ وتراكيب مولدة بعضها مع بعض، إذ نلحظ تلك التعبيرات القلقة المضطربة في حكايات كلام الأعاجم، أو على ألسنة العوام، أو في تراكيب أخرى تكوّنت نتيجة للاسترسال في الكلام، ولها مظهران رئيسيان:

المظهر الأول: التحريف في رتبة الجملة ونظامها، وبنية الألفاظ:

ومما ورد منه في المدونة، قول أعجمي وقد أراد وصف بطن اليقطين الواسع (٢٢٨/٧) : " اقطعون راسك، أخرجون صوف، هاي، إنما أخرجون قماش بطنك ".

المظهر الثاني: التحريف الدلالي:

ومنه: ترك مراعاة الاقتران اللفظي في اختيار التراكيب، فقد أنكر أحد القضاة قول أحدهم: (يضرب بالرباب)، وقوله للمخاطب (١٧٠/٢): " كأنّك لا تعلم أنّ الرّباب يُجرّ حتى يُسمع صوته، ولا يُضرَبُ به "، ففعل الضرب يكون للعود، وفعل (الجر) للرباب.

ملامح تركيبية في العربية الوسيطة:

دخلت كثير من خصائص التراكيب العامية والمولّدة والمقتبسة في لغة الكتابة، والنظم الإدارية، وفي خطابات الناس، وهيّأ ذلك لظهور العربية الوسيطة، وقد أشرنا سابقا للعديد من ملامح العربية الوسيطة، المتمثلة في تلك العبارات والتراكيب المولدة الواردة في المدونة، ومن أبرزها:

١- اختفاء العلامات الإعرابية وشيوع اللحن:

أولى تلك الظواهر اختفاء العلامات الإعرابية في اللغة المنطوقة [(١)]، وشيوع اللحن على ألسنة العوام والخواص، نتيجة سيادة العاميّات في لغة التخاطب، وفي المدونة وردت إشارات عابرة تحكي هذه الظاهرة في عامية بغداد، وما جاورها من البيئات العربية، ومن أمثلتها:

- حذف نون الرفع من غير ناصب ولا جازم [(٢)]:

(١٤٥/٣) : " حصلنا على أنكم تهذوا، وتوهموا الناس ..".

(١٨٩/٣) : " ليس يجسروا يعودوا، فيقولوا ما جا شي ".

- عدم إعمال النصب في نداء الأسماء الخمسة إذا أضيفت، وقد ورد في المدونة (١٨٣/٧)، قول عامل الأهواز، أبو العباس، سهل بن بشر: " أنت يا أبونا أحمق ... "

- عدم الجزم بلا، وفي المدونة، (٢٤٥/٣) : " فاتّق الله، ولا تؤذي زوجتك ..".

---

(١) يرى بعض الباحثين في الألسنية الحديثة، أنّ السبب الجوهري في اختفاء نهاية الحالات الإعرابية والصيغ هو إضعاف الحركات القصيرة في المقاطع المفتوحة غير المنبورة، وهي واضحة بشكل خاص في نهاية الكلمة، حيث الحركات القصيرة، وهي السبب في اختفاء الحالات الإعرابية، ينظر: يوشع بلاو، دراسات في العربية، ص٢٤٩.

(٢) حذف هذه النون يجري وفق قانون النبر، وانتقاله من المقطع الأخير، إلى المقطع السابق له، وهي أساسًا إنما تكون للقفل المقطعي، كي لا تنتهي الكلمة بمقطع قصير مفتوح، وفي النطق بعد حذف النون تكون الواو مديّة.

– فقدان ألف النصب في كلامهم، وفي المدونة (١١٢/٧) : " وجعل فوقها ورد وبهار وشقائق ...".

– عدم مراعاة المخالفة في الأعداد المفردة [١]، وفي المدونة (١٢٤/٤) : " وحمل في سبنيّة بين أربع فرّاشين، فطرح بين يديها ".

– وشاع في كلام العامة في بغداد تسكين أواخر الألفاظ، وتسهيل الهمز، وإشباع الكلام، وأمثلتها في المدونة عديدة منها: " اليومْ يومْ سبتْ، والهوا طيبْ .." (٦٣/٢)، " فما يشربْ ولا يأكلْ، ولا نام ولا خلا " (٢٧٩/٣)، " ويحك، اعمل أنّ في يدك كشتبان، حلقكْ مصهرج ؟" (١٢٨/٢)، " واذكري لي ما أنكرتيه منه " (٨١/٦)، " قولْ آمين " (١٨٨/٧)، وهذه المظاهر التركيبية ما زالت شائعة في أغلب العاميات العربية.

٢– المطابقة العددية بين الفعل وفاعله (لغة أكلوني البراغيث):

ومما شاع في العربية المولدة من التراكيب، ما سمي بلغة (أكلوني البراغيث)، وهي اللغة التي تُلحق الفعل ضمير تثنية أو جمع، إذا كان الفاعل مثنى أو مجموعا، وبذلك تتحقق المطابقة العددية بين الفعل وفاعله، وفي المدونة (٢٠٧/٨) : " فيقيمونه الفيّالون أياما .." وقد تؤول على أنها من باب البدل، أو حذف فعل القول، وقد شاع هذا التعبير في البيئة البغدادية حتى وقتنا الراهن [٢].

ولعل إنهاء الأفعال بضمير الفاعل ونون الجمع أصبح ظاهرة في عاميّة بغداد في القرن الرابع وما بعده، وما زالت هذه الظاهرة حاضرة في العاميات الحديثة، وقد أورد التنوخي عبارة محكية عن أحد الباعة المتجولين في البيئة البغدادية، ففي المدونة (١٦١/٢) : " يجون هؤلاء

---

(١) يبدو أنّ التنوخي وكان بغداديا ذهب مذهب الكسائي ومن تابعه من البغداديين في جواز مراعاة لفظ الجمع في تذكير العدد وتأنيثه .. ورأيهم مخالف للأعم الأغلب الذي يحسن الاكتفاء به اليوم، منعا للتشتيت والاضطراب، ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، في هامش ٥٣٨/٤.

(٢) ينظر: كلام محقق النشوار: عبود الشالجي، ٢٠٧/٨، وهذه اللغة وردت في العبرية والحبشية والأرامية، أي أنها ظاهرة سامية، كما وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف، والشعر القديم والحديث، وشاعت في لهجاتنا العامية، والواقع الفعلي الاستعمالي يوحي بوجود سكتة بين الفعل وفاعله يترتب عليها سؤال، وجواب يكون استئنافا لهذا السؤال في موقف انفعالي يقتضيه السياق، يراجع: علم الدين الجندي، مجلة اللغة العربية بالقاهرة، في التركيب اللغوي، ٤٨/٧٢، وينظر: سعيد الأفغاني، مجلة اللغة العربية بالقاهرة، مع الأخفش الصغير، ٢١٧/٤٨.

الحمير، لا يدرون أيش يعطون؟ ولا أيش يأخذون؟ "، وفي موضع آخر (٢٢٣/٢) : " يخلوّنها أهل بغداد في سطوحهم ".

ولنا أن نؤكد بأنّ جميع العاميات العربية تستقر اليوم على التواصل بفكرة المطابقة العددية بين الفعل وفاعله، فالمطابقة هي القاعدة عند كل من يريد أن يتحدث بعامية غير مخلوطة بفصحى[١].

٣- الرتبة ورصف المباني:

الجملة الأساسية في العُرف النّحوي التقليدي، جملة متمحورة حول التآلف بين دالّين لُغويين اثنين، ليفيد هذا التآلف الحكم بثبوت مفهوم أحدهما لمفهوم الآخر، أو نفيه عنه، وتدل النّظرة الوصفية المجرّدة أنّ اللغة العربية لا تُجبر المتعاملين بها على وضعية من الاستعمال بعينها، وهي تترك لهم حرية التصرف في ترتيب النّظم[٢].

ونلحظ – أحيانا – في مدونة التنوخي، بعض التراكيب قد فقدت رتبتها في التقديم والتأخير، كتقديم الصفة على الموصوف، وفي المدونة (١٨٨/٢) : " فجاءوه بدجاجة مشوية، ورغيف واحد، وسكرجتي ملح وخل، وقليل بقل ..".

– الجملة الفعلية أساس التعبير في العربية:

للعربية نظامها الخاص في تركيب وتتابع الجمل، وفي العربية تكون الجملة الفعلية هي الأصل والغالب الكثير في التعبير؛ " لأنّ العربي جرت سليقته، ودفعته فطرته إلى الاهتمام بالحدث في الأحوال العادية الكثيرة، وقد يلتجئ العربي إلى الجملة الإسمية، إذا كان القصد إلى الفاعل، أو إلى الإسراع بإزالة الشك فيمن صدر منه الفعل، فيبدأ بذكره أولا، لكي يخصص الفعل به، أو لكي يبعد الشبهة عن السامع، ويمنعه أن يظن به الغلط أو التزيد .." [٣].

وفي المدونة نجد بعض العبارات قد جاءت فيها الجملة الإسمية متصدّرة؛ لاقتضاء السياق ذلك في تقديم الأهم، أو الاهتمام بذكر الشيء والتركيز عليه[٤]، ومنه قول أبي الحسن بن

---

(١) ينظر: الأقطش، الإسناد في لغة أكلوني البراغيث، مجلة أبحاث اليرموك، م١٣، ع٢، ١٩٩٥م، ص٣٩٩.

(٢) ينظر: الأقطش، الإسناد في لغة أكلوني البراغيث، مجلة أبحاث اليرموك، م١٣، ع٢، ١٩٩٥م، ص٣٧٠.

(٣) علي الجارم، الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية، مجلة اللغة العربية بالقاهرة، ٣٤٧/٧.

(٤) ومنه قول سيبويه في الكتاب، ٣٤/١: " كأنّهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم ".

الفرات (وزير المقتدر ت٣١٢هـ) (٧٧/٥) : " وقد جرى بحضرته ذكر رجل قد أسرف في الظّلم : الظلم إذا زاد رفع نفسه ".

ومن الملاحظ في تراكيب كثيرة من المدونة البدء بضمير المتكلم (أنا) لحكاية موقف، أو سياق حادثة على شاكلة: فأنا ذات يوم أعبر – فأنا كنت يوما – فأنا أفعل هذا – فأنا أفكّر – فأنا أعيش – أنا بين نعم الله – فأنا أسلّم – فأنا أدع – فأنا جالس ...

(ينظر على سبيل المثال: ١/ ١١٩، ١٨٠، ٢١٨، ٤٥/٢، ١٨٢، ٣/ ١٣٢، ١٩٩، ١١٥/٤، ١٣٠، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٥٤/٥، ٢٧٩، ٢٨٣، ٧٧/٦، ٢٨/٢١٤،٨، ٦١، ١٣٣، ١٤٤، ١٥٠، ٢١٣).

– التوكيد بالقيود الصرفية:

ومن الظّواهر الأخرى الشائعة في العربية الوسيطة استخدام المصدر (جدا) للتعبير عن بلوغ التناهي في الصفة، كقولهم: أبيض جدّا (٢٣١/٢)، صديقي جدّا (١٧٤/٣)، مفرطٌ جدا (٢٢٧/٣)، مغموم جدا (٥٣/١)، خطرٌ جدا (١٦٣/٣)، منتشرة جدا (٢٠٢/٣)....

– شاع التأكيد بضمير المتكلّم البارز (أنا)؛ وذلك من أجل تأكيد الكلام، وإزالة اللبس في اللغة المكتوبة، وفي المدونة وردت عبارات عديدة على النمط الآتي: (شاهدته أنا، وذكرتُ أنا، قلتُ أنا، قد رأيتُ أنا) ينظر: (١٠٤/٤، ٢٥٣/٤، ١١/٥)، وأحيانا، يبدأ التركيب بهذا الضمير، وفي المدونة (١١٥/٤) " فأنا كنتُ يوما بحضرة مؤنس أقرأ ..".

ومن خصائص هذه المؤكدات الكلامية أنّها مَرِنة حُرة في رتبتها، فيمكن أن تكون في أول الجملة قبل المؤكد، أو في آخرها بعد المؤكد، ولكلٍ دلالته في السياق.

٤– الميل إلى الحذف والاختزال:

من الملاحظات المهمة في تراكيب العربية الوسيطة الميل إلى السهولة والاختصار وحذف بعض الأدوات، ومنها:

– حذف المضاف:

ومن ظواهر الميل إلى التخفيف والاختصار في العربية المولدة، كثرة حذف المضاف وإقامة المضاف إليه موضعه، وفي المدونة: حضرتُ المغرب (٦٥/٢، ٢٢٦، ٢٨٤، ٢٦٠/٥)، دنت الظهر (١٩٣/٢)، وكانت المغرب قد وجبت (٢٧٠/٢)، فيملي من حفظه المجلس (١٩٩/٦)، حضر

الطّب، رأى الطب، شوور الطب، فقال الطب، استدعيتُ الطب، يصفها الطب (١٥٤/١، ١٥٣/٣، ١٦١، ١٦٣، ١٢٢/٤) ...، فأجلس الغناء، ويدعو الغناء (١٤١/١، ١٥٤/٣، ٢٨٤/٣).

وقد يحذف المصدر تخفيفا، وفي المدونة (١٣٠/٢) : " وكان الفراشون إذا أرادوا قط الشمعتين، تطاولوا شديدا..".

– حذف همزة الاستفهام:

سادت في المخاطبات العامية، ولغة التحاور اليومي ظاهرة حذف همزة الاستفهام [(١)]، وهي من الظواهر المطّيردة في كلام العرب عند أمن اللبس، ودلالة السياق عليه، أو وجود قرينة تدل على إرادة الاستفهام، وتمييزه عن الخبر، وخصّها بعضهم بضرورات الشعر، وجوّزها الأخفش في اختيار الكلام [(٢)]. وهي مسألة تعتمد على الاستفهام النّبري الصاعد، مما يقوم مقام الأداة الصّرفيّة، وفي المدونة مواضع عديدة، جاء فيها حذف همزة الاستفهام تخفيفا في سياق الحوار، ومنها التراكيب الآتية:

- تأذن لي في الكلام، وتبسط عذري فيه ؟ (٣/ ٢٣٤).
- يا فتى لك زوجة ؟ (٤/ ١٨٢).
- فقال لي: تقبل تدبيري؟ (١٩٣/٤).
- قال: هذا كلّه لأبي جعفر؟ (٢٣/٢).
- تخافين ألّا يجيئك بدله؟ (٢٧٨/٢).
- قررت رأيك على ابن المعتز؟ (٥/ ٦٥).
- الروح الأمين ألقى هذا عليك؟ (١٧٠/٧).

---

(١) وحذف الهمزة في الفصحى وفي كلام العامة جاء لطلب الخفة والاقتصاد في الكلام أثناء النّطق، وقد علّل سيبويه حذف الهمزة في كلام العرب، يقول: " لأنَّه بعُد مخرجها، ولأنها نبرةٌ في الصدَّر تخرج باجتهادٍ، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثقل عليهم ذلك، لأنَّه كالتهُّوع .." الكتاب ٥٤٨/٣.

(٢) ينظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ت: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دارالكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ص٣٤، وساق شواهد من النّص القرآني، والحديث النبوي، والشعر العربي، يأتي فيها حذف همزة الاستفهام، وفي المحتسب، لابن جني، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م ٢٥٤/٢: " أما حذف همزة الاستفهام تخفيفا، كأنه قال: أشهدوا خلقهم؟ كقراءة الجماعة – فضعيف؛ لأن الحذف في هذا الحرف أمر موضعه الشعر ..".

وقد ترد جمل طويلة يكثر فيها حذف أداة الاستفهام فيها اعتمادا على سياق الموقف، وفي المدونة (١٦٢/٣) : " أُعطيك دنانير، وتدع شغلك، وتجيء معي إلى الموضع الذي اصطدت منه الجراد ؟ قال: نعم ".

– حذف (أنْ) المصدرية:

حذف (أنْ) المصدرية في المواضع التي لم ينص فيها النحاة واللغويون على حذف [(١)]، وقد وردت عبارات وشواهد من كلام العرب نُصب فيها المضارع بأن محذوفة في غير تلك المواضع، وحُكم عليها بالشذوذ [(٢)]، وهذه الظاهرة تكاد تكون شائعة في أغلب المخاطبات العامية، ووجدت لها صدى في الكتابات العربية، ويظهر أنّ هذا الحذف وجد قبولا عند العامّة لسهولته؛ ولإيجاز الكلام فيه " ويبدو أنّ العوام في مصر والشام والعراق وجدوا في حذف أن المصدرية استئناسا بمجيزي الحذف في اللغة المكتوبة " [(٣)]، ومما ورد منه في المدونة:

* " فما جسر منهم أحد يتقدم .." (٧٢/٢).
* " أريد أطلبه من الخليفة "(٩٣/٣).
* " أشتهي آكل أكلة " (١٢٨/٣).
* " نريد نفتّش الصّندوق " (١٨٥/٤).
* " أنا ما أُحسن أكتبه بلحنه، أريد تكتبينه أنت بلحنه، كما تحسنينه " (٢٢٧/٧).

---

(١) ينصب المضارع بأن المضمرة وجوبا في مواضع ذكرها النحاة، وهي: بعد لام الجحود المسبوقة بكان أو يكون المنفيتين، وبعد أو، وحتّى، وفاء السببية ، وبعد واو المعية المسبوقتان بنفي أو طلب، بشروط، وهناك مواضع لنصب المضارع بعد أن المضمرة جوازا، وهي: بعد لام التعليل، وبعد حروف العطف (الواو والفاء وثم وأو) إذا عطفت على اسم صريح، غير مشتق، وليس في تأويل المصدر .. وللمزيد، ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، المسألة ١٤٩، من ص٣٢٦ – ٤٠٠.

(٢) وإلى هذا أشار ابن مالك في ألفيته، دار التعاون،٥٨/١: (وشذّ حذف أن ونصب في سوى ما مرّ فاقبل منه ما عدلٌ روى)، يقول عبّاس حسن في النحو الوافي، ج٤، المسألة (١٥١)، ص٤٠٠: " وصفوة ما يختار، وما يجب الاقتصار عليه –حرصا على سلامة اللغة، وبعدا عن اللبس والاضطراب في فهمها– هو: الحكم بالشذوذ على ما ثبت سماعه وصحت روايته من تلك الأمثلة المنصوبة، وعدم محاكاتها، أو القياس عليها "، وقد أجاز مجمع اللغة العربية هذا الحذف في بعض الأساليب المعاصرة، لشيوعه، وقبول الذوق، ورأت أنه باب من العربية واسع، وأنّ هذا الاستعمال له نظائر في مسموع العربية، ينظر: مجموعة القرارات المعجمية، ص١٤٧.

(٣) محمد عبد الغني حسن، مقال: (قبل يكون، وقبل أن يكون)، مجلة اللغة العربية بالقاهرة، ٤٥/٤٣.

– تراكيب وألفاظ مختزلة:

– أيش: ومن تلك التراكيب المختزلة: (أيش ؟)، وهي عبارة مختزلة، وأصلها: (أي شيء ؟) التي تستخدم للاستفهام (ينظر: ١/١٨٠، ١٩٨، ٢/١٢٩، ٣/٦٥، ٥/٢١١).

– **ستّي** (١/١٠١، ١٧٩، ٢/٦٦، ٥/٢٨٧) : وهي اختصار (سيدتي).

– **مسكوني:** اختزال لعبارة (أمسكوا بي) (٢/٢٣٧)، ومثلها: (طوباك) الواردة في شعر ابن المعتز (٦/١٣٤) [(١)]، وهي اختزال لتركيب (طوبى لك).

٥– متلازمات تركيبية مولّدة:

– دخول (ال) على الكافّة:

يرى أغلب اللغويين والنّحويين أنّ (كافة) لا تأتي إلا حالا مجردة من ال، وللعاقل دون غيره، اعتمادا على أنّها لم تستعمل إلا كذلك في القرآن الكريم؛ ولذلك منعوا دخول (ال) عليها، ومنعوا إضافتها، وأجازه آخرون [(٢)].

ويدل شيوع هذا الأسلوب في لغة الكتابة والخطاب على أنّ المانعين استندوا على استقراء ناقص للغة، فهناك شواهد فصيحة تؤيد دخول (ال) على كافة، أو إضافتها [(٣)]، وفي المدونة وردت مقترنة بأل، ومضافة، ومجرورة بحرف الجر:

– يتكلّم في أمور الكافة .... (١/١٧١).

– ثم اتّسع ذلك الباب لأبي العبّاس، فصار يستعمله مع الكافّة ... (١/٣٠٥).

– ولا يكون الفداء إلا عامّا للكافّة، والأيّام تتدافع .... (١/٢٢٨).

– قد رأى أنّ الأحوط للمسلمين، والأحفظ للكافّة، إلزام الخراج الشجر .. (٨/١٢٥).

– وتحمد الله الكافّة على ما أتاحه لها من تعطّف أمير المؤمنين ورعايته .. (٨/١٢٨).

ومما وردت فيه مضافة:

– وما تفضي إليه أواخر الأمور، ويساس به كافة الجمهور ... (١/١٢).

---

(١) وهو قوله من أبيات: (البسيط): مرّت بنا سحرا طيرٌ فقلت لها طوباكِ يا ليتني إيّاكِ طوباكِ.

(٢) وفي تاج العروس ٢٤/٣٢٠: " وأما قوله: ولا يقال: جاءت الكافة، فهو الذي أطبق عليه جماهير أئمة العربية، وأورد بحثه النووي في التهذيب، وعاب على الفقهاء وغيرهم استعماله معرفا بأل أو الإضافة، وأشار إليه الهروي في الغريبين، وبسط القول في ذلك الحريري في درة الغواص، وبالغ في النكير على من أخرجه عن الحالية .."، وفي درة الغواص، ص٥٢: " وَنَظِير هَذَا الْوَهم قَوْلهم: حضرت الكافة، فيوهمون فِيهِ أَيْضا .". وفي تقويم اللسان لابن الجوزي، ص١٥٨: " والعامة تقول: وعلى كافة أصحابه، وتقول: حدّثني الكافّة، وهو غلط؛ لأنّ كافّة لا يدخل عليها الألف واللام ..".

(٣) ينظر: تاج العروس ٤٢/٣٢١، وفيه: وقد استدل المجيزون بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه من رسالة: على كافة بيت مال المسلمين وهو من البلغاء .

- وتبيعها وقت استغناء كافّة الناس عنها، فتشترى منك بنصف قيمتها .. (١١٨/١).
- وإيّاه نسأل، كافّة أوليائه، وخدم دولته ... (٤٨/٢).

فهذه الاستخدامات الأخرى المخالِفة للنموذج المعياري السائد في العربية قد شاع في البيئة البغدادية كثيرا، حتّى عمّ لغة الفقهاء والقضاة والكُتّاب وغيرهم، " ولا عجب في الاستعمال الجديد، إذ اللفظة كثيرة الدوران على الألسنة، والحاجة إليها ماسّة، وهذا يؤدي عادة إلى تنويع في الاستعمال النحوي "[١].

وقد أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة استعمال لفظة (كافّية) في الحال وغيرها، معرّفة ومنكّرة، ولغير العاقل، استنادا إلى استعمالات فصيحة قديمة، وإلى استعمال بعض أئمة النحاة والأدباء لها مضافة ومسبوقة بحرف الجر[٢].

- دخول (ال) على بعض:

شاع في لغة الكتابة والمخاطبات إدخال (ال) التعريف على (بعض)، وهو أسلوب لا يرتضيه كثير من اللغويين والنحاة، وأجازه بعضهم[٣]، واستعمله التنوخي في مدونته في مواضع عديدة (ينظر: ٢/ ١١٣، ١١/٣، ٢٢١)، وأقرّ هذا الاستعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة[٤].

- دخول (ال) على العدد:

النّمط المعياري المفضّل للأعداد المضافة (المفردة) أن تدخل (أل) على المضاف إليه (الكلمة الثانية)، وهذه صورته: (عدد + أل + معدود)، ومثاله: ثلاثة الأثواب، وعندئذ يكتسب المضاف التعريف من المضاف إليه، وهناك نمط فرعي يجيزه الكوفيون[٥]، وهو عبارة عن دخول (أل) على الجزأين معا، وهذه صورته: (أل + عدد + أل + معدود) ومثاله: الخمسة الأقلام .. وهذا النمط يعد مقبولا عند النحاة وإن لم يصل إلى درجة النمط الأول

---

(١) الأقطش، بحث بعنوان: (أل) الزائدة، في أبنية الأسماء العربية بين النّظرية والاستعمال، الكتاب التكريمي للمستشرق فيشر، أبحاث عربية، إصدار: هاشم الأيوبي، طرابلس، جروس، ١٩٩٤م، ص١٣٥ - ١٦٥.

(٢) ينظر: القرارات المعجمية في الألفاظ والأساليب، من ١٩٣٤ – ١٩٨٧م، الجلسة ٩، الدورة ٥٣، ص٢٦٧.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ٣١١/١، تاج العروس، ٢٤٣/١٨، وفي لسان العرب، ١١٩/٧ يقول الزجّاجي: "وإنما قلنا البعض والكل مجازا، وعلى استعمال الجماعة له مسامحة، وهو في الحقيقة غير جائز".

(٤) ينظر: كمال بشر، اللغة بين التطور وفكرة الصواب والخطأ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٤٦/٦٢.

(٥) ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، (تعريف العدد وتنكيره) ٤٣٨/١، وينظر: الأقطش، التعريف في تعبيرات العدد العربية، دراسة تحليلية على ضوء اللغويات التاريخية المقارنة، مجلة أبحاث اليرموك، م ١٣ ع ١ سنة ١٩٩٥م ص٣٣ – ٩١.

من حيث الفصاحة، وهو شائع في لغة الكتابة والمخاطبات العامية [(١)]، ومما ورد منه في المدونة: العشرة الرؤوس (٨٢/٢)، العشرة الآلاف الدينار (١٥٤/٨)، الخمسين الألف الدرهم (٢٨/٦) .

وهناك نمط شائع في العاميات وفي لغة الكتابة جرى على إدخال (أل) على العدد المضاف دون المعدود، وإن كان على خلاف القاعدة المستقرة لدى النحاة، وهذه صورته: (أل + عدد + معدود)، وتوجد له شواهد صالحة في التراكيب القديمة في عصور الاستشهاد، وورد في استعمال كثير ممن يُستأنس بكلامهم، وإن لم يكونوا من أهل الاستشهاد [(٢)].

وهذا النمط الأخير له حضوره في مدونة التنوخي، فقد وردت في المدونة التراكيب الآتية بدخول (أل) على المضاف دون المضاف إليه:

- " فأنتفع بالمائتي دينار، والثلاثمائة، والأكثر، والأقلّ، ولا أبقي شيئا .." (٦٠/٢).
- " مضت الأربع مائة دينار في التسع سنين .." (٥٠/٣).
- " إنّ هذا المدّعي عليك الألف درهم .." (١٤٠/٣).
- " وقال: خذوا الألف دينار، التي عليه الساعة، واكتبوا على الرجل .." (٦٦/٣).
- " فشرب الماء ثم دفع إليه السبعة دراهم، التي لم يكن يملك غيرها.." (٦٨/٣).
- " فأحضره العشرين الألف درهم الباقية.." (٨٠/٨).

ومثلها: المائتي درهم (٩٤/٣)، الثلاثة الاف درهم (١٧٥/٣)، المائة سنة (٥٤/٤)، الخمسة دنانير (٢١٢/٦)، الأربع رُزم (٩٣/٧)، المائة ألف دينار (٢٣٤/٧)، الخمسة آلاف دينار (٣٣٥/١)، الثلاثة أنفس (٣٣٢/١)، الثلاثة أيام (٢٠٠/٤)، العشرة أمناء (١٧٠/١) ...

---

(١) هناك إشارات تدل على أنّ هذا النمط كان شائعا بين الكتاب، يقول الزجاجي: " ومنهم من يقول: العشرة الدراهم، وهو قبيح، وعليه كثيرٌ من الكتّاب "، ويقول ابن جني في اللمع، ت: فائز فارس، دار الكتب الثّقافيّة، الكويت، ص١٦٦: " وَلَا يجوز الْعشْرُونَ الدِّرْهَم وَلَا الْخَمْسَة عشر الدِّينَار وَلَا نَحْو ذَلِك لِأَن الْمُمَيز لَا يكون إِلَّا نكرَة على أَن الْكتاب الْآن على طَرِيقَة البغداديين فِيهِ وَفِيه من الْقبْح مَا ذكرته ".

(٢) من الشواهد في الحديث النبوي: (وأتى بالألف دينار ..)، (وقرأ العشر آيات ..)، ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، في هامش ٤٣٨/١، وحكمه عنده: " يجوز قبوله مع الاعتراف بأنه غير مستحسن، وأن الخير في تركه، وفيه: " ويقول الشهاب الخفاجي في حاشيته على: (درة الغواص) إن ابن عصفور قال: (هو جائز على قبحه)، وجاء في حاشية ابن سعيد على الأشموني صريح رفضه: (الألف دينار) قائلا: بأنه مرفوض وإن أجازه قوم من الكتاب كما نقل ابن عصفور "، وفي أدب الكاتب، ص٢٧٣: " فأما في العشرة وما دونها والمائة وما فوقها، فإدخال الألف واللام في الأول خطأ في القياس "، وأجازه مجمع اللغة العربية، ينظر: مجموعة القرارات العلمية، ص١٦٩.

وما سوى هذه الأمثلة قد جرى على نمط التقعيد في الفصحى، من دخول (أل) على الجزء الأول من الأعداد المركبة، مثل: الخمسة عشر يوما (١٦٠/١)، ودخولها على ألفاظ العقود مباشرة، مثل: السبعين سنة (٣٤٣/٢)، الثلاثين سنة (٥٤/٧).

ونستنتج مما سبق: أنّ نموذج (الخمسة دنانير)، و(الخمسة الدنانير) قد شاع، وتوسع فيه الاستعمال في العربية الوسيطة على طريقة البغداديين.

– دخول (لا) على غير:

لحّن بعض اللغويين قول العامّة، وأرباب القلم: (لا غير)، وَالعلَّة فِي ذلك أَنه لَا يجوز حذف مَا أضيفت إِلَيْهِ (غير) إِلَّا بعد لَيْسَ فَقَط، قالوا: لأنّ العرب لم تتكلم به [(١)]، وفي المدونة (١٥٧/٥): " ما حجبني عنها، وألزمني الضرّ، إلّا خوف الله عز وجلّ لا غير .."، وفي موضع آخر من المدونة (٢٢٨/٣): " فقال لها: هاهنا غير؟ فقالت: لا غير ..".

– دخول (إلى) على (عند):

اشتُهر في لغة العامة دخول (إلى) على (عند)، ومن المعروف في القواعد المعيارية الفصحى أنّ (عند) لا يدخل عليه من حروف الجر إلا (مِن) تقول: (جئتُ من عنده) [(٢)]، وفي درة الغوّاص: " ويقولون: ذهبتُ إلى عنده، فيُخطئون فيه؛ لأنّ (عند) لا يدخل عليه من أدوات الجرّ إلا (مِن) وحدها .." [(٣)]، وقد ورد في المدونة دخولها على (إلى) (٣٣٨/٢) : " إلى عندي يا سيدي، إلى عندي ..".

– دخول (أن) على خبر كاد:

(كاد) من أفعال المقاربة، ويكون خبرها جملة فعلية، والأغلب في خبرها تجرده من (أن) النّاصبة، وورد اقترانه بأن في كلام العرب بقلّة [(٤)]، أمّا في لغة الكتابة في العربية الوسيطة، فقد اقترنت (بأن) بكثرة، وفي المدونة تراكيب كثيرة جاءت فيها (كاد) مقترنة بأن، مثل:

---

(١) ينظر: الحريري في درّة الغواص، ص٢٧٨: " وَيَقُولُونَ: قبضتُ ألفا لَا غير، فيوهمون. وَالصَّوَاب أَن يُقَال: قبضت ألفا لَيْسَ غير، ... وَأما مَا يردد على لِسَان بعض الْخَواص من قَوْلهم: لَا غير، فَلَا تَتَكَلَّم بِهِ الْعَرَب "، وفي مغني اللبيب، لابن هشام، ص٢٠٩: " وَقَوْلهمْ: (لَا غير) لحن، وَيُقَال: قبضت عشرَة لَيْسَ غَيرهَا".

(٢) ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ٢٩٢/٢.

(٣) الحريري، ص٣١، و عند ابن هشام في مغني اللبيب، ت: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م، ص٢٠٦: " وَقَول الْعَامَّة ذهبت إِلَى عِنْده لحن ".

(٤) ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ٦١٦/١، يقول: " ويجوز – قليلا — أن يقترن بها خبر (كاد) و(كرب)، ولكن الأول هو الشائع فى الأساليب العالية التي يحسن الاقتصار على محاكاتها ".

حتّى كدت أن أثب به (٣/ ٢٣٤)، فكادت أن تتلف جزعا (٣/ ٢٤١)، وقد كاد أن يطلع الفجر (٢٣٦/٢)، حتى كاد أن يغمى عليه (٢٩٠/٣)، ومن الشعر قول القاضي أبي جعفر بن البهلول التنوخي (٢٣١ – ٣١٨): (المتقارب) (٢٧/٤)

أبعدَ الثمــانين أفنيتُهـا وخمسًا وسادسُها قد نما

ترجّي الحياةَ وتسعى لها لقد كاد دينُك أن يُكلَما

وينظر:(١٤٢/١،/ ٧٣، ٧٦، ١٨٥، ٢١٣، ١٠٨/٣، ١٦٣، ٢٧٧، ٦٤/٤، ٢٢٥/٥، ١٢٨/٧، ٦٦/٨، ١٣٥، ١٩٨/٨).

– إقحام (كان) في رسل الكلام:

ومما شاع في العامية البغدادية، وبقيت آثاره ظاهرة إلى اليوم في العاميات العراقية، إقحام (كان) بكثرة في مخاطبات الناس، ومن أمثلتها في المدونة (٢٣٥/٧) :" فقالت له زوجته: لو مضيتَ إلى الوزير، وتعرّفت عليه بخدمتك كانت له .."، (٢٦٠/١) : " جعل استدانتَك من غير حاجة كانت بك إليها "، وقد تأتي حشوا في التراجم (٢٢٢/٢) : " وهذه امرأة فاضلة، كاتبة كانت زوجة عم الوزير ابن شيرزاد .."، ويبدو أنّ هذا الإقحام كان له أثره في ظهور عبارات تركيبية قلقة مضطربة في اللغة المكتوبة، ومن تلك العبارات: " إنّا لله، ليت لا يكون ما عملته معه سببا لموته غمّا .." (٢٨٥/٢) ، " فكرهت ذلك؛ لأنه كان يكون سوء أدب، وقباحة عشرة ..." (٢٢٥/٣).

٦– ظواهر فعلية:

– الأمر عن طريق المضارع:

ومما شاع في كلام البيئة البغدادية، ورصده التنوخي في مدونته، الأمر عن طريق صيغة المضارع، من أمثال قولهم: (٢٤٢/١) " تقولين للسيدة أعزها الله .."، (٢٣٥/٢) " فتكتب إلى خليفتك على القضاء بها .. فترد إليك تلك الوديعة "، (٢٥/٣) " تشكره وتجزيه الخير .."، (٩٦/٣) " تقول لأبي عمر .."، (٢٦٤/٣) " تأمر من يمسكها .."، (٨٦/٥) " تمضي إلى البصرة ..".

– الأفعال المركّبة:

نلحظ في الكلام المحكي في المستوى العامي، تعاطي العاميات للأسلوب التركيبي المكوّن من تضام فعلين أو أكثر معًا، لوصف موقف، أو توضيح صورة، وهو مظهر توليد قوي في اللغة التواصلية العادية، وهو شائع في كل العاميّات.

ويكثُر في هذا التّضام، مجيء فعلين مضارعين معًا (مضارع + مضارع)، ومن أمثلته العبارات الآتية: فجعل يبدأ يقرأ الأسانيد (٦٤/٧)، نخرج نصيد سمكا (١٩٢/٤)، يحسن يتكلم في الفقه (٤٣/٧)، وإلا يخرج ينبّه عليكم السلطان (٢٥٦/٥).

ويمثّل الفعل الثاني محط التركيز، وهو الفعل الأساسي في الجملة، فأمّا الأوّل فهو قيدٌ للشروع، وبيانٌ لجهة الحركة أو المقصد.

– تعدية بعض الأفعال:

وقد يُعَدّون بعض الأفعال مباشرة بدون حرف الجر، ومنه تعدية الفعل (شك) فيقولون: (ولا شكّ أنّ)، وهذا الفعل يعدّى بحرف الجر (في)، فيقال: "وقد شَكَكْتُ في كذا، وتَشَكَّكْتُ، وشَكَّكَني فيه فلان " [(١)]، وقد وردت تعديته في بعض المواضع في المدونة بدون حرف الجر (في)، " ولا شكّ أنّ هذا المنام تفسير منامك .." (٢٤٥/٣)، " فلا شك أنّك لا تكويها .." (١٤٧/١).

– تعدية الخروج:

من المعروف أنّ الفعل (خرج) يتعدى بحرف الجر، فيقال: خرجتُ معه، وفي صحبته، وإلى الحج مثلا ... لكن نجد في المدونة (٢٥١/٥) ورود المصدر منه دون تعديته بحرف الجر: " فقال: قضيت حوائجي، وأريد الخروج صحبتك"، فكلمة (صحبَتك) منصوبة على نزع الخافض، وعند النّحاة من السلف أنّ المنصوب على نزع الخافض مقصور على السّماع، وهو غير مطّرد، وبالتالي فهذا التعبير يعد خروجا على مألوف العربية [(٢)].

---

(١) الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ١٥٩٤/٤.

(٢) ينظر: عبّاس حسن، النحو الوافي، ١٥٩/٢ وفيها: " وقد وردت أمثلة قليلة مسموعة عن العرب، حذف فيها حرف الجر، ونصب مجروره بعد حذفه؛ منها: " تمرون الديار " بدلًا من: تمرون بالديار، ومنها: " توجهت مكة، وذهبت الشام "، بدلًا من: توجهت إلى مكة، وذهبت إلى الشام ... ، فهذه كلمات منصوبة على نزع الخافض، كما يقول النحويون، والنصب به سماعي على الأرجح المعول عليه؛ مقصور على ما ورد منها منصوبًا مع فعله الوارد نفسه ..." وقد فصّل أقوال النحاة فيه.

٧- صور تركيبية أخرى:

- تراكيب بلاغية:

ازداد الاهتمام بالتأنق في الكتابة، وشاعت تراكيب وعبارات في لغة الكتابة، وفي مراسلات القرن الرابع الهجري يكثر فيها السجع، والمحسّنات البديعية، وأصبح الوزراء والكتّاب يحرصون على اختيار عباراتهم بدقّة، وفي المدونة (٨٣/٣) : " إنّ المعتضد أراد أنْ يُشهد على نفسه العدول، في كتاب، صدره: هذا ما شهد عليه العدول جميعا، أنّ أمير المؤمنين، عبد الله، أبا العباس المعتضد بالله، أشهدهم على نفسه، في صحةٍ منه، وجواز أمر. وعُرضت النسخة، على عبيد الله بن سليمان، فضرب عليها، وقال: هذا لا يحسن كتبه عن الخليفة، اكتبوا: في سلامة من جسمه، وإصابة من رأيه ..".

وهناك تعبيرات جديدة دخلت لغة الشعر والنثر، أشرنا إليها في المستويات اللغوية، ومن تلك التراكيب (على سبيل التمثيل):

* أمست فتاة بني نهد علانية، في قول الشاعر: الزبير بن بكار (٢٥٦هـ): (البسيط)

أمستْ فتاةُ بني نَهْدٍ علانيةً وبعلُها في أكُفّ القوم يُبتذلُ

في قصة وردت في المدونة (٢٧٨/٤)، وفيها: " وهذا حرفٌ لم أسمعه في كلام العرب قبل هذا " يقصد قوله: (أمست فتاة بني نهد علانية).

* يا محنة الله كفيّ (٢٥٦/٤) في قول القاضي أبي نصر يوسف بن عمر القاضي (٣٠٥- ٣٥٦):

(المجتث) يا محنةَ الله كُفيّ إنْ لم تكُفّي فخفّي

* ما أبله العين ! (٢٨٧/٣) : عبارة تعجبية وردت في شعر الوزير المهلبي (ت ٣٥٢هـ):

(الكامل الأحذ) أتحسبُ العينُ أنّها طَرَحت على فؤادي ثِقلا من الشّغَفِ

ما أبلهَ العينَ في توهّمِها بأنّها عَرّيت من التّلفِ

ومن التراكيب المولّدة المستعملة تعدية (طوباك) [1] (١٣٤/٦) في قول ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ): (البسيط)

يا نفسُ صبرا لعلّ الخيرَ عقباكِ خانتكِ من بعد طولِ الأمنِ دنياكِ

مرّت بنا سَحَرًا طيرٌ فقلتُ لها طوباكِ يا ليتني إيّاكِ طوباكِ

وكثُرتْ المبالغات البلاغية والاستعارات في النثر، في المراسلات الإخوانية، ومنها: كتاب من يحيى بن فهد الأزدي إلى الأمير أبي تغلب بن حمدان (٤٦/٢)، الذي يصوّر ملامح النثر وتطوره

(١) جاء في الزاهر، لابن الأنباري، ٤٤٩/١: " هذا مما تلحن به العوام، والصواب طوبى لك "، وفي قصد السبيل للمحبي ٢٦٨/٢: " العامة تقول: طوباك، وطوبى فلان، وهو مولّد ".

في القرن الرابع، ومن تلك الصور، ما ورد في المدونة لبعض الكتّاب في وصف قاضٍ، (٥٤/٢)، وفيها: " إنّ لله علينا من النّعم ما لا نحصيه، مع كثرة سُخطه على ما نعصيه، فما ندري أيّها نذكر، ولا على أيّها نشكر، أجميل ما نَشر وأبدى، أم قبيح ما سترَ وأخفَى ".

ولم تسدْ هذه المبالغات النثرية في لغة الكتّاب والمراسلات الإخوانية فحسب، بل وأصبحت ظاهرة عمّت لغة الخطابة، وكلام الزّهاد وشيوخ الصوفية، وفي المدونة (٢٠٢/٢) قولُ أحد الصّوفية: " طيبُ الطعامِ يَستخرج لبّ الشُكر "، وقول السري السقطي الصوفي (١٢٧/٣): " فاكهةُ القراء الغيبة ".

وتكثر الجمل الطويلة التي تتميز بالاستطراد في نثر مدونة التنوخي، ومن أمثلة الجمل الطويلة (٧٣/٣) : "لمّا نشأ لأبي الحسين محمد بن عبيد الله بن نصرويه، مع فضله، ورجلته، ومحلّه المشهور من الدّهاء والفضل، والعلم والعقل، ابنه الباقي الآن، وأخبر أبو الحسين بتأخّره، غمّه ذلك. قال: وكان أبو الحسين، يوما جالسا، إذ جاء ابنه هذا يسعى إليه، كأنّه في مهمّ، ثم نتفَ طاقة شعر كانت على أذن أبي الحسين، وسعى، فآلمه ذلك، وغمّه بلوغ تخلف الصبي، إلى هذا الحد، ورثينا لما جرى. قال لنا: خلفُ النارِ الرماد ".

– تراكيب عاميّة مولّدة:

هناك تراكيب مولّدة سرت على ألسنة العوام، مثل قولهم:

(فلان يستاهل) بمعنى يستحق، وفي المدونة (٤/ ١٨٣) : " لا أفعل، أو أرى هذا الرجل، فإن كان يستاهلك، وإلا لم أدعكَ ورأيك .." [(١)]، وهو مشتق من اسم جامد (أهل)، وحين تتقدم الهمزة حركة، فإنها تختفي وتتم إطالة الحركة السابقة[(٢)].

ومن التعبيرات الشائعة في طلب الوظيفة: التّصرف، وترك التصرّف (٧٧/٤) " وجئتُ إلى بغداد أطلبُ الديوان، فما قبلني أحد ". ومنه: ترك التّصرف، إذا تقاعد، (١٩٦/٤) " وكان قد ترك التصرّف قبل ذلك بسنين ..".

وقولهم: " العن إبليس " إذا أمروه بترك الشر وكفّ الأذى (ينظر: ٢٨٩/١).

---

(١) على الرغم من ورود هذا التركيب عن بعض فصحاء العرب، إلا أنّ بعض اللغويين خطّأ هذا التركيب، يقول الأزهري في تهذيب اللغة ٢٢١/٦: " أمّا أنا فلا أنكره، ولا أخطّئ من قاله؛ لأنّي سمعته، وقد سمعتُ أعرابيا فصيحا من بني أسد يقول لرجل: أنت تستأهل ما أوليت ..".

(٢) يؤكد بعض الباحثين الألسنيين أنّ هذه الظاهرة، التي تشير إلى ضعف الصوت الحنجري المفتوح (الهمزة)، أو حذفه موجودة بشكل كبير في نصوص العربية الوسطى، وهي امتداد لبعض اللهجات العربية القديمة، كلهجة قريش .. ينظر: يوشع بلاو، دراسات في العربية، ص٢٥١.

وهناك تراكيب فصيحة شاعت بين العامة من الناس، من ذلك، استخدام الفعل(شال) ومشتقاته، بمعنى: رفع الشيء، والفعل (خلّيت) ومشتقاته، بمعنى: ترك الشيء، وجابه ومشتقاتها، بمعنى: أحضر الشيء .. [1]، وما زالت أكثر هذه التراكيب شائعة في اللهجات العربية إلى اليوم.

– تراكيب قلقة:

قد يتطلّب عرض موقف المتكلم النفسي حكاية اضطرابه في الكلام، أو رصف المباني التي تدل على ذلك الموقف، ومنه:

– ما حكاه التنوخي في مدونته (٣٧/٤) من تلعثُم غلامٍ في كلامه لسيده في حضرة الضيف: " فقال: ذهبتُ، ولم يكن، فقام يجيء، فجاء، فلم يجىء، فجئتُ .... وإنما أراد: " ذهبتُ إلى الغلام ولم يكن أبوه هناك، فقام الغلام يجيء، فجاء أبوه، فلم يجىء الغلام، فجئتُ أنا ...".

– ومن تلك التراكيب القلقة (قام رجع)، وفي المدونة (٢٤١/٣) : " فرفع الطعام، وخرجنا إلى المسجد، والنّاس مجتمعون ينتظرونه، فخطب، وزوّجني، وقام رجع، فأدخلني إلى الدار ..". ومنها تراكيب ضعيفة التماسك: " ولا حتى تمسكْ فرسي " (٢٦٠/٣)، " يا سيدي لم ليس تخرج؟ .." (٢٦٢/٥).

– تراكيب ملبسة:

سادت بعض التراكيب والعبارات الملبسة الخاصّة في العبارات الدينية لدى بعض الطوائف، كالصّوفية بقصد التعمية والتمويه على مخالفيهم، أو أغراض أخرى، ومن ذلك ما أورد القاضي التنوخي في المدونة في خصومة امرأة صوفية مع زوجها (٢٢٧/٣)، وفيه: " قالت له: أيّها القاضي، هذا زوجي يريد أن يطلّقني، وليس له ذلك، فإن رأيتَ أن تمنعه. قال: فأخذ أبو سعد، يعجّبني من هذا الكلام، وينبّهني على مذاهب الصوفيّة فيه. ثم قال لها: كيف ليس له ذلك؟ قالت: لأنّه تزوّج بي، ومعناهُ قائم، والآن يذكر أنّ معناه قد انقضى منّي، وأنّ معناي قائم فيه ما انقضى، فيجب أن يصبر، إلى أن ينقضي معناي فيه، كما انقضى معناه منّي. فقال لي أبو سعد: كيف ترى هذا الفقه؟ ".

---

(١) ذكرنا العديد من الأمثلة على التراكيب الفصيحة والمولدة والعامية التي كانت شائعة على ألسنة الناس عامتهم وخاصتهم في القرن الرابع الهجري، كما دونت في نشوار المحاضرة، للقاضي التنوخي في الفصل الأول الخاص بدراسة المستويات اللغوية في نشوار المحاضرة من هذه الرسالة.

ومن ذلك ما رواه التنوخي في مدونته (٢٢٨/٣) : " أنّ بشيراز رجلا يعرف بابن خفيف البغداديّ، شيخ الصوفيّة هناك، يجتمعون إليه، فيتكلّم على الخَطَرات والوساوس، ويحضر حلقته ألوف من الناس .... وفي القصّة، فقال: ها هنا غير؟ فقالت: لا غير. قال: فما معنى التزام النفوس، آفات الهموم، وتعذيبها بعذاب الغموم؟ ولأيّ معنى نترك الامتزاج، لتلتقي الأنوار، وتصفو الأرواح، وتقع الإخلافات، وتنزل البركات؟ ".

فهذه العبارات المتولدة في بيئة الصوفية قُصد منها التعمية والإلباس على الخصوم، وإخفاء بعض طقوسهم عن عامّة الناس، بل ونجد مثل هذه العبارات قد شاعت في سائر كلامهم وأدعيتهم، وفي المدونة (١٤٥/٣) في مناظرة أحد القضاة مع بعض رؤسائهم، وفيها: " فاتّفق أن بُدئ برجل من رؤساء الصوفيّة، يعرف بأبي إسحاق بن ثابت، ينزل بباب الشام، أحد الربانيّين، عند أصحابه، فقال له: بلغني أنّك تقول في دعائك: «يا واحدي بالتحقيق، يا جاري اللصيق» ، فمن لا يعلم بأنّ الله لا يجوز أن يوصف بأنّه لصيق على الحقيقة، فهو كافر؛ لأنّ الملاصقة من صفات الأجسام، ومن جعل الله جسمًا كفر، فمن يكون محلّه في العلم هذا، يتكلّم على الناس؟ وقل لي: ما معنى ما بلغني عنك، أنّك تقول في جملة كلامك: «أخذتني منّي، ولم تبقني عليّ، فها أنا بلا أنا» ..".

ويبدو من المناظرة السابقة أثر البيئات الكلامية، والمذاهب التي انتشرت آنذاك في توليد الأساليب، وتكثير اللغة. فمثل هذه التراكيب الملبسة التي نشأت في بيئة خاصة تعطي انطباعا عن أثر البيئات المذهبية في توليد تراكيب، وأساليب جديدة في اللغة.

ونستنتج مما سبق ذكره أنّ هناك تراكيب وأساليب جديدة دخلت في العربية، ويمكن أن نطلق على هذه المرحلة من تاريخ العربية (العربية الوسيطة) التي من أبرز سماتها الميل إلى التخفف من الإعراب، وحذف بعض الأدوات والكلمات اختصارا، وغيرها من الظواهر المدروسة، ولعله مما يشفع لهم في ذلك تحقق الإفادة في الكلام والإفهام فيه، وهذا هو الهدف الأساسي والغاية من اللغة.

ونستطيع أن نجزم كذلك بأنّ ما اصطلحنا على تسميته بالعربية الوسيطة لا يختلف كثيرا عن تراكيب وأساليب بعض اللهجات العربية الحديثة، ولا سيما اللغة المتداولة في البيئة العراقية الحديثة، فهناك مستويات لغوية متعددة ما بين فصيح وعامي ومولّد ومقترض، وأنّ اللغة المنطوقة التي كانت سائدة في القرن الرابع الهجري تقترب كثيرا من اللهجات العراقية الحديثة، دليلنا في ذلك ما رصده التنوخي في مدونته من شواهد تحكي واقعية اللغة ومستوياتها المتعددة في البيئة العراقية في عصره وما قبله.

رابعا: مظاهر التـــوليـــد الـــدلالي

يعرّف التوليد الدلالي بأنّه التغير المقترن بالتّحول في الدلالة، سواء أكان توسيعا أم تضييقا، عن طريق المشابهة، أو إحدى علاقات المجاز المرسل، فالعلاقات الدلالية بين الأصل وما تولّد منه، تقوم في جملتها على أساسين ثابتين: علاقة المشابهة الاستعارية، وعلاقة المجاز المرسل .. يقول ابن جني: " وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة، وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه .." [(١)].

وينشأ التوليد الدلالي في مفردات اللغة غالبا عن طريق المجاز المرسل والاستعارة والكناية، فتظهر دلالات جديدة في اللغة تحملها دوالٌ قديمة موجودة فيها، ويحدث أن تنتقل دلالات كلمات من مجال دلالي إلى آخر، وقد تعمم الدلالة أو تضيق، أو تخصّص الدلالة بالحذف، أو تنتقل من المحسوس إلى المجرد أو العكس بعلاقة المشابهة أو غيرها في تسمية الأشياء وانتقالها من مسمّى إلى آخر .

وإذا كان الاشتقاق هو وسيلة العربية المثلى في التوليد الشكلي، فإنّ المجاز، وهو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له، هو وسيلة العربية المثلى في التوليد الدلالي، أو التغيير الدلالي.

نماذج من التمثيلات:

من الكلمات التي تغيرت دلالاتها من الدلالة الأصلية إلى دلالة مغايرة، فصارت من الأضداد:

سَلامة: يقولون: " وما كانت فيه سَلامة " (٣٠/١)، أي: غفلة، كما عُرف عن العرب من إطلاقهم كلمة (السّليم) على اللديغ، تفاؤلا، وهي من الأضداد.

تصدّق، يتصدّق: إذا أعطى الصدقة [(٢)]، وهذه دلالتها المعروفة، ولكنّا نجدها ترد في مدونة التنوخي بمعنى: أخذ الصدقة وطلبها، ونجد أن الفعل اكتسب دلالة ضدية جديدة، إضافة إلى دلالته القديمة المعروفة، ولذا اعتبرنا هذا الفعل من الأضداد.

الدلالة القديمة الاعتيادية: "كان في جوارنا فلان، فتصدّق ليلة على ضرير اجتاز به .." (٦٠/٣).

---

(١) الخصائص، ٤٤٤/٢.

(٢) يعتبر ابن قتيبة في أدب الكاتب الدلالة الجديدة للفعل يتصدق، من أغلاط العامّة، يقول ص٢٥: " ومن ذلك قول الناس: (فلان يتصدَّق) إذا أعطى، و (فلان يتصدَّق) إذا سأل، وهذه غلط، والصواب (فلان يسأل)، وإنما المتصدّق المعطي "، وقد رد قول ابن قتيبة جماعة من علماء اللغة، ينظر: الخيّاط، محمد هيثم، (رد العامي إلى الأصل)، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٢٧/٨٩.

الدلالة الجديدة: " وكان فقيرا، فإذا كان النّهار، خرج يتصدّق .." (٦١/٣)، " فإذا الرجل بعينه قائمًا يتصدّق .." (٧٨/٣)، " وأتصدّق بين البيوت ما آكله .." (١٦٤/٣)، وينظر: (٢٧٨/٣، ١٧٨/٤، ٣٣٥، ٩٨/٧، ١٦٨/٨، ٢٢٦).

أمثلة على التوليد الدلالي بمظاهره المختلفة:

بُرذعة: الأصل أنها كِساء يُلقى على ظهر الدابة، ثم استعير للفراش الذي يوضع للحجرة من أجل الراحة، وفي المدونة (١٧٥/٢) : " .. فإذا بخدم قد جاءوا، فأدخلونا إلى بيت في نهاية الحسن والطيب، مفروش بفاخر الفرش، وفيه برذعة وطيّة سريّة، فبخّرونا عليها ".

البُرمة (١٩٦/٤) : في الأصل القدر من الحجر، يستخدم لإنضاج اللحم، ثم أطلق على نوع من الطعام يوضع في البُرم.

البُغض: في مدلولها القديم، بمعنى: الكراهية، إلاّ أنها استُعملت في البيئة البغدادية في عصر التنوخي بمعنى: شدة التزمت والوقار والتقبّض، يقال للمتزمت: (فلان بغيض)، وفي المدونة (٩٠/١) : " مع شِدّة تقشّف أبي حازم وبغضه ..."، وفي موضع آخر (٢١٦/٢) : " وكان بغيضا ".

بوز: تعريب (پوز) الفارسية، حرف بين الباء والفاء، وفي المدونة (٢٢٨/٦) : " فرأى الكلب في الدهليز، وهو ملوّث بالدم، وجهه وبوزه كله ..."، والأصل فيها أنّها تُطلق على فم الكلب، ثم تطوّرت في كلام العامة لتطلق على الفم (عامة) سواء كان فم الإنسان أو الحيوان [(١)].

الجريدة (٧٠/١، ٧١، ١٤٥) : القائمة، أو كشف الأسماء، وكانت دلالتها القديمة تُطلق على سعف النخل.

جمعة: الجمعة هو اليوم المعروف من أيّام الأسبوع، وقد يُطلق – أحيانا – في كلام الناس، ويراد به (أسبوع)، من باب تسمية الشيء ببعض أجزائه، وفي المدونة (١٣٦/١) : " فاستخرجتُ منه بالرفق، ثلاثمائة ألف درهم، في جمعة ..."، وفي موضع آخر (١٧٩/٢) : " إذًا يبلغ السلطان خبرك في جمعة ...".

---

(١) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٣٠، وفي قصد السبيل، للمحبي، ٣٠٧/١: " عامية، ويطلقونه على الأكثر على فم الكلب ".

الحُرّة: ضد الأمَة، ثم أطلقت على زوجة الخليفة أو السلطان إن تزوج مما ملكت يمينه بعد عتقها، ثمّ عُمّمت دلالتها لتطلق على المرأة بعامة، وفي المدونة (١٢/٥) : " وإنما سمّيت الحرّة، لأجل تزويج المقتدر بها، وكذا عادة الخلفاء، لغلبة المماليك عليهم، إذا كانت لهم زوجة، قيل لها: الحرّة "، وينظر: (١٧٠/٣).

الاحتشام والحشمة (١٧٤/٢، ١٨٨، ٣/ ٧٧ ،٢٣٨، ٢٩٠) : جاءت في المدونة في عدة مواضع بمعنى: الاستحياء وترك الانبساط، والأصل في دلالتها أنّها بمعنى الغضب[١].

المُترس والتّرباس: في الأصل: خشبة أو نحوها تستعمل خلف الباب بقصد إغلاقه، ثم استعمل في غلق الباب كيف كان[٢]، يقولون: ترس الباب، وباب متروس، ومتربس، وأربس، وفي المدونة (١٠٠/٧) : " فقال للجارية، افتحي الأقفال من الباب، ودعيه متربسًا، ففعلت، وقربت من الحمار، فرفس، فصاحت. فخرجتُ أنا، ففتحتُ المترس، وخرجتُ أعدو ..".

الارتفاع: مصطلح إداري اشتهر في العربية العبّاسية، أطلق على الإيراد المالي، أو الدخل، أو ما يُعرف بالموازنة المالية، وفي مدونة التنوخي(٦٥/١) : " فوفرُ ما بين الارتفاعين يعمّر الدنيا كلّها .." ، (١٨/٨) " فوقّع المعتصم يوما، أن يُقطع الواثق ما ارتفاعه ألف ألف درهم .."، (٧٩/٥) " وأنّه كان يسمع الكتّاب يقولون في ضياع أبي الحسن بن الفرات، أنّها ترتفع في وزارته بألف دينار ..". والكلمة في أصلها (ارتفاع جباية الأراضي) بمعنى: تحصيلها، فاستُعمل لفظان أو أكثر معا، ثم أهملت بعض كلمات العبارة واختزلت؛ لكثرة استعمالها، لتصبح (الارتفاع) اختصارا، فيقولون: ارتفاع الدولة، بمعنى: مقدار جبايتها، أو مجموع دخلها، فأصل هذه الدلالة أنّهم كانوا يستعملون (ارتفاع) مع لفظ جباية، ثمّ أسقطوا لفظة(جباية) اختصارا، وبقيت لفظة (الارتفاع) لتدل على (ارتفاع جباية الدولة)[٣].

---

(١) جاء في أدب الكاتب، لابن قتيبة ص٢٣: " ومن ذلك " الحِشْمَة " يضعها الناس موضع الاستحياء، قال الأصمعي: وليس كذلك، إنما هي بمعنى الغضب، وحكى عن بعض فصحاء العرب أنه قال: إن ذلك لمَّا يُحْشِمُ بني فلان، أي: يغضبهم ".

(٢) ينظر: تاج العروس، ٤٧٨/١٥.

(٣) ينظر: زيدان، جرجي، اللغة العربية كائن حي، ص٤٢، وقد سمّاه المبارك في فقه اللغة، وخصائص العربية، ص٢١٧: (التخصيص في اللغة بالحذف)، كحذف أجزاء من التركيب، مثل: المضاف إليه، والصّفة، فكلمة الحياة الدنيا، اختزلت إلى الدنيا ..

الأزرق (١٤/٥) : صفة تُطلق على من كان أزرق العينين، وهي صفة غالبة في الروم، وكانوا في حروب دائمة مع العرب، ثمّ أصبحت هذه الصفة تطلق على العدو البغيض، فيقال للعدو الألد والخصم الخبيث: " عدو أزرق ".

الشّبْكة: الهدية من ذهب تهدى إلى العَروس، وفي الأصل: فرس سابقة كانت للعرب، ثم تطوّرت لتطلق على نوع من الذهب يهدى للعروس، وفي المدونة إيراد لقصة الشّبكة، (٢٦١/٣) وقولهم : " لا نزوّجك إلا أن تجعل في الصّداق الشبْكة".

الشّارب، الشّراب: هو الساقي، وقد اشتهر هذا الاسم في البيئة البغدادية؛ لأنه ينادي على الماء: شارب، فانتقلت دلالته من الشخص الذي يقوم بالشرب، إلى الشخص الذي يسقي القوم في المجالس والمحافل، كما يدل عليه سياق النصوص في نشوار المحاضرة، ففي المدونة (٦٨/٣) : " ودعاه، واستسقاه، فكسر الشارب شفة كوز كان معه، وملأه ودفعه إليه "، وفي موضع آخر (٤١/٣) : " إنّ أبا القاسم البريديّ، أيّام تقلّده الأمر بالبصرة، شرب يوما، وعنده جماعة من ندمائه، فافتقد قحف بلّور، كان معجبًا به، وطلبه الشرابيّة، فلم يُعرف له خبر ..". ومفرد الشرّابية (شرّابي)، وفي المدونة (١٩٧/٤) : " جاء طبّاخه بما كان في مطبخه، وجاء شرابيّه بالصّواني، والمخروط، والفاكهة، والبخور، وجلس يومه ذاك عندي ".

صُحبة: الصُحبة هم الرفقة في السفر وفي غيره، ثم أطلقت على جماعة المسافرين، أو القافلة، وفي المدونة (٢٢١/٨) : "وأقام عندهم، إلى أن اجتازت بهم صحبة، رحل معها التاجر، إلى مأمن .."، ثم تطوّرت هذه الكلمة في بعض اللهجات العراقية، وأطلقت على القصّة التي تُروى، فإذا أراد أحدهم أن يروي قصة قال: استمعوا إليّ، أروي لكم صُحبة [(١)].

طَسُوج (٢٤/٤، ١٠/٨، ١٦٤) : وجمعها (طساسيج)، الناحية، مركب من (تا) أي: إلى، ومن (سو) أي: جانب [(٢)]، ويرى يوهان فك أنّ طسوج العربية، معرّب (تاسوك) الفارسية الوسطى، وتنطقها الفارسية الحديثة (تاسو) وهي في الأصل تعبّر عن ربع دانق،

---

(١) وهي لهجة الموصليين بالعراق كما يقول محقق نشوار المحاضرة على هامش، ٢٢١/٨.

(٢) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١١٢.

جزء من أربعة وعشرين جزءا من الدينار، ثمّ بطريق المجاز انتقلت دلالته لتعبّر عن جزء من الأرض، ثم عبّر عنه وتطورت دلالته لتدل على الناحية؛ لأنها تصوّر أقل وحدة من وحدات التنظيم الإداري في تقسيم المناطق والنواحي[1].

التطهير: تطلق كلمة (الطهارة) بالمعنى العام الشامل مصدرا للفعل (طهّر)، ثم استخدمت استخداما خاصا بمعنى: الختان، وفي المدونة (١٤٦/٤) " فعزم أبو القاسم على تطهير ابنه ..".

الفتوّة: في مدلولها القديم: الاتصاف بجميع الصفات المحمودة من نجدة ومروءة وإباء وسخاء وإيثار وصدق .. ثمّ تطوّرت دلالتها في البيئة البغدادية، وبعض البيئات العربية لتدل على طائفة أو مجموعة من النّباس، يوكل لهم مهمات خاصة في الأحياء منها: حماية النّباس، وحراسة البضائع، ويكون لهم رئيس يأتمرون بأمره، ويظهرون عندما تضعف الدولة عن أداء مهامها، وفي المدونة (١٠٢/٧) قول أحد اللصوص: " من نصح التّجار شاركهم في أموالهم، ولو كنت أردت مالك باللصوصية، فعلت، ولكنّك رئيس بلدك، ولا أريد أذيّتك، فإنّ ذلك يخرج عن الفتوة ..".

التفرّج: قولهم: (نتفرّج) من الفُرجة، وهي إزالة الهم، ويستعمل هذا الفعل في البيئة العبّاسية بمعنى: التنزه والتمتع بمشاهدة الطبيعة غالبا، وفي المدونة (٢٨/١) : " فأحبّ أن تقيم عندي، لنأكل ونتحدّث ونتفرّج .."، (٣٧/٤) : " فقم حتى ندورَ في البستان الذي في دارنا ونتفرّج، فلعلّه يخفّ ما بي .."، وينظر: (٢٣٥/١، ٦٢/٤).

والعلاقة بين الفُرجة: وهي إزالة الهم، والتّفرج: طلب الفُرجة، أنّ النزهة في البساتين ومشاهدة الطبيعة سبب إلى تفريج الهموم، فالعلاقة بينهما: السببية، ومن ثمّ سمي الفعل بنتيجته وسببه، وبمعنى أدق: تسمية الشيء بما يؤول إليه.

القتل: يطلق على إزهاق الروح، واستخدم في البيئة البغدادية العامية بمعنى الضرب المبرح، وفي المدونة (١٢٤/٤) : " ويلك، ألست من الآدميين، تقتل هذا القتل، ويفضي حالك إلى التلف، وأنت لا تعترف ؟! ".

---

(١) العربية، ص٢٠٤.

القصّـيـة (٥٨/٥، ٩٨، ٢٦٢/٧) : وردت في المدونة في عدة مواضع، تحمل دلالة خاصة، وهي: العريضة، أو الشّكوى التي يرفعها المتظلّم للحاكم أو من ينوبه في ديوان المظالم.

القَصف: يأتي القصف في العربية الفصيحة بمعنى: الكسر، أما القصف بمعنى اللهو والتمادي في المجون، فتُعدُ دلالة مولّدة [(١)]، وفي المدونة (٣/ ١٥٩) من شعر أبي الفرج ابن البغاء ت (٣٩٨م)، (شاعر سيف الدولة الحمداني): (البسيط)

بالقفصِ للقصفِ منزل كثَب ... ما للتّصابي في غيره أَرب.

القِماش (٣٧/١، ١٥٦، ١٧٩) : تعني أراذل الناس والأشياء، ثم اكتسبت دلالة متاع البيت وأثاثه.

القـوّال (٢٧٨/٢، ٣٥٦، ٢٣٦/٥) : صيغة مبالغة من القول، وأصبحت تطلق في عصر التنوخي على المنشد، أو الضارب بالقضيب، وفي المدونة: " جارية تقول بالقضيب ": أي تغني بالقضيب، ويقال للمغني بالقضيب: قوّال.

التقيين والمقيّن والمتقاين، تقاين: أصل التقيين عند العرب بمعنى التزيين، يقال: قيّنت فلانة صاحبتها، أي: زيّنتها، ويدل على هذا الأصل ما ورد في غريب الحديث " .. فما كانت من امرأة تقيّن في المدينة إلا أرسلت إليّ تستعيره " [(٢)]، فالقينة في الأصل هي الأمة، ثم تخصص لفظها ليقتصر على المغنية خاصّة؛ لأنّ الغناء لا يؤدّى في أغلب الأحوال إلا بهنّ، وأصبحت كلمة (المتقيّن) مستعملة في عصر التنوخي بمعنى اتخاذ القيان، وأصبح للقيان مدلول خاص مرتبط بالغناء والمغنيات، فالتقيين والقينة مرتبط في الأصل بالتزيين، ثم استعمل في اتخاذ القيان المغنّيات خاصة، وهو استعمال مولّد، وكذلك كلمة (المتقاينين)، وهم المستهترين بسماع القيان ومصاحبتهن، والإنفاق عليهنّ، وهو أيضا استعمال مولّد [(٣)]، (٥/١، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٧، ٣٠٥، ١٢/٣).

---

(١) ورد في الصحاح، للجوهري:١٤١٦/٤:" والقصف: اللهو واللَعِبُ، يقال: إنها مولدة "، وفي جمهرة اللغة، لابن دريد ٨٩١/٢: " فَأَما القَصْف من اللَّهْو فَلَا أَحْسبهُ عَرَبيا صَحِيحا ..".

(٢) للخطابي ٥٧٧/٢.

(٣) ينظر: تيمور، أحمد في (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، مجلة المجمع العلمي العربي، م٢، ج١٠، وعدّ الحريري هذا التطور الدلالي للكلمة لحنًا وخطأ في المعنى، ينظر: دُرّة الغوّاص، ص٦٩٣.

الكبس (٦٣/٣ ، ٢٠٠/٥، ٧/ ٧٣، ٨٣/٦) : في أصل اللغة: طمر التراب على الحفرة، ويسمى ذلك التراب: الكبس، ثم أطلقت على الاقتحام على الشيء بقوّة، وفي عصر التنوخي وما بعده استعملت استعمالا خاصا وهو: اقتحام الشرطة أو اللصوص الدار بالقوة.

المتنزّه: وهو مكان النّزهة، وفي الأصل: المكان المتباعد، حيث كانوا يتنزهون من الأقذار، ثم استعمل ليدل على البساتين، وأماكن المياه، وكان الناس يخرجون إليها للفرجة، والترفيه، وفي المدونة (١٣٧/٦) : " خرج سالم بن عبد الله متنزَها إلى ناحية من نواحي المدينة، مع حرمه، وجواريه " ولعل الجامع بين الدلالتين القديمة والمستعملة في العصر العبّاسي، هو دلالة البعد، " ولا يخفى أن العادة كون البساتين في خارج القرى غالبا ولا شك أن الخروج إليها تباعد .." [1] فهذا من قبيل التوسع في الدلالة.

تراكيب إضافية اشتهرت في البيئة البغدادية:

أهل مقالته: المقالة في الأصل: مجموعة الأقوال، أو الكلام الذي يتفوه به، ثم استعملت في أصحاب المذهب، والطريقة، ينظر في الاستعمال الأول: (٣٥٣/٢، ١٩٤/٧)، وفي الاستعمال الثاني، ينظر: (١٧٣/١، ٢٥٤/٤).

مجلس الحق: مكان تشييع الجنازة، وتقديم العزاء، ومنه: أيام الحق، ويقصدون بها أيام تقديم العزاء لأهل الميّت، ينظر: (٢٥٨/١، ١٧/٤، ١٨، ٩٨).

يوم الأسبوع: يوم السابع، وفيه تُصنع وليمة في الاحتفال بمرور أسبوع على الزواج، وفي المدونة (١٨٩/٤) : " فدخلتُ بها، وبتّ بليلة من ليالي الخلفاء، ولم نفترق أسبوعا، وكانت يوم الأسبوع، وليمة هائلة، اجتمع فيها الجواري ..".

أيّام الموسم: ويُقصد بها موسم الحج خاصة، وهو من باب تخصيص اللفظ، وفي المدونة (١٣/٦): " وأمّ بالنّاس في المسجد الحرام، أيّام الموسم ..".

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، ٥٢٥/٣٦. ومثل هذه الكلمات أمثلة على التطور الدلالي الذي يصيب مفردات اللغة فتتغير دلالاتها، أما بعض علماء اللغة من السلف فقد عدّوا هذا التعبير خروجا عن مألوف العرب في كلامهم، وفي إصلاح المنطق، لابن السّكيت ص٢٠٦: " ومما تضعه العامة في غير موضعه قولهم: خرجنا نتنزَّه، إذا خرجوا إلى البساتين، وإنما التنزه التباعد عن المياه والأرياف، ومنه قيل: فلان يتنزه عن الأقذار، أي يتباعد منها ..".

كلمات تطورت دلالاتها حديثا:

الأستاذ: فارسية (استاد)، ومعناه المعلم[1]، استعملت في العصر العباسي لتسمية رئيس الديوان، أو من يقوم بالإشراف على أعمال الدولة، أو المقدّم في الصنعة والمهنة، وفي المدونة (٧٢/٤) : " فكانا يجلسان بحضرة أبي الحسن، ويأمرهما وينهاهما، ويسمّيانه أستاذنا، على رسم أصحاب الدواوين إذ ذاك .."، وفي موضع آخر (٢١٦/٣) : " فصاح به الملّاح: أيّها الأستاذ- وكذا كان يخاطب – وهو رسم لكلّ من يتقلّد رئاسة الشرطة ببغداد "، ويطلق – أحيانا — في مخاطبة كبير الدولة، أو الولاية، وفي المدونة (١٧٤/٣) : " وجعله طيّ رقعة إلى الأستاذ كافور " وينظر: (١١٢/١، ١٧١، ٣٣٥/٢، ١٧٤/٣، ٢٠٥، ٢١٧، ٢٤٤، ٤/ ١٨٥ ،٩٨، ١١٥، ٢٣٣/٥، ٢٥٠/٧، ١٨٠). أمّا في العصر الحديث فاستقرّت دلالتها عند العامة على من يقوم بمهنة التدريس، مرادفة لكلمة (المعلّم)، وتطلق في أحيان كثيرة على من يتصدرون مراتب أكاديمية أو حكومية رفيعة.

المؤامرة: استعملت في العصر العبّاسي في عمل مذكرة التحقيق المالي، والمناظرة والتدقيق في الحساب، وقائمة الضرائب والرسوم التي تلزم الشخص، وفي المدونة (٢٦/٨) : " فتشاغلتُ أنا بعمل مؤامرة له، فلم أجد عليه كثير تأوّل، .. وقد كنتُ صدّرت أوّل باب من المؤامرة، بأنّيه فصّل تفصيلا، ثمن الغلّة المبيعة .."، وفي موضع آخر (٢٩/٢) : " فقصده عليّ بن عيسى، وعمل له مؤامرة بمائة ألف دينار في عمله، وعزم على أخذها منه، وأحضره، وسلّم إليه المؤامرة .."، وينظر: (٣٠/٢، ٣٣٨، ٢٧/٨، ٢٩). واتسعت دلالتها في العصر الحديث لتأخذ بعدا سياسيا هو: تدبير المكايد والتخطيط المستهدف المنظم للإضرار بمصالح الآخر ..

الحَضرة: اشتهر استعمال (حضرة) كثيرا في الخطابات الرسمية ومخاطبة الأعيان وكبار المسئولين في عصرنا الراهن، وهي من الألقاب القديمة التي كانت تُستعمل في مكاتبة الخلفاء،

---

(١) ينظر: العنيسي، طوبيا، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، مع ذكر أصلها بحروفه، ص١١، وأدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١٠، وفي التركية والكردية (أسطا)، وشاع استخدامها في بعض اللهجات العربية. وعند الجواليقي في المعرّب، ص٧٣: " يقولون للماهر في صنعته: أستاذ، واصطلحت العامّة إذا عظّموا الخِصي أن يخاطبوه بالأستاذ، وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذي هو الصّانع، لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم ..".

وكان يقال فيها: الحضرة العالية، والحضرة السامية [1]، وقد استخدمت في مدونة التنوخي بهذه الدلالة، فكانت تدل على مجلس أو ديوان، ومن أمثلتها في المدونة (٢٠/٢) : " فلما كان في المجلس الثاني، حضرنا حضرة المتوكّيل .."، وفي موضع آخر (٦٧/٢) : " غدوتُ في بعض الأيّام إلى حضرة الوزير أبي عليّ بن مقلة .." (١٣/٢) : " قال الرخّجيّ للخادم: ارجع إلى حضرة أمير المؤمنين "، وجاءت في هذه المواضع لتدل على مجلس، أو مقام (للتفخيم) أو مكان، وفي المدونة أيضا، وردت عبارات مثل: (مشايخ الحضرة)، أي: أعيانها، و(كتّاب الحضْرة) ينظر: (١٣٠/١، ١٥٢/٢، ٦٤/٥)، ويراد بالحضرة: حاضرة بغداد، حيث يقيم الخليفة وكبار المسئولين والأعيان عادة، ثم تطور استعمال الكلمة لتدل على صاحب المقام العالي.

العُمّال (٣١/١، ١٩٠، ١٩/٢، ١٢٠، ٢١٧)...: تعني في دلالتها القديمة: من يتولون مناصب رفيعة في الدولة، فتوكل إليهم مهام إدارة شئون منطقة ما، من حيث تولي الحرب وتنظيم الدخل والخراج وما إلى ذلك، أما حديثًا فانحطّت دلالتها لتدل على من يقومون بأداء المهن الاجتماعية المختلفة.

المكتب: يطلق في البيئة العربية القديمة وفي البيئة البغدادية على دور تعليم القراءة والكتابة والشعر، وفي المدونة (١٣٥/٢) : " فقال: سبحان الله، هذه علّمنيها المعلّم في المكتب "، وينظر: (٢/ ٢٤٨، ٢٤٨/٣، ٦٦/٥، ٢٠٠/٧)، وتطور استعمال هذه الكلمة في العصر الحديث لتطلق على أماكن إدارة الوظائف العامة ومرافق الدولة.

قماش: تُطلق في عصرنا الحاضر على أنواع المنسوجات التي تُلبس، ونجدها في مدونة التنوخي بمعنى: متاع البيت وأثاثه، (ينظر: ٣٧/١، ١٥٦، ١٥٧، ١٧٩، ٣٣٩/٢)، وجاءت في أصل اللغة بمعنى: أراذل الناس، وفتات الشيء [2]. ولعلّها تطوّرت واتّسعت دلالتها من المعنى الخاص الوضيع وهو: فتات الأشياء، إلى متاع البيت، وأثاثه، وفي الصحاح: " وقماش البيت: متاعه " [3].

---

(١) ينظر: زيدان، جرجي، اللغة العربية كائن حي، ص٦٤.

(٢) ينظر: القاموس المحيط، ٧٧٨/١.

(٣) للجوهري، ١٥٣/٤.

أما دلالتها الحديثة فربما جاءت من تعريب (كِماش) الفارسية على جهة المشابهة اللفظية، بمعنى: نسيج من قطن خشن[1]، فأصبحت هذه الكلمة العربية ذات دلالة جديدة على المنسوجات.

المناظرة: استعملت في العصر العبّاسي للدلالة على التحقيق والمساءلة القضائية، وفي المدونة (٢٦٨/٨) : " إلى أنْ أخلى لنا مجلسه، في يوم خميس، وناظرَنا مناظرة طويلة، وشدّد علينا أمرًا عظيما .."، وفي موضع آخر (١٢٤/٨) : " فخاطب عليّ بن عيسى في ذلك، الخليفة، واستأذنه في جمع الفقهاء، والقضاة، ومشايخ الكتّاب، ووجوه العمّال، وجلّة القوّاد، ومناظرة القوم بحضرته، وتقرير الأمر على ما يوجب الحقّ- عند الجماعة- والعدل، فأذن له في ذلك ..". وينظر: (٣٢٨/١، ١٩/٢، ١٢/٣، ٦٥، ١٤٤، ١٣٠٢٩/٨)، وتستعمل أحيانا لأغراض علمية تتعلق ببسط الحجج المذهبية والآراء الفقهية وغيرها من أبواب العلم بين متناظرين، وفي المدونة (٧٢/٦) : " وكان يجتمع في مجلسه قوم فيتناظرون، فيدعو بدفتر، فينظر فيه، ثم يلقي من المسائل، ويقول لمن يلقي عليه، أخطأت، أو أصبت، من الدفتر ..". وهذه الدلالة الثانية هي ما استقرت عليه الكلمة في العصر الحديث.

الوظيفة: مصطلح استعمل في العصر العبّاسي بمعنى حساب المائدة، أو ما يخصّص لكل شخص من خبز وفاكهة ونحو ذلك كل يوم، وفي المدونة (١٧٨/٣) : " وكان وكيل كل واحد منهما يقيم لهما، ولغلمانهما ما يُحتاج إليه للمادة والوظائف .."، وفي موضع آخر (١٤٩/٤) : " يحمل إليه غدا جميع وظائفنا، ولا يُطبخ لنا شيء البتّة .."، واستخدم هذا المصطلح حديثا للدلالة على العمل الحكومي الذي يُسند للشخص.

وفي الجدول التالي بعض الألفاظ التي تطورت دلالاتها نحو الاتساع أو التعميم أو التخصيص:

---

(١) ينظر: أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص١٣٩.

الكلمة	الدلالة القديمة	الدلالة الجديدة	قاعدة التغير الدلالي
بُرذعة	كساء يوضع على ظهر الدابة	نوع من الأفرشة الفاخرة	الاتساع
البُرمة	القدر من الحجر	نوع من الطعام	المجاورة المكانية
بوز	فم الحيوان (فارسية)	الفم عامة	تعميم الدلالة
الجريدة	سعف النخل	القائمة أو الكشف	النقل والاستعارة
جمعة	اليوم المعروف	الأسبوع	تسمية الشيء ببعض أجزائه
الحشمة	الغضب	الحياء	نقل وتخصيص
المستمعين	اسم فاعل من استمع	المستهترين بسماع الغناء خاصة	التخصيص
صُحبة	الرفقة	القافلة أو جماعة المسافرين، والقصة تُروى	التخصيص
تصدّق، يتصدق	يعطي الصدقة	يأخذ الصدقة، يسأل	الأضداد
الأزرق	أزرق العينين	العدو الألد	تعميم الدلالة
طسوج	ربع دانق	الناحية أو المنطقة	المشابهة
التطهير	الطهارة عامة	الختان (خاصة)	التخصيص
الطيّار	السريع الطيران	نوع من السفن	المشابهة
قماش	فتات الشيء	متاع البيت وأثاثه	الاتساع

العناية باختيار الألفاظ:

يتكون المجتمع العبّاسي من طبقات عديدة، وطوائف ومذاهب شتّى، إضافة إلى شعوب ممتزجة، وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى ظهور مستويات عديدة من الأداء اللُغوي بين فصيح وعامي ومولّد ومقترض ..

وبيّنا سابقا أنّ لغة التخاطب الرسمي في بلاط الخلفاء العبّاسيين، وفي مجتمعات العلم والفقه والقضاء وطبقة الكتّاب كانت الفصحى المعيارية، أمّا العوام وسائر طبقات المجتمع الأخرى فلم يكونوا يلتزمون بتلك المعيارية في مخاطباتهم، ولم يُعنوا باختيار الألفاظ التي تناسب

الدلالات، وأشرنا حينها إلى تنبيه أحد القضاة لأحد الشهود بضرورة توخي اللفظ المناسب عند الدلالة المناسبة، وتخطئته عبارة (يضرب بالرباب)، وقوله للمخاطب (١٧٠/٢) : " كأنّيك لا تعلم أنّ الرّباب يجرّ حتى يُسمع صوته، ولا يضربُ به "، ففعل الضرب يكون للعود، وفعل (الجر) للرباب.

ومما يدل على عنايتهم باختيار الألفاظ، واستبعادهم الألفاظ التي لها دلالات معينة، أو تثير في النفس نفورا ما ذكره القاضي التنوخي عن أبيه (٣٦/٥) : "كنت جالسًا بحضرة عضد الدولة، ونحن مخيّمون بالقرب من مصلّى الأعياد، في الجانب الشرقي من مدينة السلام، نريد الخروج معه إلى همذان، في أول يوم نزل العسكر، فوقع طَرْفه على البناء الذي على قبر النذور. فقال لي: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور، ولم أقل قبر، لعلمي بتطيّره من ذكر هذا. فاستحسن اللفظ، وقال: قد علمتُ أنّيه قبر النذور، وإنما أردت شرح أمره...". فقد اقتضى الموقف إحلال كلمة (مشهد) بدلا من (قبر) نفورا مما ينفّر السمع عند السلطان البويهي.

ويشبه هذا الموقف ما أورده التنوخي عن أحد كتّاب أبي تغلب الحمداني من تغييره عبارة: (أمور جميلة) إلى (أمور حميدة) وفي المدونة (١٩٣/١) : " حدّثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد، قال: رأيت أبا الحسن عليّ بن عمرو الموصليّ يكتب إلى أبي تغلب بن ناصر الدولة، وكتب في موضع من الكتاب (أمور حميدة). فقلت له: هذا الموضع يصلح أن يكون فيه (أمور جميلة) فأمّا حميدة، فهي لفظة مستكرهة. فقال: صدقتَ، ولكنّي كتبت، وأنا بالموصل، رقعة إلى أبي تغلب، فيها (أمور جميلة) فوصلتْ إليه، وهو عند أخته جميلة، وهي غالبة عليه، محتوية على أمره، لا يقطع شيئا دونها، ولا يفصل رأيا إلّا عن مشورتها، وكانت الرقعة مما احتاج إلى مطالعتها بما فيها فقرأها عليها، فأنكرت عليّ قولي (جميلة)؛ لأنّه اسمها، إنكارا شديدا، احتجتُ معه إلى الاعتذار مما كتبت، فما كتبتُ بعدها إلى الآن، (جميلة) في شيء من مكاتباتي إلى أحد، وصار تركُها لي طبعا ".

وقد يتدخل بعض الكتّاب لتعديل عبارة أو أسلوب ليناسب دقة الدلالة، ومن ذلك ما روي في المدونة (٣٨/٣) : " إنّ المعتضد أراد أن يُشهد على نفسه العدول، في كتاب، صدره: هذا ما شهد عليه العدول جميعا، أنّ أمير المؤمنين، عبد الله، أبا العباس المعتضد بالله،

أشهدهم على نفسه، في صحة منه، وجواز أمر. وعُرضت النسخة، على عبيد الله بن سليمان، فضرب عليها، وقال: هذا لا يُحسن كتبه عن الخليفة، اكتبوا: في سلامة من جسمه، وإصابة من رأيه...".

التحريف في معاني الألفاظ:

يقع التوليد الدلالي – في أحيان عديدة – نتيجة التحريف في معنى الكلمة، أو اشتقاقها، ويقع فيه العوام والكُتّاب على السواء، ولا تلبث اللفظة أن تشيع على الألسنة وتنتشر، ومن أمثلتها في المدونة كلمة (الذّعّار)، وهم أهل الخبث والفساد والفوضى، أصلها بالدال المهملة، من دعر، والدعارة، وهي الفساد والشر، وليست من الذُعر، وهو الفزع والخوف، وعدّها الحريري من تحريف المعنى الذي يقع على ألسنة العوام والكُتّاب [1] .

ختام الفصل:

نستنتج مما سبق استعراضه من جوانب تطبيقية للمظاهر اللغوية المختلفة عناصر وعوامل مرونة العربية، وقدرتها على الوفاء بمتطلبات العصور المختلفة، وكيف بلغت أوجها في العصر العباسي، وما بعده من عصور الدول والإمارات التي مرّت بتاريخ العرب والعربية، ومكّنتها وسائلها الكامنة في داخلها من استيعاب مفردات الحضارة، وأصبحت لغة علمية عالمية، ومن تلك الوسائل:

– السعة في اشتقاق الأفعال والأسماء سعة لم تُعرف في لغة سواها، جعلها ذلك تتبوأ منزلة علمية رفيعة.

– التوليد الدلالي بالمجاز، والذي بواسطته استطاع العلماء تحويل ألفاظ ومصطلحات كثيرة من دلالتها اللغوية إلى دلالات اصطلاحية واسعة، وبهذه الخاصية استطاعت العربية استيعاب مصطلحات العلوم والفنون المختلفة، وتوليد مفردات العلوم المختلفة، سواء كانت شرعية أو لغوية، واستطاعوا بهذه الوسائل الحية نقل مصطلحات وعلوم الأوائل، واستيعابها، وتطويرها.

---

(١) ينظر: الحريري، درة الغوّاص، ١/٤٠ وفيه: " وَيَقُولُونَ للخبيث الدخلة: ذاعر، بِالذَّالِ الْمُعْجَمَة، فيحرفون الْمَعْنى فِيهِ، لِأَن الذاعر هُوَ المفزع لاشتقاقه من الذعر، فَأَما الْخَبِيث الدخلة فَهُوَ الداعر، بِالدَّال الْمُهْمَلَة لاشتقاقه من الدعارة وَهِي الْخبث " .

– التعريب للألفاظ المقترضة، وهذا أدى إلى تعريب كثير من المصطلحات العلمية والفلسفية عند الإغريق وغيرهم من الأمم والشعوب القديمة من فرس وسريان ..

– ونلاحظ أنّ التوليد في أصوات العربية إنما يظهر في لغة المحادثة واللهجات العامية التي تفرّعت عن العربية، ويكاد يكون تأثير اللغات الأخرى في المستوى الكتابي في العربية منعدما، أو محدودا.

– تتسم الأوزان والصيغ في العربية عموما بخاصية الثبات، فالاستقرار والثبات غالب عليها، فاستقرت اللغة منذ زمن طويل على أوزان وصيغ لم تتغير، ولم تتبدل، وأنّ أوزان العربية وأبنيتها، عنصرٌ أساسي في ثباتها واستقرارها، وهي إحدى مقوماتها وخصائصها المميزة.

– استعمل في العصر العبّاسي ما سموه المصدر الصناعي كالإنسانية واللصوصيّة، وإن كانت الصيغة التي استعملت ليست إلا صيغة النّسب المعروفة مع تاء الإسمية التي تلحق بعض الصفات، فتنقلها إلى الإسمية.

– أما ما يتعلق بتركيب الجمل، وتعريب الأساليب، وتداخل الجمل وتشابك أجزائها وتعددها، وطولها، فهو تغير طبيعي نشأ من تطور الحياة والفكر بعد الإسلام، وفي مظهرها العام ونظامها، وظلّت تلك التراكيب ثابتة، فقد بقي تركيب الجملة الإسمية والفعلية في صورهما المختلفة، ولم تتغير كذلك طريقة الإضافة والوصف، ولا غيرها من الأساليب العربية.

– ومظاهر التوليد السابقة هي نماذج من التطور اللغوي الذي رافق العربية في مراحلها المختلفة، وفي تاريخها الطويل.

– والعربية الفصيحة الحية تقع على الجادة الوسطى بين الجمود المانع من الحركة والتجديد والحياة النامية، والفوضى والإباحية اللغوية القاتلة لخصائص اللغة المشوهة لها، وينبغي التفريق بين ما هو خطأ وانحراف، وما هو توليد وتجديد وتطور، فكلاهما حدثٌ جديد في اللغة، وتبديل في بعض ظواهرها، ولكن الخطأ تبديل يخالف خصائص اللغة، وسُنن نموها، وناموس حياتها، وقواعد فطرتها، ويخل بنظامها، أما التجديد والتطور، فهو تبديل وإحداث يجري وفق سُننها، وينساق مع فطرتها، وينقاد لقواعدها، ويوافق روحها وخصائصها [1].

(١) ينظر: المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص٣٢٤.

– وما نُظر إليه من زاوية الخطأ أو اللحن في اللفظ أو العبارة أو الدلالة يمكن النظر إليه من زاوية أخرى بأنه ناتج عن التّطور اللغوي، وهو قانون طبيعي يُصيب جميع اللغات، ولا منأى لأي لغة عنه، فقد يُصيب التغيير الأصوات أو الألفاظ أو الدلالات أو التراكيب، وقد تدخل كلمات جديدة في صُلب اللغة، فتستساغ من قِبل المجتمع أو تُرفض فتختفي أو تموت، وهكذا الحال في ألفاظ اللغة، فمنها ما يبقى ويستمر، ومنها ما يفنى ويندثر.

– ومن الألفاظ المستعملة ما لا يصح استعماله؛ لأنّه لا أصل له في اللغة، وليس هو من المعرّب الذي دخل اللغة أو المولّد عن طريق الاشتقاق، وفي اللغة ما يُغني عنه، ويبقى أن نقرّر أنّ هناك توليدا في العربية غير مرغوب فيه؛ وهو كلُ استعمال لغوي خرج عن أنماط قواعد العربية المعتبرة ونظامها، واستفحاله في العربية يؤدي مع الوقت إلى استحالة العربية إلى لغة أخرى، أو استحالتها إلى عربية جديدة لا ضوابط لها، يكثر فيها الفوضى والتفلت، وبهذا ينفصل الماضي عن الحاضر اللغوي، ويؤدي بدوره إلى انفصام الهُوية بانفصامنا عن فهم تراث الماضي واستيعابه، وبذلك تنقطع الجسور الثقافية بين ماضي الأمة وحاضرها.

وأيًا كان نوع التوليد وسمته؛ فإننا يمكن أن نُرجع أسباب الوقوف أمامه من الرافضين له إلى عوامل عديدة، منها ما يعود إلى عوامل نفسية، وهي الميل والعاطفة تجاه لغة الماضي، والحنين إلى التقاليد العتيقة، ورفض الجديد الذي قد يمحو القديم، وإلى هذا العامل أشار بعض الباحثين اللغويين، يقول: " فالتّغير الدلالي ذو الصّبغة التّوليديّة الذي استقرّ في اللغة في صمت، ولكن بقوة، والذي يعتبر في نظر معارضيه خطأ، يوقظ الإحساس بالحنين عند أولئك الذين يرغبون في العودة إلى لغة الماضي، تلك اللغة التي يعتبرونها معيارًا تقليديا ينبغي عدم تجاوزه " [(١)].

ويَبقى الحُكم الفصل في قضيّة ألفاظ اللغة والمولّدات هو الاستعمال، فما أقرته البيئة اللغوية أو مجتمع اللغة أصبح عُرفًا لغويًا، وما رفضه المجتمع اللغوي أصبح مستبعدا قبيحا " فالكلمات ليست أحجارًا جامدة، ولكنها وسيلة اجتماعية يطرأ عليها التغير في معانيها والتّطور في دلالتها بحسب العرف اللغوي الذي يستخدمها.." [(٢)].

---

(١) بريفو، المولّد، ص٣٥.

(٢) عيد، محمد عيد، المظاهر الطارئة، ص١٧.

الفـــصـــــــــل الرابع
الصياغة الكتابية (التمثيل الكتابي) للألفاظ المقترضة في المدونة

الفصل الرابع: الصياغة الكتابية (التمثيل الكتابي) للألفاظ المقترضة في المدونة

مدخل:

أدّت حركة اختلاط العرب بالأمم والشعوب الأعجمية إلى انتقال ألفاظ كثيرة في مختلف مجالات الحياة، ومع ازدياد النشاط الاجتماعي والثقافي والسياسي عند العرب، ازدادت الحاجة إلى كلمات جديدة تواكب حركة الترجمة والتأليف والتعريب التي ظهرت مع اتساع الحياة، وقد تصرّف العرب مع هذا المُشكِل اللغوي عبر اتجاهين:

الأول: الاتجاه الدلالي الذي يهدف إلى تحويل العديد من الألفاظ العربية من الدلالة اللغوية الوضعية إلى دلالات اصطلاحية جديدة تواكب حركة الترجمة وتشعّب العلوم المختلفة.

الثاني: نقل الأسماء والمصطلحات الأعجمية إلى العربية، كألفاظ الحضارة والمآكل والأدوات والأمراض وأصناف النبات والحيوان والمعادن وغيرها من مجالات الحياة المختلفة.

ومن هنا ظهرت إشكالية الألفاظ المقترضة، التي تصرّف العرب بجزء كبير منها بالزيادة والنقص والتغيير على مقتضى صيغ لغتهم وأبنيتها، ودخل العديد منها في لغة العرب كما هي دون زيادة أو نقصان، وبرزت قضية تتصل بكيفية كتابة الدخيل الأعجمي في لغة العرب أو ما يعرف (بالصياغة الكتابية) للألفاظ المقترضة.

ومن المعروف أنّ الصياغة الكتابية تخضع عادة للعادات النطقية للمتكلمين، " التي تتغير من فرد لآخر ومن عصر لآخر، بما لا تستطيع الكتابة أن تلاحقه، فالكتابة ترتبط بالعادة، بينما يخضع النّطق لعرف الاستعمال، والعادة في الكتابة محافظة، والاستعمال في اللغة متطور، والكتابة أداة لتسجيل اللغة، بينما النّطق نشاط حي لمن يستعملون اللغة " [(١)].

وهذا الفصل يبحث في كيفية تمثيل هذه الألفاظ المقترضة كتابيًا في نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي في القرن الرابع الهجري، ومعرفة الآلية التي بواسطتها يتم صياغة وتمثيل وانتقال الألفاظ الأعجمية المقترضة إلى لغة العرب، والعوامل المؤثرة في هذه الصّياغة الكتابية للألفاظ المقترضة، وتفسير جوانب من الآلية التي تتبعها العربية في توليد المفردات، وفي تشكيل الأبنية الصّرفية ....

---

(١) عيد، محمد عيد، المظاهر الطارئة، ص٧٦.

آلية التعريب عند العرب:

تبنّى العرب عند تعريبهم الألفاظ المقترضة من اللغات المجاورة آليةً تعتمد على تقريب اللفظ المقترض إلى ما يشبهه من ألفاظ أو صيغ عربية أو نطقه بحسب القوانين الصوتية التي ينطق بها العرب، " ومن المسلم به لدى علماء اللغة أنّ المتكلّم يسحب إيقاع لغته الأولى وقوانينها الصّوتيّة على أيّة لغة أخرى " [(١)].

وتختلف أساليب العرب في نطقهم وتعريبهم الألفاظ المقترضة، فلم يعاملوا جميع الألفاظ المقترضة بطريقة واحدة، فقد يحدث أن تستوعب العربية اللفظة المقترضة كما هي في لغتها الأم، وهذا ما يعرف عادة عند علماء اللغة بالدخيل.

ويحدث أحيانا أخرى أن تحوّر الكلمة أو يُغيّر في بنيتها؛ لتوافق كلام العرب وأبنيتهم، وتنطق بحسب قوانينهم الصوتية، وهذا ما يُعرف عند علماء اللغة بالتعريب، وقديمًا قال أحد علماء السلف، وهو أبو بكر بن السرّاج (٣١٦ هـ) : " وقد تتعدّى العرب أيضًا لغتها إلى لغة العجم، فتستعمل الشيء منها، فتعرّبه، وتشبهه بألفاظها .." [(٢)].

غير أنّ هناك طريقة هي أقرب إلى التخليط في اللفظ الأجنبي الدخيل، وتغيير معالمه كليا أو جزئيا، وهذا ما يُفهم من قول ابن يعيش: "وإذا اشتقوا من الأعجمي خلّطوا فيه؛ لأنه ليس من كلامهم .." [(٣)]، ومثله قول أبي علي الفارسي: " ولكن العرب إذا اشتقت من الأعجمي خلّطت فيه .." [(٤)].

وأجازوا لأنفسهم – في الأعم الأغلب – التوسع والاختلاف في رسم وصياغة اللفظ الدخيل ونطقه، و" لا مشاحة في أنّ علماء السلف قد كانوا يتصرفون في مقام الأعجمي نطقا وكتابة على السواء، وقد نُقل عن ابن خالويه قوله: "فالعرب إذا أعربت اسمًا من غير لغتها أو بنته، اتسعت في لفظه ..." وكان ذلك منهم بهدف التيسير والتسهيل [(٥)].

---

(١) الأقطش، الصوائت والتمثيل الكتابي في اللفظ الدخيل، مجلة مجمع اللغة العربية الليبي، (ندوات) ٢٠٠٩م ص١٥٩.

(٢) رسالة الاشتقاق، ت: محمد علي الدرويش، مصطفى الحدري، ص٢١.

(٣) شرح التصريف الملوكي، ص١٥٥.

(٤) ابن جني، الخصائص، ١/٣٦٠.

(٥) الأقطش، الصوائت والتمثيل الكتابي، ص١٨٩.

ولم يلتزموا بالقواعد الصّوتية للألفاظ الدخيلة، فتعرّضت للتغيير أو التحوير لأقرب صوت يشبهها في العربية، أو التفخيم أحيانا، " فأحالوا – على سبيل المثال – صوت الحرف الذي يقابل حرف التاء في العربية إلى طاء ... وما يقابل حرف الباء جعلوه فاء..." [(١)]، وفي طريقة التعريب الصوتية عند العرب، ينقل ابن فارس في كتابه عن ابن دريد قوله: " حروفٌ لا تتكلم بها العرب إلاَّ ضرورة، فإذا اضطُرُّوا إِلَيْهَا حوَّلوها عند التكلم بها إِلَى أقرب الحروف من مخارجها، فمن تِلكَ الحروفِ الحرفُ الذي بَيْنَ الباء والفاء. مثل (بور) إِذَا اضطُروا. فقالوا: (فور) .... وذلك أن (بور) لَيْسَ من كلام العرب، فلذلك يحتاج العربيّ عند تعريبه إياه أن يُصيّره فاءً " [(٢)].

ومن أمثلة الإبدال الصوتي عند التعريب، ما نقله السيوطي عن أبي عُبيد، القاسم بن سلاّم (٢٢٤هـ) قوله: " العربُ يعرِّبون الشين سينا يقولون: نيسابور وهي نيشابور وكذلك الدَّشْبت يقولون: دَسْت فيُبدلونها سينا " [(٣)].

وكان العرب القدامى في كل ذلك يؤثرون السهولة والخفة والتيسير وتقليل الجهد في نطقهم الألفاظ الأعجمية الدخيلة على لغتهم، وكذلك الابتعاد عن التنافر الذي يمكن أن يقع بين الكلمة المعرّبة، بحيث يصعب نطقها بالعربية، وتحقيق أكبر قدر من التآلف والتوافق بين أصواتها ... وأهم أغراض الإبدال عندهم هو تجنّيب إدخال حرف أعجمي إلى حروف العربية [(٤)]، وقد نبّه اللغويون العرب منذ القديم إلى أنّ إبدال ما لا يوجد في اللغة من الأصوات لازم حتّى لا تُدخل الجماعة اللغوية في لغتها ما ليس منها [(٥)].

---

(١) السالاموني، محمد محمود، (في كتابة الأعلام الإغريقية والرومانية بحروف عربية)، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٩٧/٢٩.

(٢) الصاحبي، ص٢٩.

(٣) المزهر في علوم العربية، ٢١٦/١.

(٤) ينظر: صدّيق ليلى، بحث بعنوان (طرائق قدماء اللغويين العرب في التعريب اللفظي)، الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية.

(٥) ابن مراد، مقدّمة لنظرية المعجم، ص٢٨.

وتناول الجواليقي في المعرّب (مذاهب العرب في استعمال الأعجمي)، وذكر أنهم "كثيرا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها، فيُبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجًا ... وربما غيّروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب، وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أو إبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك ساكن، وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيّروه .." [(١)].

ومن هنا نستطيع أن نتصور طرق وأساليب العرب في التعامل مع الألفاظ المقترضة، والتي تنحصر بالوسائل الآتية:

التعريب الصوتي: ويكون بإبدال بعض الحروف الأعجمية بأقرب الحروف بها في العربية، أو إبدال الصوامت الأعجمية بأخرى تقربها في العربية.

التعريب الصرفي: وهو إلحاق الألفاظ الأعجمية بأبنية العرب، مثل: دِرهم ألحقوه بِهِجرع .... دِينار ألحقوه بدِيماس ...جورب بفوعل ...

وقد تترك الكلمات المقترضة على حالها، سواء كانت شبيهة بأبنية العرب، أو لم تكن، نحو: خرسان، وخرّم، وآجر [(٢)].

وقد أشار سيبويه إلى طرق العرب في تعريب الألفاظ الأعجمية في كتابه الذي عنون بابًا منه بعنوان: (هذا باب ما أُعرب من الأعجمية)، ذكر فيه طرائق وأساليب العرب في التعريب، وطرق الصياغة العربية للألفاظ المعرّبة، ومما جاء فيه: " اعلم أنّهم مما يغيّرون من الحروف الأعجميّة ما ليس من حروفهم ألبتة، فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يُلحقوه " [(٣)].

ولذا صنّفت المقترضات المعجمية إلى نوعين: الأول هو (المعرّب): وهو ما اقترض وأدمج في نظام اللغة، وأخضع لمقاييسها. والثّاني، هو(الدّخيل): وهو ما بقي مستعصيا على مقاييس اللغة، ولم يدمج في نظامها.

---

(١) المعرّب، ت: عبد الوهاب عزّام، ص٥٤.

(٢) وهذا ما يفهم من كلام أبي حيّان في ارتشاف الضرب، ١٤٦/١: " الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام: قسم غيّرته العرب وألحقته بكلامها، فحكم أبنيته باعتبار الأصلي والزائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع، نحو دِرهم وبهرج.. وقسم غيّرته ولم تلحقه بأبنية كلامها، فلا يُعتبر فيها ما يُعتبر في القسم الذي قبله، نحو آجر. وقسم شركوه غير مغيّر، فما لم يُلحقوه بأبنية كلامهم، لم يُعد منها، وما لحقه عُدّ منها، مثال الأول خراسان ، لا يثبت به (فعالان) ومثال الثاني خرم ألحق بسلم ".

(٣) سيبويه، الكتاب، ٣٠٣/٤.

وهناك فرق جوهري بين تعريب العرب القدماء للألفاظ الأعجمية، وتعريب العلوم وألفاظ الحضارة ونقلها إلى العربية عند العلماء والمؤلفين بالعربية في عصور الاحتجاج وما بعدها، فقد كان تعريب العرب الخلّص الفصحاء تعريب سليقة وطبع، ومن ثمّ دخلت الألفاظ المعرّبة في صلب العربية، واعتبرت جزءا لا يتجزأ منها، فاكتسبت خاصّية العربية، ومن هنا يحق لنا تعليل صعوبة تمييز العربي من المعرّب في تلك الفترة عند علماء العربية، وكذلك تأصيل الألفاظ الأعجمية في لغة العرب عند كثير من الباحثين.

وحاول علماء العربية والمؤلفون فيما بعد ترسم منهج القدماء في التعريب، إلا إنهم لم يلتزموا هم أيضا بطريقة واحدة في تعريب الكلمات المقترضة، وتعاملوا مع الكلمات الجديدة والدخيلة في لغة العرب بطرائق متعددة، كان أبرزها إدخال الكلمات كما هي في لغتها الأم.

وهناك أسباب عديدة تكمن وراء اختلاف مناهجهم في التعريب، منها: تعدد اللغات التي اقترضت منها العربية، وتباين خصائصها، وطبائع أصواتها .. ومنها التطور الصوتي الذي يطرأ على اللغات، ومنها التعريب عن لغة ثالثة وبسيطة، ومنها أمن اللبس، ومثالها: (بادية) لوعاء، حوّلها العرب من لفظها الفارسي إلى (باطية)، كي لا تلتبس بكلمة موجودة في العربية، وهي بادية: للصحراء [(١)].

ويدور في أوساط علماء اللغة والألسنيات الحديثة مصطلح يتعلق بصياغة ونطق الألفاظ المقترضة، وآلية إدخالها إلى العربية، عُرف بمصطلح (التعريب الصّوتي)، ويُعنى بتعريب الصوامت التي لا مقابل لها في العربية، وتختص بالمصطلحات الأعجمية اليونانية واللاتينية، ومحاولة تقريبها من اللسان العربي وطريقة نطقه [(٢)].

---

(١) ينظر: صدّيق ليلى، بحث بعنوان (طرائق قدماء اللغويين العرب في التعريب اللفظي)، الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية.

(٢) ينظر: ابن مراد، مسائل في المعجم، ص٢٠٣.

الصياغة الكتابية للألفاظ المقترضة في نشوار المحاضرة:

تختلف اللغة المكتوبة في المدونات عن اللغة المنطوقة الواقعية؛ ذلك لأنّ اللغة المكتوبة تميل إلى الثبات والمحافظة، وتتسم بالضوابط والاصطلاحات التي تقيّدها من التغير والتبدل، وبالتالي فإنّ رسم الكتابة لا يتطابق دائما مع النّطق، ولا يساير حركة اللغة المتطورة، ومن مسلّمات علم اللغة أنّ اللغة المنطوقة عرضة للتغير باطّراد [(١)].

وسنقتصر على إيراد بعض الأمثلة التي تمثّل الظاهرة الكتابية الواحدة، والهدف عرض المثال لا الحصر، وليست هذه الاتجاهات مطّردة مفروغ منها، بل تختلف باختلاف الكُتّاب وطرق صوغهم، وتعدد اللغات المقترضة، وعوامل أخرى أثّرت على الصياغة الكتابية للفظ المقترض.

الاتجاهات العامة في الصياغة الكتابية للألفاظ المقترضة:

– الميل إلى الاختصار وتقليل حروف الكلمة المقترضة:

البريد (٢٦٤/٢، ٢٧٧/٣، ١١٢/٨) : شاع في العصر العبّاسي استعمال هذه الكلمة في مجالات إدارية، مثل: ديوان البريد، صاحب البريد، وهو المسئول عن إيصال الرسائل المهمة من مختلف الأصقاع إلى الخليفة، وأصل هذه الكلمة من (بريده دنب) الفارسية، أي: محذوف الذنب، وذلك أنّ بغال البريد محذوفة الذنب، فعُرّبت الكلمة وخففت، وسُمي البغل بريدا، والرسول الذي يركبه بريدا، والمسافة التي بعدها فرسخان بريدا، إذ كان يرتّب في كل سكّة بغال، وبعد ما بين السكتين فرسخان بالتقريب [(٢)].

البطرك: مقدّم النصارى ورئيس الأساقفة، وتكتب هذه الكلمة على عدة صيغ: بطرك، بطريك، بطريرك، بطريق، وجمعها بطاركة وبطاريك، إلا أنّها جاءت في نشوار المحاضرة (٥٣/١) على الصيغة الأولى (بطرك)، وهو معرّب (باتير أرخوس) باليونانية، ومعناه الأب الرئيس [(٣)]، ويُعزى كتابتها في نشوار المحاضرة بهذا الشكل إلى الميل إلى الاختصار والتسهيل في نطق الكلمة.

جِلّوز (٩/٢) : حب الصنوبر الكبار، وهو معرّب (جالفوزه) عن الفارسية [(٤)].

---

(١) ينظر: عيد، محمد عيد، المظاهر الطارئة، ص٧٦.

(٢) ينظر: عبد الله المخلص، (منتخبات من مفاتيح العلوم)، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م٢ ١٧٧/٦، سنة ١٣٤٠هـ، ١٩٢٢م.

(٣) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٢٣٨/١.

(٤) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٢٤٩/٢، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٤٣.

– زيادة صامت:

الرستاق: في نشوار المحاضرة رستاق (١٨٤/٢، ٢٥٣/٤ ١٧٣/٥، ١٧٨/٨)، وقد تُكتب (الرزداق) تعريب (روستا) الفارسية، قرى السواد [١].

الدهليز (٢٢/١، ٣١٣/٢، ٢٦١/٧، ٢٢٦/٨) : تعريب (دهله) فارسية، وهو الممر ما بين الباب والدار [٢].

طباهجه (١٩٥/٢، ٢٠٤، ٨٥/٣) : طعام من لحم وبيض وبصل، فارسيته (تباهه) [٣]. وقد صُرفت في نشوار المحاضرة (٨٥/٣) (مطبهَجة).

طيهوج (٢٠٨/٣) : طائر، ذكر السلكان، معرب عن (تيهو) الفارسية [٤].

سكرجة (٩٦/١) : الصّحفة، معرّب (سُكُرَه) [٥].

– إبدال الأحرف الصّوامت: (إلى أقرب ما يشبهه في العربية).

١– **إبدال الكاف المقترضة:** (فارسية أو غيرها) وهي التي تنطق بين الجيم والكاف [٦] إلى ما يشابهها من الحروف العربية، وقد اختاروا إبدالها إلى القاف أو الجيم:

إبدال الكاف قافا:

دانق (٣٣/١، ٤٠/٢، ١٦١، ٣٦/٣...) : من العملات النقدية، سدس درهم، فارسية (دانك)، وهو بمعنى الحبة مطلقا [٧].

دِهقان (١٧٤/١) : وجمعها دهاقين زعيم القرية، فارسية (دِهكان)، وقيل إنّ أصل دهقان (ده خان) أي: رئيس القرية [٨].

---

(١) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٧١. ويرى يوهان فك أنها تعريب (رستاك) البهلوية، ينظر: العربية، ص٢٠٤.

(٢) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٤٢١/٤، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٦٨.

(٣) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١١١.

(٤) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١١٤.

(٥) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٩٢.

(٦) وهو حرف قديم الاستعمال في العربية المنطوقة، وقد عدّه سيبويه واحدا من " حروف غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن، ولا في الشعر " ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤٣٢/٤.

(٧) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٦٦.

(٨) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٤٢٠/٤، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٦٨.

قـاثليق (٥٣/١) : في تعريـب (كاثوليـك)، والقـاثليق كمـا ورد في نشـوار المحاضـرة كبـير الأساقفة، وتكتب أيضا: جاثليق، جثليق، وجمعها: جثالقة، معرّب (كاثوليكوس) باليونانية [١].

قِماش: تعريب (كِماش) الفارسية، التي تُطلق على نسيج القطن، أو بعض ما يرتديه الناس من لباس [٢]، إلا أنها وردت في نشوار المحاضرة بمعنى: متاع البيت وأثاثه (ينظر: ٣٧/١، ١٥٦، ١٥٧، ١٧٩، ٣٣٩/٢).

أو إبدال الكاف جيما:

جهبذ (٤١/١، ٧٣، ٢٢٣، ١٥٨/٤، ٢١٨/٥، ٨٦/٦، ٨٣/٨، ٣٩، ٤١، ٤٢) : تعريب (كُهبد) الفارسية، وهو تخفيف (كوه بود)، أو (كه: بوتقة، وبـد: من السنسكريتية، سيد أو مدير)، ومعناها: مدير البوتقة، وفي المجتمع العبّاسي: النّاقد البصير الذي يمتحن النقود ويفحصها، ويميز الجيد من الرديء، أو هو الذي يشرف على أعمال (مجلس الحساب)، ومن مهامه: تدقيق الحسابات، والصّرف والإعطاء، ويقوم أحيانا بدور المحقق المالي، والجهبذة: جباية الخراج والضرائب وإدارتها .. [٣].

طسوج (٢٤/٤، ١٠/٨، ١٦٤) : وجمعها (طساسيج)، الناحية، مركب من (تا) أي: إلى، ومن (سو) أي: جانب [٤]، ويرى يوهان فك أنّ طسوج العربية، معرّب (تاسوك) الفارسية الوسطى، وتنطقها الفارسية الحديثة (تاسو) وهي في الأصل تعبّر عن ربع دانق، جزء من أربعة وعشرين جزءا من الدينار، ثمّ بطريق المجاز انتقلت دلالته لتعبر عن جزء من الأرض، ثم عبر عنه وتطورت دلالته لتدل على الناحية؛ لأنها تصور أقل وحدة من وحدات التنظيم الإداري في تقسيم المناطق والنواحي [٥].

طنجير (١٢٦/٢) : من أدوات الطبيخ (قِدر)، معرب عن الفارسية (تنكيره) [٦].

---

(١) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٤٣/٢.

(٢) ينظر: أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص١٣٩.

(٣) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٣١٦/٢، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص٤٦.

(٤) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١١٢.

(٥) العربية، ص٢٠٤.

(٦) دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٨٢/٧.

كنـاديج (١٢٤/٨) : الكنـاديج شـبه مخـازن لحفـظ الغِـلال كالحنطـة وغيرهـا، تعريـب (كندوك) ، أو (كندو) الفارسية [١].

مِهرجان (٢٤٦/٨) : عيد من أعياد الفرس، والكلمة فارسية، مهر: محبة، وكان: متصلة، فيكون تعريب الكلمة: المحبة المتصلة [٢].

٢- إبدال الجيم الفارسية: وهي الجيم المعطّشة، المشربة بالشين، وهي حرف بين الجيم والشين، وعدّها سيبويه من الحروف العربية غير المستحسنة، وهي عنده نوعان: الجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين [٣]. وأحوال كتابتها كالآتي:

إبدال الجيم كافا:

كردنـاك (١٤٤/١) : من الأطعمة، لحم القص أو ما يسمى حديثا بالشاورما، وهي تعريب (كاردناج) بالفارسية [٤].

إبدال الجيم الفارسية المشربة صادًا:

صنّاجة (١٧٤/٢) : الضاربة بالصّنج، قطعتان من صُفر تضرب إحداهما بالأخرى، وهو في الفارسية آلة ذات أوتار، تعريب (جنك) بالجيم المشرّبة الفارسية، وقد عُرّبت هذه الكلمة قديما بصيغة (صنج) [٥].

٣- إبدال الباء الفارسية (التي بين الباء والفاء):

وهذا الحرف قديم موجود في العربية المنطوقة، وهو معدود من الحروف غير المستحسنة، وسمّاه سيبويه (الباء التي كالفاء) [٦]، وقد عرّبها القدماء باء تارة، وفاء تارة أخرى، ولا يختلف التنوخي في مدونته عن هاتين الطريقتين، وهما:

---

(١) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٤٩/٩، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٣٨.

(٢) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١٤٧، دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٢٥/١٠.

(٣) ينظر: الكتاب، ٤٣٣/٤.

(٤) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٥٩/٩.

(٥) ينظر: أحمد السعيد سليمان (ألفاظ حضارية بطل استعمالها)، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٥٢/٦٤.

(٦) ينظر: الكتاب، ٤٣٢/٤.

إبدالها فاء:

أفيون (٧٩/٧) : عُصارة من نبات ثمار الخِشخاش، وتسمّى عند الصيادلة العرب (لبن الخشخاش الأسود) ويستخدم لتسكين الأوجاع إذا أخذ بكمية قليلة، وهو معرّب (أپيون) اليونانية، بمعنى: العصير، ومنها انتقلت إلى جميع اللغات [(١)].

الفرانق (٥٤/١، ٧٩): حامل الرسائل، أو النّذير والمستطلع للأخبار، أو هم من يتولّون مسئولية مراقبة سِتكك البريد، والسّعاة، تعريب (پروانك) أو(پروانه)، الفارسية، وفي لغتهم أصله الأسد أو هو الحيوان الذي يصيح لينذر الحيوانات بقدوم الأسد، ثم استعير للشخص الذي يحمل الرسائل، ويطلق أيضا على طليعة الجيش [(٢)].

الفيج (٢١٢/١، ٢٣/٢، ٨٠/٣، ٢٢٨/٤) : الساعي الذي يسعى على قدميه، وكل من احترف نقل الرسائل من بلد إلى بلد، أو رسول السلطان القادم على رجليه، قيل: معرب (پيك) الفارسية [(٣)].

وقد تبدل إلى باء:

بوز ٢٢٨/٦ : فارسية، معرب (پوز) حرف بين الباء والفاء، فم الحيوان، وهو في كلام العامّة بمعنى الفم [(٤)].

٤- إبدال الهاء الفارسية في آخر الألفاظ جيما:

وقد اختاروا عند إبدال الهاء الفارسية الجيم أو القاف، أو غيرهما من الحروف:

إبدالها جيما، وهو الأكثر:

إسفيداج (١٥١/١، ٢٩٨، ١٩٥/٥) : مادة كلسية ناعمة، تُستخدم لأغراض شتّى، فيستعملها النساء كمساحيق قبل أن يعرفن البودرة، وتستخدم في أغراض البناء، أو الكتابة

---

(١) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٦١/١، وأدي شير، الألفاظ الفارسية العربية، ص١١.

(٢) ينظر: الجواليقي في المعرب، ص٢٨٦، دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٦٣/٨، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١١٩.

(٣) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١٢٢.

(٤) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٣١.

في حائط، تعريب (سبيده) اسفيد، أسپيد: أبيض، وأصلها (أسفيداب، أسفيداك) وهو كربونات الرصاص القاعدية، شيء كالطباشير هش [١].

ساذج (٣٠٥/١): وردت في المدونة بالجمع (السواذج)، وهي معرّب (ساده) الفارسية، وهو ما لا نقش فيه، ومنه الساذج عند المولدين للبسيط الحسن الخُلق [٢].

سنبوسج (٢٣٥/٥) : فطائر مثلّثة تُحشى باللحم والبصل، تعريب (سنبوسه) بالفارسية، وتُكتب بعدة أشكال أخرى منها: سنبوسك، وهو المشهور، وسنبوسق [٣]، وسنبوسج بالجيم، كما وردت في نشوار المحاضرة.

شيرج (٩/٢) : دهن السمسم، وهو تعريب (شيره) بالفارسية [٤].

الفالوذج (٢٠٧/١، ١٢٨/٢، ٧٦/٣، ٧٧) : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل، وفيها لغات (الفالوذج، الفالودج، الفالوذق، الفالوذ، الفالوذه)، وهي معرّبة عن (پالوده) الفارسية [٥]، وفي تاج العَروس: " الحلواء لا بدّ أن تختم بالهاء، على أصل اللسان الفارسي، وإذا عُرّبت أبدلت الهاء جيما فقالوا: فالوذج .." [٦].

اللوزينج (١٢٠/١، ١٢٣، ٢٥١/١، ١٤٨/٧) : نوع من الحلوى (بقلاوة)، تعريب (لوزينه) بالفارسية [٧].

إبدال الهاء الفارسية في آخر الكلمة قافا:

قرطق (٨٤/٣) : وجمعها قراطق من الألبسة، معرّب (كرته) بالفارسية [٨]، وأنّ العرب ينطقون هذا الحرف أو هذا الصوت بالقاف [٩].

---

(١) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٣٣/١، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١٠.

(٢) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص٨٨.

(٣) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٥٩/٦، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص٩٥.

(٤) ينظر: المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب، ت: محمود فاخوري، عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة، حلب، سوريا، ط١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ص٤٣٧.

(٥) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٣٣/٥، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٢١.

(٦) الزبيدي، ٤٥٤/٩.

(٧) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٢٨٧/٩، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٤٢.

(٨) ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص٩٢٠، وفي تاج العروس ٣٣٧/٢٦: " وإبدال القاف من الهاء في الأسماء المعرّبة كثير، وفي الحديث: جاء الغلام وعليه قرطق أبيض ...".

(٩) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١٢٤، دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٢٣٣/٨.

ولعلّ العِلّة في إبدال هذه الكلمات الأعجمية التي تنتهي بالهاء والياء بحسب قواعد لغتهم، في العربية جيما أو قافا مثل: سمبوسج، لوزينج، فالوذج، قرطق، رستاق .. أنّ هذين الحرفين مما يثقّل نطق الحركات الإعرابية في آخرها كما في لسانهم، فأبدلوا بهما حرفا مجهورا كالجيم والقاف؛ لتهيئة الكلمة لقبول الإعراب؛ فإنّ للإعراب الظاهر شأنا عظيما عند العرب .. [1].

وقد تُبدل الهاء الفارسية ألفا ممدودة بعدها همزة على صيغة الكلمات العربية:

غبيراء (١٢٤/٨) : ويسمّى عنب الدّب، ثمرة كالعناب، تعريب (غباريه) بالفارسية [2].

وقد تبدل الهاء الفارسية تاءً مربوطة:

روزنة (١٨٠/١) : فارسية، تعريب (روزنه) نافذة أو كوّة في أعلى السقف [3].

٥- أحوال أخرى للكلمة المقترَضة:

- قد تبدل عدة صوامت في الكلمة الواحدة بما يقاربها من الحروف العربية:

طسوق (٥٩/٥، ١٢٩/٨) : فارسية (تشك)، أو (تشه)، وتعني الأجرة، والرسم، أو القدر المعلوم المقرر الساري في استخراج مستغلات الأراضي من ضرائب أو مبيعات، وأصله مكيال؛ وهو ظرف يكال به السمن [4]. فقد أبدل التاء طاء، والشين سينا، والهاء قافا لتيسير النطق بالأعجمي وتسهيله.

- وقد تكتب الألفاظ المقترضة على أصلها في لغتها الأم:

البيرم (١٧٠/١) : فارسي محض، ومعناه العتَلة [5].

جناغ (٩٩/٤) : ثوب مرصّع منقّش، يوضع على السرج للزينة، فارسيته (جناغ)، الجيم الفارسية مع الغين المائلة إلى القاف (النطق الفارسي) [6].

---

(١) ينظر: صدّيق ليلى، بحث بعنوان (طرائق قدماء اللغويين العرب في التعريب اللفظي)، الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية.

(٢) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٣٨٠/٧، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١١٥.

(٣) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص٧٢.

(٤) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١١٣، السامرائي، إبراهيم، التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية، وزارة الثقافة والشباب والآثار، الأردن، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، ص٢٥.

(٥) أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص٢٠.

(٦) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٤٦.

خشكنانه (٢٤٠/٧) : نوع من الخبز المحلى يحشى بالجوز والسكر، على شكل هلال، فارسية (خشك نانه)، ما زال هذا اسمها في النّجف، عُرّبت فأصبحت (خشكنانج)، كما عُربت لوزينه فأصبحت (لوزينج)، وتعرّب (كافا) [(١)].

دوباركه (٢٢٣/٢) : كلمة أعجمية، دمية كانت تتخذ من القماش في يوم النوروز.

ديكدان (١٢٦/٢) : الموقد أو الآلة التي يوضع عليها القدر، فارسية، ويقابلها في كلام العرب، الأحجار التي يوضع عليها القدر (الأثافي) [(٢)].

الروشن (٢٦/١، ٦٩، ٢٧٩/٢) : فارسية، روشان، وأصل معناها الضوء، ثمّ أطلقت على الكوّة؛ لأنها تجلب الضوء، ثم أصبحت تطلق على الشُرفة أو المنور أو (البلكون) [(٣)].

شاذكلاه، شاذكلى (٣٠٤/١، ٢٦٠/٢) : فارسية دخلت بلفظها كما هي، لون من ألوان المرح بالورود وقت الربيع، وفي أيام النيروز.

كيمخت (٣٧/٣) : نوع من الجلد، فارسية [(٤)].

– وقد تُضاف ياء التنكير في آخر الكلمة المقترضة:

روزجاري، روزجارية (١٥٨/٤) : فارسية، من روز: وهو اليوم، وكار: أي العمل، وكانت تطلق على عامل المياومة، ثم أصبحت تطلق على عامل البناء؛ لأنه يعمل مياومة[(٥)].

رهـداري (٦١/١، ١٦١/٢، ١٦٦) : البائع المتجول بسلعته، وهو مركب من كلمتين فارسيتين، من راه بمعنى: الطّريق، ومن دار بمعنى: صاحب، والمراد من يطوف بسلعه في الطرق .." [(٦)].

---

(١) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٠٢/٤، ووردت بالجيم في مروج الذهب، للمسعودي، ٤٠/٣.

(٢) ينظر: يوهان فك، العربية، ص٢٠٥.

(٣) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص٧٣.

(٤) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٨١/٩.

(٥) ينظر: تيمور، أحمد في مقالة: (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، مجلة المجمع العلمي العربي، م٢، ج١١.

(٦) تيمور، أحمد في مقالة: (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، مجلة المجمع العلمي العربي، م٢، ج١١. يقول: " والفرس تقول فيه راهدار، وتطلقه على من يحافظ على الطريق ويخفره، وعلى الذي يقبض المكوس على السّلع الداخلة من مملكة إلى أخرى، والياء التي بآخره ياء التنكير عندهم، فلمّا استعمله المولدون أبقوها بآخره، كما فعلوا بالروز كاري، وهو العامل في البناء بالمياومة، أي من يقال له عند العامة: الفاعل ..".

شاكري، شاكرية (١٨١/١، ٢٥٩/٣، ٢٦١/٨) : الأجير المستخدَم، معرّب عن الفارسية (جاكر)، ورجّح أدي شير تعريبه من (شاكر)، وهو السخري، وهو مركّب من شاه، أي: ملك، ومن كار، أي: عمل [(١)].

وهذه الياء التي في آخر هذه الكلمات المقترضة ياء التنكير، كانوا يلحقونها بنسب أصحاب الصناعات، وهي زيادة العجم لا نسبة، فلمّا استعملها المولّدون أبقوها بآخره [(٢)].

– وقد تعرّب الكلمة في كلام العامّة والمولّدين بالقلب:

الجوذاب (١٤٠/٧) : مقلوب ذوباج، طعام يتخذ من الأرز، والبندق وبعض المنكهات والبهارات، ويُوضع عليها أوز أو جدي مشوي أو شبههما، أو هي معرّب (كوزاب)، أو (كودان) [(٣)].

– وقد ترد بعض الكلمات المقترضة بصيغتين كتابيتين:

الخفاتين (٨٤/٣) : فارسية، وتركيتها (قفتان أو قفطان) ثوب من القطن يلبس فوق الدرع، يتدلى حتى الركبتين ويُشد الجسم شدا، وعلى الرغم من أنّ المؤلفين القدامى قد رسموا هذه الكلمة هكذا (خفتان)، فقد ظلت لفظة (قفطان) هي الشائعة في الاستعمال [(٤)].

ديكبريكة (١٧٧/٤) : وفي الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي (زيرباجة) (٣٥٨/٤)، فارسية، وهو طعام يُتخذ من لحم طير سمين مع الكمون والخل والحمص والمري، وقد يحلّى بالسكّر [(٥)].

طست، طشت: في المدونة (طست) بالسين، وجمعها طسوت (٢٧/١)، ووردت (طشت) (١١٢/٣، ٢٥٩/٥)، إناء من نحاس يغسل فيه، (معرّب تشت بالشين) بالفارسية، والمشهور (الطشت) بالشين [(٦)].

القلنسوة، القلنسية: لباس الرأس للقضاة والفقهاء، وردت في نشوار المحاضرة بالواو (القلنسوة) (٤٧/١، ٨٧، ٩٠، ٣٤٧/٢، ٢٥/٤)، وبالياء (قلنسية) (١٥٧/٢). وهي معرّبة عن الرومية أو الفارسية (كله پوش) أي: غطاء الرأس [(٧)].

---

(١) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١٠٢.

(٢) ينظر: تيمور، أحمد في مقالة: (تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، مجلة المجمع العلمي العربي، م٢، ج١١.

(٣) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٣٣٢/٢.

(٤) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٤٧/٤، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٥٦.

(٥) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٣٩٩/٥، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص١٨٢.

(٦) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٥١/٧، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١١٢.

(٧) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٢٨.

النوروز، النيروز: أول يوم من السنة الشمسية، فارسيته (نوروز)، ومعناه يوم جديد [(١)]، ورد في نشوار المحاضرة بصيغتين، الصيغة الأولى (نوروز) على الأصل في لغته الفارسية الأم (١١٨/٨)، وورد بصيغة (فيعول) نيروز (٢٩٣/١، ٢٢٣/٢، ٢٦٧/٥، ٢٦٨، ٢٤٦/٨)، وهذه الصيغة أشبه بأبنية العرب؛ لأنّه على مثال فيعول[(٢)].

– وقد تكون الكلمات المقترضة مركّبة من أصلين:

البستانبان (٢٩٥/١) : خادم البستان، أو الجنائني، والكلمة فارسية مركبة من(بستان) أي: حديقة، و بان: أي حافظ أو حارس أو خادم، فيكون معناه خادم البستان [(٣)].

الجلنجبين (٢٣٣/٨) : شراب يُخلط بالورد والعسل، معرّب عن الفارسية، مركّب من (كُل: ورد، انكبين: عسل) [(٤)].

دولاب (٢٣٦/٨) : وجمعها (دواليب) فارسية، مركبة من دولا: إناء، وآب: ماء [(٥)]، وهي: الساقية أو عَجَلة الماء، ومعناها الأصلي: الآلة التي يُحركها الماء للسقيا، وهي الناعورة، وتطلق على غير ذلك من الدواليب، ومنها الآلة التي يديرها الجمل لعصر الحبوب والسمسم واستخراج الزيوت، وتسمى (المنجنون) ، أو دولاب الجمل.

سِكباج (١٨٠/١، ١٧٦/٧) : مرق يُصنع من اللحم والخل ومواد أخرى، فارسي معرّب، مركب من (سِك: خل)، و(بااي: طعام) [(٦)].

المرْزُبان (٢٨٤/٤) : جمعها، مرازبة، فارسية، مكونة من (مَرْز: البلد أو الثغر)، ومن (بان: حارس أو حاكم)، فيكون المعنى: حاكم الناحية أو الثغر، وهو من حيث المرتبة يأتي بعد ملك الفرس [(٧)].

---

(١) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٥٢.

(٢) ينظر: الشبيبي، محمد رضا، بحث بعنوان (كتاب النيروز) مجلة اللغة العربية بالقاهرة ٣٩/١٠، ١٩٥٨م.

(٣) ينظر: الأب إنستاس الكرملي، نشوء العربية، مكتبة الثّقافة الدينية، مصر، ص٩٠، دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٣٣٢/١.

(٤) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص٤٣.

(٥) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٤٥٠/٤، ويوهان فك، العربية، ص٢٠٤.

(٦) يقول محقق النشوار: والعامّة في بغداد إذا شكوا من حموضة طعام، قالوا: حامض، كأنه سكباج .

(٧) ينظر: أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٤٥.

ومن الكلمات المقترضة المركبة التي تدل على الآلات التي تستخدم في علم الفلك[1]:

الاصطرلاب (٣٢٥/٢) : آلة فلكية كانت تستعمل قديما في رصد الأجرام السماوية، وهو مقياس النّجوم، ثم أطلق الاسم على آلة كان يستعملها الملاّحون لقياس الزوايا في القرن الثامن عشر، من الأصل اليوناني (استرولابون)، وهو في اللاتينية (استرولابيوم)، ومنه (اسطرلبون) في السريانية[2].

الزايرجة (٣٢٧/٢) : شَبَكة مربعة تشتمل على مائة بيت، يرسم في كل منها حرف مفرد، يزعمون أنهم يستدلون بواسطتها على المغيبات، تعريب (زيركاه) الفارسية، المركبة من زير: أي تحت، ومن كاه، أي: محل[3].

وقد تعامَل اللفظة المقترضة معاملة عربية من حيث الاشتقاق والتثنية والجمع والتصغير، وتذكّر وتؤنّث، ويُضاف، ويُضاف إليها، بل وتظهر عليها العلامة الإعرابية، ومثالها:

كلكون: طلاء تحمّر به المرأة وجهها، والكلمة فارسية، مركبة من كل أي: ورد، وكون: أي لون[4]، وقد ورد في نشوار المحاضرة معاملتها معاملة جمع المذكر السالم، حيث جرّت بالياء، وفي المدونة (٣٤٤/٢) : " حدّثني أبو الطيّب بن هرثمة: أنّه سمع الباغندي المحدّث، يقول لجارية كانت تخدمه وقد حرد عليها: ذهب زمانك الذي كنت تخضبين فيه خديك بالكلكين. يريد: تطلين على وجهك الكلكون ".

فقد عامل لفظة (الكلكون) المقترضة معاملة جمع المذكر السالم على سبيل القياس الخاطئ الشائع في المشافهات الكلامية.

---

(١) ورد في تاج العروس، للزبيدي ٢٢٥/٤: " بأن جميع الآلات التي يعرف بها الوقت سواء كانت حسابية، أو مائية، أو رملية، كلها ألفاظها غير عربية، إنما تكلم بها الناس، فولدوها على كلام العرب ...".

(٢) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٣٠/١. وفي نشوء العربية، الأب إنستاس الكرملي، ص٣٨: " كلمة يونانية اللغة والتركيب، من (استرون ASTRON)، أي: نجم و(لمبانين LAMBANEIN)، أي أخذ، وهي آلة يقاس بها موقع النّجوم، وارتفاعها فوق الأفق ..".

(٣) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٢٧٤/٥، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص٨٢.

(٤) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١٣٤/٩، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٣٧.

– وقد تكون الكلمة المقترضة مركبة من أصل عربي وآخر فارسي:

قهرمان (١٧٩/٤، ١٢٣/٦) : الوكيل الذي يتولى إدارة القصر، أو أمين الملك ووكيله الخاص، ومنسّق أموره، ومؤنثه (قهرمانه)، وهي: مدبّرة البيت، المتولية لشؤونه، فارسيته (قهرمان)، أو (كهرمان) أو (كرمان)[١]، وقيل: يونانية[٢]، والظاهر أنّه مركب من كلمتين: من الأصل العربي: قهر، ومن مان الفارسية، بمعنى: صاحب[٣].

خلاصة الفصل:

ونخلص مما مضى ذكره أنّ العرب القدامى لم تكن لهم طريقة وحيدة ومحدّدة في تعريب الكلمات المقترضة، وكذلك أرباب العِلْم والمؤلفون في العصر العبّاسي وما بعده من العصور كما نلحظ ذلك عند القاضي التنوخي في مدونته.

وقد تعدّت طرق صياغة الألفاظ المقترضة التي دخلت العربية في مدونة التنوخي، وظهرت اتجاهات عديدة منها: الميل إلى الاختصار وتقليل حروف الكلمة المقترضة، أو الزيادة في الحروف، ومنها إبدال الحروف الصوامت إلى ما يشبهها في العربية صوتا ومخرجا، وقد تُبدل عدة صوامت في الكلمة الواحدة، بما يقاربها من الحروف العربية، وقد تكتب الألفاظ المقترضة على أصلها في لغتها الأم، وقد تضاف ياء التنكير في آخر الكلمة المقترضة، وقد يحدث فيها التغيير بالقلب المكاني، وقد تطبّق على الكلمة المقترضة مظاهر الإعراب على سبيل القياس الخاطئ، وقد ترد بعض الكلمات المقترضة بصيغتين كتابيتين، وقد تكون الكلمات المقترضة مركبة من أصلين فارسيين، أو أصل عربي وآخر فارسي.

وتبيّن لنا أنّ هناك تناسبا وتوافقا بين طريقة الكتابة ورسم الألفاظ في اللغة العربية وخصائص الحروف والحركات ووظائفها، فقد بُنيت طريقة الكتابة العربية على مراعاة خصائص تركيبها، ووظيفة الحروف في هذا التركيب، وصفاتها ومراتبها.

---

(١) ينظر: الخفاجي، شفاء الغليل، ص١٧٥.

(٢) ينظر: العنيسي، طوبيا، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، مع ذكر أصلها بحروفه، ص٨٥.

(٣) ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٤٠٣/٨، أدي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٣٠.

ويتبين من دراستنا لصياغة الألفاظ المقترضة في العربية، أو آلية التعريب أنّ هناك عوامل تؤثر في اختيار الألفاظ واستعمالها وصياغتها كتابيا، وأهم تلك العوامل في نظرنا:

- إيثار الخفّة والسهولة [1]، واختيار التيسير في الرموز الكتابية، فقد تستعمل الكلمات الأعجمية، وتكون بديلة للألفاظ العربية بسبب خفتها ورشاقتها، وقد يؤثرون استعمالها لقربها من الأوزان العربية، أو مشابهتها للمادة العربية، وقد أصاب الأب إنستاس الكرملي عندما وصف الصراع الذي يحدث بين الكلمات، ويكون الفاصل الحاسم في بقاء تلك الكلمات هو الاستعمال الواقعي على ألسنة المتكلمين باللغة، وعلى أيدي الكاتبين بقلمها، يقول: "إنّ الحرب قد تقع بين الألفاظ، فيصرع بعضها بعضا، وربما تغلّب الدخيل على الصّميم من كلام العرب، وما ذاك إلا لما أودع صدر الأعجمي من الخفة والرشاقة، والشبه لفصيح الكلام العربي، ومادته، ووزنه ...

ثم يضيف واصفا لتلك الكلمة الأعجمية التي استقرت في كلام العرب، وأصبحت من بناتها: " إنّ خفة الكلمة الأعجمية، ورشاقتها، ووزنها العربي، وشبه مادتها للمادة العربية، يخوّلها قوة ومناعة، ويكسبها جمالا، ويلبسها ثيابا عربية، يجعل جميع الناطقين بالضاد، يرحبون بها كل الترحيب، ويحلونها أعظم محل، ولا يتوهمون أبدا أنها أعجمية، ولهذا يحتفظون بها ويذّخرونها لجميع حاجاتهم، فيصبح محاولة قتلها من المحال؛ لأنّ وراءها دولة أعجمية قوية، هي دولة الاستعمال كل يوم، ودولة المال والماليين، ودولة الصفات العربية التي ذكرناها .." [2].

---

(١) تنبّه مجمع اللغة العربية في القاهرة إلى هذا المقصد المهم من مقاصد اللغة العربية، وتبنّى في قراره بشأن رسم المعرّبات على هذا المقصد، وفي نص قراره: " يرجّح أسهل نطق في رسم الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية .." ينظر: مجلة اللغة العربية بالقاهرة، ٢٨١/١٠، ومجموعة القرارات العلمية، (في رسم الألفاظ المعرّبة)، ص١٩٥.

(٢) نشوء العربية، ونموها واكتهالها، ص٩٦.

الخاتمة ونتائج الدراسة:

عرضت الدراسة جانبين مهمين، الجانب الأول يتعلّق بتوصيف ظاهرة التوليد اللغوي في العربية، والآخر يُعنى بدرس وتحليل المولّدات ومجالاتها ومستوياتها ومظاهرها في مدونة التنوخي (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة)، وخلُصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

*** التوليد اللغوي وأساسياته:**

– أظهرت الدراسة أن التوليد اللغوي يخضع لمبادئ وقوانين محكمة، وضوابط تضمن للغة الاستمرار والبقاء والاطّراد دون أن تفقد مكوّناتها أو نظامها، وهو يتم وفقا لقواعدها وخصوصياتها في المفردات والأساليب، ولا يمكن أن يخرج عن خصائصها التركيبية وأصواتها وأبنيتها الصرفية.

– أكّدت الدراسة على أنّ التوليد في العربية يتفرّع إلى نوعين: **التوليد الشكلي** باستحداث ألفاظ جديدة لم تستعملها العرب، عن طريق الاشتقاق غالبًا، أو النحت، أو التعريب على أقل، **والتوليد الدلالي** بإعطاء معنى جديد لصيغة عربيّة قديمة، عن طريق المجاز أو الاستعارة في الغالب، وقد يكون بالتغيير الحادث على ما استعملته العرب من ألفاظ وتراكيب.

*** العربية الوسيطة:**

– أظهرت الدراسة ملامح العربية الوسيطة في القرن الرابع الهجري من خلال مدونة التنوخي من ناحية الأصوات والبنية الصرفية، والنحو والتراكيب والدلالة، وتعدد مستوياتها اللغوية بين فصيح وعامي ومولّد ومقترض، وبعض الخصائص اللغويّة الأخرى، وأبرز ملامحها يتجلّى في:

– اتساع الفرق بين العربية المكتوبة والعربية المنطوقة، وازدياد ظاهرة الازدواج اللغوي.

– انفتاح العربية الوسيطة في التراكيب والأساليب على بعض اللهجات العربية الحديثة، ولا سيما اللهجة المتداولة في البيئة العراقية الحديثة.

– بروز مظاهر تحويلية متعددة في عربية القرن الرابع من حيث التخفف من الإعراب، ومن الهمز، والميل نحو المطابقة العدديّة في الإسناد الفعلي، والحريّة في رصف عناصر الجملة داخليًا، والبدء بالمسند إليه، وبروز المختصرات في المركّبات الإسميّة.

*** المستويات اللغوية واللغة التداولية والتواصليّة:**

– أظهرت دراسة مدونة التنوخي الواقع اللغوي في القرن الرابع الهجري، ومظاهر التجديد فيه، ومظاهر تطورالعربية، وأنواع التّوليد فيها ومجالاته، وأبانت عن مستويات لغوية متعددة بين فصيح وهو المستوى الكتابي السائد، ومولّد وعامي ومقترض، وذلك بالنّحو الموالي:

المستوى الكتابي: لم يتأثر كثيرا هذا المستوى، فقد حدّ تدوين المؤلفات بالعربية النموذجية من تطور العربية وتغيّرها كتابيًا، والآثار الأدبية كلها قد دُونت بقلم موحّد من حيث الرسم الإملائي.

المستوى اللهجي والشفاهي (لغة التخاطب اليومي): انتشر فيه مظاهر من اللحن والانحراف عن المستوى الفصيح ، في نطق الأصوات، أو الأبنية والصيغ، والتراكيب العربية، أو الدلالة، ورصدت مدونة التنوخي العديد من الملامح اللهجية في عامية بغداد، أو العامية السائدة في ذلك العصر، واللهجات الدارجة في لغة التخاطب اليومية.

المستوى المعرفي: أكّدت الدراسة على أهمية مجالات التوليد اللغوي، إذ تعكس فكر المجتمع، وتُصوّر الحياة فيه، وترسم صورة صادقة عما يعتمل في داخله من معتقدات وأفكار، وجوانب الحضارة المادية والروحية، وأنماط الحياة السائدة بين أصناف المجتمع المختلفة.

*** الاقتراض والازدواج اللغوي:**

– كشفت الدراسة عن أثر الازدواج اللغوي، والاقتراض، في زيادة الثروة المعجمية العربية، وفي سعة التحولات البنيوية والتركيبية فيها.

– أثبتت الدراسة أنّ الألفاظ الفارسية أغلب الألفاظ المقترضة التي دخلت العربية في عصر التنوخي، وهذا يُظهِر أن القرن الرابع كان — من حيث التمدن – فارسي الطابع، وأن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية قد اصطبغت في زمانه بالصّبغة الفارسية، وأن الحضارة العبّاسية نقلت كثيرا من ألفاظ الحضارة، وألوان الفنون، ونظم الحكم عن الحضارة الفارسية.

*** الصياغة الكتابية:**

– أظهرت الدراسة الاتجاهات العامّة في التمثيل الكتابي للألفاظ المقترضة، وأبانت عن تعدّد طرق صياغة الألفاظ المقترضة التي دخلت العربية في مدونة التنوخي، ووصفت الدراسة طريقة تمثيل العربية للألفاظ الوافدة أو الأساليب الطارئة كتابيا؛ لتصبح جزءًا من كيان العربية، وبهذا الشأن:

– يلاحظ أنّ العرب القدامى لم تكن لهم طريقة وحيدة ومحدّدة في تعريب الكلمات المقترضة، وكذلك أرباب العلم والمؤلفون في العصر العبّاسي وما بعده من العصور، ومنهم القاضي التنوخي في مدونته.

– وكذلك يلاحظ في ضوء الماثل من الألفاظ المقترضة في العربية، أنّ هناك عوامل تؤثر في اختيار الألفاظ واستعمالها وصياغتها كتابيا، وأهم تلك العوامل هي: إيثار الخفّة والسهولة، واختيار التيسير في الرموز الكتابية، فقد تستعمل الكلمات الأعجمية، وتكون بديلة للألفاظ العربية بسبب خفتها ورشاقتها، وقد يؤثرون استعمالها لقربها من الأوزان العربية، أو مشابهتها للمادة العربية.

مشروعية التوليد اللغوي:

دخلت العربية كثير من الألفاظ المولدة التي لم توجد في عصور الاحتجاج اللغوي قبل عصر التنوخي، وشملت مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى مصطلحات العلوم والفنون المختلفة، وموقفنا من هذه الألفاظ: التوسط في الأمر بين القبول والرفض: فلا نقبل كل الكلمات المولّدة على الإطلاق، ولا نرفضها على الإطلاق، بل نتخذ طريقا وسطًا يوازن بين القبول والرفض، فنقبل من الكلمات المولّدة والمعرّبة ما دعت إليه الحاجة، وأوجبته الضرورة العلمية، على أن يكون ذلك بيد هيئة علمية مشرفة، وتحت إشراف المجامع اللغوية.

مع الأخذ بضرورة مراعاة مقاصد اللغة العربية، ومنها: الإبلاغ والإفهام، وإيثار السّهولة والتيسير في الصياغة، على أن تكون الألفاظ الجديدة مَرِنة سهلة رشيقة خفيفة مستساغة على السّمع، وأن نضمن لتلك الألفاظ السّعة والانتشار، والاستعمال على ألسنة الناس.

ويبقى الحكم الفصل في قضيّة ألفاظ اللغة والمولّدات هو الاستعمال، فما أقرته البيئة اللغوية أو مجتمع اللغة أصبح عُرفا لغويا، وما رفضه المجتمع اللغوي أصبح مستبعدا قبيحا.

وعمومًا: هناك توليد في العربية غيرُ مرغوب فيه؛ وهو كلُ استعمال لغوي خرج عن أنماط قواعد العربية المعتبرة ونظامها، واستفحاله في العربية يؤدي مع الوقت إلى استحالة العربية إلى لغة أخرى، أو استحالتها إلى عربية جديدة لا ضوابط لها، يكثر فيها الفوضى والتفلت، وبهذا

ينفصل الماضي عن الحاضر اللغوي، ويؤدي بدوره إلى انفصام الهُوية بانفصامنا عن فهم تراث الماضي واستيعابه، وبذلك تنقطع الجسور الثقافية بين ماضي الأمة وحاضرها.

توصيات البحث المهمة:

– ضرورة الاهتمام بوضع منهجية عامّة في التوليد المصطلحي ذات مبادئ وقواعد نظريّة وتطبيقيّة تكون مرجعا عاما.

– الاتجاه إلى وسائل تنمية العربية النابعة من تراثنا، والأخذ بمبدأ الاقتباس من التراث ودرسه؛ لاستخراج وإحياء ألفاظ الحضارة، ومصطلحات العلوم من المصادر والكتب العربيّة القديمة، واستخدامها لمقابلة المفاهيم الحديثة، والاعتماد على الألفاظ التراثية قبل اللجوء إلى وسائل أخرى لتكثير الثروة المعجميّة، وتفضيلها على المعرّب، أو الجديد المستحدث، أو الدخيل.

– الاتساع في وسائل الوضع والاشتقاق والقياس، وتحرير السماع، وإحياء الكلمات المقتبسة من تراثنا العربي، وصياغة المصطلحات العلمية وفقا لأولوية الأخذ من التراث، وبعث ألفاظه، وتقديمه على الوسائل الأخرى في تكثير الألفاظ.

– ضرورة الاهتمام بآثار التوليد اللغوي بنوعيه، العفوي التلقائي، والفنّي المتعمد، بقصد استيعاب النشاط الحضاري والثقافي والاجتماعي، والإنتاج الفكري العلمي والأدبي.

– العناية بالمستويات اللغوية، والإفادة منها، والتأكيد على درسها، ومحاولة تقريبها، وتضييق الهُوة بين هذه المستويات اللغوية.

– الاهتمام بواقع الاستعمال اللغوي، أو اللغة الواقعية وضرورة تقريبها من الفصحى، ورد الاعتبار إلى الألفاظ المولّدة لتصبح جزءًا من العربيّة.

– تعريب الألفاظ الدخيلة بما يوافق الصّيغ العربية، ويلائم طريقة النّطق في العربية وفق قوانين الاشتقاق والتصريف وقواعده.

– تحكيم السليقة العربية والمَلَكة اللغوية، ومحاولة التجديد والتوليد وفقا لقواعد اللغة، وطرائق نموها وخصائصها في الاشتقاق والتعريب والتخصيص والتعميم والمجاز.

والله الموفق.

مصادر البحث ومراجعه:

المصادر القديمة:

- **ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم):**

– الزاهر في معاني كلمات الناس، ت: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

- **ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جنّي):**

– الخصائص، ت: محمد علي النَّجار، دار الكتب العلميَّة، القاهرة، ط١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.

– سر صناعة الإعراب، ت: حسن هنداوي.

– اللُمع في العربيّة، ت: فائز فارس، دار الكتب الثّقافيّة، الكويت.

– المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

- **ابن الجوزي (أبو الفرج):**

– تقويم اللسان، ت: عبد العزيز مطر، دار المعارف، ط٢.

- **ابن الحنبلي (محمد بن إبراهيم الحلبي):**

– سهم الألحاظ في وهم الألفاظ، ت: حاتم الضّامن، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

- **ابن السّرّاج (أبو بكر):**

– الأصول في النحو، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت. – رسالة الاشتقاق، ت: محمد علي الدرويش، مصطفى الحدري.

- **ابن النديم:**

– الفهرست، ت: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

- **ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد):**

– مقدمة ابن خلدون، ت: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

- **ابن خلّكان (أبو العبّاس أحمد بن محمد):**

– وفيات الأعيان، ت:إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ط١، ٩٩٤م.

- **ابن دريد (أبو بكر):**

– جمهرة اللغة، ت: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

- **ابن رشيق (أبو علي الحسن):**

– العُمْدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده، ت: محمد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

- **ابن سيدة الأندلسي:**

– ابن سيدة، المخصص، ت: خليل جفّال، داراحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

- **ابن فارس (أحمد بن فارس):**

– الإتباع والمزاوجة، ت: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة.

– الصَّاحبي في فقه اللُّغَة وسُنن العرب في كلامها، مؤسسة بدران للطِّباعة والنَّشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م،١٣٨٢هـ.

– مقاييس اللُّغة، تحقيق وضبط: عبد السَّلام محمَّد هارون، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، الطَّبعة الثَّانية، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

- **ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري):**

– أدب الكاتب، ت: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

- **ابن مالك (أبو عبد الله جمال الدين الطائي):**

– ألفية ابن مالك، دار التعاون.

– شرح الكافية الشافية، ت: عبد المنعم أحمد هريدي، مركز البحث العلمي، وإحياء التراث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١.

- **ابن مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب):**

– تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ت: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ط٢، ٢٠٠٠م.

- **ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم):**

– لسان العرب، ت: اليازجي وزملائه، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

- **ابن هشام (أبو محمد عبد الله بن يوسف):**

– مغني اللبيب، ت: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

- **ابن يعيش (أبو البقاء موفق الدين):**

- شرح التصريف الملوكي، ت: فخرالدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

- **أبو الطيب اللغوي (عبد الواحد بن علي الحلبي):**

- الإتباع، ت: عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠هـ، ١٩٦١م.

- **أبو حيّان الأندلسي (محمد بن يوسف أثير الدين):**

- ارتشاف الضّرب من لسان العرب، ت: رجب عثمان، مراجعة: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

- **أبو عبيد (القاسم بن سلام):**

- غريب الحديث، ت: محمد عبد المعيد خان، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط١، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

- الأمثال، ت: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

- **الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد):**

- تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مُرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

- **الأشموني (أبو الحسن علي بن محمد نور الدين):**

- شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

- **الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين):**

- الأغاني، ت: سمير جابر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

- **الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد):**

- يتيمة الدَّهر، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد.

- **الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):**

- البيان والتبيين، ت: عبدالسَّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السَّابعة، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

- التاج في أخلاق الملوك، ت: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط١، ١٣٣٢هـ، ١٩١٤م.

- الحيوان، ت: عبد السَّلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثَّانية، ١٣٨٤هـ١٩٦٥م.

- **الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد):**

– المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ت: أحمد محمَّد شاكر، مطبعة دار الكتب، الطَّبعة الثَّانية ،١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

- **الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حمّاد):**

– تاج اللُّغة وصِحاح العربيَّة، ت: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرَّابعة، يناير ١٩٩٠م.

- **الحريري (أبو محمد القاسم بن علي):**

– درة الغوّاص في أوهام الخواص، ت: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثّقافية، بيروت، ط١، ١٤١٨، ١٩٩٨م.

- **الحموي (أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت):**

– معجم الأدباء، ت: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
– معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

- **الخطَّابي (أبو سليمان حمد بن محمد):**

– غريب الحديث، ت: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، مركز إحياء التُّراث الإسلامي، الطَّبعة الثَّانية ،١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

- **الخفاجي (أحمد بن محمد شهاب الدين):**

– شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدَّخيل، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، المطبعة المنيرية بالأزهر، مصر، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ،١٩٥٢م.

- **الدميري (أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى):**

– حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

- **الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله):**

– سير أعلام النُّبلاء، ت: شعيب الأرناؤوط وزملائه، مؤسسة الرِّسالة، الطبعة الثَّالثة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

- **الرازي (أبو حاتم محمد بن إدريس):**

– الزِّينة في المصطلحات الإسلاميَّة العربيَّة، ت: حسين بن فيض الله الهمداني، مطبعة الرِّسالة، القاهرة،١٩٥٦م.

- **الرضي الإستراباذي (نجم الدين محمد بن الحسن):**

– شرح شافية ابن الحاجب، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

- **الزبيدي (أبو الفيض مرتضى محمد بن محمد عبد الرزّاق):**

– تاج العروس من جواهر القاموس، ت: عبد الستار محمد فرَّاج، مطبعة الكويت، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

- **الزركشي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بدر الدين):**

– البرهان، ت: محمدأبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٥٧م.

- **الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو جار الله):**

– أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطَّبعة الأولى١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

- **سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر):**

– الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

- **السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):**

– الاقتراح في علم أصول النحو، ت: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة، مصر، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

– المزهر في علوم اللغة، ت: فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

- **العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله):**

– كتاب (الصِّناعتين)، ت: مفيد قمّيحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.

- **العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين):**

– شرح ديوان المتنبي، ت: مصطفى السقّا وزملائه، دار المعرفة، بيروت.

- **الفارابي (أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم):**

– ديوان الأدب، ت: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، دار الشعب، القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

- **الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد):**

– العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د . إبراهيم السَّامرائي، دار ومكتبة الهلال.

- **الفيروز آبادي (أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب):**

- القاموس المحيط، إشراف: محمد نعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

- **الفيّومي (أبو العباس أحمد بن محمد):**

- المصباح المنير، المكتبة العلمية بيروت.

- **القاضي التنوخي (أبو علي المحسن بن علي):**

- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ت: عبّود الشّالجي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

- الفرج بعد الشّدة، ت: عبّود الشّالجي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

- **القزويني (أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن):**

- الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣.

- **القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد):**

- نهاية الأرب، ت: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

- **اللخمي الأندلسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام):**

- المدخل إلى تقويم اللسان، وتعليم البيان، ت: مأمون بن محيي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

- **المحبّي (محمد أمين بن فضل الله):**

- قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، ت: عثمان الصّيني، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

- **المرادي (أبو محمد بدر الدين الحسن بن قاسم):**

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ت: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م.

- الجنى الداني في حروف المعاني، ت: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دارالكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

- **المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين):**

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة: كمال مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

- **المطَرّزي (أبو الفتح برهان الدين ناصر بن عبد السيد):**

- المغرب في ترتيب المعرّب، ت: محمود فاخوري، عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة، حلب، سوريا، ط١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

المراجع الحديثة:

- **ابن مراد (إبراهيم بن مراد):**
  - دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
  - مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
  - المعجم العلمي العربي المختص، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
  - مقدّمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١، ١٩٩٧م.
- **أدي شير:**
  - الألفاظ الفارسية المعرّبة، دار العرب للبستاني، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧- ١٩٨٨م.
- **الأفغاني (سعيد الأفغاني):**
  - في أصول النَّحو، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- **أمين (عبد الله أمين):**
  - الاشتقاق، الطَّبعة الأولى، ١٩٥٦م.
- **أنيس (إبراهيم أنيس):**
  - الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر.
  - دلالة الألفاظ، دار المعارف، الطَّبعة السَّادسة، ١٩٨٦م.
  - في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
  - من أسرار اللغة، مكتبة الإنجلو المصريَّة، الطَّبعة الثَّامنة،٢٠٠٣م.
- **أولمان (ستيفن أولمان):**
  - دور الكلمة في اللُّغة، ترجمه وقدَّم له وعلَّق عليه: د . كمال بشر، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، الطَّبعة الثَّانية عشرة.
- **برجشتراسر:**
  - التّطور النّحوي للغة العربيّة، أخرجه وصححه: د. رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

- **تيمور (محمود تيمور):**

– مشكلات اللغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة.

- **ج. فندريس:**

– اللغة، نعريب: عبد الحميد الدَّواخلي، ومحمد القصَّاص، مكتبة الأنجلو المصريَّة، مطبعة لجنة البيان العربي.

- **جان بريفو (جان فرانسوا سابيرول):**

– المولّد، دراسة في بناء الألفاظ، المنظمة العربية للترجمة، ت: خالد جهيمة، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

- **حسن (عبّاس حسن):**

– النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط١٥.

- **دوزي (رينهارت دوزي):**

– تكملة المعاجم العربية، نقل وتعليق: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م.

- **الدومنكي (مرمرجي الدومنكي):**

– المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية، مطبعة الآباء الفرنسيسيين، القدس، ١٩٣٧م.

- **الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد):**

– الأعلام، دار الملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.

- **زكريا (ميشال زكريّا):**

– الألسنيّة التّوليديّة والتّحويليّة وقواعد اللّغة العربيّة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

- **زيدان (جرجي زيدان):**

– اللغة العربية كائن حي، مدينة نصر، القاهرة.

- **السّامرائي (إبراهيم السامرائي):**

– التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العبّاسية، وزارة الثقافة والشباب والآثار، الأردن، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

– فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٨٧م.

- **السامرائي (حسام الدين السامرائي):**

– المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، دار الفكر العربي، ١٤٠٣هـ.

- **شاهين (عبد الصّبور شاهين):**

– العربية لغة العلوم، دار الإصلاح ، الدمام، ط١، ١٩٨٣م.

- **الشايب (فوزي حسن الشايب):**

– قراءات وأصوات، ط١، ٢٠١٢، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.

- **الشدياق (أحمد فارس):**

– سر الليال في القلب والإبدال.

- **ضيف (شوقي ضيف):**

– مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

- **عبد التّواب (رمضان عبد التَّواب):**

– لحن العامّة والتّطور اللغوي، ط١، القاهرة، ١٩٦٧م.– فصول في فقه العربيَّة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطَّبعة الثَّالثة ،١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

- **عبد العال (عبد المنعم سيد عبد العال):**

– معجم الألفاظ العامية، مكتبة دار الفكر، طرابلس، ليبيا، ط٢.

- **عبد العزيز (محمد حسن عبد العزيز):**

– التعريب في القديم والحديث، دار الفكر العربي، القاهرة.

- **عكاشة (محمود عكاشة):**

– التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النّشر للجامعات، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

- **عمر (أحمد مختار عمر):**

– دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م، ١٤١٨هـ.

- **العنيسي (طوبيا العنيسي):**

– تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، مع ذكر أصلها بحروفه، دار البستاني للنشر والتوزيع، القاهرة.

- **عيد (محمد عيد):**

– المظاهر الطارئة على الفصحى، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠م.

- **فيشر (فولفد يتريش فيشر (ارلانجن)):**

– دراسات في العربية، ت: سعيد بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- **الكرملي (إنستاس ماري):**

– نشوء العربية ونموها واكتهالها، مكتبة الثَّقافة الدينية، مصر.

- **ماريو باي:**

– أسس علم اللُّغة، لماريو باي، ترجمة وتعليق: د . أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطَّبعة الثَّامنة، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.

- **المبارك (محمَّد المبارك):**

– فقه اللغة وخصائص العربيَّة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ،١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

- **مجمع اللغة العربيّة:**

– المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

– القرارات المجمعيّة في الألفاظ والأساليب، المطبعة الأميرية، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

– مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما، إخراج: محمد شوقي أمين، إبراهيم الترزي، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

- **المغربي (عبد القادر بن مصطفى المغربي):**

– الاشتقاق والتَّعريب، مطبعة لجنة التأليف والتَّرجمة، القاهرة، الطَّبعة الثَّانية ١٣٦٦هـ١٩٤٧م.

- **ناصف (حفني ناصف):**

– حياة اللغة العربية، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م.

- **نصار (حسين نصَّار):**

– المعجم العربي، نشأته وتطوره، دار مصر للطِّباعة، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

- **النّصراوي (الحبيب النّصراوي):**

– الجاحظ معجميًا، بحث في المستويات اللغويّة، مركز النّشر الجامعي، ٢٠٠٨م.

- **وافي (علي عبد الواحد وافي):**

– علم اللغة، نهضة مصر، ط٩، ٢٠٠٤م.– فقه اللغة، نهضة مصر ، ط٣، إبريل ٢٠٠٤م.

- **اليسوعي (رفائيل نخلة اليسوعي):**

– غرائب اللغة العربية، دار المشرق، بيروت، ط٤.

- **يوهان فك:**

– العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ت: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، مصر، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

الرسائل الجامعية:

- **الحِرزي (روضة الحرزي):**

– التعبيرات الاصطلاحية (رسالة ماجستير)، إشراف: د. عبد الحميد الأقطش، جامعة اليرموك، الأردن.

- **طنطاوي درّاز:**

– ظاهرة الاشتقاق، رسالة علمية، ١٩٨٦م.

- **عبد القادر (ميساء عبد القادر):**

– أثر التوليد اللغوي على العربية الفصحى المعاصرة، (رسالة دكتوراه) إشراف: رضوان القضماني، جامعة تشرين، سوريا.

المجلات والدوريات:

- **الأفغاني (سعيد الأفغاني):**

(مع الأخفش الصغير)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٤٨، ١٩٨٢م.

- **الأقطش (عبد الحميد محمد سلمان):**

(إتباع الإيقاع في اللغة العربية)، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، م١٢، ع٢، ١٩٩٤م.

(الإسناد في لغة أكلوني البراغيث)، مجلة أبحاث اليرموك، م١٣، ع ٢، ١٩٩٥م.

(الإشباع الصّوتي في المقاطع العربيّة، أوضاعه، وأهميته)، مجلة علوم اللغة، القاهرة، م٦،ع٢، ٢٠٠٣م.

(أل الزائدة، في أبنية الأسماء العربية بين النّظرية والاستعمال)، الكتاب التكريمي للمستشرق فيشر، أبحاث عربية، إصدار: هاشم الأيوبي، طرابلس، جروس، ١٩٩٤م.

(التعريف في تعبيرات العدد العربية، دراسة تحليلية على ضوء اللغويات التاريخية المقارنة)، مجلة أبحاث اليرموك، م ١٣، ع ١ سنة ١٩٩٥م.

(تعليم العربية لغير الناطقين بها)، محاضرة، مالايا، ماليزيا، ٢٠١٣م.

(التفخيم في العربية ومستوياتها)، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، م٦، ع ٢، ربيع الثاني ١٤٣١هـ – نيسان ٢٠١٠م.

(التوليد اللغوي على وزن (فعلنة) في الاستعمال العربي المعاصر)، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٧٩ .

(الصّوائت والتّمثيل الكتابي في اللفظ الدخيل)، مجلة مجمع اللغة العربية الليبي، (ندوات) ٢٠٠٩م.

(عيوب النطق والكلام في لغويات التراث العربي العام) مجلة الضاد، ماليزيا، جامعة مالايا، إبريل، ٢٠١٢م.

(القلب المكاني بين الأصوات الصحاح في بنية الكلمة العربية)، مجلة أبحاث اليرموك، م١٥، ع٢، ١٩٩٧م.

- **أمين (محمد شوقي أمين):**

(قول في قضية جمع الجمع) مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٦٢، ١٩٨٨م.

- **أنيس (إبراهيم أنيس):**

(الارتجال في ألفاظ اللغة)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مطبعة وزارة التربية والتعليم، ع٨، ١٩٥٥م.

(صيغة الجمع) ، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٣٥، ١٩٧٥م.

- **بشر (كمال بشر):**

(اللغة بين التطور وفكرة الصواب والخطأ)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، بحوث مؤتمر الدورة الرابعة والخمسين،ع٦٢، ١٩٨٨م.

- **تيمور (أحمد تيمور):**

(تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة)، مجلّة المجمع العلمي العربي، دمشق، م٢، ع١٠، ١٩٢٢م.

(تفسير الألفاظ العبّاسية في نشوار المحاضرة)، مجلّة المجمع العلمي العربي، دمشق، م٢، ع١١، ١٩٢٢م.

- **الجارم (علي الجارم):**

(الجُملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٧، ١٩٥٣م.

- **الجندي (أحمد علم الدين الجندي):**

(في التركيب اللغوي)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٧١، ١٩٩٢م.

- **حسن (محمد عبد الغني حسن):**

(قبل يكون، وقبل أن يكون)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، بحوث الدورة ٤٥،ع٤٣، ١٩٧٩م.

- **الخطيب (عدنان الخطيب):**

(ألفاظ ومعانٍ ليست من الفصحى، ولكن من الفصيح)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٧٠، ١٩٩٢م.

- **الخيّاط (محمد هيثم الخياط):**

(رد العامي إلى الأصل)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مؤتمر الدورة ٦٥،ع ٨٩، ٢٠٠٠م.

- **زهران (البدراوي زهران):**

(ازدواجية اللغة)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٦٥، ١٩٨٩م.

- **الزيّات (أحمد حسن الزيّات):**

(الوضع اللغوي، وهل للمحدَثين الحق فيه) مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة،ع٨، ١٩٥٥م.

- **السالاموني (محمد محمود السالاموني):**

(في كتابة الأعلام الإغريقية والرومانية بحروف عربية)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٢٩، ١٩٧٢م.

- **سليمان (أحمد السعيد سليمان):**

(ألفاظ حضارية بطل استعمالها)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٦٤، ١٩٨٩م.

- **الشبيبي (محمد رضا الشبيبي):**

(تحقيق: كتاب النيروز)، لابن فارس، مجمع اللغة العربية، القاهرة،ع١٠، ١٩٥٨م.

- **الطناحي (محمود الطناحي):**

(جمع التكسير والعُرف اللغوي)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٧١، ١٩٩٢م.

- **العايد (سليمان العايد):**

(الحوار اللغوي بين العربية والفارسية كما تصوره مؤلفات القرن الرابع الهجري العربية)، الندوة العالمية، ١٩٩٩م.

(العلائق الإيجابية بين الفصحى والعاميّة)، مجلة بياذر، نادي أبها، ٢٠٠١م.

- **عبد التّواب (رمضان عبد التواب):**

(التطور اللغوي وقانون السهولة والتّيسير) مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع ٣٦، ١٩٧٥م.

(تفسير الشواذ في العربية)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٥٠، ١٩٨٢م.

- **كرد علي (محمد كردعلي):**

(تطور الألفاظ والتراكيب)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٧، ١٩٥٣م.

- **ليلى (صدّيق ليلى):**

(طرائق قدماء اللغويين العرب في التعريب اللفظي)، الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية.

- **المخلّص (عبد الله المخلص):**

(منتخبات من مفاتيح العلوم)، مجلّة المجمع العلمي العربي، دمشق، م٢، ع٦، ١٩٢٢م.

- **المغربي (عبد القادر المغربي):**

(أثر اللغات السامية في اللغة العربية)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٨، ١٩٥٥م.

(تعريب الأساليب)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع١، ١٩٣٤م.

- **النّص (محمد إحسان النّص):**

(نظرات في كتاب: (رد العامي إلى الفصيح) أحمد رضا العاملي)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مؤتمر الدورة ٦٥، ع٩٠، ٢٠٠٠م.

- **هارون (عبد السلام محمد هارون):**

(كُنّاشة النّوادر)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع٣٤، ١٩٧٩م.

- **وافي (علي عبد الواحد وافي):**

(أثر الشئون الاجتماعية في خصائص اللغة وتطورها)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، بحوث مؤتمر الدورة الرابعة والخمسين، ع٦٢، ١٩٨٨م.